اللطايف

مجلّة شهريّة تشتمل على كلّ ما راق من المقالات
الادبيّة والحوادث التاريخيّة والملح والنوادر
والفكاهات والروايات والفوائد
العلميّة والصناعيّة

لمؤلّفها

شاهين مكاريوس

طبعت بمطبعة المقتطف في القاهرة سنة ١٨٨٦

اللطايف

مجلّة شهريّة تشتمل على كلّ ما راق من المقالات
الادبيّة والحوادث التاريخيّة والملح والنوادر
والفكاهات والروايات والفوائد
العلميّة والصناعيّة

لمؤلّفها

شاهين مكاريوس

طبعت بمطبعة المقتطف في القاهرة سنة ١٨٨٦

مقدمة

الحمد لله تعالى * اما بعدُ فلما كان كلُّ احدٍ مطالبًا بخدمة ابناء نوعهِ لنفعهِ ونفع غيره رأيت مع ما بي من القصور ان انتقي من الحوادث التاريخيَّة اهمَّها ومن الفوائد العلميَّة والصناعيَّة والروايات الادبيَّة والفكاهيَّة انفعها واسردها "سلسلة ملح" حلقةً بعد حلقةٍ ما قيَّض الله لي ذلك

وقد جعلتها اجزاء تصدر اثنتي عشرة مرة في العام يحتوي كل جزء منها ٦٤ صفحة بحيث يحصل منها في نهاية السنة كتابٌ كبيرٌ شاملٌ لما يعزُّ وجودهُ في غيرهِ من الكتب. وقد سميتها "اللطائف" لاحتوائها على كل لطيفةٍ وجعلتُ قيمة اشتراكها السنوي لمشتركي المقتطف عشرة فرنكات ولغيرهم ثلاثة عشر فرنكًا يدفعها المشترك سلفًا

هذه خدمة اقدمها للهيئة الاجتماعيَّة وارجو ان تروق في عين من كان للآداب نصيرًا وللمدنيَّة ظهيرًا والله وليّ التوفيق

شاهين مكاريوس

الآداب

الجزء الاوَّل

الادب في اللغة الظرف وحسن التناول وما يُحترَز بهِ عن جميع انواع الخطإِ او هو ملكة تعصم من قامت بهِ عمَّا يشينهُ

وهو كما وصفهُ بعضهم اكرم الجواهر طبيعةً وانفسها قيمةً يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويغني من غير عشيرة ويكثر الانصار من غير رزية ويؤنس في الوحشة ويجمع القلوب المختلفة . وهو خير ما يورث الوالدون لبنيهم

والاديب يمتاز بعلمهِ وعوائدهِ ولاسيما بلطفهِ واتضاعهِ وكرمهِ والسعي وراء كل محمدة وتجنب كل منقصة ولا فرق في ذلك بين الغني والصعلوك والمالك والمملوك

ذُكِر في كتاب المغازي عن عبد الله بن العبَّاس عن ابيهِ قال

خرجت ليلةً حالكة قاصدًا دار أَمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهُ . فما وصلت الى نصف الطريق الَّا ورأَيتُ شخصًا أَعرابيًا جذبني بثوبي وقال : الزمني يا عبَّاس . فتأَملت

الاعرابي فاذا هو امير المؤمنين عُمَر وهو متنكّر . فتقدمت اليهِ وسلمت عليهِ وقلت لهُ : الى اين يا امير المؤمنين . قال اريد جولة بين احياء العرب في هذا الليل الدامس . وكانت ليلة قرّ فتبعتهُ فسار وانا وراءهُ وجعل يجول بين خيام الاعراب وبيوتهم ويتاملّها الى ان اتينا على جميعها واوشكنا ان نخرج منها . فنظرنا واذا هناك خيمة وفيها امرأة عجوز وحولها صبية يعولون عليها ويبكون . وامامها اثافي (موقدة) عليها قدرٌ وتحتها النار تشتعل وهي تقول للصبية رويدًا رويدًا بنيَّ قليلاً وينضج الطعام فتاكلون فوقفنا بعيدًا من هناك وجعل عمر يتامل العجوز تارةً وينظر الى الاولاد أُخرى

ولمَّا طال الوقوف قلت يا امير المؤمنين ما الذي يوقفك سر بنا . فقال والله لا ابرح حتى اراها قد صبت للصبية فاكلوا واكتفوا . فوقفنا وقد طال وقوفنا جدًّا ومللنا المكان خوفًا ان تستريب بنا العيون . والصبية لا يزالون يصرخون ويبكون والعجوز تقول لهم مقالتها : رويدًا رويدًا بنيَّ قليلًا و ينضج الطعام فتاكلون . فقال لي عمر ادخل بنا عندها لنسألها . فدخل ودخلت وراءهُ . فقال لها السلام عليكِ ياخالة . فردت عليهِ

السلام احسن ردّ. فقال لها ما بال هولاء الصبية يتصارخون ويبكون. فقالت لهُ لما هم فيهِ من الجوع. فقال لها ولِمَ لم تطعميهم ممّا في القدر فقالت له وماذا في القدر لاطعمهم ليس هو الّا علالة فقط الى ان يضجروا من العويل فيغلبهم النوم. وليس لي شيء لاطعمهم. فتقدم عمر الى القدر ونظرها فاذا فيها حصباء وعليها الماء يغلي. فتعجب من ذلك وقال لها ما المراد بذلك فقالت اوهمهم ان فيها شيئًا يطبخ فيؤكل فاعللهم بهِ حتى اذا ضجروا وغلب النوم عيونهم ناموا. فقال لها. ولماذا انتِ هكذا فقالت لهُ انا مقطوعة لا اخ لي ولا زوج ولا قرابة. فقال لها. لِمَ لم تعرضي امركِ على امير المؤمنين عمر بن الخطاب فيجعل لكِ شيئًا من بيت المال. فقالت لهُ لا حيَّا الله عمر ونكس اعلامهُ والله انهُ ظلمني

فلما سمع عمر مقالتها ارتاع من ذلك وقال لها. ياخالة بماذا ظلمكِ عمر بن الخطاب. قالت لهُ نعم والله ظلمنا ان الراعي عليهِ ان يفتش عن حال كلّ من رعيتهِ. لعلهُ يوجد فيها من هو مثلي ضيق اليد كثير الصبية ولا معين ولا مساعد لهُ فيتولى لوازمهُ ويسمح لهُ من بيت المال بما يقوتهُ وعيالهُ اوصبيتهُ. فقال

لها ومن اين يعلم عمر بحالكِ وما انتِ بهِ من الفاقة مع كثرة الصبية. كان يجب عليكِ ان تتقدمي وتعلميهِ بامركِ. فقالت. لا والله ان الراعي الحرّ يجب عليهِ ان يفتش عن احتياجات رعيتهِ خصوصاً وعموماً. فلعل ذلك الشخص الفقير الحال الضيق اليد غلبهُ حياؤُهُ ومنعهُ من التقدم الى راعيهِ ليعلمهُ بحالهِ فعلى عمر السوال عن حال الفقراء في رعيتهِ اكثر من تقدم الفقير الى مولاهُ لاعلامهِ بحالهِ والراعي الحرّ اذا اهمل ذلك فيكون هذا ظلماً منهُ. وهذه سنَّة الله ومن تعداها فقد ظلم. فعند ذلك قال لها عمر صدقتِ ياخالة ولكن عللي الصبية والساعة آتيكِ

ثم خرج وخرجت معهُ وكان قد بقي من الليل ثلثهُ الاخير. فمشينا والكلاب تنبحنا وانا اطردها واذبُّها عني وعنهُ الى ان انتهينا الى بيت الذخيرة. ففتحهُ وحدهُ ودخل وامرني فدخلت معهُ. فنظر يميناً وشمالاً فعمد الى كيس من الدقيق يحتوي على مائة رطل وينيف. فقال لي ياعباس حوّل على كتفي فحملتهُ اياهُ ثم قال لي احمل انت هاتيك جرة السمن. واشار لي الى جرة هناك فحملتها وخرجنا واقفل الباب وسرنا وقد انهار من الدقيق على لحيتهِ وعينيهِ وجبينهِ فمشينا الى ان انصفنا وقد اتعبهُ الحمل لان

المكان كان بعيد مسافة . فعرضت نفسي عليهِ وقلت لهُ بابي وامي يا امير المومنين حول الكيس عنك ودعني احملهُ . فقال لا والله انت لاتحمل عني جرائمي وظلمي يوم الدين . واعلم ياعباس ان حمل جبال الحديد وثقلها خيرٌ من حمل ظلامة كبرت او صغرت . ولا سيما هذهِ العجوز تعلل اولادها بالحصى . يالهُ من ذنب عظيم عند الله . سر بنا واسرع ياعباس قبل ان تضجر الصبية من العويل فيناموا كما قالت

فسار واسرع وانا معهُ وهو يلهث من التعب الى ان وصلنا خيمة العجوز . فعند ذلك حول كيس الدقيق عن كتفهِ ووضعت جرة السمن امامهُ . فتقدم هو بذاتهِ واخذ القدر واكب ما فيها ووضع فيها السمن وجعل بجانبهِ الدقيق ثم نظر فاذا النار قد كادت تطفأُ فقال للعجوز اعندكِ حطب . قالت نعم يا ابني . واشارت لهُ اليهِ . فقام وجاء بقليل منهُ وكان الحطب اخضر فوضع منهُ في النار ووضع القدر على الاثافي . وجعل ينكس رأْسهُ الى الارض وينفخ بفمهِ تحت القدر . فوالله اني رأَيت دخان الحطب يخرج من خلال لحيتهِ وقد كنس بها الارض اذ كان يطأْطئ راسهُ ليتمكن من النفخ

ولم يزل هكذا حتى اشتعلت النار وذاب السمن وابتدأ غليانهُ . فجعل يحرك السمن بعود في يدهِ الواحدة ويخلط من الدقيق مع السمن في يدهِ الاخرى الى ان أُنضج والصبية حولهُ يتصارخون فلما طاب الطعام طلب من العجوز اناءً فاتتهُ بهِ . فجعل يصب الطبيخ في الاناء وينفخهُ بفمهِ ليبردهُ ويلقّم الصغار . ولم يزل يفعل هكذا معهم واحدًا بعد واحدٍ حتى أتى جميعهم وشبعوا واكتفوا . وقاموا يلعبون ويضحكون مع بعضهم الى ان غاب عليهم النوم فناموا . فالتفت عمر عند ذلك الى العجوز وقال لها . ياخالة انا من قرابة امير المؤمنين عُمر وساذكر لهُ حالكِ . فأتيني غدًا صباحًا في دار الامارة فتجديني هناك فارجي خيرًا . ثم ودعها وخرج وخرجت معهُ فقال لي . ياعباس اني حين رأيت العجوز تعلل صبيتها بحصى حسست ان الجبال قد زلزلت واستقرَّت على ظهري . حتى اذا جئتُ بما جئت واطعمتهم ما طبختهُ لهم واكتفوا وجلسوا يلعبون ويضحكون فحينئذٍ شعرت ان تلك الجبال قد سقطت عن ظهري . ثم اتى عُمَرُ دارهُ وامرني فدخلت معهُ وبتنا ليلتنا . ولما كان الصباح اتت العجوز فاستغفرها وجعل لها ولصبيتها راتبًا من بيت المال تستوفيهِ شهرًا فشهرًا

فهذا مثال من امثلة متعددة يدل على حسن الشيم والتقوى وخوف الله والاتضاع

الاعتماد على النفس

اعتماد الانسان على نفسهِ اصل لكل نجاح حقيقيّ واذا أتصف بهِ كثيرون من افراد امّةٍ من الامم ارتقت تلك الامة وتقوّت وكان هو سرّ ارتقائها وتقوّيها. وما ذلك الّا لان الانسان يقوى عزمهُ باعتمادهِ على نفسهِ ويضعف باعتمادهِ على غيرهِ. ألاَ ترى ان المساعدة التي ينالها الانسان من غيرهِ تذهب بنشاطهِ غالبًا لانها لاتدع موجبًا لسعيهِ في خير نفسهِ فتغادرهُ ضعيفًا عاجزًا ولا سيّما اذا فاقت حدّ الاقتضاء. وما احسن ما قالهُ الطغرائي في هذا المعنى

وانما رَجُلُ الدنيا وواحدُها مَنْ لا يعوّلُ في الدنيا على رجلِ

ان جميع الشعوب قد اتصلوا الى ما اتصلوا اليهِ من التقدّم بواسطة اجتهاد الوف من رجالهم مدة ايام كثيرة. فالفَعَلة وحارثو الارض ومستخرجو المعادن وارباب الصنائع والمخترعون والمكتشفون والمصنّفون والشعراء والفلاسفة ورجال السياسة جميعهم سعوا في تطلُّب تلك الغاية المجيدة التي هي ترقية شأن بلادهم وازدياد عمرانها. هولاء هم الذين اوجدوا العمران ورفعوا شأن النوع الانساني بمثابرتهم على العلم والعمل. وكل جيل بنى على اتعاب سلفهِ في هذا البناء العظيم. ونحن ورثنا العمران كما تركهُ لنا اسلافنا وعلينا ان لا نتركهُ لخلفائنا كما تُرِك لنا بل ان نجدّ ونسعى في توطيدهِ وتهذيبهِ كما فعل من تقدّمنا

والاختبار اليومي شاهد بان قدوة المجتهدين تؤثر في غيرهم تأثيرًا قويًا يفوق تأثير العلوم . بل ما من علمٍ يؤثر في حياة الانسان مثل العلم الذي يراهُ يوميًا في البيوت والشوارع والحقول والمعامل . هذه هي العلوم الانتهائية التي يجب على كل احدٍ ان يتقنها لكي يحقّ لهُ الدخول في الهيئة الاجتماعية . هذه هي العلوم التي سمّاها شِلر علوم الجنس البشري . وهي تقوم بالعمل والسلوك والتهذيب والطاعة او بكل ما يؤهّل الانسان لمعاطاة اعمال الحياة . وهذه العلوم لا تُحصَّل في المدارس ولا ترى في الكتب . وما احسن ما قالهُ الشهير باكون وهو " ان جلّ فائدة العلوم ان ترشد الانسان الى حكمة فوقها لا تكتسب بالدرس بل بالملاحظة " . والاختبار يعلمنا ان الانسان يصير كاملًا بالعمل اكثر مما بالعلم . اي ان شأن الانسان يُصلَح بالعمل والاجتهاد والاستقامة لا بالعلم والدرس والشهرة

لعمرك انّ المجد والفخرَ والعلى ونيلَ الاماني وارتفاعَ المراتبِ
فضائلُ عزمٍ لا تباعُ لضارعٍ واسرارُ حزمٍ لا تذاعُ لعائبِ

ولما كانت القدوة من الامور الفعّالة في شؤُون البشر كانت كتب ترجمات المشاهير من اكثر الكتب فائدةً حتى ان بعضهم قد اعطاها المنزلة الاولى بعد الكتب المُنزلة لان فيها امثلة كثيرة للاعتماد على النفس وثبات العزم وعلو الهمة والنشاط والاستقامة وغير ذلك من المحامد التي تعلن بكلام صريح ما يستطيعهُ الانسان من الارتقاء في ذرى المجد وتبيّن ببلاغة عظيمة ان من يعتبر نفسهُ ويعتمد عليها ينال اسمًا حسنًا وشهرة لا تُنسى

ورجال العلوم والفنون والآداب ارباب الافكار واهل الحصافة لم ينحصروا في فئة من البشر ولم يختصوا باهل المراتب بل نبغوا من المدارس والمعامل ومن الدساكر والمزارع من اكواخ الفقراء الحقيرة وقصور الاغنياء

الرفيعة . وكم من اناسٍ ارتقوا من ادنى الدرجات الى اعلى المراتب ولم تصدّهم الصعوبات عن نوال ما شمروا لهُ الذيل بل كثيرًا ما كانت تستحيل الى اكبر مساعدٍ لهم بتحريكها قوتهم ونشاطهم وايقاظها ما ربما كان يخمل من قواهم لو لم تكن الحال كذلك . وامثلة هذا كثيرة جدًّا لا يسعنا تعدادها وجميعها تثبت قول المثل القائل كُلُّ مَنْ جَدَّ وَجَدَ .

وقام من العرب وغيرهم من امم المشرق اناس عصاميون لا يحصى عددهم داسوا الفقر الذي ولدوا فيهِ وجعلوهُ مرقاة الى ذري المجد . فابو الطيب المتنبي كان ابن سقّاء ولكنهُ رقي بتوقد ذهنهِ وبلاغة شعرهِ اسمى المراتب وجُمِعَت حكمهُ فكانت مثل حكم ارسطاطاليس كبير الفلاسفة حتى قال فيهِ بعضهم

ما رأى الناس ثاني المتنبي ... ايُّ ثانٍ يُرَى لبكر الزمانِ
هوَ في شعرهِ نبيٌّ ولكن ... ظهرت معجزاتهُ في المعاني

وابو العتاهية الشاعر المشهور كان يبيع الجرار فقيل لهُ الجرّار . وابو تمام حبيب الطائي نشأ بمصر وكان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر وقيل كان يخدم حائكًا ويعمل عندهُ بدمشق وكان ابوهُ خمّارًا بها . ثم قال الشعر البليغ وجمع الكتب النفيسة وكان واحد عصرهِ في ديباجة لفظهِ وبضاعة شعرهِ وحسن اسلوبهِ ولهُ كتاب الحماسة التي دلّت على اتقان معرفتهِ بحسن اختيارهِ ولهُ مجموع آخر سماهُ فحول الشعراء وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء . ولما مات رثاهُ الحسن بن وهب بقولهِ

فُجِعَ القريض بخاتم الشعراء ... وغدير روضتها حبيبِ الطائي
ماتا معًا فتجاوزا في حفرةٍ ... وكذاك كانا قبلُ في الاحياء

وجرير الشاعر كان ابوهُ فقيرًا جدًّا . ذكر ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني ان رجلاً قال لجرير "من أشعر الناس فقال لهُ قم حتى أُعرّفك الجواب

فأخذ بيدهِ وجاء بهِ الى ابيهِ عطية وقد أخذ عنزًا لهُ فاعتقلها وجعل يمصُّ ضرعها فصاح بهِ اخرج يا ابتِ فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيتهِ ثم قال اشعر الناس من فاخر بمثل هذا الاب ثمانين شاعرًا وقارعهم بهِ فغلبهم جميعًا"

والزجّاج النحوي الشهير كان يخرط الزجاج ثم تركهُ واشتغل بالادب فنال منهُ الحظ الاوفر. والسيرافي كان يتعيَّش بنسخ الكتب. وابن الحاجب صاحب الكافية كان ابوهُ حاجبًا للامير عز الدين الصلاحي

والامام ابو حنيفة كان خزازًا يبيع الخز. والحكيم ثابت بن قرَّة الفلسفي كان صيرفيًّا بحران ثم انتقل الى بغداد واشتغل بعلوم الاوائل فمهر فيها وبرع في علم الطب والفلسفة وهو الذي قيل فيهِ

هل للعليل سوى ابن قرَّة شافي بعد الالهِ وهل لهُ من كافي

وابو بكر الرازي الطبيب المشهور كان في شبيبتهِ يضرب بالعود ثم اقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها فصار امام عصرهِ في علم الطب وصنَّف فيهِ الكتب النافعة كالحاوي والجامع ونحوها

وياقوت الحموي المؤرخ المشهور صاحب معجم البلدان أُسر من بلادهِ صغيرًا واشتراهُ تاجر ببغداد اسمهُ ابرهيم الحموي فلما كبر شغلهُ بالاسفار في متاجرهِ فاحرز اشتات الفوائد التي دوَّنها في مصنفاتهِ الجليلة. وكتابهُ معجم البلدان من اجل الكتب الموضوعة في الجغرافية

ونشأ من بين العبيد والمماليك جمهور غفير من الامراء والعظماء كبدر الجمالي الذي كان عبدًا عند جمال الدولة بن عمَّار فصار بجدهِ وزير السيف والقلم عند المستنصر وهو ابو الملك الافضل. والامير ابو شجاع فاتك الكبير

أُسر صغيراً من بلاد الروم ثم اشتهر بالشجاعة والاقدام وصار من الامراء العظام وهو الذي مدحهُ ابو الطيب المتنبي بقصيدتهِ المشهورة التي يقول في مطلعها

لاخيلَ عندكَ تهديها ولا مالُ فليسعدِ النطقُ ان لم يسعدِ الحالُ

ولما مات رثاهُ بقصيدتهِ التي مطلعها

الحزن يقلقُ والتجمُّل يردعُ والدمعُ بينهما عصيٌّ طيّعُ

وقال فيهِ ايضاً

لا فاتكٌ آخر في مصر نقصدهُ ولا لهُ خلفٌ في الناسِ كلهمِ

والملك العادل سيف الدين ابن السلاّل كان من آحاد الجند وهو كردي الاصل . والملك المعزّ لما دخل مصراً قام لهُ ابن طباطبا من بين العلماء وقال لهُ الى من ينتسب مولانا فقال لهُ المعز سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا . ولما استقرَّ بالقصر جمع الناس وسلَّ نصف سيفهِ وقال هذا نسبي ونثر عليهم ذهباً وقال هذا حسبي

والحجاج ابن يوسف الثقفي كان يعلّم الصبيان هو وابوهُ بالطائف ثم لحق بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطتهِ ثم رقي المناصب العالية بهمتهِ واقدامهِ حتى صار امير العراق وخراسان وسائر المشرق

ونظام الملك الطوسي كان من اولاد الدهاقين . وابن الزيّات وزير المعتصم كان ابوهُ زيّاتاً وهو كان كاتباً بباب المعتصم فاستوزرهُ لادبهِ وعلو همتهِ وهو الذي مدحهُ البحتري بقولهِ

وأرى الخلقَ مجمعين على فضلكَ من سيّدٍ ومسودِ .

(عن الطبعة الثانية من سر النجاح المطبوعة بمطبعة المقتطف في مصر)

جواب لطيف

كان لعبد الله بن الزبيري ارضٌ وكان لهُ فيها عبيدٌ يعملون فيها والى جانبها ارضٌ لمعاوية وفيها ايضاً عبيدٌ يعملون فيها . فدخل عبيد معاوية في ارض عبد الله بن الزبيري فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول لهُ فيه . اما بعد يا معاوية فان عبيدك قد دخلوا في ارضي . فانههم عن ذلك والّا كان لي ولك شان والسلام * فلما وقف معاوية على كتابهِ وقرأهُ دفعهُ الى ولدهِ يزيد . فلما قرأهُ قال لهُ معاوية يا بنيَّ ما ترى قال . ارى ان تبعث اليهِ جيشاً يكون اولهُ عندهُ وآخرهُ عندك فياتونك براسهِ . فقال بل غير ذلك خيرٌ منهُ يا بنيَّ ثم اخذ ورقةً وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبيري يقول فيهِ : اما بعد فقد وقفت على كتاب ولد حوَّاري وساءَني ما ساءهُ . والدنيا باسرها هيّنة عندي في جنب رضاهُ نزلت عن ارضي لك اضفها الى ارضك بما فيها من العبيد والاموال والسلام * فلما وقف عبد الله بن الزُبيري على كتاب معاوية كتب اليهِ قد وقفت على كتاب امير المؤمنين اطال الله بقاءهُ ولا اعدمهُ الراي الذي احلهُ من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأهُ رمى بهِ الى ابنهِ يزيد . فلما قرأهُ تهلل وجههُ واسفر . فقال لهُ ابوهُ يا بنيَّ من عفا ساد . ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال اليهِ القلوب . فاذا ابتليت بشيء من هذه الادواء . فداوهِ بمثل هذا الدواء

كان كسرى من الذكاء على ابعد غايةٍ فنمَّ اليهِ رجلٌ بصديقٍ لهُ فكتب كسرى للنمّام قد اخترنا نصحك وذممنا صاحبك لسوءِ اختبارهِ الاصحاب نظيرك

الرقاشي استنقذتك من الفتك وتكافئني بهذا الكلام . فقال الغلام هنيئاً لي الشهاده ان ادركتني السعاده والله ان القتل احبّ اليّ من ان ارجع الى اهلي صفر اليدين . فامر لهُ الحجاج بجائزةٍ وقال يا غلام قد امرنا لك بمائة الف درهم وعفونا عنك لحداثة سنّك وصفاء ذهنك واياك والجراءة على ارباب الامر فتقع مع من لا يعفو عنك . فقال الغلام العفو بيد الله لا بيدك والشكر لهُ لا لك ولا جمع الله بيني وبينك . ثمَّ قام فخرج فابتدرهُ الغلمان . فقال الحجَّاج دعوهُ فوالله ما رأيت اشجع منهُ قلباً ولا افصح منهُ لساناً ولعمري ما وجدت مثلهُ قط وعسى ان لا يجد مثلي . فان عاش هذا الغلام ليكون عجيبة العجائب

جواب لطيف

كان بعضهم مشغفاً بحب بعض السيدات وكان يتردد كثيراً الى منزلها فبينما كان ذات يوم جالساً بالقرب منها يتفرس بجمالها الفتَّان كانت هي عابسة مطرقة براسها في الارض تفتكر فقال لها يا سيدتي ألَا تبعينني افكاركِ بدرهم فاجابت انها لا تساوي ما دفعت فقال لماذا قالت لانني افتكر بك

عدد السكان في بعض المدن بالقطر المصري

في القاهرة ٣٥٣١٨٨ وطنيين و ٢١٦٥٠ اجانب وفي الاسكندرية ١٨١٧٠٣ وطنيين و ٤٩٦٩٣ اجانب وفي دمياط ٤٣٥٠٢ وطنيين و ١١٤ اجانب وفي طنطا ٣٢٧٢١ وطنيين و ١٠٢٩ اجانب وفي المحلة الكبرى ٢٧٥٧١ وطنيين و ٣٥٢ اجانب وفي المنصورة ٢٥٨٤٨ وطنيين و ١٠٩٤ اجانب وفي دمنهور ٢٣٠٤٤ وطنيين و ٣٠٩ اجانب وفي الزقازيق ١٨٧٠٩ وطنيين و ١٠١٦ اجانب وفي رشيد ١٩٣٦٧ وطنيين و ١١١ اجانب وفي شبين الكوم ١٠٥٩٨٠ وطنيين و ٢٧٠ اجانب وفي الجيزة ١١٣٧٩ وطنيين و ٣١ اجانب وفي بنها ٨٠٥٢ وطنيين و ٣٠٢ اجانب وفي بورت سعيد ١٠٦٩٣ وطنيين و ٨٦٧ اجانب وفي السويس ٩٩٨٥ وطنيين و ١١٩٠ اجانب

عدد السكان في بعض مدن سورية

في دمشق ١٥٠٠٠٠ وفي بيروت ١٢٠٠٠٠ وفي القدس ٣٠٠٠٠ وفي طرابلس ١٧٠٠٠ وفي حمص ٢٠٠٠٠ وفي حماه ٣٠٠٠٠ وفي عكا ١٠٠٠٠ وفي اللاذقية ١٢٠٠٠ وفي صيدا ٩٠٠٠ وفي نابلس ٨٠٠٠ وفي حاصبيا ٦٠٠٠

لجنبهِ وانقلب . توقَّدَت فيَّ جمرات الغضب * فتناولتُ ذلك الحجر بعينهِ فضربتهُ بهِ . فكان سبب جنيَّتهِ ولقيَ سوء منقلبهِ . والمرء مقتولٌ بما قتل بهِ . بعد ان صاح صيحة عظيمة . وصرخ صرخة أليمة . فاسرعت هارباً من مكاني. فلم اكن باسرع من هذين الشابَّين فامسكاني واحضراني كما تراني

قال عمر قد اعترفتَ بما اقترفتَ وتعذرَ الخلاص . ووجب القصاص . ولات حين مناص . فقال الشاب : سمعاً وطوعاً لما حكم الامام . ورضيت بما اقتضتهُ شريعة الاسلام . ولكن لي أَخ صغير . كان لهُ أَب خبير . خصَّهُ قبل وفاتهِ بمالٍ جزيل . وذهب جليل . واحضرهُ بين يديَّ . وسلَّم امرهُ اليَّ . وأَشهد الله عليَّ . وقال : هذا لاخيك عندك . فاحفظهُ جهدك . فاتخذتُ لذلك مدفناً . ووضعتهُ فيهِ ولا يعلم بهِ احدٌ الاَّ انا . فان حكمت الآن بقتلي ذَهبَ الذهب . وكنت انت السبب . وطالبك الصغير بحقهِ يوم يقضي الله بين خلقهِ وان انظرتني ثلاثة ايام . اقمت من يتولَّى امر الغلام . وعدت وافياً بالذمام . ولي من يضمنني على هذا الكلام . فاطرق عمر ساعةً ثم نظر . الى من حضر . وقال : من يقوم على ضمانهِ . والعود الى مكانهِ

قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين . واشار الى ابي ذرٍّ دون الحاضرين . وقال هذا يكفلني . وهو الذي يضمنني . فقال عمر أَتضمنهُ يا ابا ذرٍّ على هذا الكلام . قال نعم اضمنهُ الى ثلاثة ايام . فرضي الشابان بضمان ابي ذرٍّ . وانظراهُ ذلك القدر . فلما انقضت مدَّة الامهال . وكاد وقتها يزول او زال . حضر الشابان الى مجلس عمر . والصحابة حولهُ كالنجوم حول القمر . وابو ذرٍّ قد حضر . والخصم ينتظر . فقالا اين الغريم يا ابا ذرٍّ . وكيف يرجع من قد فرَّ . فلا نبرح من مكاننا * حتى تفي بضماننا . فقال ابو ذرٍّ وحق الملك العلَّام . ان انقضى تمام الايام . ولم يحضر الغلام . وفيتُ بالضمان . واسلمت نفسي وبالله المستعان . فقال عمر والله ان تأخر الغلام . لامضين في ابي ذرٍّ ما اقتضتهُ شريعة الاسلام * فهملت عبرات الحاضرين . وارفضت زفرات الناظرين . وعظم الضجيج . وتزايد التشيج . فعرض كبار الصحابة على الشابين أَخذ الدية . واغتنام الاثنية . فأَصرَّا على عدم القبول . وأَبيا الَّا الاخذ بثار المقتول

فبينما الناس يموجون تلهفًا لما مرَّ ويضجون تاسفًا على ابي ذرٍّ اذ اقبل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلم عليهِ اتم سلام ووجههُ

يتهلل مشرقاً ويتكلل عرقاً. وقال قد اسلمت الصبيَّ الى اخوالي. وعرفتهم خفي احوالي. واطلعتهم على مكان مالهِ واموالي. ثم اقتحمت هاجرات الحرّ. ووفيت وفاء الحرّ الاغرّ. فعجب الناس من صدقهِ ووفائهِ. واقدامهِ على الموت واجترائهِ. فقال من غدر لم يعفُ عنهُ من قدر. ومن وفى. رحمهُ الطالب وعفا. وتحققت ان الموت اذا حضر. لم ينجِ منهُ احتراس. وبادرت كي لا يقال ذهب الوفاء من الناس

فقال ابوذرّ. والله يا امير المؤمنين لقد ضمنتُ هذا الغلام ولم اعلم من اي قوم. ولا رأيتهُ قبل ذلك اليوم. ولكنهُ نظر الى من حضر فقصدني. وقال هذا يضمنني. فلم استحسن ردهُ. وابتِ المروءة ان تخيب قصدهُ. اذ ليس في اجابة القصد من باس. كي لا يقال ذهب الفضل من الناس

فقال الشابَّان عند ذلك يا امين المؤمنين. قد وهبنا لهذا الغلام دم ابينا. فلتبدل وحشتهُ بايناس. كي لا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام. بالغفر عن الغلام. وعجب من صدقهِ ووفائهِ. واستغزر مروءة ابي ذرّ دون جلسائهِ. واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثناء وتمثل

بهذا البيت

من يصنع الخير لم يعدم جوائزهُ لا يذهب العرفُ بين الله والناسِ

ثم عرض عليهما امير المؤمنين ان يصرف لهما من بيت المال دية ابيهما. فقالا لا يا امير المؤمنين انما عفونا عنهُ ابتغاء لوجه الله. ومن نيتهُ كذا. لا يتبع احسانهُ منّ ولا اذى

رثاء الاسكندر

لما توفي الاسكندر ووضع في تابوت من ذهب تقدم اليهِ بعضهم فقال كان الملك يخبأ الذهب وقد صار الآن الذهب يخبأهُ. وتقدم اليهِ آخر فقال قد طاف الارضين وتملكها ثمّ جعل منها في اربعة اذرع وقال آخر انظر الى حلم النائم كيف انقضى الى ظل الغمام وقد انجلى وقال آخر ما لك لا تقلّ عضوًا من اعضائك وقد كنت تستقل ملك العباد وقال آخر ما لك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال آخر امات هذا الميت كثيرًا من الناس لئلاَّ يموت وقد مات الآن وقال آخر ما كان اقبح افراطك في التجبر امس مع شدة خضوعك اليوم. وقالت بنت دارا ما علمت ان غالب ابي يغلب. وقال رئيس الطباخين قد نضدت النضائد والقيت الوسائد ونصبت الموائد ولست ارى عميد المجلس

حسن الجواب

اسر الحجَّاج لامرأة زوجها وابنها واخاها. فقيل لها اختاري واحدًا منهم ليبقى حيًّا فقالت. الزوج موجود. والابن مولود. والاخ مفقود. اختار الاخ فقال الحجاج عفوت عن جميعهم

الجنون فنون (١)

ايها السادة الكرام

لمَّا فكرت في موضوع خطبةٍ اخطبها على حضراتكم اخترت هاتين الكلمتين "الجنون فنون" من مواضيع كثيرة خطرت لي وذلك لما ينطوي تحتهما من المواضيع المتعدّدة فاذا اصبتُ اذنًا صاغية فغاية المرام والاَّ فحقكم ان تقولوا الجنون فنون والسلام

من جملة انواع الجنون النوع المشهور والمشاهد كل يوم ألاَ وهو السكر المذموم وهنا اسمحوا لي ان اشرح لحضراتكم بعض ما يُنفَق ويتلف ويذهب سدًى لا فائدة منهُ وذلكَ على المسكر فقط . ففي سنة ١٨٨١ أُنفِق في بلاد الانكليز ثمن مسكرات من بيرا وخمر وغيرهما مئة وسبعة وعشرون مليون ليرة انكليزية . وبالتعديل اصاب كل بيت من بيوتهم (وعددها نحو سبعة ملايين بيت) ثمانية عشر جنيهًا افرنجيًا في السنة

وأُنفِق في اميركا من مدَّة خمس عشرة سنة الى الآن وفي فرنسا ما يزيد اضعاف الاضعاف عن هذه القيمة . وقال الدكتور

---

(١) هذا موضوع خطبةٍ لنا خطبناها في جمعية الاعتدال بمصر القاهرة وقد ذكرنا هنا طرفًا منها

مارمون من مدَّة خمس سنوات ان ما سبَّبهُ السكر باميركا من الحريق يقدَّر ثمنهُ بخمس مئة الف فرنك وانهُ قُتل بسببهِ عشرة آلاف شخص انتحارًا وأُهلك بلهيبهِ ثلاث مئة الف نفس وتيتَّم الف الف ولد فالتزمت حكومة اميركا ان تقوم بمعاش مئة الف ولد وكان باعثًا على ايداع مئة وخمسين الف نفس السجن وغير ذلك من الاضرار

ولولا عدم الاحصاء لبيَّنت لحضراتكم ما يتلف بسبب السكر في هذه المدينة وفي المدن الاخرى من القطر المصري الَّا انني اكتفي بالاشارة الى ما نشاهدهُ يوميًا من البراهين على فنون جنون السكر كهذيان السكارى وعدم شبعهم من شربهِ وغير ذلك. فالحرائق لا تكثر الَّا في بيوت بنات السبيل واذا دققنا النظر وجدنا اكثرها ناتجًا عن السكر وكذلك القتل والسلب والتعدي واكثر المآثم. فعلى انصار الفضيلة واعوان الآداب محاربة هذا الداء العياء وارشاد من تهوَّر فيهِ الى اعتدال السبيل والله حسبنا وهو نعم الوكيل

واهجرِ الخمرةَ ان كنتَ فتىً ۞ كيفَ يسعى في جنونٍ من عقل

ومن انواع الجنون المقامرة وهي شقيقة السكر في مضارها

وفظائعها فكما ان البرموت والكونياك والشمبانيا وغيرها من المشروبات العالية آفة الاغنياء او المستغنين وبوزة البرابرة والخمرة وباقي المشروبات الرخيصة آفة الفقراء كذلك لعب القمار في بعض المحلات بالليرة والليرتين وفي بعضها بالقرش والقرشين · وهذا الداء العضال دخل حتى بين الاغنياء والفقراء والامراء والصعاليك ولطالما حطّ الاغنيـاء وفضح البيوت المستورة · وطوّح بالناس الى اقبح الافعال واسمجها · والمقابلة بين السكر والقمار تبيّن انهما شقيقا فساد · فالاول يبتدأُ فيهِ بشرب كأس فيتوصل منهُ الى الدنان الكبار والثاني يبتدأُ فيهِ بالقرش فيتوصل منهُ الى الالف . والاول يفضي بصاحبهِ الى حالٍ رديئة والثاني يلقي صاحبهُ في اشد الاهوال وعاقبة الاول هذيان السكارى وعاقبة الثاني السوداء والموت

بلغني ان شاباً ذهب الى السودان ترجماناً مع العسكر الانكليزي فشهد المواقع التي تشيّب الاطفال وجمع مبلغاً من المال بدمهِ وعرق جبينهِ حتى قضى سنة من الزمان · وفيما هو عائد مع الجيش شاهد التراجمة في مكان يلعبون القمار فسوّلت لهُ نفسهُ ان يلعب لعلَّهُ يكسب بالراحة والزمان القصير فوق ما

جمعهُ بالتعب والزمان الطويل · فكانت النتيجة انهُ لم يقم من مقعدهِ وبيدهِ قرش واحد · فخسر كل ما بذل دونهُ النفس والنفيس في ساعة من الزمان والتزم ان يستدين مالاً من بعض رفقائهِ ليرجع بهِ الى مصر · وقد بلغني ان رفيقهُ دانهُ مبلغاً ويا ليتهُ لم يفعل فكان يعلمهُ مضار المقامرة قبلما يخرج من بلاد السودان · وهذا شاهد واحد من شواهد كثيرة على مضار هذه العادة الذميمة .. فكم قرأنا وكم سمعنا عن اناسٍ اتلفتهم هذه العادة بخباثتها وسوء مصيرها · فلا ريب انها نقطة سوداء في تاريخ هذا العصر المتمدن · والذي يشاهد محلاَّت المقامرة يرتعب من هيئات المقامرين والانفعالات العنيفة التي تظهر علاماتها على وجوههم · فتارةً ترى الواحد منهم كالمجنون فرحاً بما يكتسبهُ وتارةً تراهُ كالمجنون غيظاً على ما خسرهُ يمدُّ يدهُ الى جيبهِ بالوقاحة وهو يشتم حظهُ ويلعن ساعتهُ ويسبُّ يومهُ * فيا ليت شعري ما الذي يحملهُ على اتباع هذه العادة الذميمة غير الجنون

والمقامرة لا تنحصر في لعب مخصوص من الالعاب بل هي مطلقة على كل ما يكتسب قهراً فليت الذي سمَّاهُ لعب القمار سماهُ السلب او العار فان ذلك احق بهِ واولى لانهُ ما الفرق بين

اللص الذي يسرق سرًّا او جهرًا والمقامر الذي يسلب رفيقهُ قهرًا فهما سيَّان

وماذا يا ترى ينجم عن المقامرة متى افلس الانسان بها . ألا يصير يستحل كل مالٍ لغيرهِ فيكذب ويسرق ويعمل كل عمل دون الحصول عليهِ وهيهات ان يجد لنفسهِ تعزية الَّا بالاقلاع عن عوائدهِ الذميمة الوخيمة والتعلق على الفعل الحسن ليتخلص من المالنخوليا المستحوذة على دماغهِ . ومضار القمار اكثر من ان تُحصَر في كلماتي الوجيزة وقصص المقامرين يسهر عليها الليالي وجميعنا نعرف منها مئات فاقتصر على ما ذكرت خوف الاطالة على غير طائل

حكم

اذا اراد الوالدان يجعل ابنهُ يسير في الطريق المستقيم فليسِر اولاً امامهُ في تلك الطريق

اختار زينو الفيلسوف من الفضائل السكوت وقال انما اخترتهُ لاني بهِ اعرف عيب المتكلم واخفي عيوب نفسي

عادة المعروف تفعل ما لا يفعلهُ غيرها من العوائد لانها تجلب السلام اللذيذ للذهن وتزيد سرور القلب

قيل لاحد حكماء العرب ممَّن تعلمت الادب . فقال ممن ليس لهُ أدب لان رذائلهُ اغرتني بكره الرذيلة

لغات اوربا

وصف كارلس الخامس لغات اوربا بقولهِ : اللغة الفرنسوية تصلح للمحادثة مع الاصدقاء لعذوبتها . والايطالية للمسامرة لفرط رقتها . والاسبانيولية لمناجاة الباري لسمو لفظها . والانكليزية للخطابة في الشعب لقوة كلامها وفصاحته . والجرمانية لزجر الخيل لخشونتها . ولم يذكر اللغات الشرقية لجهلهِ اياها

المرأة المتظلمة وابن المأمون

جلس المامون يومًا للمظالم . فكان آخر من تقدم اليهِ وقد همَّ بالقيام امراةً عليها هيئة السفر وعليها ثيابٌ رثة . فوقفت بين يديهِ فقالت . السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاتهُ . فنظر المامون الى يحيا بن اكثم فقال لها يحيا وعليكِ السلام يا أمة الله تكلمي في حاجتكِ فقالت

ياخير منتصفٍ يهدى له الرشدُ ويا اماما بهِ قد اشرقَ البلدُ
تشكو اليكَ عميدَ القوم ارملةٌ عدا عليها فلم يترك لها سبدُ
وابتزَّ مني ضياعي بعد منعتها ظلمًا وفُرِّق مني الاهل والولدُ

فاطرق المامون حينًا ثم رفع رأسهُ اليها وهو يقول

في دون ما قلتِ زال الصبرُ والجلدُ عني وأُقرِح مني القلب والكبدُ
هذا اذانُ صلاةِ العصرِ فانصرفي واحضري الخصمَ في اليوم الذي اعدُ
والمجلس السبت أن يقضَ الجلوس لنا ننصفكِ منهُ والاَّ المجلس الاحدُ

فلما كان اليوم الاحد جلس فكان اول من تقدم اليهِ تلك المراة .

فقالت السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال . وعليكِ السلام اين الخصم فقالت . الواقف على راسك يا امير المؤمنين واومات الى العباس ابنهِ فقال . يا احمد بن ابي خالد خذ بيدهِ فاجلسهُ معها مجلس الخصوم فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها احمد بن ابي خالد يا امة الله انكِ بين يدي امير المؤمنين وانك تكلمين الامير فاخفضي من صوتكِ فقال المامون دعها يا احمد فان الحق انطقها واخرسهُ ثم قضى لها برد ضيعتها اليها وظلم العباس بظلمهِ لها وامر بالكتاب لها الى العامل ببلدها ان يوفر لها ضيعتها ويحسن معاملتها وامر لها بنفقةٍ

كلام الحكماء نجاة

انهُ في اثناء سياحة صولون الفيلسوف اليوناني الشهير بمدينة سرديس زار الملك كريسوس (قارون) المشهور في العالم بكثرة مالهِ فاطلعهُ الملك على خزائنهِ واراهُ ما عندهُ من الغنى الوافر وقال لهُ ألاَ تظنني رجلاً سعيدًا فاجابهُ صولون ايها الملك الجليل صعَّبت السؤال وانني لا استطيع ان ادعو احدًا سعيدًا ما دام حيًّا لانهُ لا يُعرف كم من المصاعب والشدائد تصيب الانسان قبل ان يموت

قيل انهُ بعد هذه الحادثة بسنين حاصر كورش الفارسي مدينة سرديس وافتتحها عنوةً وحكم على كريسوس الملك بالموت حرقًا بالنار . ولمَّا قُيِّد ووضع على الحطب صرخ بصوتٍ عظيمٍ عالٍ صولون صولون صولون . فتعجَّب كورش وكل الحاضرين من هذه الالفاظ وسأل عن معناها فأخبر بمحادثة صولون وكريسوس فلاَنَ قلب كورش وعفا عن كريسوس واطلقهُ وصادقهُ ودامت المحبة بينهما حتى توفي كورش

نيران العرب

النار عند العرب اربعة عشر نارًا وهي نار المزدلفة توقد حتى يراها من وقف بعرفات واول من اوقدها قصي بن كلاب. ونار الاستسقاء كانوا في الجاهلية اذا تتابعت عليهم السنون الجدبة جمعوا ما قدروا عليهِ من البقر وعلقوا في اذنابها وعراقيبها العشر والسلع ثم صعدوا بها في جبل وعر واضرموا فيها النار ثم عجُّوا بالدعاء فيرون انهم يمطرون بذلك . ونار التحالف كانوا لا يعقدون الحلف في الجاهلية الاَّ اذا اوقدوا نارًا بينهم يطرحون فيها حجارة الكبريت والملح فاذا اشتاطت قالوا هذه النار قد هددتك فاحلف . ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجارهِ اوقدوا لهُ نارًا بمنى في ايام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان. ونار السلامة توقد للقادم من سفرهِ دائمًا . ونار الزائر والمسافر. وذلك انهم اذا احبوا ان لا يرجع اليهم ذلك الزائر او المسافر اوقدوا خلفهُ نارًا وقالوا ابعدهُ الله واسحقهُ . ونار الحرب وتسمى نار الاهبة يوقدونها على نشزٍ عالٍ لمن بعد منهم. ونار الصيد يوقدونها للظباء لتعشي ابصارها. ونار الاسد كانوا اذا رأوا اسدًا اوقدوا نارًا فاذا رآها حدق اليها ثم نفر منها . ونار السليم توقد للملدوغ اذا سهروا معهُ والمجروح اذا نزف ومن الكلب الكَلِب فيوقدونها حتى لا يناموا . ونار الفداء كان ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلبوا منهم الفداء كرهوا ان يعرضوا النساء نهارًا . ونار الوسم التي يوسم بها ابل الملوك لترد الماء اولاً . ونار القرى وهي اعظم النيران عندهم ليراها المسافر من بعيد فيهتدي عليها الى بيوت الحي برسم البيات والقرى . ونار الحرتين وهي التي اطفاها الله بخالد ابن سنان العبسي احتفر لها بئرًا ثم ادخلها فيها والناس ينظرون اليهِ ثم اقتحم فيها حتى غيبها وطلع سالمًا. فهذه جملة نيران العرب العرباء والجاهلية

آداب الخطاب

لا تتكلم بسرعةٍ وجزع . ولا تقطع بكلامك حديث غيرك . لا تصرف همك الى تفنيد الذي يخاطبك بل اجتهد في ان تردَّهُ الى الصواب بلطفٍ . ولا تذكر شيئاً من مفاخرك ومآثر عائلتك . ولا تأتِ بخطإٍ غيرك في الكلام للبحث والنظر . ولا تضيع حلمك وكلامك بالحدَّة والغيظ . ولا تعرض بنقائص احد السامعين .

ولا تبدأُ دائماً في مخاطبتك من تخاطب بذكر احوال الهواء والحر والبرد . ولا تتلفظ بما لا فائدة فيهِ . كقولك لا يخفى على فطنتكم وانت تعلم ويا سيدي وما شاكل ذلك . ولا تتكلم بما لا يرغب في سمعهِ احدٌ من سامعيك . ولا تتكلم بصوتٍ عالٍ واذا شئت قوة التأثير فيغنيك عن ذلك التكلم عن يقين بايضاحٍ وتمييزٍ ورقَّةٍ ولطفٍ وصوت تألفهُ الطباع . ولا تغفل عن شيءٍ من كلام مخاطبك فتسألهُ اعادة ما قال لكي تفهم مقصودهُ . ولا تتكلم بهزءٍ على نقص الخَلق كالعور والطرش وما شاكلهما حين يكون احد الحاضرين في خلقهِ شيءٌ من ذلك

ولا تتكلم بلغةٍ غريبةٍ اذا كان بعض الحاضرين لا يعرفها .

فاذا كان بينك وبين احدٍ امرٌ سريٌّ فانفردا عن الحاضرين وتكلم معهُ في شأن ذلك الامر . ولا تغصب جلسائك على الثقة بكلامك لانهم اذا كانوا يثقون بقولك فلا حاجة لك الى بذل الجهد بذلك والَّا فهو لا يفيدك شيئًا . ولا تتكلم بالفاظ غير مناسبة او كلمات قبيحة او بما لهُ معنيان تخزي احد الحاضرين باحدهما (كالابهام والتعريض وما شاكلهما) . ولا تمزج اقوالك بكلمات غريبة وعبارات عالية لتظهر براعتك في اللغة فيهزا الحاضرون بك. ولا تتكلم مع احد الحاضرين لحنًا اي بكلامٍ يفهمهُ منك ولا يفهم الحاضرون شيئًا منهُ فذلك يعد كالتكلم بلغةٍ لا يعرفونها او كالنجوى والهمس فيكون من غير باب الآداب

ولا تغتب احدًا اي تتكلم عليهِ شرًّا وهو غائب اذا امكنك ذلك فقد يأتي يومٌ يحتاج فيهِ احد الاصحاب ان يدافع عنك وانت غائبٌ

ولا تهزأْ بمكانٍ تسافر اليهِ او تحتقرهُ بكلامك . ولا تندرِ كذلك بعوائد اهلهِ بل وجه ذهنك الى شيءٍ يستحق المدح فتمدحهُ فتحصل بذلك على محبة اهلهِ ومدحهم بدلًا من احتقارهم اياك ومقتهم لك

اللطائِف

الجزء الثالث

ترجمة الفيلسوف سقراط

وُلد سقراط سنة ٤٦٩ ق. م في قرية قرب مدينة أثينا . وكان من عزم ابيهِ ان يعلمهُ حرفتهُ اي نقش التماثيل لما رأى فيهِ من النجابة ولكنهُ مات قبل ان ادرك سقراط سنَّ الرجال فاقيم لهُ وصيٌّ على تركة تبلغ ثلث مئة غرش فاختلسها الوصي فامسى سقراط يتيماً فقيراً فاضطرَّ الى الكد والعمل لتحصيل معاشهِ ولم تكن لهُ فرصة للمطالعة والدرس على استاذ الَّا انهُ أنكبَّ على مطالعة كل ما وصلت اليهِ يدهُ من الكتب متيقناً ان كل من جدَّ وثبت وجد وبلغ من التقدم كل مبلغ . ولما ساعدتهُ الاحوال تعلم علم الموسيقى والهندسة فاستوعب منهما جانباً عظيماً يعسر على غيرهِ تحصيلهُ في احوالهِ

وكان يساعدهُ على احتياجاتهِ صديق لهُ اسمهُ كريتو فانهُ اعطاهُ مالاً يمكنهُ من تعلُّم العلوم من اربابها واستماع تعاليم الفلاسفة اي محبي الحكمة لان معنى الفيلسوف محب الحكمة

وانتشبت الحرب بين اثينا وسبرطا فانتظم سقراط كغيرهِ في سلك العسكرية للمدافعة عن وطنهِ فقاتل ببسالة وشهامة واقدام تفوق التصديق . وتحمَّل الجوع والعطش والتعب . ولما كانت الارض تتغطَّى بالجليد والهواء يبرد كثيراً حتي لا يستطيع احد ان يخرج من خيمتهِ الاَّ ملتفاً بالثياب كان سقراط يخرج بثيابهِ العاديَّة ويمشي على الثلج حافياً . واستحقَّ في احدى المواقع الجائزة التي يستحقها اشجع الجنود ولكنهُ لم يكن يهتم بامر نفسهِ بل يحب ان يعطي الاكرام لغيرهِ فاعطى الجائزة لشاب غني شجاع لكي يزيدهُ شجاعةً واقداماً وكان هذا الشاب قد وقع بين الاعداء جريحاً فاسرع سقراط اليهِ ووقف فوقهُ وطرد عنهُ الذين ارادوا قتلهُ ثم حملهُ الى محل الامان . وانقذ في واقعة اخرى حياة زنفون الذي كتب تاريخ حياتهِ فانهُ رآهُ وقع جريحاً فاقبل اليهِ وحملهُ على ظهرهِ وخرج بهِ من مكان الخطر وهو يحارب في طريقهِ .

وكانت الجنود الاثينوية تحارب وقت الحرب وتعود الى بيوتها

واعمالها وقت السلم فكان سقراط يعود وقت السلم الى التعلم والتعليم

وكانت الآداب حينئذٍ قد هاجرت ربوع البلاد وسادت فيها الرذائل وتنوَّعت معبوداتها الوثنية بين ذكور واناث وكثرت الهياكل . وغاص الاهلون في بحار الشهوات العالمية لاهين بالملذات والطرب والتجوُّل من زقاقٍ الى آخر . فأثَّر ذلك في نفس سقراط تأثيرًا عظيمًا فاحتدمت فيهِ نار النخوة والشيمة فجاهر بمقاومة مبادئ البلاد باسرها والتنديد بتصرُّف الرؤساء وتوغُّل الشعب في الملاهي الباطلة وتغافل الحكومة عن تأديب المجرمين ولم يترك فرصة الاَّ افاد فيها ما استطاع ونهى عن ارتكاب المعاصي وحثَّ على اتّباع الفضيلة

وعلَّم انهُ يوجد اله واحد خالق لكل الاشياء وان العيشة الصالحة هي ان يكون الانسان مستقيمًا شجاعًا يحكم على طبعهِ ويضبط هواهُ . وعلَّم ايضًا ان السعادة الحقيقية توجد في هذه العيشة الصالحة ولكن لا يستطيعها الانسان ما لم تأتهِ مساعدة الهيَّة . وعلَّم ايضًا ما ينبغي لكل انسان ان يتعلمهُ كقولهِ لا تضرَّ اخاك فلا يضرَّك ولا تطلب الاَّ مالك واعطِ ما عليك . وقال

ان احياء العواطف الادبية والسلوك بحسبها من افضل الوسائط المكملة للصفات الانسانية ولا افضل من الانسان الذي يسعى في جميع هذه المبادئ الادبية تحت لواء الفضيلة لانها تضمن لهُ السعادة . وايضًا اذا اقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول وان ادبرت خدمت العقول الشهوات فكن حكيمًا فقيرًا ولا تكن جاهلًا غنيًّا لان الحكيم الفقير يجهل المال فقط واما الغني الجاهل فيجهل العلم والمال معًا . وليكن مرجع كل واحد للفضيلة فهي ترفع صاحبها وتهبط تاركها . وفوّضوا مدحكم الى افعالكم فانها تمدحكم بصدقٍ اذا احسنتم وتذمكم بحق اذا اسأتم . وثلثة تجلب المحبة الآداب والتواضع والائتلاف . وايضًا اطيعوا والديكم بكل عمل صالح ومن يرفض تاديب ابويهِ فقد رفض خير نفسهِ ومن يتكل على غيرهِ فعاقبتهُ غير سليمة

وسعى بكل قدرتهِ في تعليم اهالي بلادهِ واصلاح شؤُونهم وكان يجول في اسواق اثينا معلمًا ومرشدًا مكتفيًا بقوتهِ الضروري

وكان في ذلك الوقت رجال يدَّعون الحكمة اسمهم سوفسطائية وعلمهم تعليم الصغار الخطابة والجدَل حتى يصيروا قادرين على اقناع الناس او افحامهم سواءٌ كانوا مصيبين او

مخطئين . فنتج من تعليمهم شرٌّ عظيم لانهم كانوا يحملون الشعب على تذنيب الابرياء وتبرير المذنبين فصار معنى سفسطي محتالاً بعد ان كان معناهُ حكيماً ومن ذلك كلمة السفسطة بالعربية اي القياس الفاسد

واثينا كما لا يخفى في اقليم من احسن الاقاليم ويحيط بها غابات تقي المارين من حرّ الشمس . فكان السوفسطائية والفلاسفة يمشون تحتها هم وتلامذتهم . وكثيرون من الاثينويين كانوا يمضون اوقاتهم وقوفاً او مشاةً في نادي المدينة او شوارعها يتحادثون ويتجادلون ويقصُّون الاخبار . وكان سقراط ينحو نحوهم الَّا انهُ لم يكن يمضي الوقت في الكلام الفارغ بل في تعليم الحكمة

وكان سقراط يحب الاستقامة ويعلّم ويعمل بها فكره تعاليم السوفسطائية واجتهد في اظهار اضاليلهم لكي لا ينخدع بهم احد . وقاومهم علانيةً واجتهد في صرف شرهم عن الناس

واجتمع كثيرون عليه يأْخذون الحكمة عنهُ . ولكن كثيرين من الاعداء قاموا عليهِ لان السوفسطائية وتلامذتهم لم يرضهم اظهارهُ لفساد سفسطاتهم فشكوهُ الى القضاة . وكان من اشد الناس

بغضاً وحسداً لهُ انيتوس ومليتوس فهذان مع غيرهما عظَّموا
الوشاية على سقراط حتى اخرجوا الحكم عليهِ بالموت باتفاق ٢٨١
رأياً ضد ٢٧٩ وكان بامكان سقراط التخلص من الهلاك لكنهُ لم
يستعطف القضاة لكي يعفوا عنهُ ولا طلب منهم ان يعاملوهُ
بالرحمة بل قال انهُ يجب عليهم ان يعدلوا في قضائهم وان لا
يحوِّلهم عن اجراء العدل شيءٌ . وقال لهم " قد يسوءكم اعتصامي
بالصبر في الدفاع عن نفسي ولعلكم كنتم تنتظرون ان افعل كما
يفعل غيري في احوال اقل خطراً من هذه الحال اي ان أتضرع
اليكم لكي تعفوا عني وآتي باولادي وذوي قرباي ليتضرعوا
اليكم كذلك فان لي اقرباء كغيري من الناس وثلاثة اولاد ولكن
قد عزمت ان لا يقف احد منهم امامكم لاجل هذه الغاية لا كبراً
مني ولا احتقاراً لكم بل لاني احسب ذلك عاراً عليَّ واعدُّ
استعطافكم واسترضاء وجهكم ذنباً كبيراً . ويجب عليَّ ان اقنعكم
بالحجة اذا امكنني . وانتم قد حلفتم ان تسيروا بحسب ذمتكم وتحكموا
بموجب الشريعة لا ان تحولوا الشريعة الى اغراضكم وهذا الذي
يجب عليكم ان تفعلوهُ وحاشا لي ان اعوّدكم على الحنث في حلفكم
وحاشا لكم ان تعتادوا هذه العادة . واني اترك الامر لكم وللآلهة

لتحكموا بما هو الافضل لي ولكم". ولما حكموا عليهِ بالموت قال لهم "قد حكمتم عليَّ لاني لم اتلطف لكم في الكلام ولم أُسمعكم اقوالاً تحبونها كما يفعل غيري ولكني غير نادم. قد حكمتم عليَّ بالموت ولكنَّ الحقَّ قد حكم على الذين حكموا عليَّ انهم اشرار جائرون" ثم طُرِح في السجن ليقيم فيهِ ثلاثين يومًا قبل قتلهِ. فاجتمع عليهِ اصدقاؤهُ وتلامذتهُ يذاكرونهُ في التعاليم التي علمهم اياها. فاراد بعض اصحابهِ ان يأخذوهُ ويغروهُ على الهرب فامتنع من ذلك وقال لهم هذا عيب ونقص في حق القوانين والشرائع وفي اليوم الاخير من ايام سجنهِ تكلموا عن خلود النفس فعزَّاهم بقولهِ انهُ يتامل ان الموت بداية حياة جديدة احسن من الحياة الدنيا. ثم استأْذن من اولادهِ بعد ان نصحهم نصائحهُ الاخيرة وارسلهم من عندهِ هم وانسباءهُ الباقين ولبث بعض تلامذتهِ واصدقائهِ معهُ حتى وفاتهِ. ولما جيء اليهِ بكاس السم تناولها وتجرعها فجعل اصحابهُ يبكون وينتحبون حتى ان الموكل بقتلهِ لم يتمالك نفسهُ من البكاء وقبيل ان يقضي نحبهُ قال وهو مبتسم يا كريتون انَّا مديونون لاسقولاب بديك فلا تنسَ ان تفيهُ اياهُ ثم ارتعش جسمهُ ارتعاشًا خفيفًا وبطلت حركتهُ وكان ذلك سنة ٣٩٩ ق.م وكان

اشهر تلامذتهِ قد خافوا ان يصابوا بما اصابهُ فهربوا الى ميغارة وغيرها من المدن وبثوا هنالك مبادىء استاذهم الدينية فقابلها اهل بعضٍ من مدن اليونان بالقبول وتفرع من هذه المبادىء مذاهب شتى صار استعمالها في جميع المدارس وفي فلسفة العالم باسرهِ

وكان سقراط فقيراً ينال معاشهُ من اجرة تدريسهِ ولو شاء لصار غنياً لان تلامذتهُ كانوا يقدمون لهُ هدايا ثمينة ولم يكن يقبلها وعيَّرهُ يوماً ما رجل بانهُ في غاية من الفقر والمسكنة وان ما من احد يقنع بما هو عليهِ من العسر والاقلال فاجابهُ سقراط انك اخطأت بما قلتهُ لانك حسبت السعادة متوقفة على الثروة وحشد المال وفي الواقع اني ولو ظهر لك فقري اكثر منك سعادةً واحسن حالاً من كل غني متمول لاني لا ارى غنياً مطلقاً غير المعبود وكلما قنع الانسان بما عندهُ ولم يطمح نظرهُ الى ما عند غيرهِ من الناس قرب من صفة الالوهية وكان احب قول اليهِ "اعرف نفسك"

وقال ديوجينس ان سقراط تزوج بامرأتين اسم احداهما ذنتيثة وكانت في غاية من سوء الخلق وكان يحتمل منها ما شاء الله من الاتعاب والمشقات فسألهُ مرة احد الناس لماذا تزوجت

بها فقال اردت ان احتمل الاتعاب الناتجة من سوء اخلاق الناس دفعةً واحدة ومتى احتملتُ زوجتي اصبت من ذلك الغرض . ولم يخلف سقراط كتبًا بل روى عنهُ افلاطون[١] وزنفون ونقلا كثيرًا من آدابهِ

وهكذا انتهت حياة هذا الرجل العظيم الفاضل وهو في الثانية والسبعين من عمرهِ . وقد قال واحد من معارفهِ انهُ لم يضرّ احدًا كل حياتهِ بل نفع كل الذين تعاطوا معهُ . وكانت وفاتهُ قبل المسيح باربع مئة سنة

وبعد موت سقراط على ما تقدم استيقظ الاثينيون من غفلتهم وندموا على فعلهم الذميم وعاقبوا من اتهمهُ ووشى عليهِ اشد العقاب

قيل تشاجر رجل وامرأتهُ ورفعا الدعوى الى جارهما ليقضي بينهما فحكم ان البريَّ منهما يغفر للمذنب . فسامح كل واحد منهما الآخر بزعمهِ انهُ هو البريُّ وهكذا تصالحا في الحال

(١) ستأتي ترجمة افلاطون في الاجزاء التالية ان شاء الله

المروءة والوفاء

سقط القائد فدِيرال يوم اشتدت نيران الحرب في ڤرجينيا امام صفوف الاعداء مثخنًا بالجراح مخضَّبًا بالدماء يصرخ مستغيثًا لجرعة ماء فعطف عليهِ جنديّ من عسكر الاعداء اسمهُ جمس مور من ولاية بُرْك شمالي كارولينا وأتاهُ بالماء ونيران المدافع وكراتها تتساقط كالامطار الغزيرة من الفريقين فاخذ اصحاب جمس يحذرونهُ من الخطر ويردعونهُ عن ان يلقي بيدهِ الى التهلكة فلم يلتفت اليهم وظلّ يسرع الى عدوهِ المستغيث في معمعة الموت الاحمر حتى بلغ اليهِ وكاس الماء في يدهِ فسقاهُ. وكان مع ذلك القائد الصريع ساعة ذهبية فقدمها للمنعم عليهِ فابى ذاك أخْذَها. فسألهُ القائد فديرال عن اسمهِ فقال لهُ انهُ جمس مور. ثم رجع مور الى مركزهِ ولم يرَ احدهما الآخر بعد ذلك. ثم جرح جمس مور وفقد بعض اعضائهِ في احدى وقائع فرجينيا فرجع الى بيتهِ في ولاية برك. ثم مضى عليهِ سنين عديدة وفي هذه المدة بلغهُ خبر من القائد فديرال الذي سقاهُ كاس الماء في ساحة الحرب انهُ وهب لهُ عشرة آلاف ليرة جزاء لصنيعهِ يعطاها مدة اربع سنين اي يعطى كل سنة الفين وخمس مئة ليرة. وهذا خبر صحيح لا ريب فيهِ

على من يجوز الاحسان

رسم قدماء المصريين الحسنة على صورة ولد عريان في يدهِ الواحدة قلب وفي الاخرى عسل يقدمهُ لنحلةٍ فاقدة الجناحين. اما صورة الولد فتدل على التواضع والوداعة. واما القلب في اليد فعلى انهُ يجب اتفاق القلب واليد في العطاء. واما العسل المقدم للنحلة فعلى ان الاحسان لا يجوز على الكسلان. واما كون النحلة بلا جناحين فعلى انهُ لا يجوز الاحسان الاَّ الى من لا يقدر على العمل

ذكر بعض من اشتهر من افراد الناس في ما يذكر من الصفات

الامام علي في القضاء — ابو عبيدة في الامانة — ابو ذر في صدق اللهجة — ابن ابي كعب في القرآن — زيد بن ثابت في الفرائض — ابن عباس في تفسير القرآن — الحسن البصري في التذكير — وهب بن منبه في القصص — ابن سيرين في التعبير — ابن نافع في القراءة — ابو حنيفة النعمان في اقيسة الفقه — ابن اسحاق في المغازي — مقاتل في التاويل — الكلبي في قصص القرآن — ابن الكلبي الصغير في النسب — ابو الحسن المدايني في الاخبار — محمد بن جرير الطبري في علوم الاثر — الخليل في العروض — الفضيل بن عياض في العبادة — مالك بن انس في العلوم — الشافعي في فقة الحديث — يحيي بن معين في الرحال — احمد بن حنبل في السنة — ابو عبيدة في الغريب — علي المدايني في علل الحديث — البخاري في نقد الحديث الصحيح — الجنيد في التصوف — محمد بن نصر المرزوي في الاختلاف — الجبائي في الاعتدال — الاشعري في الكلام — ابو القاسم الطبراني في العوالي — عبد الرزاق في ارتحال الناس اليه — ابن منة في سعة الرحلة — ابو بكر الخطيب في سرعة الخطابة — سيبويه في النحو — ابو الحسن البكري في الكذب — اياس في التفرس — عبد الحميد في الكتابة — ابو مسلم الخراساني في علو الهمة والحزم — الموصلي النديم في الغناء — ابو الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني في المحاضرة — ابو معشر في علم النجوم — الرازي في الطب الفضل بن يحيي في الجود — جعفر ابن يحيي في التوقيع — ابن زيدون في سعة العبارة — ابن القريّة في البلاغة — الجاحظ في الادب والبيان — الحريري في المقامات — البديع الهمذاني في الحفظ — ابو نواس في المطايبات

والهزل – ابن حجاج في سخف الالفاظ – المتنبي في الحكم والامثال شعرًا – الزمخشري في تعاطي العربية – النسفي في الجدل – جرير الشاعر في الهجاء الخبيث – حماد الراوية في شعر العرب – معاوية في الحلم – المأمون في حب العفو – عمرو بن العاص في الدهاء – الوليد في شرب الخمر – ابو موسى الاشعري في سلامة الباطن – عطا السلمي في خوف الله – ابن البواب في الكتابة – القاضي الفاضل في الترسل – العماد الكاتب في الجناس – ابن الجوزي في الوعظ – اشعب في الطمع – ابو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره – حنين بن اسحاق في ترجمة اليوناني الى العربي – ثابت بن قرة في ما نقل من الرياضي الى العربي – ابن سينا في الفلسفة وعلوم الاوائل – الامام فخر الدين في الاطلاع على العلوم – السيف الآمدي في التحقيق – النصير الطوسي في المجسطي – ابن الهيثم في الرياضي – نجم الدين الكاتبي في المنطق – ابو العلا المعري في الاطلاع على اللغة – ابو العيناء في الاجوبة المسكتة – يزيد في البخل – القاضي احمد ابي داوود في المروَّة وحسن التقاضي – ابن المعتز في التشبيه – ابن الرومي في التنظير – الصولي في الشطرنج – ابو محمد الغزالي في الجمع بين المنقول والمعقول – ابو الوليد بن رشد في تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية – محيي الدين العربي في التصوف (الحقوق)

البخيل والطبيب

كان بخيل مشرفًا على الموت فقال لهُ بعض اقاربهِ دعنا ندعو لك الطبيب ولا تجزع فان اجرتهُ قليلة اجابهم ادعوهُ ولكن بشرط اني اذا شفيت اعطيهِ ريالاً وان مت لا اعطيهِ ولا ريال

نصائح مفيدة

لا تشرع في عمل ما لا يجوز لئلَّا يكون لك ضيق . لا تعمل ما تتوهم انهُ لا يجوز حتى تؤكد ان توهماتك لا اصل لها . عند ما تبتدئُ في عمل جائز تقدم فيهِ ولا تجبن بسهولة · تعوَّد على مواظبة اعمالك ولا تسلم للكسل او النوم او تقلب الافكار ومع ان مقاومة هذه الاشياء ليست سهلة لكنك اذا غلبتها تشعر بانك اصبت في ما عملت

تجنب الاسراف لانهُ ربما لك قليل من المال فاحترس من ان تصرفهُ في طريق غير مناسبة

اشترِ كتبًا مفيدة واقرأها لان الكتاب المفيد من اثمن الاشياء في العالم . ان لم يكن لك ما تشتري بهِ فاستعر كتبًا من الآخرين ولكن ردها كما كانت لا تترك كتابًا قط حيثما يلحق بهِ ادنى ضرر

استفهم عن كل ما لا تفهمهُ واسأَل اصحاب الخبرة بتواضع وجد واصغَ الى الجواب وتأملهُ . ويمكنك ان تستفيد من كل واحد . ان العلامة فرنكلين قال انهُ كثيرًا ما استفاد من البيطار حينما كان يبيطر فرسهُ

احترس من الكتب الرديئة لانها لا تفيد بل تضر

اسأل ذا خبرة كي يخبرك عن اسماء بعض الكتب الاحسن والانسب لان قراءة بعض الكتب انما هي اضاعة وقتك وتفسد اخلاقك

ان لم يكن لك وقت للقراءة نهارًا فاقرأ ليلًا واستغنم كل فرصة لتحصيل المعرفة . لا تدع شيئًا يمنعك من المطالعة وبعض الكتب تستحق المطالعة مرتين والدور الثاني يفيد اكثر من الاول

تجنب المعاشرة الرديئة لان رفيق الجهال يُضَر واذا اضاع الآخرون وقتهم في الشرور والمعاصي فابتعد عنهم وان كانوا اكبر منك سنًا وخصوصًا ابتعد عن الكسالى

لا تبخل بافادة ولا تستنكف عن استفادة

قال بعض الفضلاء لا تطلب الغنى لكي تفتخر بهِ فان الغنى هو ما تحصل عليهِ بالحق وتستعملهُ بالاستقامة وتفرّقهُ بالسرور وتتركهُ بطيب النفس

قال بعض القدماء اذا حصل الانسان ما يشتهيهِ فذلك بركة عظيمة فقال آخر اذا كان الانسان لا يشتهي ما ليس لهُ فذلك بركة اعظم

الحسد

قال عليّ ما رأيت ظالماً اشبه بمظلوم من الحاسد نَفَسٌ دائم وعقلٌ هائم وحزنٌ لازم وقال ايضاً لله درُّ الحسد ما اعدلهُ يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود وقيل الحسود لا يسود ووُجد على بساط لملك الروم البخيل مذموم والحسود مغموم والحريص محروم . وقال معاوية كل الناس يمكنني ان ارضيهُ الاَّ الحاسد فانهُ لا يرضيهِ الاَّ زوال نعمتي . وقيل لذادان فروح اي عدوّ لا تحب ان يعود صديقاً قال الحاسد الذي لا يردهُ الى مودَّتي الاَّ زوال نعمتي . وقال المتنبي

سوى وجعِ الحسَّاد داوِ فانهُ اذا حلَّ في قلبٍ فليس يحولُ

والحسد يظهر فضل المحسود قال البحتري

ولن يستبين الدهر موضع نعمةٍ اذا انت لم تدلل عليها بحاسدِ

وقال ابو تمام

واذا اراد الله نشرَ فضيلةٍ طُوِيَت اتاحَ لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَرَت ما كان يُعرَف طيبُ عرفِ العودِ

وقال فلوطرخس شفتا الحسود ككاس الحجام تمتصان ما فسد في الانام . وقال ايضاً قيل لثمستوكليس في حداثتهِ ما فعلت

من عظيم الفعال فاجاب لا شيء اذ لا حاسد لي . والحسود يحوم على اكرم الرجال كما يحوم الذرّاح على اطيب الاثمار واجمل الازهار . وقال كونتليانوس سمَّ غنيٌّ ازهار جنتهِ لكي لا يجني نحل جارهِ منها . كذا سمّ الحسد

النباهة

حكي عن رجل لهُ ولد بليد اخذهُ برفقتهِ مرةً فسمع رجلاً ينادي ياعبدالله فاجابهُ ولدٌ آخر ياهذا الكل عبيد الله عن من تعني فنظر الرجل الى ولدهِ وكان اسمهُ حمزة قائلاً اما تنظر فطانة هذا الولد كنت احب ان تكون لك هذه النباهة ثم سارا في طريقهما واذا برجل ينادي يا حمزة فقال الولد الكل حماميز الله عمن تعني يا عم

الراي الحسن

امر المامون بقتل ابرهيم المهدي ولكنهُ اراد ان يستشير اصحابهُ قبل حلول الاجل فاحضرهم بين يديهِ فاشار كل واحد منهم بقتلهِ وعند ما اقبل عليهِ احمد بن ابي خالد قال لهُ ماذا تقول يا احمد قال يا امير المومنين ان عاقبت فلك نظير وان صفحت فلا نظير لك فاستحسن المامون كلامهُ وعفا عن ابرهيم

﴿ اللطائِف ﴾

الجزء الرابع من السنة الاولى

رجال الاعمال العظام

كان العرب في صدر الاسلام يكرمون العمل ويجلون اربابهُ ويعظمون قدر رجال السعي. قال الامام عُمَر بن الخطَّاب لا يقعدنَّ احدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهمَّ ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً. وقال ايضاً اني لأَرى الرجل فيعجبني فاقول أَلهُ حرفة فان قالوا لا سقط من عيني وقيل

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمةً ان القعودَ مع العيالِ قبيحُ

وقيل ايضاً

على المرء ان يسعى لما فيهِ نفعهُ وليس عليهِ ان يساعدهُ الدهرُ

وقيل في امثالهم احذر من مجالسة العاجز فان من سكنَ الى عاجزٍ اعداهُ من عجزهِ وامدَّهُ من جزعهِ وعوَّدهُ قلة الصبر ونسَّاهُ ما في العواقب وليس للعجز ضدٌّ الاَّ الحزم. وقال الامام الشافعي احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانهُ لا سبيل الى السلامة من السنتهم. وقال بعض الحكماء من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير. وسأَل بعضهم معاوية عن المروءة فقال

هي العفَّة والحرفة . وقال رجل للحسن اني انشر مصحفي فاقرأُهُ بالنهار كلهِ فقال اقرأْهُ بالغداة والعشي ويكون يومك في صنعتك وما لا بدَّ منهُ

فما بعد هذه الامثال المفيدة والاقوال السديدة من ريب في ان الاوائل كانوا يكرمون رجال الاعمال ويقدرونهم قدرهم . ولكن لم يطل الامر حتى اسكرتهم خمرة الفتوحات فلم يعودوا يرتاحون الى غير الامارة والامامة ولهذا لم يقم بينهم كثيرون من المشتهرين في الاعمال ولا طال زمان تمدنهم . اما اهل هذا العصر فقد حذا بعضهم حذو الافرنج في الهمة والاقدام ولاسيَّما في بلاد الشام . والفضل الاوَّل في ذلك لبعض المرسلين الاميركيين الذين نزلوا الديار الشامية وبهم همة تنال الثريَّا وعزم لا تردعهُ المصاعب فتألَّب حولهم بعض السوريين وتعلموا منهم الحزم والاقدام فعمَّ نفعهم بلاد المشرق ولذلك اخترنا ان نذكر هنا طرفًا من سيرة كبير المرسلين الاميركيين في بلاد الشام ومثال الهمة والفضل الذي انتدبنا الى ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية افادةً لاهليها استاذنا العلاَّمة المشهور الدكتور كرنيليوس ڤان دَيْك . وطرفًا من سيرة مقدام السوريين واعلاهم همَّةً الطائر الصيت في الآفاق المرحوم المعلم بطرس البستاني فان كلاًّ منهما من نخبة رجال الاعمال الذين قاموا في كل زمان ومكان

ملخص ترجمة المرحوم المعلم بطرس البستاني

اما المرحوم المعلم بطرس البستاني فقد ولد سنة ١٨١٩ في الدبيَّة قرية من قرى جبل لبنان من عائلة مشهورة بين عيال الطائفة المارونية وتلقَّى العلوم العربية والفلسفة واللغات السريانيَّة واللاتينيَّة والطليانيَّة في مدرسة

عين ورقة . ثم جاء مدينة بيروت واتصل بالمرسلين الاميركيين وتعلم فيها العبرانية واليونانية والانكليزية. وقد سمعنا من استاذنا الدكتور ڤان ديك انهما كانا يسكنان بيتًا واحدًا ويدرسان اللغة العبرانية سويةً . وسنة ١٨٤٦ تعاضدا على انشاء مدرسة عبيه الشهيرة وفيها وضع المترجَم فيهِ كتابهُ الموسوم بكشف الحجاب في علم الحساب فذاع وتداولتهُ ايدي الطلاَّب وعليهِ المعوَّل في هذا العلم الى يومنا هذا. وألَّف ايضًا كتابًا في النحو لا يزال غير مطبوع . وبعد ان اقام سنتين في مدرسة عبيه يدرِّس فيها عاد الى بيروت وجعل يعاون الدكتور عالي سمث في ترجمة التوراة من العبرانية الى العربية ثم تقدَّم الى تأليف قاموسيهِ المشهورين محيط المحيط وقطر المحيط وشهرة هذين الكتابين تغني عن التطويل . وقد اتفق منذ مدة ان بعض المتطاولين على اهل العلم المتطفلين على موائد الادب علينا عاب استعمال بضع كلمات موجودة في محيط المحيط ولا توجد في قاموس الفيروزبادي مدعيًا انها غير عربية الوضع فبحثنا عنها في كثير من كتب اللغة فوجدناها بحسب ما هي مشروحة في محيط المحيط وهذا يدل ان مؤلفهُ رحمهُ الله لم يؤلفهُ الاَّ بعد ان جمع كثيرًا من كتب اللغة واطال البحث والتنقيب فيها . ولما فرغ من تأليف محيط المحيط قدَّمهُ الى الحضرة السلطانية فاجازتهُ بالجائزة الاولى التي تجيز بها المؤلفين وهي النيشان المجيدي من الطبقة الثالثة و٢٥٠ ليرة عثمانية

وسنة ١٨٦٣ انشأَ المدرسة الوطنية وتولَّى رياستها بنفسهِ فتقاطر اليها الطلبة من جهات سورية ومصر والعراق وكانوا يعتبرونهُ اعتبارًا يقرب من العبادة ويتخذونهُ مثالاً للهمَّة والنشاط . وسنة ١٨٧٠ انشأَ صحيفة الجنان وهي الاولى بين الصحف العربية التي تضمَّنت ضروب المباحث السياسية والعلمية والادبية والتاريخية والفكاهية ولم تزل منفردةً في هذه الخطة. وفي منتصف تلك

السنة انشأ صحيفة الجنة ثم الجنينة · وعام ١٨٧٥ شرع في تأليف كتابهِ العام المشهور باسم دائرة المعارف على نسق الانسكلوبيذيات الافرنجية واعدَّ لهُ مكتبة واسعة من الكتب العربية والافرنجية وبقية المعدات اللازمة وتوفي وهو على بدء طبع الجزء السابع منهُ. ولهُ عدا ذلك كتب أُخرى مثل مسك الدفاتر ومفتاح المصباح وبلوغ الارب في نحو العرب . وقد وصفهُ صديقهُ الدكتور ڤان ديك "بالجبَّار" لانهُ كان جبارًا في التاليف والتصنيف وادارة الاعمال والاشغال وفي المسائل العلمية والسياسية والادارية . وكان مع كثرة اشغالهِ التي تفوق اشغال اربعة رجال بشوشًا رحب الصدر طلق الوجه حسن المحاضرة مقصودًا في الحاجات لا يردُّ سائلًا ولا يخيب طالبًا . مكرَّمًا من رجال السياسة وولاة الامور مستشارًا منهم في المهام بعيد النظر في العواقب لسنًا فصيحًا اذا أُستُشير في امرٍ انبأ بمصادرهِ وموارده كانهُ من حوادث الامس . ولبث بين الكتب والدفاتر والصحائف والمحابر الى ان اختطفتهُ المنية سنة ١٨٨٢ ففات شهيد العلم والعمل وقد هزَّ منعاهُ البلاد وقد ذكرت سيرتهُ بالتفصيل في السنة السابعة من المقتطف

ترجمة العلامة الفاضل الدكتور كرنيليوس ڤان دَيك

واما الدكتور كرنيليوس ڤان ديك فوُلِد في ١٣ آب (اوغسطس) ١٨١٨ في قرية كِنْدَرهوك من اعمال ولاية نيويورك باميركا ووالداهُ هولانديًا الاصل هاجرا الى الولايات المتحدة باميركا وولدا غيرهُ سبعة هو اصغرهم . وكان في صغرهِ يتعلَّم في مدرسةٍ في قريتهِ فامتاز من ثمَّ بالاجتهاد والثبات وبرع في اليونانية واللاتينية حتى حاز قصب السبق على رفقائهِ الذين كانوا كلهم اكبر منهُ سنًّا . وينقل لنا اولادهُ ما سمعوهُ من بعض اعمامهم عن اجتهاد والدهم في صباهُ وكلفهِ بالعلم والعمل معًا وهو انهُ حفظ لذاتهِ اسماء كل النباتات البريَّة

التي تنمو في تلك النواحي وتعلَّم بنفسهِ ترتيبها وتقسيمها الى رتبها وصفوفها وفصائلها وانواعها حسب نظام لينيوس النباتي الشهير وجمع رواميزها وجففها ورتبها وسمَّاها باسمائها حتى صار عندهُ منبتة ذات شان وهو صبيٌّ صغير وكل ذلك رغبةً منهُ في العلم لا اجابةً لطلبٍ ولا امتثالاً لامرٍ

واصابت اباهُ مصيبةٌ ذهبت بمالهِ واورثتهُ الفقر وذلك انهُ كفل صديقاً لهُ على مبلغٍ من المال فخان الصديقُ وغدر فاضطرَّ كفيلهُ الى بيع كلِّ ما يملكهُ من متاعٍ وعقار صوناً لشرفهِ من العار ووفاء لدين الغادر. ولذلك لم يستطع ان يوازر ابنهُ الاَّ بالنزر اليسير مما يحتاج اليهِ من الكتب ولوازم التعلُّم. فكان مدَّة بقائهِ في بيت ابيهِ يدبّر الكتب بوسائط شتَّى فتارةً يستعيرها من رفاقهِ وتارةً يستأجرها بدريهمات قليلات يجمعها وتارة يحفظ ما فيها بالسماع من قارئيها وتارة يتذرَّع بالسعي في مصلحة انسان الى قراءة كتاب يقتنيهِ وتارةً يجدُّ ويرجع خائباً. وكان في تلك القرية طبيب كريم الاخلاق يقتني مكتبةً فلما رأى اجتهاد الصبي كرنيليوس في تحصيل المعارف وجهادهُ للتغلُّب على مصاعب الفاقة اخذتهُ الحميَّة ففتح لهُ ابواب مكتبتهِ وامتعهُ بمشتهى نفسهِ وامانيّ صباهُ. وكان فيها كتاب كيفيه الشهير في علم الحيوان فاكبَّ على درسهِ ولم ينثنِ عنهُ حتى اغترف كل ما فيهِ ثم تعلم بنفسهِ كل ما تيسر لهُ علمهُ عن حيوان بلادهِ. ولم يمضِ عليهِ زمان طويلٌ حتى جرى في ميدان المعارف شوطاً يذكر فجعل يخطب في علم الكيمياء على صفٍّ من بنات بلادهِ وهو ابن ثماني عشرة سنة. وربما توهَّم الذين يعرفونهُ اليوم او الذين اطَّلعوا على مؤلفاتهِ وسمعوا بواسع علمهِ انهُ كان كل ايامهِ محفوفاً بوسائط العلم والتعليم حاصلاً على ما يلزم من معدات التأليف والتدريس حتى حصَّل ما حصَّل وألَّف ما ألَّف ولكن الذين يعرفون احوالهُ حقَّ المعرفة يعلمون انهُ قاسى في صغرهِ اشقّ

المصاعب حتى تسهَّل لهُ تحصيل المعارف وانهُ قضى اكثر ايامهِ في ضنكٍ فصار ابن خمسين وهو لا يقدر ان يبتاع الاَّ ما ندر من الكتب المستجدة ولم يسعهُ الانفاق على تحصيل ما يشتهي من الكتب والجرائد العلمية والادوات الاَّ بعد سنة ١٨٦٧

وكان ابوهُ طبيباً فجعل يدرس الطب في صباهُ عليهِ وكان يخدم في صيدليتهِ فاتقن فن الصيدلة فيها علماً وعملاً ولمَّا حصَّل ما تيسَّر لهُ الحصول عليهِ عند ابيهِ جعل يتلقَّى الدروس الطبية في سبرنكفيلد ثم اتمَّ دروسهُ في مدرسة جَفَرْسن الطبية بمدينة فيلادلفيا من مدن الولايات المتحدة حيث نال الدبلوما والرتبة الدكتورية في الطب . وكان تعلمهُ في هذه المدرسة على نفقة ذويهِ فكانت مساعدتهم هذه لهُ اساساً للاعمال العظيمة التي عملها في سورية من التعليم والتهذيب والبرّ والخير والاحسان

وفي الحادية والعشرين من عمرهِ فارق الخلان والاوطان واتى الى سورية مرسلاً من قِبَل مجمع المرسلين الاميركيين وحلَّ في بيروت في ٢ نيسان (ابريل) سنة ١٨٤٠ ولكن لم تطل اقامتهُ فيها حتى قام منها بايعاز المجمع المذكور واتى القدس طبيباً لعيال المرسلين الذين كانوا فيها ايام فتوح ابرهيم باشا في بر الشام. فاقام فيها تسعة اشهر ثم قفل راجعاً الى بيروت حيث شرع في درس العربية. وحينئذٍ تعرَّف بالمرحوم بطرس البستاني وكانا كلاهما عزبين فسكنا معاً في بيت واحد وارتبطا من ذلك العهد برباط المودة والصداقة وبقيا على ذلك طول الايام حتى صار يضرب المثل في صداقتهما. ولما توفي البستاني منذ عهد قريب كان صديقهُ ڤان ديك اشدَّ الناس حزناً على فقدهِ حتى انهُ لما طُلب منهُ تابينهُ خنقتهُ العبرات وتلعثم لسانهُ عن الكلام وبقي برهةً يردّد قولهُ "يا صديق صباي" حتى لم تعد ترى بين الحاضرين الاَّ عيناً

تدمع وقلبًا يتوجع . وقد انتقلت صداقتهُ من الوالد الى اولادهِ فغيرتهُ على بيت البستاني في ايامنا لا تقلُّ عن غيرتهِ على بيت ابيهم في زمانهِ

وجعل يدرس العربية على الشيخ ناصيف اليازجي ثم على الشيخ يوسف الاسير وغيرهما من علماء اللغة وبذل الجهد في درسها والاخذ بجذافيرها حتى صار من المعدودين في معرفتها وحفظ اشعارها وامثالها وشواهدها ومفرداتها واستقصاء اخبار اهلها وعلمائها وتاريخها وتاريخهم. فهو بلا ريب اوَّل افرنجي اتقن معرفة العربية والنطق بها والبيان والتاليف فيها حتى لم يعد يمتاز عن اولادها. وبقي على ذلك الى خريف سنة ١٨٤٢ ثم انتقل الى عيتات وهي قرية بلبنان واقترن هناك بالسيدة جوليا بنت مستر ابت قنصل انكلترا في بيروت المشهورة بلطفها وحسن اخلاقها . ثم انتقل من عيتات الى قرية عبيه وهناك انشأ مع صديقهِ بطرس البستاني مدرسة عبيه الشهيرة وشرع من يومهِ في تأليف الكتب اللازمة للتدريس في تلك المدرسة فألَّف كتابًا في الجغرافية وآخر في الجبر والمقابلة وآخر في الهندسة وآخر في اللوغارثمات وفي المثلثات البسيطة والكروية وفي سلك الابحر والطبيعيات وقد طُبع بعضها وبعضها لم يطبع . وبعد ان قضى في عبيه اربع سنوات على ما ذكرنا من التدريس والتاليف دعاهُ مجمع المرسلين الى صيدا وعهد بمدرسة عبيه الى المرحوم سمعان كلهون رجل اشتهر بالفضل والاستقامة والتقوى وبقي الدكتور ڤان ديك مع صديقهِ الفاضل الدكتور طمسن في صيدا وتوابعها معلمًا واعظًا مبشرًا جائلاً من مكانٍ الى مكان حتى توفي المرحوم عالي سمث سنة ١٨٥٧ فانتُدب الدكتور ڤان ديك لترجمة التوراة والانجيل مكانهُ

فان عالي سمث المذكور كان قد باشر ترجمة الكتاب من اللغتين الاصليتين بمعاونة المعلم بطرس البستاني واتمَّ ترجمة سفر التكوين وسفر الخروج الاَّ الاصحاح

الاخير منهُ وراجعها وصححها وترجم اسفاراً أُخرى ولكن لم يراجعها فلما انتدب الدكتور ڤانديك مكانهُ ابقى السفرين الاولين على حالها وترجم وراجع ما بقي وعانى في غضون الترجمة من الاتعاب ما لا يعرفهُ الاّ الذين يعرفون تدقيق النصارى في التفتيش عن اصل كل لفظة من الفاظ كتابهم وعن معنى كل آيةٍ من آياته. وتولّى مع الترجمة ادارة المطبعة الاميركانية المشهورة وحسَّن فيها وزاد الحركات على الحروف حتى صارت من احسن مطابع المشرق واشهرها. واتمّ الترجمة سنة ١٨٦٤ و بعثهُ مجمع المرسلين الى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥ ليتولى امر طبعها وعمل الصفائح بالكهربائية لها هناك فاقام في الولايات المتحدة سنتين حتى اتمّ ذلك وعاد الى سورية سنة ١٨٦٧. وليس من غرضنا الآن ان نصف هذه الترجمة التي شهد لها اعظم علماء الارض بالدقة والصحة ومطابقة الاصل وقد صارت النسخ المطبوعة منها الوفاً والوف الالوف حتى لم يبقَ مكان في المشرق الاّ بلغت اليهِ وانتشرت فيهِ

وكان اثناء وجودهِ في اميركا يدرّس العبرانية في مدرسة يونيون اللاهوتية وكان الطلبة يعافون درس هذه اللغة قبل تدريسهِ لها ويأْبون الحضور في ساعة تدريسها لصعوبتها وعدم مناسبة اسلوب تدريسها. فلما شرع في تدريسها غيَّر اسلوب التدريس واطول باعهِ فيها جعل يعلمهم اياها كلغةٍ حيَّة لا ميتة بحيث صار الطالب يجد في درسها معنًى ولذة ويرغب في تحصيلها. فتقاطر الطلبة الى صفهِ وتكاثر عددهم فلما رأَت عمدة المدرسة ذلك عرضت عليهِ ان يشغل منصب استاذ العبرانية فيها وعينت لهُ راتباً كبيراً فاعتذر عن قبولهِ قائلاً "اني تركت قلبي في سورية فلا لذة لي الاَّ بالعودة اليها" وفي تلك الاثناء تم امر انشاء المدرسة الكلية السورية في بيروت على نفقة جماعة من اهل الخير في الولايات المتحدة باميركا فعرضت عليهِ عمدة تلك المدرسة الكبرى في اميركا

ان يكون استاذًا فيها فاجابها الى ذلك ثم طلبت اليهِ ان يعين راتبهُ السنويّ بنفسهِ فكتب ٨٠٠ ريال مع ان راتب اصغر استاذ فيها لا يقلُّ عن ١٥٠٠ ريال وقد فعل ذلك حبًّا بخير البلاد ونفع اهلها

ولما وصل الى بيروت باشر تأسيس المدرسة الكلية الطبية مع صديقهِ الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات . ووضعا وحدها نظامًا لدروسها وشرعا في التعليم من ساعتهما لا يحاسبان على اتعابٍ ولا ينتظران من احد تبجيلاً لقدرها ومدحًا لاسميهما . بل ان الدكتور ڤان ديك لمَّا رأى ان المدرسة تفتقر الى استاذٍ يدرّس الكيمياء فيها أقبل من فورهِ على تدريسها حال كونهِ معيَّنًا استاذًا لعلم الباثولوجيا لا لغيرهِ . ولم يكن في المدرسة حينئذٍ من كل ادوات الكيمياء الاَّ قضيبٌ من زجاج وقنينة عتيقة فانفق من مالهِ مئتي ليرة انكليزيَّة على ما يلزم من الادوات . وأَلَّف كتابهُ المشهور في مبادئِ الكيمياء لتدريس التلامذة وطبعهُ على نفقتهِ وهو يعلم انهُ لا يسترجع نفقات طبعهِ قبل مماتهِ . وبقي يدرّس هذا الفن ست سنوات متوالية وينفق على لوازم التدريس من جيبهِ . وجاء استاذ الكيمياء وبقي سنتين من الزمان يدرس العربيَّة ويقبض اجرتهُ والدكتور ڤان ديك يدرّس مكانهُ مجانًا حبًّا بصالح المدرسة وخير ابناء البلاد . ولمَّا تولَّج استاذ الكيمياء اشغالهُ اعتزل الدكتور ڤان ديك عنها وترك للمدرسة كل ما انفق عليها ولم يأْخذ مقابلهُ الاَّ مئة ليرة انكليزيَّة

ولم يقتصر على هذا التبرُّع بل انهُ تولَّج منصب استاذ ثالث وهو استاذ علم الفَلَك . وذلك ان المدرسة لم يكن عندها مال يقوم بنفقة استاذ فتبرَّع الدكتور ڤان ديك بتدريس هذا الفن مجانًا وأَلَّف لهُ كتابًا وطبعهُ على نفقتهِ ايضًا كما طبع كتاب الانساب والمثلثات والمساحة والقطوع المخروطية وسلك الابحر . ولم يكن في المدرسة آلات فلكيَّة يعتدُّ بها فما لبثت ان شرعت في بناء

مرصدها حتى ابتاع لهُ آلاتٍ بقيمة سبعماية ليرة انكليزيَّة من مالهِ الخاصّ . واثثهُ وفرش فيهِ على نفقتهِ

وانشأ للمرصد اسماً كبيرًا حتى صار معروفًا في المشارق والمغارب مقصودًا من القريبين والبعيدين مراسلاً لاشهر مراصد الارض . ولما خلفهُ معاونهُ في تدريس علم الفلك الوصفي ألَّف كتابًا في الفلك العملي وجعل يعلم بهِ الطلبة على الآلات . وكان مع تدريسهِ علم الباثولوجيا وعلم الكيمياء وعلم الفلك يتولَّى ادارة المطبعة الاميركانية فينتقد ما يطبع فيها من الكتب ويهتم بتأليف النشرة الاسبوعية ويطبب في مستشفى ماري يوحنا حيث كان يتقاطر اليهِ المرضى افواجًا افواجًا حتى يبلغ عددهم الالوف في السنة . وما بقي من الوقت الذي يخصصهُ غيرهُ بالنزهة والرياضة والراحة والنوم كان يقضيهِ في تأليف الكتب العلمية والطبية والدرس والمطالعة والامتحانات العلمية وحضور الجمعيات النافعة ومراسلة العلماء في سائر اقطار الارض حتى كان اهل بيتهِ لا يرون منهُ اكثر مما يرى منهُ الغريب . وكل ذلك قيامًا بالواجبات التي يعجز جماعة من الرجال عن القيام بها

ومن مزاياهُ انهُ لا يؤخر للغد عملاً يقدر ان يعملهُ اليوم ولذلك تراهُ معدًّا كلَّ ما يطلب منهُ قبل زمان طلبهِ . وكان كلما طلب منهُ اهل بيتهِ ايام اشتغالهِ في المدرسة الكليَّة ان يرتاح بين عمل وآخر ويؤخر الاشغال الى اوقاتها حرصًا على صحتهِ يجيبهم : اخاف ان يفاجئني مرضٌ او يعارضني معارض فاكون سبب خسارةٍ لكل من تتعلق اشغالهم ومصالحهم بي فالواجب عليَّ ان اكون سابقًا في انجاز اشغالي حذرًا من ذلك . ولكثرة اهتمامهِ في اشغال المدرسة واشتغالهِ بمصالحها عن غيرها كان اصحابهُ يكلمونهُ في ذلك فلا يسمع لهم حتى صار من الاقوال الشائعة بين معارفهِ انك اذا رمتَ ان تكون على رضًى مع ڤان ديك

فايّاك ان تشغلهُ بشاغلٍ عن المدرسة الكليَّة واذا اردت ان تسرَّ قلبهُ فكلّمهُ عن المدرسة والصفوف والمرصد والتاليف . وقد ألَّف اثناء وجودهِ في المدرسة الكلية كتابةً في الباثولوجيا وهو مجلَّد ضخم وفي التشخيص الطبيعي وفي الكيمياء وفي الفلك الوصفي والمثلثات والمساحة وغيرها وطبع هذه الكتب . والف كتاباً في الفلك العملي وآخر في تخطيط السماء وآخر في امراض العينين وهذه لم يطبعها

وفيما هو لاهٍ باشغال التأليف والتدريس والرصد والمراسلات العلمية عمّا سواها من مطامع البشر نكبت المدرسة الكلية بحادث لا نحبُّ ان نسوّد صفحات هذا الكتاب بذكرهِ . فلما رأى ان بقاءهُ في المدرسة بعد ذلك يخالف مبادئهُ قال على المدرسة وما فيها السلام واعتزل عنها محتملاً آلام فراقها وملام ذوي الاغراض محافظةً على مبادئهِ . فعوضتهُ المدرسة عمّا ترك في مرصدها خمسماية ليرة انكليزية دفعتها لهُ اقساطاً . وبقي يطبب في مستشفى ماري يوحنا على جاري عادتهِ حتى سعى البعض في صدّ فوائدهِ عن بني الوطن فترك المستشفى على غير رضًى منهُ . لكنهُ انما تركهُ ليحيي في الوجود مستشفى طائفة الروم الارثوذكسيين الذي صار لهُ الآن ايادٍ تذكر في الرحمة بالمساكين ومعالجة المرضى والبائسين

وقد صار الدكتور ڤان ديك الآن شيخاً ومنظرهُ يوهم انهُ اكبر من سنهِ فقد وهن جسمهُ وكلَّ بصرهُ من طول السهر ومشقات التاليف وتراكم الاشغال ولكنهُ لا يزال من أبش خلق الله وجهاً والطفهم معشراً واكثرهم انساً يقتحم الاشغال بهمة الفتيان فتراهُ تارةً في الكنائس واعظاً وتارةً في المجمع العلمي الشرقي خطيباً يحث اعضاءهُ على التبحر في العلوم وتنشيط المعارف وتارةً في احتفالات جمعية الشبان المعروفة بجمعية شمس البر حاثّاً على اتباع الفضيلة والاقتداء بالافاضل وتارةً في المدارس ممتحناً وتارةً في الجمعيات الخيرية

مشيرًا فضلاً عن اشغالهِ في مجمع المرسلين الذي لا يزال متعلقًا بهِ . ولم تفتر همتهُ عن التاليف فقد ألَّف منذ عهد قريب كتبًا متسلسلة في العلوم قصد بها تعليم الصغار مبادئ العلوم في المدارس البسيطة وهي لا تزال تحت الطبع . والقارئ يعلم بالطبع ان انسانًا مثلهُ قد قضى العمر في خدمة العالم واتمَّ احسن الاعمال يكون عَلَمًا مقصودًا من الاقارب والاباعد وغرضًا منظورًا لرسائل القوم ومسائلهم وزد على ذلك مكاتبات تلامذتهِ المتفرقين في اقطار المشرق. فهو مع ادعائهِ باعتزال الاشغال والانقطاع الى الراحة لا يزال يشتغل ما لا يشتغلهُ الاَّ الفائقون جدًّا واجتهادًا العظيمون همةً واقدامًا

فهذه صورة اوضحنا بها للقارئ مثال هذا الرجل العظيم من حيث ارتقائهِ بجدهِ وعلوّ همتهِ حتى صار اعظم نعمةٍ أُنعم بها على الشرق بعد ان كان في صبوتهِ لا يملك ما يبتاع بهِ كتابًا . ولو اردنا ان نورد سيرتهُ من اوجهٍ أُخرى لاستغرق الكلام معنا فصولاً اطول ممَّا يحتملهُ هذا المقام . فالذين يعرفونهُ عن بعدٍ انما يرون عظمتهُ واقتدارهُ على الاعمال وهذا سبب ما لهُ في نفوسهم من المهابة والوقار ولكن الذين يعرفونهُ عن قربٍ يرون فيهِ مع العظمة مناقب من اشرف ما تتجمَّل بهِ الفطرة البشرية وهذا سبب محبة معاشريهِ لهُ واشتياق تلامذتهِ الى القرب منهُ وتسابق الناس الى ابداء ثنائهم عليهِ واعترافهم بفضلهِ عليهم . فاذا تاملناهُ من حيث معاملتهُ للناس لم نجد معاملاً لهُ الاَّ كان (اذا صفا طبعهُ) من احب الناس اليهِ واولهم اعترافًا باستقامتهِ وحسن طويتهِ. والعارف باخلاق البشر يعلم ان ذلك لا يحصل عليهِ الانسان الاَّ بعد ان يتحقق الناس انهُ يؤْثر مصلحة غيرهِ على مصلحتهِ . واذا اعتبرناهُ من حيث انصافهِ وجدناهُ مثلاً في الاعتراف بما لهُ وما عليهِ بل عندنا من الشواهد ما

لا يحصى على ظلمهِ نفسهُ في انصاف غيرهِ حذرًا من ان يكون حب النفس قد حاد بهِ عن جادة الانصاف. وحسبنا ان نذكر منها شاهدًا واحدًا وهو اعترافهُ بفضل زميلهِ المرحوم عالي سمث في ترجمة التوراة. فالظاهر ان موت عالي سمث قبل ان يتمّ من الترجمة شيئًا كثيرًا حوّل اذهان العموم عن ذكرهِ حتى خيفَ ان يُنسَى فضلهُ. وذلك ساء الدكتور ڤان ديك اكثر مما ساء غيرهُ فصار احرص الناس على ذكر اسم عالي سمث قبل اسمهِ. ولا نتذكر اننا سمعناهُ مرةً يذكر ترجمة التوراة الاَّ قدَّم فيها اسم عالي سمث بقولهِ "لما ابتدأَ فيها فلانٌ واتممتها انا". واتفق انهُ لما اتى امبراطور البرازيل الى سورية سنة ١٨٧٧ قصد الدكتور ڤان ديك الى مرصد المدرسة الكلية وقال لهُ على مسمعٍ منا "اني سمعت بترجمتك الشهيرة للتوراة" فقاطعهُ الدكتور ڤان ديك قائلاً "لعلهُ لم يبلغ جلالتكم اني انا لست مترجمها الوحيد فقد شرع في ذلك المرحوم عالي سمث واتممت انا ما بقي بعد موتهِ"

واذا نظرنا اليهِ من حيث اخلاص الطوية وصفاء النية وحبّ حرية الضمير وجدناهُ مثالاً لها بين عارفيهِ. بل لم نسمع احدًا خالي الغرض يعيبهُ الاَّ بالمدح في معرض الذم مثل قولهِ انهُ لسلامة طويتهِ يجوز عليهِ خبث الخبثاء واصفاء جبلتهِ يغلبهُ اهل الدهاء ولحريتهِ قولاً وفعلاً لا يقدر ان يجازي اهل البغي والرياء

وهو ابعد الناس عن ذكر شيء تشمّ منهُ رائحة المدح لنفسهِ فقد قضينا معهُ عشر سنوات في عِشرة مستمرة فلم نسمع منهُ ذكر ادنى عملٍ من اعمالهِ في معرض الاستحسان وحاولنا المرار الكثيرة ان نستشفَّ منهُ القليل عن سيرة حياتهِ فكان يحوّل مسائلنا الى غير المقصود ثم يستطرد منها الى ما يتخلص بهِ من الجواب ويسد علينا باب السؤَال. ولذلك عانينا المشقات حتى وقفنا على طرف من

سيرتهِ نقلاً عن اولادهِ واقاربهِ · ولاتضاعهِ يجتنب كل معرض يمدحهُ الناس فيهِ و يرتبك امام من يقابلهُ بالمدح فإمَّا ان يصرفهُ عن مدحهِ بجواب حسن او يتخلص منهُ بوجهٍ آخر. اتاهُ جماعة من علماء دمشق يوماً وفي صدرهم شيخ كبيرٌ يعدُّ بينهم من الفطاحل فمدحهُ واطنب ثمَّ قال متعجبًا و بأيِّ المواهب يبلغ الناس هذا المبلغ فاجابهُ الدكتور ڤان ديك . "يبلغهُ احقرهم بالاجتهاد فمن جدَّ وجد" واستطرد من ذلك الى وجوب الاجتهاد في تسهيل احراز العلم على الطلاَّب .ووصف بعضهم يوماً علو همتهِ وعجيب سرعتهِ في انجاز اعمالهِ وصبرهِ على المشاق واستشهد على ذلك بانهُ كان يقوم في الصباح من بيروت الى صيدا في نحو اربع ساعات ثم يعود منها الى بيروت في مثل ذلك و يقضي بقية نهارهِ ومساءهُ في التطبيب والتأليف فاستغربنا الخبر وسألناهُ عن ذلك فاجاب "اني كنت اركب حينئذٍ حصانًا قويًّا سريع العدو فلا ابطئُ على الطريق" كأنهُ لا يريد ان يبقي لنفسهِ فضلاً

ولهذه المناقب وامثالها مما يصح الاستشهاد بهِ في كل فصل من فصول هذا الكتاب ولحبهِ لاهل المشرق حتى اقتبس عوائدهم وتزيا بزيهم زمانًا في المأكل والملبس والمشرب تجد سكان بر الشام قد اجمعوا على حبهِ وولائهِ واعترفوا بكونهِ مصدر فضلٍ وعلم وخيرٍ في بلادهم. واذا بحثتَ وجدت شبَّانهم وشاباتهم يحترمونهُ احترامًا يقرب من العبادة ولا عجب فانهُ مع تقدمهِ عنهم سنًّا وعلمًا وعقلاً يجري في مقدمتهم و يسهل الصعاب امامهم ويقوّي عزائمهم و يبقي في صدرهِ محلاً رحبًا لاعتبار ما يجدُّ من الامور المختصة بزمانهم وعدم احتقار آرائهم ومشاربهم وعاداتهم خلافًا لما يعهد في اكثر الذين يتقدمون سنًّا فانهم لا يرضون الاَّ عما كان في زمانهم ولا يعتبرون الاَّ عوائد عصرهم

واذا رُمتَ ان تعرف اعتبار القوم لهُ وحكمهم فيهِ فاسمع ما قالتهُ جمعية

الروم الارثوذكسيين في تقريرها لسنة ١٨٨٥ وهو "ولا ترى (اي الجمعية) للملامة محلاً اذا وضعها الحق ترجماناً عن المحسنين جميعاً في تجميل الثناء على الدكتور كرنيليوس ڤان ديك فهو موازرها ومناصرها وطبيب مرضاها ومرشد مستشفاها والمتصدق اليها فوق ما لم يُعرَف بما يرى في هذه الباكورة من صداقتهِ المنفردة في باب لها لتفرُّدهِ في هذا الباب

وحسبهُ اجراً وفخراً وجودهُ على رغم الشيخوخة في مخدع التطبيب والمرضى شاخصون اليهِ شخوص الملسوعين الى موسى ورمزهِ. هذا يستنيلهُ قليلاً وذاك يسألهُ الدواء عجولاً وذلك يرجوهُ الشفاء عليلاً وهو يحبو هذا بالعطاء وذاك بالدواء وذلك بكلمةٍ اشفى من دواء

والجمعية وان تكن لا تزيد الناس علماً بهِ تجني اذا لم تعترف علناً في هذا المعرض انهُ لا تنفتح في الصبح عيناهُ الاَّ على لائذٍ بجنابهِ. ولا تسير في النهار قدماهُ الاَّ الى معونة اعدائهِ واصحابهِ. ولا يغلق في المساء بابهُ الاَّ على منصرفٍ مرتضٍ واقفٍ في بابهِ. ولا يأوي في ليلتهِ غرفتهُ الاَّ لينكبَّ على مكتوباتهِ وكتابهِ — حياةٌ امتلأت بطاعة الحداثة ونشاط الصبا ومروءة الفتوة واقدام الشباب ومقدرة الكهولة وحكمة الشيخوخة — وهي في كل ادوارها ذكاءٌ وفطنة. ودرس ومعرفة. وعلم وعمل. واستفادة وافادة. وعبادةٌ لله. وحبٌّ للقريب. وخدمةٌ للانسانية

نعم. ولولا اشتهار فضلهِ ونبلهِ والعجز عن ايراد ما يصلح لمثلهِ لقامت الجمعية الى مديحهِ قيامها الى نصرة البشرية. فهي تجتزئ بالذكر والشكر ونسأل الله ان يسرَّهُ فيما يسوءهُ وان لا يسوءهُ فيما يسرُّهُ وربنا المنَّان"

(عن الطبعة الثانية من سر النجاح المطبوعة بمطبعة المقتطف في مصر)

عدد سكان القطر المصري

ذكرنا في العدد الاول من اللطائف عدد السكان في بعض مدن القطر المصري واعتمدنا بذلك ما كان يعتمدهُ مجلس الصحة قبل الاحصاء الاخير (الحاصل في ٣ مايو (ايار) سنة ١٨٨٦) الذي امر الجناب الخديوي بالمصادقة عليهِ ومنهُ يرى ان عدد سكان القطر المصري يبلغ فوق ٦٨٠٦٣٨١ وذلك عدا الملحقات بمصر وتفصيل ذلك كما ترى

بلغ عدد سكان القاهرة ٣٧٤٨٣٨ نفساً من الاناث والذكور بما فيهم العربان والاجانب وسكان الاسكندرية ٢٣٠٣٩٦ نفساً . واهل دمياط ٤٣٦١٦ واهل رشيد ١٩٣٧٨ واهل مديرية البحيرة ٣٩٨٨٥٦ وسكان مديرية الشرقية ٤٦٤٦٥٥ وفي مديرية الدقهلية ٥٨٦٠٣٣ ومديرية الغربية ٩٢٩٤٨٨ والقليوبية ٢٧١٣٩١ والمنوفية ٦٤٦٠١٣ وبورت سعيد ٢١٢٩٦ والسويس ١١١٧٥ والعريش ٣٩٢٣ والقصير ٢٤٣٠ واسيوط ٥٦٣١٣٧ وبني سويف ٢١٩٥٧٣ والفيوم ٢٢٨٧٠٩ والجيزة ٢٨٣٠٨٣ والمنيا ٣١٤٨١٨ واسنا ٢٣٧٩٦١ وجرجا ٥٢١٤١٣ وقنا ٤٠٦٨٥٨ وسكان واحات اسيوط ٢١٤٥٩ وواحات الفيوم ٥٨٨٣ نفساً

عدد سكان الروملي الشرقيَّة

بلغ عدد السكان في شهر نيسان (ابريل) هذه السنة في الروملي الشرقية ٩٨٠٠٠٠ نفس وهذا آخر احصاء لتلك الولاية ومن هذا العدد ٢٠٠٠٠٠ مسلمون و ٥٤٠٠٠ اروام والبقية بلغاريون

اللطائف

الجزء الخامس من السنة الاولى

النيل

ما أعجبَ النيلَ ما أبهى شمائلهُ　　في ضفتيهِ من الأشجارِ ادواحُ
من جنةِ الخلدِ فياضٌ على تُرعٍ　　تهبُّ فيها هبوبَ الريحِ أرواحُ
ليست زيادتهُ ماء كما زعموا　　وانما هيَ أرزاقٌ وارباحُ

لا غرو اذا سمَّى المصريُّون القدماء هذا النهر العظيم هابي موايي اي روح المياه لانهُ روح الديار المصريَّة ومصدر ثروتها وعزتها فهي بدونهِ قاع صفصف وبطاح قفراء . وكان المصريُّون القدماء يجلون قدرهُ وينشدون النشائد بمدحهِ ومن ذلك النشيد الذي ترجمهُ العلاَّمة مسبرو من اللغة المصريَّة القديمة وهو "السلام عليك ايها النيل يا من ظهرتَ على هذه الارض وأتيتَ بالسلم فأحييتَ مصر ايها المعبود المحبوب ساقي

البساتين ومحيي الحيوانات ومروي الارض انت المعبود (سَبْ) صاحب العيش والمعبود (نِبْرَا) صاحب الحبوب والمعبود (بتاح) المنير لكل مكان انت صاحب الاسماك وموجد القمح والشعير ومحيي المعابد راحة العباد ناشئة عن اعمالك ان لم تهمع يوماً من السماء تسقط منها المعبودات (اي الكواكب التي كانوا يعبدونها) على وجوهها وتهلك العوالم باسرها كيف لا وانت الذي ترجوك العباد عند وقوفك وتغتنم الخير عند ارتفاعك وتفرح الخلق ويأخذ كلٌّ غذاءه ويأكل المرء مشتهاه انت الموجد لجميع الاشياء النفيسة والغذاءات العظيمة لك فضل كل قربان (في كل عصر وأوان) لانك مخرج الحشائش للحيوانات ومهيئ القربان للمعبودات انت الذي تفيض على الاقليمين فتملأ بخيرك المخازن والاشوان وتهيئ الارزاق للفقراء في كل آن وتغمر باحسانك كل سائل ابتهل اليك بالدعاء من غير ان يحصل لك فناء انت سند الفقراء لم تصوَّر في حجر ولم تمثَّل بتمثال ولم يقرَّب اليك قربان ولم تعمل لك اعمال ولم تسق الى محاريب ولم يعلم كنه محلك ولم يصل احد الى معرفة سرك ولم ترسم في الكتب القدسية ولم يحطك مكان من الازليَّة انت الذي ابهجت اولادك

فعظمتك اهل الجنوب وانقادت لاوامرك اهل الشمال وأرضيت
كل بائس باك بمزيد خيرك المفضال "

ومع كل احتفال الاقدمين بالنيل واكرامهم له كانوا يجهلون مصدره ولم يقل احدٌ منهم ذلك قولاً خالياً من مظنة الريب الى ان اكتشف اصله احد رجال الانكليز المرسلين لهذه الغاية وخلاصة ما اكتشفه ان النيل يستمد اكثر مائه من بحيرات عظيمة في اواسط المنطقة الحارة جنوبي السودان فتجتمع فيها مياه الامطار الغزيرة وتجري منها الى النيل فتسبب فيضانه . وهذا الفيضان يصل الينا بعد سير طويل مدة شهرين من الزمان . ويبتدئ الفيضان عندنا في شهر يونيو (حزيران) ويبلغ معظمه في شهر أوغسطس (آب) وآخره في شهر اكتوبر (تشرين الاول) وهذا شأنه منذ قديم الزمان قال ابن الاثير وكان في اواخر القرن السادس للهجرة " ان ابتداء الفيضان في شهر جونة ومعظم انتهائه أغشت وآخره اول شهر اكتوبر " والغريب ان ابن الاثير هذا استعمل اسماء الاشهر الافرنجيَّة المتعارفة عندنا الآن ولم يرَ في ذلك منقصة كما يرى بعض الكتاب المتأخرين الذين يرون التقدُّم بالتأخر

ومعظم الارتفاع الذي يبلغهُ النيل بمقياس الروضة بقرب القاهرة نحو ١٩ ذراعًا فان زاد عن ذلك كثيرًا طغى فوق سدودهِ وغرّق الاراضي والمزارع فاضرَّ بالبلاد ضررًا جسيمًا واذا قلَّ عن ذلك كثيرًا لم يكن كافيًا لريّ الاراضي كلها فتيبس المزروعات ويعم البلاء والعياذ بالله وقد حدث ذلك في ايام يوسف الصديق فتولَّى القحط سبع سنوات وحدث ايضًا في ايام الشيخ عبد اللطيف البغدادي المؤرخ المشهور سنة ٥٩٧ للهجرة وفي ذلك يقول

دخلت سنة سبع مفترسة اسباب الحيوة وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار واقحطت البلاد واشعر اهلها البلا وهجروا من خوف الجوع وانضوى اهل السواد والريف الى امهات البلاد وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا في البلاد ايادي سبا ومزقوا كل ممزق ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت وعند نزول الشمس الحمل وبئ الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى اكلوا الميتات والجيوف والكلاب والبعر والارواث ثم تعدوا ذلك الى ان

اكلوا اصاغر بني آدم فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون او مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك

ورأيت صغيراً مشوياً في قفة وقد احضر الى دار الوالي ومعهُ رجل وامرأة زعم الناس انهما ابواهُ فأمر باحراقهما

ووجد في رمضان بمصر رجل قد جردت عظامهُ عن اللحم فأكل وبقي قفصاً كما تفعل الطباخون بالغنم . ومثل هذا اعوز جالينوس مشاهدتهُ ولذلك طالبهُ بكل حيلة وكذلك كل من اثر الاطلاع على علم التشريح. وحين ما نشمَّ الفقراء في اكل بني آدم كان الناس يتناقلون اخبارهم ويفيضون في ذلك استفظاعاً لامرهِ وتعجباً من ندورهِ ثم اشتد قرمهم اليهِ وضراوتهم عليهِ بحيث اتخذوهُ معيشة ومطية ومدخراً وتفننوا فيهِ وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينئذٍ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيهِ والسماع لهُ

ولقد رأيت امرأة مشججة يسحبها الرعاع في السوق وقد ظفر معها بصغير مشوي تاكل منهُ واهل السوق ذاهلون عنها ومتقبلون على شؤونهم لم ارَ فيهم من يعجب لذلك او ينكرهُ فعاد تعجبي منهم اشد وما ذلك الَّا لكثرة تكررهِ على احساسهم حتى

صار في حكم المألوف الذي لا يستحق ان يتعجب منهُ
ورأيت قبل ذلك بيومين صبيًّا نحو الرهاق مشويًّا وقد اخذ بهِ شابان اقرَّا بقتلهِ وشيهِ واكل بعضهِ وفي بعض الليالي بُعيد صلوة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبهُ لبعض المياسير فبينما هو الى جانبها اهتبلت غفلتها عنهُ صعلوكةٌ فبقرت بطنهُ وجعلت تاكل منهُ نيًّا وحكى لي عدة نساء انهُ يتوثب عليهنَّ لاقتناص اولادهنَّ ويحامينَ عنهم بجهدهنَّ
ورأيت مع امرأة فطيمًا لحيمًا فاستحسنتهُ واوصيتها بحفظهِ فحكت لي انها بينما تمشي على الخليج انقضَّ عليها رجل جافٍ ينازعها ولدها فترامت على الولد نحو الارض حتى ادركها فارس وطردهُ عنها وزعمت انهُ كان يهم بكل عضوٍ يظهر منهُ ان ياكلهُ وان الولد بقي مدة مريضًا لشدة تجاذبهِ المرأة والمفترس
ونجد اطفال الفقراء وصبيانهم ممن لم يبقَ لهُ كفيل ولا حارس منبثين في اقطار البلاد وازقة الدروب كالجراد المنتشر ورجال الفقراء ونساؤهم يتصيدون هولاء الصغار ويتخذون بهم وانما يعثر عليهم في الندرة واذا لم يحسنوا التحفظ
واكثر ما كان يطلع من ذلك مع النساء وما اظن العلة

فيهِ الّاَ ان النساء اقل حيلة من الرجال واضعف عن التباعد والاستتار ولقد احرق بمصر خاصة في ايام يسيرة ثلثون امرأة كل منهنَّ تقرُّ انها اكلت جماعة فرأيت امرأة قد احضرت الى الوالي وفي عنقها طفل مشوي فضُربت اكثر من مئتي سوط على ان تقر فلا تحير جوابًا بل تجدها قد انخلعت عن الطباع البشرية ثمَّ سحبت فماتت

واذا أُحرِق آكلٌ أصبح وقد صار ماكولاً لانهُ يعود شواءً ويُستغنى عن طبخهِ

ثم فشا فيهم اكل بعضهم بعضًا حتى تفانى اكثرهم ودخل في جماعة من المياسير والمساتير منهم من يفعلهُ حاجة ومنهم من يفعلهُ استطابةً

وحكى لنا رجل انهُ كان لهُ صديق ادقع في هذه النازلة فدعاهُ صديقهُ هذا الى منزلهِ ليأكل عندهُ على ماجرت بهِ عادتهما قبلُ فلما دخل منزلهُ وجد عندهُ جماعة عليهم رثاثة الفقر وبين ايديهم طبيخ كبير اللحم وليس معهُ خبز فرابهُ ذلك وطلب المرحاض فصادف عندهُ خزانة مشحونة برمم الآدمي وباللحم الطري فارتاع وخرج فارًّا

وظهر من هولاء الخبثاء من يتصيد الناس باصناف الحبائل ويجتلبونهم الى مكانهم بانواع المخاتل وقد جرى ذلك لثلثة من الاطباء ممن يتابني اما احدهم فان اباهُ خرج فلم يرجع واما الآخر فان امرأة اعطتهُ درهمين على ان يصحبها الى مريضها فلما توغلت بهِ مضايق الطرق استراب وامتنع عنها فتركت درهميها وانسلت واما الثالث فان رجلاً استصحبهُ الى مريضهِ في الشارع وجعل في اثناء الطريق يصدق بالكسر ويقول اليوم يغتنم ويتضاعف الاجر ولمثل هذا فليعمل العاملون ثم كثر حتى ارتاب منهُ الطبيب ومع ذلك فحسنُ الظن يغلبهُ وقوة الطمع تجذبهُ حتى ادخلهُ داراً خربة فزاد استشعارهُ وترقف في الدرج وسبق الرجل فاستفتح فخرج اليهِ رفيقهُ يقول لهُ هل مع ابطائك حصل صيد ينفع فخرج الطبيب لما سمع ذلك والقى نفسهُ الى اصطبل من طاقة صادفها لسعادتهِ فقام اليهِ صاحب الاصطبل يسألهُ عن قضيتهِ فاخفاها عنهُ خوفاً منهُ ايضاً فقال قد علمت حالك فان اهل هذا المنزل يذبحون الناس بالخنل

ووجد باطفيح عند عطار عدة خوابي مملوءة بلحم الآدمي وعليهِ الماء والملح . فسألوهُ عن علة اتخاذهِ والاستكثار منهُ فقال خفت

اذا دام الجدب ان يهزل الناس

وكان جماعةٌ من الفقراء قد اووا الى الجزيرة وتسنروا بيوت طين يتصيدون فيها الناس ففطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ووجد في بيوتهم من عظام بني آدم شيءٌ كبير وخبرني الثقة ان الذي وُجِد في بيوتهم اربع مئة جمجمة

ومما شاع وسمع من لفظ الوالي ان امرأَة اتتهُ سافرة مذعورة تذكر انها قابلة وان قوماً استدعوها وقدموا لها صحناً فيهِ سكباج محكم الصنعة مكمل التوابل فالفتهُ كثير اللحم مبايناً للحم المعهود فتقززت منهُ ثم وجدت خلوة ببنت صغيرة فسأَلتها عن اللحم فقالت ان فلانة السمينة دخلت لتزورنا فذبحها ابي وها هي معلقة ارباً فقامت القابلة الى الخزانة فوجدتها انابير لحم فلما قصت على الوالي القصة ارسل معها من هجم على الدار واخذ من فيها وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسهِ في خفيةٍ بثلاث مئة دينار ليحقن بذلك دمهُ . ومن غريب ماحدث من ذلك ان امرأَة من نساء الاجناد ذات مال وديار كانت حاملاً وزوجها غائب في الخدمة وكان يجاورها صعاليك فشمت عندهم رائحة طبخ فطلبت منهُ كما من عادة الحبالى فالفتهُ لذيذ فاستزارتهم

فزعموا انهُ نفد فسألتهم عن كيفية عملهِ فاسروا اليها انهُ لحم بني آدم فواطأتهم على ان يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطاء فلما تكرر ذلك منها وضربت وغلبت عليها الطباع السبعيَّة وشى بها جواريها خوفًا منها فهجم عليها فوجد عندها من اللحم والطعام ما يشهد بصحة ذلك فحسبت مقيدة وارجي قتلها احترامًا لزوجها وابقاءً على الولد في جوفها

ولو اخذنا نقتص كل ما نرى ونسمع لوقعنا في التهمة او في الهذر وجميع ما حكيناهُ مما شاهدناهُ لم نتقصدهُ ولا نتبعنا مظانهُ وانما هو شيءٌ صادفناهُ اتفاقًا بل كثيرًا ما كنت افر من رؤْيتهِ لبشاعة منظرهِ

واما من يتحين ذلك بدار الوالي فانهُ يجد منهُ اصنافًا تحضر مع اناء الليل والنهار وقد يوجد في قدر واحدة اثنان وثلثة واكثر ووجد في بعض الايام قدر فيها عشر ايدٍ كما تطبخ اكراع الغنم ووجد مرة أُخرى قدر كبيرة وفيها راس كبير وبعض الاطراف مطبوخًا بقمح واصناف من هذا الجنس تفوق الاحصاء

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع في حبالتهم شيخ كتبي بَدِينٌ ممن تبيعنا الكتب فافلت بجريعة الذقن

وكذلك بعض قوَّام جامع مصر وقع في حبالة قوم آخرين بالقرافة فتداركهُ الناس فخلص من الوهق ولهُ حصاص واما من خرج عن اهلهِ فلم يرجع اليهم فخلق كثير

وحكى لي من اثق بهِ انهُ اجتاز على امرأة بخربة وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهي تاكل افخاذهُ فانكر عليها فزعمت انهُ زوجها وكثيرًا ما يدَّعي الآكل ان الماكول ولدهُ او زوجهُ او نحو ذلك

ورُئيَ مع عجوز صغيرٌ تاكلهُ فاعتذرت بان قالت انما هو ولد ابنتي وليس باجنبي مني ولان آكلهُ انا خير من ان ياكلهُ غيري

واشباه هذه كثير جدًّا حتى انك لا تجد احدًا في ديار مصر الَّا وقد رأى شيئًا من ذلك حتى ارباب الزوايا والنساء في خدورهنَّ

ومما شاع ايضًا نبش القبور واكل الموتى وبيع لحومهم

وهذه البلية التي شرحناها وجدت في جميع بلاد مصر ليس فيها بلد الَّا وقد أُكل فيهِ الناس اكلًا ذريعًا من اسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي

وخبرني بعض اصحابي وهو تاجر مأْمون حين ورد من

الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذالك واعجب ما حكى لي انهُ عاين اروس خمسة صغار مطبوخة في قدر واحدة بالتوابل الجيدة

وهذا المقدار من هذا الاقتصاص كافٍ فاني وان كنت قد اسهبت اعتقد اني قد قصرت

واما القتل والفتك في النواحي فكثير فاشٍ في كل فج ولا سيما طريقي الفيوم والاسكندرية وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرخصون الاجرة على الركاب فاذا توسطوا بهم الطريق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم وظفر الوالي منهم بجماعة فمثل بهم واقر بعضهم عند ما اوجع ضرباً ان الذي خصهُ دون رفقائهِ ستة آلاف دينار

واما موت الفقراء هزالاً وجوعاً فأمر لا يطيق علمهُ الاَّ الله سبحانهُ وتعالى وانما نذكر منهُ كالانموذج ما يستدل بهِ اللبيب على فظاعة الامر

فالذي شاهدنا بمصر والقاهرة وما تاخم ذلك ان الماشي اين كان لايزال يقع قدمهُ او بصرهُ على ميت او من هو في السياق او على جمع كثير بهذه الحال وكان يرفع من القاهرة خاصة الى الميضاة كل يوم ما بين مئة الى خمس مئة واما مصر

فليس لموتاها عدد ويرمون ولا يوارون ثم بآخرهِ عجز عن رميهم فبقوا في الاسواق وبين البيوت والدكاكين وفيها والميت منهم قد تقطع والى جانبهِ الشوا والخباز ونحوهُ

واما الضواحي والقرى فانهُ هلك اهلها قاطبةً الَّا ما شاء الله وبعضهم انجلى عنها اللهمَّ الَّا الامهات والقرى الكبار كقوص والاشمونيين والمحلة ونحو ذلك ومع هذا ايضاً فلم يبقَ فيها الَّا تحلة القسم وان المسافر ليمر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتحة واهلها موتى متقابلين بعضهم قد رمَّ وبعضهم طري وربما وجد في البيت اثاثهُ وليس لهُ من يأخذهُ

ومن عجيب ما شاهدت اني كنت يوماً مشرفاً على النيل مع جماعة فاجتاز علينا في نحو ساعة نحو عشرة موتى كانهم القرب المفتوحة هذا من غير أن نتقصد رويتهم ولا احطنا بعرض البحر وفي غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا اشلاء الموتى في الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بانابيش العنصل وخبرت عن صياد بفرضة تنيس انهُ مر بهِ في بعض نهار اربع مئة غريق يقذف بهم النيل الى بحر الملح

واما طريق الشام فقد تواترت الاخبار انها صارت مزرعة

لبني آدم بل محصدة وانها عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان كلابهم التي صحبتهم من منجلاهم هي التي تاكل فيهم

واول من هلك في هذا الطريق اهل الحوف عندما انتجعوا الى الشام وانتشروا في هذه المسافة كالجراد المحسوس ولم تزل تتواصل هلكاهم الى الآن وانتهى انتجاعهم الى الموصل وبغداد وخراسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا في البلاد كل ممزق

وكثيراً ما كانت المرأة تملص من صبيتها في الزحام فيتضورون حتى يموتوا

واما بيع الاحرار فشاع وشاع عند من لا يراقب الله حتى تباع الجارية الحسناء بدراهم معدودة وعرض عليَّ جاريتان مراهقتان بدينار واحد ورأيت مرة أُخرى جاريتين احداهما بكر ينادى عليهما احد عشر درهماً

وسألتني امرأة ان اشتري ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعرفتها ان ذلك حرام فقالت خذها هدية وكثيراً ما يترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بان يشتروهم او يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل بسببهم

الى العراق واعماق خراسان وغير ذلك

واعجب من جميع ما اقتصصناهُ ان الناس مع ترادف هذه الآيات عاكفون على اصنام شهواتهم لا يرعوون مغمسون في بحر ضلالاتهم كانهم هم المستثنون فمن ذلك اتخاذهم بيع الاحرار متجرًا ومكتسبًا . . . . . .

واما خراب البلاد والقرى وخلو المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجملة التي اقتصصناها وناهيك ان القرية التي كانت تشتمل زها عشرة آلاف نسمة تمر عليها فتراها دمنة وربما وجد فيها نفر وربما لم يوجد واما مصر فخلا معظمها واما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبقَ فيها بيت مسكون اصلاً بعد ما كان كل قطر منها قدر مدينة فى زحمة من الناس حتى ان الرباع والمساكن والدكاكين التي في سرة القاهرة وخيارها اكثرها خالٍ خراب وان ربعًا في اعمر موضع بالقاهرة فيهِ نيف وخمسون بيتًا خالية سوى اربعة ابيت اسكنت من يحرس الموضع

ولم يبقَ لاهل المدينة وقود في تنانيرهم وافرانهم وبيوتهم الّا خشب السوق والابواب والزروب

واما خبر النيل في هذه السنة فانهُ احترق في برمودة احتراقًا كثيرًا وصار المقياس في ارضٍ جُرز وانحسر الماءُ عنهُ نحو الجيزة وظهر في وسطهِ جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات ابنية وتغير الماء في ريحهِ وطعمهِ ثم تزايد التغير ثم انكشف امرهُ عن خضرة طحلبية كلما تطاول الايام ظهرت وكثرت كالتي ظهرت في ابيب من السنة الخالية ثم تناقصت الى ان ذهبت وبقي في الماء اجزاء نباتيَّة منبثة فقط وطاب طعمهُ وريحهُ واخذ في زيادة ضعيفة اضعف من السنة الخالية ولم يزل في زيادة ضعيفة الى ثامن ذي القاعدة وهو السابع عشر من مسري فزاد اصبعًا ثم وقف ثلثة ايام فايقن الناس بالبلا واستسلموا للهلكة ثم اخذ في زيادات قوية اكثرها ذراع الى ثالث ذي الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمس عشرة ذراعًا وست عشرة اصبعًا ثم انحط من يومهِ وانهزم على فورهِ وانما انقطع بهِ ما كان من البلاد مطمئنًّا فاروى المنخفضات كالغربية ونحوها وقد عز الحراث والبقر جدًّا حتى بيع الثور بسبعين دينارًا فالحمد لله على فيضان النيل هذه السنة كغيرها من سني الخير والاقبال ونطلب منهُ تعالى هدو البال وزوال كل بلبال في الحال والاستقبال

﴿ اللطائف ﴾

الجزء السادس من السنة الاولى

معن بن زائدة

هو معن بن زائدة وينتهي نسبهُ الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهو الذي قيل فيهِ حدّث عن معن ولا حَرَج . كان جَوَّادًا شجاعًا جزيل العطاء كثير المعروف ممدوحًا مقصودًا وكان في ايَّام بني أُميَّة متنقلًا في الولايات ومنقطعًا الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين فلما انتقلت الدولة الى بني العبَّاس وقتل يزيد خاف معن من أَبي جعفر المنصور فاستتر عنهُ مدة وجرى لهُ مدة استتارهِ غرائب فمن ذلك ماحكاهُ مروان ابن أَبي حفصة الشاعر المذكور قال أَخبرني معن بن زائدة وهو يومئذٍ متولي بلاد اليمن ان المنصور جدَّ في طلبي وجعل لمن يحملني اليهِ مالاً قال فاضطررت لشدة الطلب الى ان تعرضت للشمس

حتى لوَّحت وجهي وخففت عارضي ولبستُ جبة صوف وركبت جملاً وخرجت متوجهاً الى البادية لاقيم بها . قال فلما خرجت من باب حرب وهو احد ابواب بغداد تبعني اسود مقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فاناخهُ وقبض على يدي فقلت لهُ وما بك فقال انت طلب امير المؤمنين فقلت ومن انا حتى أُطلَب فقال أنت معن بن زائدة فقلتُ لهُ يا هذا اتَّقِ الله عزَّ وجلَّ وأين انا من معن فقال دع هذا فاني والله لأعرف بك منك فلما رأيتُ منهُ الجد قلتُ لهُ هذا عقد جوهرٍ فقد حملتهُ معي باضعاف ما جعلهُ المنصور لمن يجيئهُ بي فخذهُ ولا تكن سبباً لسفك دمي قال هاتِهِ فأخرجتهُ اليهِ فنظر فيهِ ساعة وقال صدقتَ في قيمتِهِ ولستُ قابلهُ حتى أَسألك عن شيءٍ فان أَصدقتَني اطلقتك فقلتُ قل قال ان الناس قد وصفوك با لجود فاخبرني هل وهبتَ مالك كلهُ قط قلتُ لا قال فنصفهُ قلتُ لا قال فثلثهُ قلتُ لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلتُ أَظن أَني قد فعلتُ هذا. قال ما ذاك بعظيم انا والله راجل ورزقي من ابي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهماً وهذا الجوهر قيمتهُ الوف دنانير وقد وهبتهُ لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأْثور بين

الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتر بعد هذا كل جود فعلتهُ ولا تتوقف عن مكرمة . ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفًا . فقلت يا هذا والله قد فضحتني ولسفك دمي عليَّ أهون ممَّا فعلت فخذ ما دفعتهُ لك فاني غنيٌّ عنهُ فضحك وقال أردتَ ان تكذبني في مقالي هذا اني لا آخذهُ ولا آخذ للمعروف ثمنًا ابدًا ومضى لسبيلهِ . ولقد طلبتهُ بعد ان أمنت وبذلت لمن يجيء بهِ ما شاء فما عرفت لهُ خبرًا وكأن الارض ابتلعتهُ

ولم يزل معن مستترًا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيهِ جماعة من اهل خراسان على المنصور فوثبوا عليهِ وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين اصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة . ذكر غرس النعمة ابن الصابي في كتاب الهفوات ما مثالهُ : لما فرغ السفاح من بناء مدينتهِ بالانبار وذلك في ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومائة كان معن متواريًا بالقرب منهم فخرج متنكرًا معتمًا متلثمًا وتقدَّم الى القوم وقاتل قدام المنصور قتالاً أبان فيهِ عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما افرج عن المنصور قال لهُ من انت ويحك فكشف

لئامهُ فقال انا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة فأمنهُ المنصور واكرمهُ وحباهُ وكساهُ ورتبهُ وصار من خواصهِ ثم دخل عليهِ بعد ذلك في بعض الايام فلما نظر اليهِ قال هيه يا معن تعطي مروان ابن ابي حفصة مائة الف درهم على قولهِ

معنُ بن زائدة الذي زيدت بهِ شرفًا على شرفٍ بنو شيبانِ

فقال كلّا يا امير المؤمنين انما اعطيتهُ على قولهِ في هذه القصيدة

ما زلت يوم الهاشمية معلنًا بالسيفِ دون خليفة الرحمنِ

فمنعت حوزتهُ وكنت وقاءهُ من وقعِ كل مهندٍ وسنانِ

فقال أحسنت يا معن وقال لهُ يومًا يا معن ما اكثر وقوع الناس في قومك فقال يا امير المؤمنين

ان العرانينَ تلقاها محسَّدة ولا ترى للئامِ الناسِ حسَّادا

ودخل عليهِ يومًا وقد أسنَّ فقال لهُ كبرت يا معن فقال في طاعتك يا امير المؤمنين. فقال وانك لجلد فقال على اعدائك يا امير المؤمنين. فقال وفيك بقية. فقال لك يا امير المؤمنين. وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد اهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربهِ شيئًا. واشهر قصائد مروان فيهِ وأحسنها القصيدة اللاميَّة التي يقول فيها

بنو مطرٍ يومَ اللقاء كأنهمْ اسودٌ لهم في بطنِ حقان اشبلُ
تجنبَ لا في القولِ حتَّى كأنهُ حرامٌ عليهِ قولُ لا حينَ يسألُ
تشابهَ يوماهُ علينا فأشكلا فلا نحنُ ندري ايُّ يوميهِ أفضلُ
أيومُ نداهُ الغمرِ ام يومُ بأسهِ وما منهما الَّا أغرُّ محجَّلُ
بهاليلُ في الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهليةِ أوَّلُ
همُ القومُ إن قالوا أصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيعُ الفاعلونَ فعالهم وان أحسنوا في النائباتِ وأجملوا
ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حباهم وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ

وهي طويلة تزيد على خمسين بيتًا ولهُ فيهِ من قصيدة

قد أمَّن الله من خوفٍ ومن عدمٍ مَنْ كانَ جارًا لهُ من جورِ ذا الزمنِ
معنُ بن زائدة الموفي بذمتهِ والمشتري المجد بالغالي من الثمنِ
برُّ العطايا التي تبقى محامدُها غنمًا اذا عدَّها المعطي من الغبنِ
بنى لشيبانَ مجدًا لا زوالَ لهُ حتى تزولَ ذوو الاركانِ من حضَنِ

وحَضَن اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة بينهُ وبين تهامة مرحلة يقال في المثل انجد من رأى حَضَنًا

ودخل على معن بعض الفصحاء يومًا فقال لهُ اني لو أردت ان استشفع اليك ببعض مَن يثقل عليك لوجدت ذلك سهلًا

ولكني استشفعت اليك بقدرك واستغنيت بفضلك فان رأَيت
ان تضعني من كرمك بحيث وضعتُ نفسي من رجائك فافعلْ
واني لم اكرم نفسي عن مسأَلتك فاكرمْ وجهي عن ردك

وقال ابو عثمان المازني النحوي حدثني صاحب شرطة معن
قال بينما انا على رأْس معن اذا هو براكب يوضع فقال معن ما
احسب الرجل يريد غيري ثم قال لحاجبهِ لا تحجبهُ قال فجاء حتى
مثل بين يديهِ وأَنشد

أَصلحك الله قلَّ ما بيدي فما أُطيق العيال اذ كثروا
أَلحَّ دهر رمى بكلكلهِ فأَرسلوني اليك وانتظروا

قال فقال معن وأَخذتهُ الاريحية لاعجلنَّ اوبتك ثم قال يا غلام
ناقتي الفلانية والف دينار فادفعها اليهِ فدفعها اليهِ وهو
لا يعرفهُ

هذا ومن حديثهِ ان اعرابيًّا اتاهُ في ايام امارتهِ ودخل عليهِ بغير
اذن وهو يريد ان يمتحنهُ فقال

اتذكر اذ لحافك جلد شاةٍ واذ نعلاكَ من جلد البعيرِ

فقال معن نعم اذكر ذلك ولا انساهُ . فقال الاعرابي

فسبحانَ الذي اعطاك ملكًا وعلَّمك الجلوس على السريرِ

قال سبحانهُ على كل حال . فقال

فلستُ مسلِّماً ان عشت دهراً　على معنٍ بتسليم الاميرِ

قال السلام سنَّة تاتي بهِ كيف شئت . فقال

اميرٌ يأكل الفالوذَ سرّاً　ويطعم ضيفهُ خبز الشعيرِ

قال الزاد زادنا ناكل ما نشاء ونطعم ما نشاء . فقال

سارحلُ عن بلادٍ انت فيها　ولوجار الزمان على الفقيرِ

قال ان جاورتنا فمرحباً بك وان رحلت عنا فمصحوب بالسلامة فقال

فجُد لي يا ابن ناقصةٍ بشيءٍ　فاني قد عزمت على المسيرِ

قال اعطوهُ الف درهم . فقال

قليلٌ ما اتيتَ بهِ واني　لاطمع منك بالمال الكثيرِ

قال اعطوهُ الفاً آخر . فتقدم الاعرابي وقبَّل الارض بين يديهِ وقال

سألت الله ان يبقيك ذخراً　فما لكَ في البريَّة من نظيرِ

قال اعطيناهُ على هجونا الفين فاعطوهُ على مديحنا اربعة . فقال الاعرابي اعلم يا مولاي اني ما اتيت اليك الاَّ لاختبر حلمك وكرم اخلاقك فقط فوجدت فيك من الحلم شيئاً لو قسم

على الناس لكفاهم جميعًا ثم اعلمهُ بنفسهِ ورد اليهِ المال واقام عندهُ اياما

وقيل انهُ خرجَ ذات يوم الى الصيد فعطش ولم يجد مع غلمانهِ ماءً فبينما هو كذلك واذا بثلاث بنات حاملات ثلاث قرب فسألهنَّ ان يسقينهُ فسقينهُ فطلب من غلمانهِ شيئًا من المال ليعطيهنَّ فلم يجد فدفع الى كل واحدة منهنَّ عشرة اسهم من كنانتهِ نصالها من الذهب فقالت احداهنَّ ويلكنَّ لم تكن هذه الشمائل الَّا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكنَّ شيئًا من الشعر فقالت الاولى

يركّبُ في السهام نصول تبرٍ ويرمي للعدا كرمًا وجودا
فللمرضى علاجٌ من جراحٍ واكفانٌ لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحاربٍ من فرطِ جودِ بنانهِ عمَّت مكارمهُ الاقاربَ والعدا
صيغت نصول سهامهِ من عسجدٍ كيلا يعوّقهُ القتال عن الندا

وقالت الثالثة

ومن جودهِ يرمي العداةَ باسهمٍ من الذهب الابريز صيغت نصولها
فينفقها المجروح عند انقطاعهِ ويشتريَ الاكفانَ منها قتيلها

واتفق في ايام ولايتهِ على العراق ان اتاهُ شاعر وهو بالبصرة واراد الدخول عليهِ فمنعهُ الحجَّاب واذ لم تمكن من الوصول اليهِ راقبهُ حتى نزل من القصر الى البستان وكان البستان على جانب نهرٍ جارٍ فكتب الشاعر على خشبةٍ هذا البيت

ايا جود معنٍ ناجِ معنًا بحاجتي فما لي الى معنٍ سواك رسولُ

والقى الخشبة في الماء الذي يدخل البستان فقذفتها المياه الى داخل فرآها معن فامر باخذها فقرأها ثم قال للخدام ايتوني بصاحبها فاحضروهُ اليهِ فامر لهُ بخمسة آلاف درهم ووضع الخشبة تحت بساطهِ فلمَّا كان اليوم الثاني قرأها وطلب الرجل وامر لهُ بعشرة آلاف درهم فأخذها الرجل وخاف ان بقي يندم معن على ما اعطاهُ ويسترد منهُ المال فذهب في الحال واخفى نفسهُ فلمَّا كان اليوم الثالث قرأها معن وطلب الرجل فقيل انهُ قد رحل فقال معن لقد ساءَ ظن الرجل فينا وما ذهب الَّا وهو خائف ان استرجع جوائزي منهُ فلو اقام عندي حولاً كاملاً كان حقًّا عليَّ ان اعطيهُ في كل يوم عشرة آلاف درهم حتى لا يبقى لي دينار ولا درهم

واخبار معن ومحاسنهُ كثيرة وكان قد ولي سجستان في

اواخر امره وانتقل اليها وله فيها آثار وماجريات وقصده الشعراء بها فلما كان سنة احدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وقيل ثمانٍ وخمسين ومائة كان في داره صنّاع يعملون له شغلاً فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بسجستان وهو يحتجم ثم تبعهم ابن اخيه يزيد بن مزيد بن زائدة فقتلهم باسرهم وكان قتله بمدينة بست. ولما قتل معن رثاه الشعراء بأحسن المراثي فمن ذلك قول مروان بن ابي حفصة شاعره المذكور وهي قصيدة من أفخر الشعر واحسنه واولها

مضى لسبيله معن وأبقى ... مكارم لن تبيدَ وان تنالا
كأن الشمس يوم أصيب معنٌ ... من الاظلام ملبسةٌ جلالا
هو الجبلُ الذي كانت نزارٌ ... تهدُّ من العدوّ به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معنٍ ... وقد يروى بها الاسلُ النهالا
وأظلمت العراق وأورثتها ... مصيبتهُ المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباهُ ... لركن العزّ حين وهي فمالا
وكادت من تهامة كل أرضٍ ... ومن نجدٍ تزولُ غداةَ زالا
فان يعلو البلاد له خشوع ... فقد كانت تطولُ به اختيالا
أصاب الموت يوم أصاب معنًا ... من الاحياء اكرمهم فعالا

وكان الناسُ كلهم لمعنٍ   الى ان زارَ حفرتهُ عيالا
ولم يكُ طالبٌ للعرفِ ينوي   الى غير ابنِ زائدة ارتحالا
مضى من كانَ يحملُ كلَّ ثقلٍ   ويسبقُ فضل نائلهِ السؤالا
وما عمد الوفود لمثل معنٍ   ولا حطُّوا بساحتهِ الرحالا
ولا بلغت اكفٌّ ذوي العطايا   يمينًا من يديهِ ولا شمالا
وما كانت تجفُّ لهُ حياضٌ   من المعروفِ مترعة سجالا
فليتَ الشامتين بهِ فدوهُ   وليت العمرَ مدَّ لهُ فطالا
ولم يكُ كنزهُ ذهبًا ولكن   سيوف الهندِ والحلق المذالا
ومادتهُ من الخطّيِّ سمرٌ   ترى فيهنَّ لينًا واعتدالا
وذخرًا من محامد باقياتٍ   وفضل تقًى بهِ التفضيلَ نالا

ومنها

مضى لسبيلهِ من كنتَ ترجو   بهِ عثرات دهرك ان تقالا
فلست بمالكٍ عبراتِ عينٍ   أبت بدموعها الَّا انهمالا
وفي الاحشاء منكَ غليلُ حزنٍ   كحرِّ النارِ يشتعل اشتعالا
وقائلةٍ رأت جسمي ولوني   معًا عن عهدها قلبًا فحالا
أرى مروان عاد كذي نحولٍ   من الهندي قد فقد الصقالا
رأت رجلًا براهُ الحزن حتى   أضرَّ بهِ وأورثهُ خبالا

فقلتُ لها الذي أنكرتِ مني لفجعِ مصيبةٍ انكى رعالا
وايام المنون لها صرفٌ تقلّب بالفتى حالاً فحالا

ومنها

كأنَّ الليلَ واصل بعد معنٍ ليالي قد قُرِنَّ بهِ فطالا
فلهفُ ابي عليكَ اذ اليتامى غدوا شعثًا كأنهم سلالا
ولهفُ ابي عليكَ اذ القوافي لممتدحٍ بها ذهبت ضلالا
ولهفُ ابي عليكَ لكلِّ هيجا لها تلقى حواملها السجالا
أقمنا باليمامةِ اذ يئسنا مقامًا لا يزيدُ بهِ زيالا
وقلنا أين نرحلُ بعد معن وقد ذهبَ النوالُ فلا نوالا
وما شهد الوقائع منك أمضى . واكرم مقدمًا واشدُّ بالا
سيذكركَ الخليفة غير قالٍ اذا هو في الامورِ بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعكَ اللواتي على اعدائهِ جعلت وبالا
ومعتركًا شهدت بهِ حفاظًا وقد كرهت فوارسهُ النزالا
حباكَ اخو أُميَّةِ بالمراثي مع المدحِ الذي قد كان قالا
أقامَ وكان نحوكَ كلَّ عامٍ يطيلُ بواسط الرحلِ اعتقالا
وألقى رحلهُ أسفًا وآلى يمينًا لا يشدُّ لهُ حبالا

وقال عبد الله بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء دخل

مروان بن ابي حفصة على جعفر البرمكي فقال لهُ ويحك أَنشدني من مرثيتك في معن بن زائدة فقال بل انشدك من مدحي فيك فقال جعفر انشدني من مرثيتك في معن فانشأَ يقول

وكانَ الناسُ كلهم لمعنٍ الى ان زارَ حفرتهُ عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعهُ على خديهِ فلما فرغ قال لهُ جعفر هل أَثابك على هذه المرثية احد من اولادهِ واهلهِ شيئاً قال لا قال جعفر فلو كان معن حيّاً ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها قال أصلح الله الوزير اربعمائة دينار قال جعفر فانّا نظن انهُ كان لا يرضى لك بذلك وقد أَمرنا لك عن معن رحمهُ الله تعالى بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن الفاً وستمائة دينار قبل ان تنصرف الى رحالك فقال مروان يذكر جعفراً وما سمح بهِ عن معن

نفحت مكافئاً عن قبرِ معنٍ لنا مما تجودُ بهِ سجالا

فعجَّلت العطية يا ابن يحيى لناديهِ ولم تردِ المطالا

فكافى عن صدى معنٍ جوادٌ بأَجود راحةٍ بذل النوالا

بنى لكَ خالدٌ وابوكَ يحيى بناءً في المكارمِ لن ينالا

كأَنَّ البرمكيَّ بكل مالٍ تجود بهِ يداهُ يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف. وحكى ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني عن محمد البيدق النديم انهُ دخل على هارون الرشيد فقال لهُ أنشدني مرثية مروان بن ابي حفصة في معن بن زائدة فأنشد بعض هذه القصيدة فبكى الرشيد. قال وكان بين يديهِ سُكُرَّجة فملأَها من دموعهِ. ويقال ان مروان بعد هذه المرثية لم ينتفع بشعرهِ فانهُ كان اذا مدح خليفة او من دونهُ قال لهُ انت قلت في مرثيتك

وقلنا اين ترحل بعد معنٍ وقد ذهب النوالُ فلا نوالا

فلا يعطيهِ الممدوح شيئًا ولا يسمع قصيدتهُ. وحكى الفضل بن الربيع قال رأَيت مروان بن ابي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيرهُ فأَنشدهُ مديحًا فقال لهُ من انت فقال شاعرك مروان بن ابي حفصة فقال لهُ المهدي أَلست القائل "وقلنا أَين ترحل بعد معنٍ" وأَنشدهُ البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لا شيءَ لك عندنا جرُّوا برجلهِ قال فجرُّوا برجلهِ حتى اخرجوهُ فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين

في كل عام مرة قال فمثل بين يديهِ وأَنشدهُ قصيدتهُ التي اولها

* طرقتك زائرةً فحيِّ خيالها * فأَنصت لها المهدي ولم يزل يزحف كلما سمع شيئًا فشيئًا منها حتى صار على البساط اعجابًا بما سمع ثم قال لهُ كم بيت هي فقال مائة بيت فأَمر لهُ بمائة الف درهم وهذا يخالف ما ذكرهُ ابن خلكان في ترجمتهِ لكنهُ يختلف باختلاف الروايات ويقال انها اول مائة الف اعطيها شاعر في خلافة بني العباس. قال الفضل بن الربيع فلم يلبث الاَّ اياماً ان افضت الخلافة الى هرون الرشيد ولقد رأَيت مروان ماثلاً مع الشعراء بين يديهِ وقد أَنشدهُ شعراً فقال لهُ من انت فقال شاعرك مروان بن ابي حفصة فقال لهُ أَلست القائل في معن كذا وأَنشدهُ البيت ثم قال خذوا بيدهِ فأَخرجوهُ فانهُ لا شيء لهُ عندنا ثم تلطف حتى دخل عليهِ بعد ذلك فأَنشدهُ فأَحسن جائزتهُ

ومن المراثي النادرة ايضًا ابيات الحسين بن مطير بن الاشيم الاسدي في معن بن زائدة ايضًا وهي من ابيات الحماسة

أَلِمَّا على معنٍ وقولا لقبرهِ سقتك الغوادي مربعًا ثمَّ مربعا
فيا قبرَ معنٍ كيفَ واريتَ جودهُ وقد كانَ منهُ البرُّ والبحرُ مترعا
ويا قبرَ معنٍ أَنتَ أَوَّلُ حفرةٍ من الارض خطَّتْ للمكارم مضجعا

بلى قد وسعتَ الجودَ والجودُ ميتٌ ولو كانَ حيّاً ضقتَ حتى تصدعا

فتىً عيش في معروفهِ بعد موتهِ كما كانَ بعد السيلِ مجراهُ مرتعا

ولما مضى معن مضى الجود وانقضى واصبحَ عرنينُ المكارمِ اجدعا

انتهى ملخصاً عن وفيات الاعيان لابن خلكان وغيرهِ من الكتب . ونوادر معن كثيرة ولا نعلم اي الشيئين اعجب أكرمهُ المفرط ام كثرة الاموال في ايامهِ . فان لم يكن في ما روي عنهُ وعن كرم البرامكة والخلفاء العباسيين مبالغة بل غلو فالارجح ان الحجرين الكريمين الذهب والفضة كانا في ايامهم اغزر مما نظن كثيراً . ومن المؤكد ان العرب استولوا على خزائن القياصرة والاكاسرة وكانت الجزية ترد اليهم من حدود الهند الى بلاد المغرب فلا غرو اذا غالى خلفاؤهم وعمالهم في العطاء على حد قول من قال

يجودُ علينا الخيّرونَ بمالهم ونحنُ بمالِ الخيّرينَ نجودُ

اللطائف

الجزء السابع من السنة الاولى

الفضيلة واهلها (١)

اختلف الناس في تعريف الفضيلة فمن قائلٍ انها مساعدة الغريب ومن قائلٍ انها اغاثة المظلومين او خدمة المعارف وافادة بني الانسان الى غير ذلك . وفي العالم فئةٌ تقول ان الفضيلة امرٌ نسبيٌّ ويستدلُّون على ذلك بان ما نعدُّهُ نحن فضيلةً يعدُّهُ غيرنا رذيلةً . مثالهُ اننا نستهجن القتل لانهُ يهدم اركان العمران ويوقف حركات الاعمال وغيرنا يحسب القتل فضيلةً لدلالتهِ على البطش والشجاعة . والعرب يتباهون باعالة الغريب وحمايتهِ واضافة الضيوف ويحسبون ذلك من الفضائل فقام منهم عروة الصعاليك

(١) من خطبةٍ لنا في جمعيَّة الاعتدال بمصر القاهرة في جلسةٍ حافلة

وحاتم الطائي ومعن بن زائدة وجعفر والرشيد والمنصور وغيرهم وكلٌّ منهم

يجودُ بالنفسِ ان ضنَّ الجوادُ بها　　والجودُ بالنفسِ اقصى غاية الجودِ

ولا يزالون الى الآن على ما كانوا عليهِ من اغاثة الملهوف واكرام الضيوف بينما نرى غيرهم لا يعدُّ ذلك فضيلةً بل يعدُّهُ رذيلةً ولا سيما مخاطبة الغريب الذي لم تسبق لهُ معرفةٌ بهِ . وبناءً على ذلك زعمت تلك الفئة ان الفضيلة والرذيلة امران نسبيَّان يختلفان باختلاف الاحوال والعادات والمشارب

وهناك فئة أُخرى تقول ان الفضيلة فضيلةٌ لذاتها بقطع النظر عن العوارض والعادات والمشارب والرذيلة رذيلة لذاتها كذلك فالقتل انما كان رذيلةً بذاتهِ ليس لاننا اصطلحنا على تسميتهِ كذلك والذي يعدُّهُ فضيلةً ينظر الى ما يتعلَّق بهِ من الفضائل كالشجاعة ونحوها وليس اليهِ بالذات وكذلك اعالة الغريب وسائر الفضائل . ولهاتين الفئتين ادلَّةٌ لتعزيز كلٍّ من القولين لا حاجة لسردها هنا

ومهما يكن من اقوالهما فالكل متفقون على ان ما يأُول الى العمران فضيلةٌ وما يأُول الى الدمار والخراب رذيلةٌ . فالظلم

مثلاً رذيلةٌ لانهُ من مسببّات الدمار والعدل فضيلة لانهُ اساس العمران الحقيقي وقِسْ عليهما ولمَّا كان موضوعنا الفضيلة فهو يشمل افعالاً متعدّدة مآلها الى العمران والنظام كالعدل والاعتدال والعفَّة والقناعة والامانة والاجتهاد والمروءة والشجاعة ونصرة الحق والكَرَم والافادة بالعلم والعمل ونحو ذلك. هذه هي الفضيلة التي تَغزَّل بها القدماء في اشعارهم وتسامى بها الحكماء في اقوالهم وأُلِّفَت في وصفها المجلَّدات الضخام وأُقيمت لتمثيلها التماثيل العظام. قيل ان اليونانيين القدماء كانوا يشخّصون الفضيلة بصورة غادةٍ حسناء متّشحةٍ بثياب الحشمة والوقار ويشخّصون الشاب الاديب والشيخ الفاضل بحبيبٍ قد علق قلبهُ تلك الغادة وشغف فؤادهُ بحبّها وكفى بسيرة هرقل البطل الشهير وحبّهِ للفضيلة دليلاً على ذلك. وقصتهُ اشهر من نارٍ على عَلَمٍ فلا نطيل الكلام فيها

وكان القدماء يتباهون بالفضيلة ويستغنون بها عن الغنى والعزّ والمجد ولا سيما العرب فانهم كانوا يذكرونها كثيراً في امثالهم ويتفاخرون بها في اشعارهم. قال الطغرائي

أَصالةُ الرأْيِ صانَتْني عَنِ الخَطَلِ وحِلْيةُ الفضلِ زانَتْني لدى العَطَلِ

والذين اشتهروا بحب الفضيلة قومٌ من "الفئة الصغرى"
التي وصفها حضرة رئيسنا في خطبتهِ السالفة . فهؤلاء الافراد
القلائل احبُّوا الفضيلة وخَدَموها وقضوا حياتهم لاجلها وجاهدوا
في سبيلها جهادًا حسنًا فعادوا مكلَّلين بالظفر ومن هؤلاء
القليلين قام الامام والخطيب والاستاذ والمرشد وبها اعتزُّوا
وسادوا . بالفضيلة قال الامام عمر ايها الناس مَنْ رأَى منكم فيَّ
اعوجاجًا فليقوّمهُ وبالفضيلة قيل لهُ لو رأَينا فيك اعوجاجًا
لقوَّمناهُ بسيوفنا . ولمراعاة الفضيلة عني كبار الممالك بمكافأَة اهل
الفضل وعيَّنت الدول وسامات الفخار ورتَّبت الرتب السامية
ورفعت مقام الذين يسعون اليها سواءٌ كان بالعلم او الادب
او بالشجاعة الادبية وانصاف المظلوم واغاثة المسكين

ويليق بي في هذا المقام ان اذكر بعض الذين امتازوا
بفضلهم ويوافقني على ذلك كل مَنْ يعرفهم كالمرحوم الامير
عبد القادر الحسيني الجزائري فانهُ كان سنة ١٨٦٠ في دمشق
الشام ولمَّا رأَى الناس يقتلون ويفتكون كان مع انجالهِ ورجالهِ
يجير المظلومين ويجمع المصابين ويخمد الهيجان وينصح الثائرين
بالكفّ عن تلك الفظائع • ومثلهُ الشريفان صاحبا الفضيلة

محمود افندي حمزة مفتي الشام وشقيقهُ اسعد افندي حمزة الهمام فانهما حقنا دماء العباد وعالا عددًا غفيرًا من المحتاجين والارامل والايتام . ومثل اولئك غيرهم من اهالي مصر الذين اترك ذكرهم لمن هو أعرف بهم مني وأَقدر على اسداء الثناء على مكارمهم التي ظهرت منذ بضع سنين . وما ذكرت مثل هؤُلاء الافاضل الآن الا لان عهد فضلهم حديث واعمالهم الحسان عملوها حبًّا بالانسانية واجابةً لدواعي الشيمة والمروءة غير ناظرين الى مكافأَةٍ بل مقتحمين الاهوال اذ كان الخطر محدقًا بهم والعدو راصدًا لهم

واذ ذكرنا فضلاء الرجال وجب ان لا ننسى فاضلات النساء فقد قال بعضهم ان الله اذا اراد ان يخلق رجلاً عظيمًا خلق قبلاً امرأَة عظيمة لتكون امًّا لهُ . والفاضلات من النساء كثيرات وكثيرون من الفضلاء اعترفوا جهارًا بان امهاتهم او زوجاتهم او اخواتهم كنَّ اوَّل من بثَّ في نفوسهم الفضيلة والشهامة بل ان كثيرين من الملوك والعظماء لم يسلكوا سُبُل العدل والانصاف بالرعيَّة الَّا منقادين الى ارشاد النساء الفاضلات . يروى ان بطرس الاكبر ملك الروس تعلَّق

مرّةً على المسكر وكاد يفسد حالهُ ومالهُ فقامت عليهِ زوجتهُ كاترينا وتداركت العلّة قبل تمكّنها وابرأتهُ من هذا الداء العقام

ومَنْ هم الفضلاء هم الذين اذا اكتشفوا امرًا منهُ نفع اذاعوهُ ولم يخفوهُ لكي يعمَّ نفعهُ ويشترك الناس فيهِ كما فعل بالسي الفرنسوي الذي تجشَّم اشد المشاق في اكتشاف دهان الخزف وحينما اكتشفهُ واتقنهُ ألّف فيهِ كتاباً نشرهُ بين ظهراني قومهِ لكي لا يخطئوا كما اخطأ ولا يتعبوا كما تعب. وكما فعل كولمبس الذي لم يلبث ان اهتدى الى طريق اميركا حتى رسم لها خريطة يهتدي بها غيرهُ. وكما فعل باستور الذي اكتشف دواء دود الحرير والكرْم والكَلَب ومرض المواشي واذاع اكتشافاتهِ ولم يحتكرها ولو احتكرها كما يفعل بعض المكتشفين لصار اغنى اهل الارض

هم الذين بنوا المدارس وانشأُوا المكاتب واقاموا المستشفيات والجمعيّات الخيريّة لوجه الله تعالى ولافادة القريب. هم الذين يؤاسون المرضى والضعفاء ولا يبخلون على احد بافادة كما يفعل الاستاذ العلّامة الفيلسوف الفاضل الدكتور كرنيليوس فان ديك فانهُ كما قيل فيهِ "لا تنفتح في الصبح عيناهُ الّا على لائذٍ بجنابهِ ولا تسير في النهار قدماهُ الّا الى معونة اعدائهِ واصحابهِ ولا يغلق

في المساء بابهُ الاَّ على منصرفٍ مرتضٍ واقف في بابهِ"

ويسوءُني ان اذكر لكم شيئاً سوَّد تاريخ البشر فانهُ لم يقم بينهم فاضلٌ شهير الاَّ رأَيت المقاومات والاضطهادات من كل جهة مصوَّبةً نحوهُ. ولم تُعلَم قيمتهُ وفضلهُ على الغالب الاَّ بعد موتهِ او في اواخر حياتهِ وذلك لان الذين يعرفون قيمة الفضل والفضيلة افرادٌ قلائل من الفئة التي اشار اليها حضرة رئيسنا في جلسة ماضية

ومن هؤلاء الافاضل الذين اضطُهِدُوا سقراط الفيلسوف اليوناني فانهُ جُرِّع كاس السم فمات شهيداً للفضيلة. وغليليو مكتشف دورة الارض فانهُ سُجِن وأُهين حتى تنغَّصت حياتهُ المجيدة شهادةً للحق. واغازس الجيولوجي الذي قال بطول ايام الخليقة وفرنكلين الكهربائي الذي استنبط قضيب الصاعقة وجنَّر الطبيب الذي اكتشف تطعيم الجدري وباري الجرَّاح الذي اكتشف مواساة الجراح بغير الكي وغيرهم كثيرون من الذين اضطُهِدوا لاجل شهادتهم للحقائق العلمية. امَّا الذين اضطُهِدوا وقُتِلوا من اجل شهادتهم للحقائق الدينيَّة والادبيَّة كالرسل الكرام والانبياء العظام وكل الذين هدوا البشر الى

سواء السبيل فاكثر من ان تحصى اسماؤهم

ولا اقصد بما اقوله الاَّ تبيان وعورة الطريق المؤدية الى الفضيلة . وانتم تعلمون اننا نحن اعضاء جمعيَّة الاعتدال قد اخذنا على انفسنا ان نسير في هذه الطريق فلنستعد لاستقبال المصاعب والمتاعب ولا يضعفنَّ عزمنا ما دمنا سائرين في طريق الفضيلة لان النصرة لنا اخيرًا والاستشهاد على مذبح الفضيلة غلبةٌ . ولا يخفى عليكم ان اعداء الفضيلة كثار جدًّا في كل زمان ومكان فعلينا ان نتجنَّبهم ان لم نجد الى مقاومتهم سبيلاً . ولنسعَ كلنا في نشر لواء الفضيلة وتعزيز اركانها وغرس دوحتها في جنان المشرق وتعهدها بالفلح والري لكي تنضر ازهارها وتمتد فروعها الى اقاصي البلاد فيستظل بظلها الجميع

وانتم ايها السادة المشرّفون ألَا يسرُّكم هذا الاجتماع الذي قد تكاثف اعضاؤهُ على نصرة الاعتدال والفضيلة . فنطلب اليكم ان تاخذوا بايديهم لكي تتحقَّق آمالهم فتُعزَّز دعائمِ الفضيلة التي هي اساس التقدُّم والعمران

من ثمارهم تعرفونهم

أَحْسَنَ الماسون في ولاية انديانا باميركا لارامل اخوتهم الذين ماتوا في مدَّة سبع عشرة سنة باكثر من ثلاثة ملايين ريال

بيت المحتاجين

انشأَ الماسون بيتًا للمحتاجين في بنسلفانيا باميركا انفقوا عليهِ ٢٣ الف ريال واكتتبوا لهُ بمال دائم مقدارهُ السنوي ٢٥ الف ريال

في سنة ١٨٨٠ صرفت الجمعية الماسونية على الاعمال الخيرية مليار (المليار الف مليون) و٣٨٠ مليونًا و٩٦٣ الفًا من الفرنكات

نقل بشير الجزويت ان الجمعيَّة الماسونيَّة بطنطا احتفلت في ٢٣ سبتمبر بتدشين محفل الكمال وقد حضر الاحتفال حضرة الرئيس الاكبر في القطر المصري قادمًا من مصر ومعهُ كثيرون من معاونيهِ ومن المتقدّمين في هذه الجمعيَّة

مكافاة الفضل بالفضل

حكى العبَّاس حاجب المنصور قال لمَّا ملك العبَّاس السفَّاح البلاد من بني أُمَيَّة واستولى على الخلافة قطع آثار بني أُمَيَّة من جميع البلاد . فبعد مدة قليلة تراجع المتعصّبون لبني أُمَيَّة وأثاروا فتنةً عظيمةً في الشام وكان ذلك بعد موت امير المؤمنين العبَّاس السفَّاح وتولية الخلافة لاخيهِ ابي جعفر المنصور فقام الامويون على العبَّاسيين وقتلوا جميع من وقع منهم في ايديهم وبلغني الخبر وانا ماشٍ في شارعٍ وماضٍ لابتاع شيئًا انهم طلبوني وأدركوني فهربت . ودخلت دارًا وجدت بابها مفتوحًا فلقيت في ساحتها شيخًا مهيبًا جالسًا فقال من الرجل فقلت خائفٌ على دمهِ وقد ادركهُ الطلب . فقال مرحبًا لا بأْس عليك ادخل هذه المقصورة وأشار لي الى باب فدخلتهُ ومضى مسرعًا وأقفل الباب ودخل حَرَمهُ وأتاني من ثيابهنَّ وقال لي قم اشلح ما عليك والبس هذه الثياب لاني رأيت الطلب عليك شديدًا فلبست ثياب النساء ثم أدخلني الى مقصورة حَرَمهِ وجعلني بينهنَّ . فما لبثت قليلًا ان طُرِق باب الدار وقد حضرت الرجال في

طلبي . فدخل الرجل عندي وقال لي لا تخف بل كن مستقرًّا في حرَمي . ثم نزل وفتح الباب للناس فطلبوني منهُ فانكرني وقال انهُ لم يرَني . فقالوا لهُ نفتّش بيتك فقال لهم دونكم فلكم ذلك . فدخل القوم وفتَّشوا جميع دار الرجل الَّا المقصورة التي فيها حرَمهُ فلم يجدوا شيئًا فذهبوا وأُقفل الرجل باب دارهِ ودخل عليَّ وقال الحمدُ لله على سلامتك وجعل لا يبرح من تأْنيسي ومجالستي واكرامي مدة ثلاثة ايام . فقلت لهُ يومًا يا مولاي لقد طال مقامي وانا أُريد اللحاق بوليّ نعمتي . فقال اما اذا شئت فامضِ معافًى . ثم انهُ احضر لي زادًا كثيرًا وركوبةً واعطاني صرَّةً فيها خمسمائة دينار وقال لي كلُّ احتياج سَفرِكَ معدٌّ الَّا انني اخاف عليك ان تمضي وتخرج من المدينة نهارًا فتُعرَف فأَمهل الى بعد الغروب قبل قفل ابواب المدينة . فقلت لهُ ان الرأْي رأْيك فصبرت الى ان أَظلمَت ثم قمت وقام معي وأَخرجني من باب الشام وسار معي مسافة طويلةً فأَقسمتُ عليهِ ان لا يزيد على ذلك فودعني ورجع وسرت شاكرًا للرجل ومتعجّبًا من غزارة احسانهِ الى ان بلغت بغداد ولحقت بأَبي جعفر المنصور . فذات يوم لمَّا قمت صباحًا على عادتي الفجر العميق وخرجتُ من داري

قاصدًا دار امير المؤمنين المنصور وجدت رسولهُ في الطريق وهو آتٍ من عندهِ يدعوني لهُ . فانطلقت مسرعًا الى ان دخلت عليهِ فنظر اليَّ وقال لي يا عبَّاس . فقلتُ لبيكَ يا امير المؤمنين . قال خذْ هذا الرجل واحتفظ بهِ وغدًا أئتني بهِ واعلم انهُ ان فُقِدَ منك فلا أرضى الاَّ بعنقك . فقلتُ سمعًا وطاعةً يا امير المؤمنين فنظرتُ فوجدتُ امامهُ في ناحية المكان شيخًا مقيدًّا في عنقهِ ويديهِ ورجليهِ فأخذتهُ وخرجت بهِ فاركبتهُ وأتيت بهِ الى بيتي ولكثرة حرصي عليهِ من اجل وصيَّة المنصور لي دعَوْتُ غلماني وأمرتهم ففرشوا لنا مقصورةً وأجلست الرجل فيها وجلستُ الى جانبهِ ووضعتُ طَرَفَ قيدهِ في رجلي وطبَّقت عليها . كلُّ ذلك حرصًا على الرجل لئلَّا يهرب فيروح عنقي . فلمَّا مضى النهار وجاء المغرب أمرتُ غلماني فجاءوا بالمائدة وعليها الطعام والشراب فجلست انا والرجل فأكلنا ثم غسلّنا ايدينا وجلسنا وقد ضجرت من السكوت لان الرجل مهمومٌ ويفكّرُ في شأنهِ فسألتهُ من أين هو . فقال من الشام . فقلت أتعرف فلان الفلاني في الشام . فقال ما احدٌ أعرف بهِ مني لماذا تسأل عنهُ . فقلت لهُ لاني اسير معروفهِ وعبد إحسانهِ وأخبرتهُ بما عملهُ معي في زمان

فتنة الشام فتبسمَ الرجل فلمَّا تبسَّم تفرَّستُ فيهِ فاذا هو هو .
فطار عقلي من راسي فرحًا بهِ فجعلت أَسأَلهُ الى ان تحقَّقتهُ فقمت
حينئذٍ وكسَّرتُ اقفال قيودهِ وهو يمتنع من ذلك .

ثم أَمرت الغلمان فأَحضروا لهُ ثيابًا فأَبى لبسها فأَقسمتُ
عليهِ فلبسها . ثمَّ قال لي ما مرادك ان تعمل بي . قلتُ أُنفذك حتى
تصير بعيدًا عن بغداد بمراحل وتذهب في حال سبيلك .
فقال أَسمع هذا ليس هو الراي الصائب لانك اذا مضيت الى
امير المؤمنين من غيري يغضب عليك فيقتلك وانا معاذ الله ان
اشتري سلامتي بموتك فهذا لا يمكن . فقلت لهُ وما ذنبك انت
عند امير المؤمنين . فقال اتهموني زورًا باني انا الذي حرَّكت
الفتن في الشام وان لبني أُميَّة عندي ودائع . فقلتُ حيث ان
هذا فقط جرمك اني أُهرّبك وانا لا أُبالي من امير المؤمنين ان
قتلني وان عفا عني فان إِحسانك السالف عليَّ عظيمٌ جدًا . فقال
لي لا تظن انني اطاوعك على ذلك ولكن عندي رايٌ أَصوبُ
وهو دعني محفوظًا في مكان وامضِ قل لامير المؤمنين ما شئت
من هربي . فان عفا عنك فعُدْ اليَّ واطلقني فأَهرب وان أَمر بقتلك
فعند ذلك اكون انا في أَمرك فتحضرني وتفتدي نفسك وعدا هذا

لا ارتضي معك بشيءٍ . قال فلما رأيت الرجل أبى الاّ هذا وضعتهُ في مقصورةٍ خفيَّةٍ في داري وأَصبحتُ وابكرت الى دار الخلافة فدخلت فوجدت المنصور جالسًا ينتظرني . فلما رآني وحدي قام عرق الغضب بين عينيهِ ورأَيت عينيهِ قد صارتا مثل النار غيظًا عليَّ وقال لي هيهِ يا عبَّاس أين الرجل . فقلت لهُ مهلًا يا امير المؤمنين فان العفو أَقرب للتقوى وهذا رجل جرى لي معهُ كَيْتَ وكَيْتَ وفعل معي كذا وكذا من الاحسان العظيم فالتزمت لحق احسانهِ ان اطلقهُ املاً بحلمك واتكالاً على كرمك . قال : فرأَيت وجه المنصور قد تهلَّل وقال لي : لحاك الله يا عبَّاس . أَيفعل هذا الرجل معك هذا الاحسان العظيم في زمن الفتنة وتطلقهُ من غير ان تخبرنا باحسانهِ لنقوم باكرامهِ ونجزيهُ عمَّا فعلهُ معك من الخير . وجعل المنصور يتأَسف ويُفرّك يديهِ تحسرًا ويقول : أَيذهب منا انسانٌ لهُ علينا احسان فلا نوفيهِ بعض ما استوجب عندنا من عظيم معروفهِ والله انها لكبرى . فقلتُ لهُ يا أَمير المؤمنين بأَبي وأُمي ان الرجل موجود عندي وقد أَبى ان يهرب لخوفهِ على عنقي منك . فقال لي ان اجعلهُ محفوظًا في مكانٍ وآتيك فأُخبرك انهُ هرب فان عفوت والاَّ رجعت

فأَحضرتهُ . فاستبشر وجه المنصور وضرب برجلهِ الارض وقال هذا يساوي مقدار سالف معروف الرجل اليك فامضِ مسرعًا وائتني بهِ مكرَّمًا موقَّرًا . فمضيت وأَتيت داري ودخلت على الرجل فقبَّل الارض شكرًا لله تعالى وقام وجاء معي حتى دخلنا على امير المؤْمنين المنصور فحين رآهُ رحَّبَ بهِ وأَجلسهُ بجانبهِ واكرمهُ وخلع عليهِ خلعًا نفيسة وقال لهُ هذا جزاءُ احسانك . وسأَلهُ ان شاء ان يولّيهُ الشام فأَبى وشكرهُ وأَطلقهُ المنصور موقَّرًا وأَرسل معهُ الكتب لولاتهِ يأْمرهم باكرامهِ والقيام بحوائجهِ

هدايا وتقاريظ

الجزءُ الثاني من النقش في الحجر

للدكتور كرنيليوس فان ديك

صدر الجزءُ الثاني من هذا الكتاب النفيس الذي اشرنا اليهِ عند الكلام على الجزءِ الاول وموضوعهُ الكيمياءُ والغرض منهُ تقريب المبادىءِ الكيماوية من اذهان الطلبة بعبارة بسيطة خالية من التعقيد وامثلة مأْلوفة عند الخاصة والعامَّة وعمليات يسهل على الطالب عمل اكثرها بيدهِ . وفيهِ شرح وافٍ لكيمياءِ الهواءِ والماءِ والتراب والاشتعال ويتدرَّج من ذلك الى البحث عن اشهر العناصر كالاكسجين والهيدروجين والكبريت والفصفور والحديد والنحاس والرصاص والزئبق والذهب والفضة وطرق استحضارها واستحضار مركباتها ومن ثمَّ الى قواعد التركيب والفلسفة الكيماوية

هذا ومعلوم ان علم الكيمياء من الزم العلوم للصانع والزارع والتاجر والطبيب والعالم ولكل راغب في معرفة تركيب جسمهِ وطعامهِ وشرابهِ . وهو علم مرغوبٌ فيهِ عند الطلبة لطلاوتهِ ولذة تجاربهِ ويميلون الى درسهِ اذا كان قريبًا من مداركهم اكثر مما يميلون الى درس سواهُ من العلوم . فعسى ان يعتمد عليهِ معلمو المدارس اذاعةً لمنافعهِ في البلاد وترغيبًا لتلامذتهم في العلوم الطبيعة وتعليمهم ما لم يبقَ لهم غنًى عنهُ في هذا الزمان . والكتاب مطبوع على ورق جيد في المطبعة الادبية التي صارت دارًا لطبع الكتب العلمية والادبية في بلاد الشام وهو يطلب من ادارة المقتطف في مصر ومن وكلائهِ في الجهات ومن المكتبة الادبية لاسعد افندي الخشف في شارع كلوت بك بمصر

مطوَّل في الحساب

تاليف نعمه افندي شديد يافث التبشراني

مؤلّف هذا الكتاب رجل من نخبة الذين اطالوا البحث في العلوم الرياضية وتمرنوا فيها السنين علمًا وعملًا واختبر واحاجة الطلاَّب الى هذا المطوَّل في الحساب فجعلهُ بسيط العبارة واضح الاشارة حسن التنسيق والترتيب مضبوط القواعد كثير الامثلة والشواهد وحسبنا ان نقول في وصفهِ انهُ لازم لزومًا لا غنًى عنهُ لكلّ الحسَّاب فالمدرّس مفتقرٌ اليهِ لكثرة ما فيهِ من الجديد والتلميذ لتضمنهِ ما تلزمهُ معرفتهُ لتحصيل العلوم الرياضية السامية والتاجر لما فيهِ من القواعد التجارية وغيرهِ لانهُ من الكتب التي يُرجَع اليها ويعوَّل عليها . وقد انفق على طبع هذا الكتاب جناب الشاب الغيور الهمام نسيب افندي عبد الله شبلي وكيل المقتطف واللطائف في بيروت فاستحقَّ مع جناب مؤلفهِ خالص الشكر وعاطر الثناء ورجاؤُنا ان اولاد الوطن لا يتقاعدون عن مقتنى هذا الكتاب انتفاعًا بفوائدهِ الجمة وتنشيطًا على تأْليف مثلهِ من المطوَّلات التي يفتقر المتعلمون اليها

﴿ اللطائف ﴾

الجزء الثامن من السنة الاولى

لويزا ملكة بروسيا

قال السموأل بن عادياء اليهودي

تعيّرنا انّا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها ان الكرامَ قليلُ

وكذلك النساء الكرائم قلائل في الدنيا ولكنهنَّ كالجواهر التي يغلو ثمنها كلما قلَّ مثيلها . وهذه الملكة بل الزوجة من كرائم النساء اللواتي بنين للمرأة بيتاً رفيع العماد لا بالسيف ولا بالقلم بل باللطف والدعة

ولدت في هنوفر في اوائل سنة ١٧٧٦ اي منذ مئة وعشر سنوات وابوها ديوك مكلنبرج اخو الملكة شارلوط زوجة الملك جورج الثالث ملك الانكليز . والتقت هي واختها بوليّ عهد بروسيا واخيهِ سنة ١٧٩٣ فسبتا هذين الاميرين بجمالهما ولطفهما

فخطباها الى والدهما حالاً وتزوج ولي العهد بالاميرة لويزا في الرابع والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) تلك السنة. وكان قد اقتصد في نفقاتهِ وجمع شيئًا من المال فابتاع بهِ ارضًا في مكان يقال لهُ برتز فاقام فيهِ هو وزوجتهُ وكان يهتمُّ بامر زراعة الارض وهي تهتمُّ بامر البيت كأنهما من عامَّة الناس

وسنة ١٧٩٧ توفي ملك بروسيا ورقي ولي العهد الى سدَّة الملك وكان عمر الملكة لويزا حينئذٍ احدى وعشرين سنة. فلما انقضت مدة الحداد طاف في مملكتهِ واخذ زوجتهُ معهُ فكانت تسبغ على الناس العطايا حيثما حلَّت وتسبيهم بعذوبة منطقها وجمال طلعتها. وكانوا يزينون لها الطرق والشوارع بالازهار واغصان الاشجار ويقدمون لها الهدايا النفيسة حسب مقدرتهم ولم تُنسها بهجة المُلك مزرعة برتز واراضيها فكانت تذهب اليها هي وزوجها وتقيم فيها وتشارك الفلاحين في اعيادهم وافراحهم. كتب الجنرال كوكرتز وهو من اخص اصدقاء الملك يقول: مضت عليَّ ايام في بيت ملكنا في برتز قضيناها في الصيد والقنص واغتنام فرص الزمان وكان الملك والملكة يطرحان التاج والصولجان والبرفير والارجوان ويشاركان الفلاحين في

الرقص والطرب وانا مع كبر سني كنت اشاركهم في افراحهم كانني ولد صغير

وكان الملك معتادًا ان يتغدَّى في دارها مهما كانت اشغالهُ كثيرة . وفي احد الايام دخل غرفتها على جاري عادتهِ فوجد على مائدة اللبس كمَّة (ما يُلبَس على الراس) بديعةً لم يرَ مثلها قبلُ فقال لها كم ثمن هذه الكمَّة فقالت لا يليق بالرجال ان يعرفوا ثمن اكسية النساء لانهم لا يعرفون قيمتها فيستغلونها مهما كانت رخيصة ومع ذلك فاني اخبرك اني اشتريتها باربعة ريالات فقط وهذا ثمن بخس . فالتفت الملك من الشباك فرأى رجلاً شيخًا من الحرس واقفًا امام غرفة الملكة فاومأ اليهِ ليدخل ثم قال لهُ كم تظنُّ ثمن هذه الكمَّة فقال اظنهُ غرشين او ثلاثة فقال لهُ الملك تقدَّم الى الملكة واطلب منها ان تعطيك قدر ما دفعت ثمنها فتقدَّم فاعطتهُ اربعة ريالات ثم قالت لهُ ان زوجي اغنى مني كثيرًا وكل ما عندي من النقود هو منهُ فاطلب منهُ ليعطيك مضاعف ما اعطيتك فرأى الملك انهُ وقع في الحفرة التي حفرها فاخرج ثمانية ريالات من جيبهِ واعطاها للرجل . ثم رأى هذا الرجل بعد ان ماتت الملكة فناداهُ باسمهِ وانعم عليهِ وقال لهُ اتذكر الريالات

ثم حوَّل وجههُ عنهُ خوفًا من ان يرى الدموع في عينيهِ

وذهبت مرةً مع زوجها الى مناجم والدنبرج ودخلت واحدًا منها بقارب لان بابهُ في الماء. ثم زار الامير ردزفل ذلك المنجم بعد احدى وعشرين سنة وقال للفعلة مَن منكم رأى الملكة لما اتت الى هذا المكان فقال لهُ واحد منهم ان نصف الحاضرين منا هنا رأَوها وانا كنت رئيسًا للقارب الذي دخلت فيهِ باب المنجم ورأيت طلعتها البديعة فانها كانت ملكة في المهابة والجلال وطفلاً صغيرًا في الوداعة والحنو وقد أعطتني بيدها دينارين وهما الآن في عقد زوجتي الذي لا تلبسهُ الاَّ وقت العبادة لان كل ما مستهُ تلك الملكة كان طاهرًا

ويظهر فضلها ايضًا وسمو مداركها من الحادثة التالية وهي انها كانت ذات يوم في بلاطها ومعها كثيرات من اشراف بلادها فرأَت بينهنَّ فتاة لم تكن قد رأَتها من قبل فقالت لها من اي البيوتات انتِ وكانت هذه الفتاة ابنة تاجر غني من تجار مجدبرج وقد تزوج بها حديثًا احد رؤَساء الجيش فاضطربت في امرها عندما سمعت سؤَال الملكة لان كلمة البيوتات تختص بعيال الامراء والاشراف فقالت بصوت المتلعثم لستُ من البيوتات

يا مولاتي" ولما قالت ذلك تبسَّم النساء الحاضرات تبسُّم الاحتقار ولحظت الملكة ذلك فرفعت رأسها على جاري عادتها عند ما كانت تتكلم وقالت بصوت عالٍ ايتها السيدة قد لمتِني لوماً شديداً بجوابكِ اللطيف . فلا يُنكَر ان الانسان يفتخر بانتسابهِ الى اناس امتازوا بالفضائل والفواضل ولكننا نشكر الله لان الناس الممتازين لم ينحصروا في طبقة واحدة من البشر بل وُجدوا في كل الطبقات والطوائف وقد قام من الطبقة الدنيا اناس كثيرون من افضل مَن قام من بين البشر . وانني اشكركِ ايتها السيدة لانكِ مهَّدتِ لي سبيلاً للكلام في هذا الموضوع المهم

وذاع كرمها في البلاد فكان الفقراء يقصدونها من كل فج فتحسن اليهم بكرمٍ حاتمي وكانت تقول يجب ان نحسن الى الفقراء سواءٌ علمنا انهم مستحقين للاحسان او لم نعلم لانَّ لنا الظواهر ولله الخفايا . وكان الملك يوافقها على قولها ويبقي معها من المال ما يكفي للاحسان ولو زاد عن نفقاتها المعينة

ثم انتشبت الحروب بين فرنسا وبروسيا ودخل نبوليون بونابرت مملكة بروسيا ودمَّر المدن وخرَّب البلاد . وقبل واقعة أوَرشتاد ويانا باربعة ايام رآها غنتز احد رجال السياسة العظام

فقال قابلتها فرأَيت منها حزم الرجل وثباتهُ ومقدرتهُ ولطف المرأَة ودعتها وفطنتها وقد امتزجت فيها هذه الصفات امتزاجاً طبيعياً لا انفكاك لهُ فكان كل كلامها واشاراتها ممزوجاً بالمهابة والجلال واللطف والجمال وكان اول ما تكلمت معي انها سأَلتني عمَّا ارتئيهِ من جهة الحرب وعن حسن ظني بنتائجها . ثم قالت اني لا اسأَلك هذا السوال لكي تقوي عزمي فانني بحمد المولى قوية العزم وانما احبُّ ان اعرف ما هي الامور التي يلتفت اليها الرجال العقلاء الذين مثلك ويعدونها سبباً لحسن ظنهم بالحرب لارى هل تنطبق على الامور التي التفتُّ اليها انا . ثم اخذت تتكلم على الحروب التي حدثت سنة ١٨٠٥ وتذكر وقائعها واحدةً واحدة بتواريخها ومُعِدَّاتها ونتائجها وتلأْلأَت الدموع في عينيها حينما تكلَّمت عن المصائب التي المَّت بمملكة النمسا وقالت انهُ يوم سمعنا بما حلَّ بالعساكر النمسوية لبس ابني البكر لباس العساكر فقلت لهُ حبذا اليوم الذي تقدر ان تستعمل فيهِ هذا اللباس وتمحو العار عن اخوانك

ورافقَتْ زوجها وقامت معهُ في مواقع الخطر ولكن دارت الدائرة عليهِ واضطرَّ ان يسلّم لنبوليون ويوقّع على شروط الصلح

التي يشترطها لهُ فأشار عليهِ رجال بلاطهِ ان تدخل امرأتهُ وسيطةً لعلَّها تخفِّف شروط نبوليون . وفي ذلك تقول في يوميتها "الله يعلم ما اجدهُ من الشدَّة فانني لا اكرهُ هذا الرجل (تعني نبوليون) بل أُعجِبُ بمهارتهِ ولكنني لا اتغاضى عمَّا اصابنا بسببهِ من الذل . واما كذبهُ وخداعهُ فمَّا لا يطاق . ومن اصعب الامور عليَّ ان التزم بملاطفتهِ لان مصلحة البلاد تقتضي ذلك"

ثم ذهبت الى المكان الذي فيهِ نبوليون ونزلت في المنزل المعدّ لها فأتى نبوليون لزيارتها فتلطَّفت لهُ في الحديث وسألتهُ عن موافقة هواء البلاد لصحتهِ . ثم اشارت الى مسئلة الصلح وقالت لهُ ليتك تلطّف لنا الشروط فسألها مسائل كثيرة تبيّن دهاءهُ وكانت تجيبهُ عليها بما يدل على استقامتها وعزَّة نفسها ومن جملة مسائلهِ لها قولهُ "كيف تجاسرتم على محاربتي" فأَجابتهُ "ان مجد فردرِك العظيم جعلنا نعتقدُ بانفسنا فيجب ان نُعذَر على ذلك". تريد فردرِك الكبير ملك بروسيا. وكان غرضها ان تبقي مدينة مجدبرج لبروسيا وحاولت ذلك بكل جهدها فكان نبوليون يجيبها بالمحاولة مثل قولهِ لها لا اقدر ان اتخابر مع واحدة جميلة مثلكِ ولستُ انا الذي اطلب مجدبرج بل الحكومة الفرنسوية . ولما

رأى الحاحها عليهِ ورأى انها عينت يومًا لتزورهُ فيهِ أمر بختم شروط الصلح قبل ان زارتهُ لكي لا يبقي لها سبيلاً للكلام

ومن ذلك الوقت اعتلّت صحتها وانتابتها الامراض ولكنها لم تعدم سرورها وراحتها لانها كانت تجدهما في بيتها وبين اولادها ولم تصغر نفسها بأخذ نبوليون قسمًا كبيرًا من مملكة زوجها بل قالت انهُ أخذ اطراف المملكة المتعبة لنا والآن يقدر زوجي ان يعتني ببقية مملكتهِ احسن اعتناء وكان كما قالت . وكتبت الى ابيها بهذا الصدد تقول "للعناية مقاصد لا ندركها وكأنها تريد ان تقلب نظام السياسة الحاضر . وما نبوليون الاَّ آلة بيد الله القدير لقضب الاغصان اليابسة التي كانت تفسد منظر مملكتنا وتضعف حياتها وستأتي ايام الفرج من عند الله .... وانا وزوجي يزيد حبُّنا احدنا للآخر بازدياد مصائبنا وبالامس نظر اليَّ طويلاً ثم قال يا عزيزتي لويزا قد زادت محبتكِ في قلبي اضعافًا وقد دعوتُ ابنتنا الصغيرة باسمكِ اشعارًا بشدَّة محبتي لكِ ومهما اشتدَّت العواصف حولنا وتفاقمت الخطوب تبقى سعادتنا على حالها . فلم اتمالك عن البكاء حينما سمعت منهُ هذا الكلام . وما فخري وسروري الاَّ بحبّ هذا الزوج الفاضل لي وثقتهِ فيَّ .

فلا تؤاخذني يا ابتِ لانني بحتُ لكَ بما لا ابوح بهِ لاحد غيرك"

واستطردت مرةً الى وصف اولادها فوصفتهم في كتابٍ لابيها بالذي هو فيهم فقالت "ان وليَّ العهد مجبول بالهمَّة والنشاط والصدق والامانة وانا مغرمة بهِ وهو مغرم بي وكثيرًا ما يخبرني بما سيفعلهُ حينما يصير ملكًا . ووليم سيكون مثل ابيهِ رجل سلامة واستقامة ولكن لا اظنُّ انهُ يكون جميل المنظر مثلهُ . وشارلوط مثل ابيها ايضًا رزينة حكيمة محبَّة شفوقة . وشارل يحبُّ الهزل ولكنهُ صادق امين ذكيٌّ جدًّا ولهُ نكت وحوادث مضحكة الى الغاية ومسائل تحيّر اعظم الفلاسفة . والكسندرتا لطيفة وديعة جدًّا شديدة النباهة والادراك واما لويزا فلم تزل طفلة وهي في الصورة مثل ابيها الشهم العزيز"

وحسبنا ما تقدَّم دليلًا على فضل هذه الملكة الجليلة بل الزوجة الامينة فلا غرو اذا كان ابنها يصير ملك بروسيا وامبراطور جرمانيا ويحارب فرنسا ويفوز عليها فوزًا عظيمًا ويستردُّ سيف جدّهِ فردرِك الكبير من بلادها . وفي التاسع عشر من تموز وافتها المنيَّة في بيت ابيها بعد ان مرضت ايَّامًا فحزن عليها زوجها حزنًا شديدًا وندبها بقية حياتهِ وعمَّ الحزن عليها مملكة بروسيا كلها

افلاطون الفيلسوف

لا نعلم باي سرٍّ من اسرار الطبيعة امتازت بلاد اليونان على غيرها من البلدان حتى قام منها اعظم قادة العقول في الفلسفة والعلم والسياسة . ولا بأيَّة داهية من دواهي الزمان منيت حتى خبت منها نار العقل بعد ذكائها وتقلَّص ظل الحكمة بعد استطالتهِ ونضبت مياه الفضيلة بعد جريها . وأنَّا نترك ذلك للباحثين في اخلاق الناس واسباب الحضارة ونعود الى انجاز ما وعدنا بهِ القراء الكرام وهو ذكر طرف من سيرة هذا الفيلسوف العظيم فنقول

وُلِد افلاطون الحكيم في مدينة اثينا في نحو سنة ٤٢٩ قبل المسيح من بيت عريق في الفضل والوجاهة يتصل نسب ابيهِ بكدرس احد ملوك اليونان القدماء ونسب امهِ بصولون الحكيم ولكنهُ فاق اسلافهُ حتى حقَّ لهُ ان يقول

اني وان كان قومي في الورى عَلَماً ... فانني علمٌ في ذلك العَلَمِ

وكان من حداثتهِ متوقد الذهن سريع الخاطر شريف النفس فقرأ قواعد لغتهِ وهو حدَث واشتغل بالموسيقى وفنون الادب والرياضة الجسدية على جاري عادة اليونان في تهذيب ابنائهم .

وكان للرياضة الجسدية النصيب الاكبر في مدارسهم وبذلك كانت تقوى ابدانهم وعقولهم معاً بخلاف اهل هذا الزمان الذين لا يلتفتون الّا الى تربية العقل ولو ضعف الجسد ونحل وزالت قواهُ ناسين ان العقل السليم لا يكون في الجسم السقيم · والارجح ان تقدُّم اليونان والرومان انما حصل باعتمادهم على الرياضة الجسدية في تعليم ابنائهم

ومال افلاطون الى القريض ونظم بعض القصائد ولكنهُ تعرَّف بسقراط الحكيم وهو ابن عشرين سنة فطرح ما نظمهُ في النار وتعلَّق على درس الفلسفة ولازم سقراط سنين كثيرة يرتشف من زلال الحكمة ويتفقَّه باسرار الفلسفة · ثم لمَّا فضحت تعاليم سقراط نفاق بعض المنافقين واماطت الستار عن اخاديعهم فسعوا بهِ وطرحوهُ في السجن وحكموا عليهِ بالموت كرِهَ افلاطون اثينا لجنايتها على اكبر حكماء اليونان فهجرها وجعل يضرب في بلاد الله ساعياً وراء الحكمة ومفتشاً عن اسبابها فطاف ايطاليا على الارجح وتعرَّف بالفلاسفة الفيثاغوريين واخذ عنهم بعض الحقائق الفلسفية ثم طاف القيروان ومصر واطَّلع على حكمة المصريين وناقش كهنتهم وتزوَّد منهم من اسرار الحكمة ما ظهر

في كتاباتهِ

وزار صقلية ثلاث مرات الاولى في ايام ديونيسيوس الكبير وكان غرضهُ تعليم هذا الملك وتهذيبهُ فكانت النتيجة على ضد ما قصد لان ديونيسيوس غضب عليهِ من اجل استقامتهِ ومجاهرتهِ بالفضيلة فبعث بهِ مع واحد يبيعهُ عبدًا فاشتراهُ فيلسوف قيرواني واطلق سبيلهُ فعاد الى اثينا وبلغ ذلك ديونيسيوس فخاف ان يندد بهِ فكاتبهُ بهذا الشان فاجابهُ ان اشتغالي بالفلسفة لا يبقي لي فرصةً لذكرك . ثمَّ رقي ابنهُ ديونيسيوس الصغير الى سدة الملك وجرى مجرى والدهِ ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والدهِ . وكان لهُ عمٌّ اسمهُ ديون تعرَّف بافلاطون لمَّا كان شابًا وتتلمذ لهُ فتذكَّر تعاليمهُ الصالحة وقال في نفسهِ ربما استفاد ديونيسيوس منهُ اذا سمعهُ فاخذ يخبرهُ عن فضل افلاطون وحكمتهِ وخبرتهِ في السياسة وارشاد اربابها الى سواء السبيل حتى اظهر الملك ميلهُ الى رؤية افلاطون واستماع كلامهِ فكتب ديون اليهِ يحثهُ على المجيء الى سيراقوسا (قصبة صقلية) . ولم يكن افلاطون راغبًا في المجيء الى سيراقوسا لانهُ خاف ان يكون ديونيسيوس هذا مثل ابيهِ . ثم قال في نفسهِ انهُ اذا كانت العيشة الصالحة خير شيءٍ للناس وجب

ان نعلمهم ذلك ولو تعبنا فاجاب طلب ديون وجاء الى سيراقوسا فقوبل بمزيد الترحاب والاكرام وأُحضرت لهُ مركبة فاخرة سارت بهِ الى قصر الملك وقدَّم الملك ذبيحة شكرٍ للآلهة على وصولهِ سالمًا وتأمَّل الشعب ان يكون قدومهُ عليهم واسطة لارشاد ملكهم الى سواء السبيل وتظاهر اهل بلاط الملك بالسلوك الحسن فابطلوا الغناء والبطر واستولى عليهم الهدو والسكينة وصاروا كلهم من الراغبين في الحكمة . كل ذلك خجلاً من المجاهرة بالشر امام هذا الحكيم الصالح

وظهر في اول الامران ديونيسيوس سيكون من افضل تلامذة افلاطون وادَّعى انهُ مولع بالحكمة والصلاح ولكنَّ ذلك لم يَطُل لان مملقيهِ اقنعوهُ ان الصلاح لا يناسبهُ وان افلاطون وديون قد ترأَّسا عليهِ ويجب ان لا يخضع لهما فجرى حسب غواية هؤُلاء المملقين فنفى ديون وصرف افلاطون

ولمَّا عاد من زيارتهِ الاولى لصقلية وكان عمرهُ اربعين سنة جعل يعلم الفلسفة في الاكاديميا وهي بستان كبير فى اثينا فاجتمع في حلقتهِ جمهور غفير من الطلبة وواظبوا على الاجتماع بعد موتهِ ولقّبوا بفلاسفة الاكاديميا . وعاش افلاطون اثنتين وثمانين سنة

قضاها في بث الحكمة والفضيلة ولم يتزوج قط ولا كان يأخذ اجرة من تلامذتهِ لانهُ كان يقول لايليق ان تباع الحكمة بالمال

وقد ذاعت فلسفة افلاطون في هذا القرن بعد انحطاط فلسفة ارسطو وكثر انصارها في جرمانيا وفرنسا وانكلترا واعتمدت عليها الكنيسة المسيحيَّة حتى لقبتهُ بالفيلسوف الالهي

امانة الزوجة

لما حاصر الامبراطور كنراد الثالث دوك بافاريا في قصرهِ وتغلب عليهِ امر بقتلهِ وقتل كل رجالهِ فتمثلت زوجة هذا الدوك هي ونساء قصرها بين يدي الامبراطور وطلبنَ منهُ ان يسمح لهنَّ بالخروج من القصر الى مكان امين حاملات كل ما يقدرنَ على حملهِ فسمح لهنَّ بذلك فحملت كل واحدة منهنَّ زوجها على ظهرها وخرجت بهِ فلما رأى الامبراطور منهنَّ ذلك عجب من امانتهنَّ وحبهنَّ لازواجهنَّ فعفا عن الجميع

ابيات بديعة المعاني

من بديع المعاني قول الارجاني في ادب الجاهل

وكم من جاهلٍ امسى اديبًا ... بصحبة عالمٍ وغدا اماما
كماء البحر مرٌّ ثم تحلو ... مذاقتهُ اذا صحب الغماما

وقولهُ في القفر وريح السموم

قفرٌ غدت ريح السموم مثيرةً ... من ارضهِ نقعًا الى افق السما
وكأنما صعد التراب ليشتكي ... ما يلتقيهِ الى السماء من الظّما

وقول بعض المغاربة في بيتٍ مصوَّر

دارُ الوزير مليحةٌ ... فيها تصاويرٌ بمكنهْ
تحكي كتابَ كليلةٍ ... فمتى أراها وهي دِمْنه

وللمسيب القريطي في القصَر

زعموا انني قصيرٌ لعمري ... ما تكال الرجال بالقفزانِ
انما المرء باللسانِ وبالـ ... ـقلبِ وهذا قلبي وهذا لساني

وقول آخر في الفال

الفالُ والزجرُ والكهان كلُّهم ... مضللونَ ودون الغيبِ اقفالُ

مدح السجن وذمهُ

قال عليُّ بن الجهم في قصيدةٍ لهُ لما حبسهُ المتوكّل

قالوا حُبستَ فقلتُ ليسَ بضائري ... حَبْسي وايُّ مهنَّدٍ لا يُغْمدُ
أوَ ما رأيتَ الليثَ يألف غيلهُ ... كبرًا واوباشَ السباع تَرَدَّدُ
والنارُ في احجارها مخبوءةٌ ... لا تصطلي ان لم تثرْها الأزْندُ

ومنها

لو لم يكن في الحبسِ الاّ أنهُ ... لا يستذِلُّك بالحجابِ الاعبدُ
بيتٌ يجدّدُ للكريمِ كرامةً ... ويزار فيهِ ولا يزورُ ويُقصدُ
والشمسُ لولا انها محجوبةٌ ... عن ناظريكَ لما أضاء الفرقدُ

ولما حبس عاصم الكاتب عارضهُ بقصيدةٍ قال فيها

قالوا حُبستَ فقلتُ خطبٌ أنكدُ ... أخنى عليَّ بهِ الزمانُ المرصدُ
لوكنتُ كالسيفِ المهندِ لم يكُنْ ... وقتَ الكريهةِ والشديدة يُغمدُ

مَنْ قالَ إنَّ الحبسَ بيتُ كرامةٍ   فمكابرٌ في قولهِ متجلّدُ
إن زارني فيهِ المحبُّ فموجعٌ   يذري الدموعَ بزفرةٍ تتردّدُ
او زارني فيهِ العدوُّ فشامتٌ   يبدي التوجع تارةً ويفنّدُ
يكفيكَ أن الحبسَ بيتٌ لا يُرى   احدٌ عليهِ من الخلائقِ يحسدُ

وقول بعضهم في المشيب والكبر

قوّسَ ظهري المشيبُ والكبرُ   والدهرُ يا صاحِ كلهُ عبرُ
كأنني والعصا تدبُّ معي   قوسٌ لها وهي في يدي وترُ

وقول ابن الصباغ في شمعة

وقنديلٍ كأنَّ النور منهُ   محيّا من احبُّ اذا تجلّى
اشارَ على الدجى بلسانِ افعى   فشمّرَ ذيلهُ هرباً وولى

وقول ابي العرب في الدنيا

فلا يغرُرْكَ منها حسنُ بُردٍ   لهُ علمان من ذهبِ الذهابِ
فأوّلهُ رجاءٌ من سرابٍ   وآخرهُ رداءٌ من ترابِ

علاج الكَلَب

عالج مسيو باستور حتى الآن الفاً وخمس مئة وقد ثبت لهُ ان ٩٧٢ من هؤلاء عضتهم كلاب لا شبهة في كونها كلبي فلم يمت منهم كلهم الّا عشرة اشخاص واثنان من هولاء العشرة لم يموتوا من عدم نجع العلاج فيهم بل من اسباب أُخرى. وقد وجدوا بالاحصاء والاستقراء انهُ اذا عضّت الكلاب الكلبي ٩٧٢ شخصاً يموت منهم بالكلب ١٥٥ شخصاً على الاقل ولم يمت منهم بعلاج باستور الّا عشرة اشخاص كما تقدّم فقد انقذ بعلاجهِ مئةً وخمسةً واربعين شخصاً على الاقل من الموت بالكلب ومن كل الآلام التي تسبق هذا الموت الشنيع (الشفا)

اللطائف

الجزء التاسع من السنة الاولى

اخلاق الانسان

عند فلاسفة العرب

لا بُدَّ للنفس التي تحلُّ جسدًا ما من التكيُّف بكيفيَّات كثيرة منها ما يكون ملازمًا لها ومنها ما يمكن انفكاكهُ عنها . ولا يقع ذلك الَّا من جهتين اولاهما ما تقتضيهِ كينونتها والثاني ما يقع عليها من مؤثّرٍ خارجي . فالاوَّل الذي تقتضيهِ فطرتها هو ما لا تعلم لهُ سببًا مع انها تقبل عليهِ وتدبر عنهُ مثل طلب الغذاء فان النفس تطلبهُ وان جهلت كيفية ذلك الطلب وجهتهُ وتُدبِرُ عن الجوع والظماءِ وان لم تعرف علتهُ . والثاني ما تكتسبهُ من المؤثّرات الخارجية التي تحسُّ بها ولهذا انقسم القول عن احوالها الى قسمين الاوَّل — الفطرة — ويُراد بها حالة بساطة النفس قبل المكتسبات وهي حالتان تمكُّنية لان النفس مفطورة على بعض

امور لا يمكن انفكاكها عنها مثل الاقبال على ما تودُّ والادبار عما تكرهُ والادراك والحركة ومتعلقات الجسم مثل الاكل والشرب والنوم فهي لا تستطيع النزوع عنها بالكلية وان استطاعت التعديل فالذي يقع عليهِ التعديل لا يمكن تغير حقيقتهِ وانما يتغير المعدول منهُ وبهِ

والثاني — الطبع — وهو ما طبع الانسان عليهِ من الاحوال التي لا تقبل الزوال ماخوذة من طبع السيف ولهذا ورد ان سمعتم عن جبل تحوَّل عن مكانهِ فصدقوا وان سمعتم عن رجل تحوَّل عن طبعهِ فلا تصدقوا وقال المتنبي (وتأبى الطباع على الناقل) وربما عُبِّر عن الخلق بالطبع مجازًا ومنهُ قول الشاعر

اذا كان الطباع طباع سوءٍ فلا أَدبٌ يفيد ولا أَديبُ

والثالث — الغريزة — وهي مرادف الفطرة والشيمة اسم لحالتها وكذلك السجيَّة من سجى البحر

والرابع — الحال — وهي الكيفيَّة التي تتكيَّف بها النفس مع كونها سريعة الحصول والزوال

والخامس — الملكة — وهي الحال اللازمة للنفس وتنقسم

الى ثلاثة اقسام ملكة التحصيل وملكة الحفظ وملكة الاستعمال فالأُولى تسهّل تحصيل المعارف والفنون والصنائع والثانية تحفظ للنفس ما حصَّلت والثالثة تيَسِرِ العمل بالعلم ولكلٍّ اسباب. وهنالك قسمان تختص بهما الخواص من الناس الأوَّل ملكة التصرُّف بالاشياء الحاصلة والثاني ملكة الابتكار وهي التي تتوصَّل الى ابتكار المبتكرات والاختراعات. وهي أساس ترقّي النوع الانساني ولولاها لما انتقل شأْن المجمع من البساطة الى التركيب

السادس — الخلق — وهو يطلق على امرين متضادَّين فهو بهذا الاعتبار من اسماء الاضداد لانهُ يطلق على مرادف الطبع والفطرة والغريزة والسجيَّة وهو الخلق الذي لا يمكن ان يتغيَّر مطلقًا. والاجل ويُعرَّف بانهُ الحال الملازمة للنفس بسببها تصدر عنها اعمال ما بدون تروّ ويكون اسمها للحال المكتسبة من المؤّثرات الخارجيَّة. وهو الذي يمكن تغيُّرهُ الى خير وشرّ وصلاح وفساد وهو مأْخوذ من الخلاقة اي الملاسة لتمرُّن الانسان بهِ

السابع — العادة — وهي حالة تكتسب من تكرار العمل الواحد

وعود التأثُّر بالآثار الطارئة على النفس من المؤثّرات الخارجيَّة او الوجدانيَّة تسهّل خروج ما توفي الانسان بالقوَّة الى الفعل فهي مأخوذة اما من تكرُّر العود الى العمل واما الانفعال . قال صاحب التاج ما ملخَّصهُ العادة الدندن يعاد اليهِ وهي عبارة المحكم وفي المصباح سمِّيتْ بذلك لان صاحبها يعاودها اي يرجع اليها مرَّةً بعد أُخرى وجمعها عادٌ بدون هاء فهو اسم جنس جمعي وعادات وهو جمع المؤنث السالم وعِيد بكسرها وهي عن كراع وليس بقوي . وقال جماعةٌ العادة تكرير الشيء دائمًا او غالبًا على نهجٍ واحد بلا علاقة عقليَّة . وقيل ما يستقرُّ في النفوس من الامور المتكرّرة المعقولة عند الطباع السليمة كقول الشاعر

تعوَّدْ صالحَ الاخلاق اني ... رأيتُ المرء يألفُ ما استعادا

انتهى كلامهُ . وقد أُمر الانسان باختيار خيار العادات لما لها من الاثر في نفوس الخاصَّة والعامَّة كفعل الخير ونحوهِ . ومن امثال العرب العادة طبيعة ثانية وقال تأبَّطَ شرًّا

تعوَّدتُ خوضَ النفع مذ كنتُ يافعًا ... وللمرء من ايامهِ ما تعوَّدا

وقد يلتبس العرف بالعادة في الاغلب وقد يطلق احدهما اسمًا للآخر وقد يفرق بينهما واليهِ أشار صاحب التاج بقولهِ ان العادة في الافعال والعرف في الاقوال

رسالة تعزية

وردت الينا الرسالة الآتية من الاب الجليل الخوري جرجس كاهن ابل السقي فنشرناها سائلين المولى ان يثيبهُ عنَّا خيراً هو وكلّ الذين تكرَّموا علينا بتحارير التعزية ولا يريهم سوءًا. امَّا الرسالة فهي هذه

انعي اليكم بمزيد الأَسَف وفاة اختنا والدتكم المرحومة سعدا مكاريوس توفَّاها الله بغتةً الساعة العاشرة مساء الاثنين في ٢٩ ت ٢ (نوفمبر) سنة ١٨٨٦ فانتشر خبر منعاها في مركز القائمقاميَّة والقرى المجاورة واحتشد جمهورٌ غفيرٌ من اعيان البلاد ووجهائها على اختلاف طوائفهم وشيَّعوا جنازتها ودفنوها بالاكرام الجزيل آسفين عليها وداعين لكم بطول البقاء

وقد عوَّدتم القرَّاء في لطائفكم ان تنشروا خبر النساء الفاضلات ولذلك بعثتُ اليكم بهذه الفقرة من ترجمة المرحومة والدتكم لانها كانت من فضلياتهنَّ فأَقول: وُلِدَت سنة ١٨٢٢ وتيتَّمَتْ من والديها وهي فتاة وكانت اكبر اخوتها فربَّتهم وعالتهم حتى كبروا واقترن بها المرحوم والدكم سنة ١٨٥٠

وتُوُفّي سنة ١٨٥٧ فقامت على تربيتكم وتربية اختكم . ثم أتت سنة ستين (١٨٦٠) بويلاتها المشهورة فنُهِبَتْ كل مقتنياتها وأَمسَتْ لا تملك شيئًا الَّا ما اعطاها الله من الفطنة والهمَّة فجعلَتْ تعمل بيدَيها وتعولكما وعمَّرَتْ بيت زوجها المتوفَّى وكانت تغيث الفقراء وتواصلهم بالحسنات ولذلك احلَّها اهل هذه البلاد محلاًّ رفيعًا وحزنوا لموتها حزنًا شديدًا ولا سيَّما لانها تُوُفّيتْ بدون ان تراكم وقد كنتم نصب عينيها دائمًا وموضوع لهجها . عزَّاكم الله عن فقدها وأَنالكم صبرًا جميلاً

خالكم

الخوري جرجس

اقتحام الذئاب

كان في ضواحي مدينة نيويورك جبَّار بأْس اسمهُ هنريك كان يضرب الثور الكبير بيدهِ فيلقيهِ على الارض صريعًا . ويقال ان اثنين من هنود قبيلة الموهوك المشهورة بالبأْس قبضا عليهِ وكانا متسلحين بالخناجر وكان هو اعزل لا سلاح معهُ فلطم الواحد منهما على رأْسهِ لطمة اطارت دماغهُ ورفع الثاني بين يديهِ وجَلَد بهِ الارض فسحق عظامهُ واوردهُ حتفهُ

وكانت البلاد حينئذٍ قليلة السكان كثيرة الوحوش الضارية واشتدَّ برد الشتاء في احدى السنين وغطَّت الثلوج الارض وانقطعت السابلة وكسرت الذئاب والدباب وهاجمت مساكن الناس فاضطروا ان يقيموا في بيوتهم ويضعوا مواشيهم في الزرائب المنيعة . وفرضت الحكومة جائزة لكل من ياتيها براس ذئب فجعل الاهالي يجلسون في اعالي بيوتهم ويصطادون الذئاب رميًا بالرصاص

واقام هنريك في بيتهِ ولم يخرج منهُ الَّا ليتفقد مواشيهُ في زرائبها . ولمَّا طال عليهِ المطال ونفد من بيتهِ بعض مواد الطعام كالسكَّر والبن والشاي عزم ان يذهب الى بعض القرى المجاورة ليبتاعها منها . وكان الناس قد شرعوا يخرجون من منازلهم وفتحوا طريقًا في الثلج وطرقوها باقدامهم. فركب مركبة صغيرة ممَّا يسار بهِ على الثلج واخذ معهُ فأسًا صغيرة حتى اذا انكسر شيءٌ في المركبة يصلحهُ. ثم ودَّع زوجتهُ وسار في تلك الطريق واتى القرية فابتاع منها ما يحتاج اليهِ وجلس مع اهاليها يتكلم معهم فمضى النهار وهو لايدري ولم ينتبه الى نفسهِ الَّا والشمس قد غابت فقام عاجلاً وركب مركبتهُ وكانت الطريق المطروقة في الثلج ضيقة جدًّا تكفي

المرور المركبة فقط فسارت بهِ سيرًا حثيثًا لانها كانت تزلق على الثلج زلقًا . فطاب لهُ السرى وبادرهُ النعاس حتى كاد ينام على المركبة . وفيما هو بين النائم واليقظان شعر ان الفرس تهمرمرةً بعد اخرى والمركبة تزداد سرعةً فاستيقظ والتفت الى ما امامهُ فلم يرَ الاَّ ارضًا مغطاةً بالثلج ونور القمر ينعكس عنها انعكاسًا يبهر النظر . ثم التفت الى ما وراءهُ فاذا اربعة ذئاب كبيرة فاغرة افواهها وعادية في اثرهِ

شفوق العصيّ كالحاتٌ وبُسَّلُ   مهرّتةٌ فوهٌ كأنّ شدوقها

والمتقدم منها يكاد فمهُ يمس كتف هنريك ولكنهُ لم يكن جادًا في اثرهِ بل في اثر الفرس . لان الذئاب تترك القليل العاجل من اجلَ الكثير الآجل شأن جمهور الاقتصاديين . فلو امكن للفرَس ان يبقى في طريقهِ ما امكن للذئاب ان تدركهُ لان المركبة كانت مالئة الطريق المطروق كلهُ . واذا تركت الذئاب الطريق المطروق وسارت بجانب المركبة لكي تدرك الفرس يمنعها الثلج عن الاسراع لان ارجلها تغوص فيهِ فتتاخَّر الى الوراء . ولكن اذا نفرَت الفرَس وحادت عن الطريق يمنةً او يسرةً تنشب المركبة في الثلج فتدركها الذئاب وتقضي على هنريك

وعلى فرسهِ. ولذلك جعل يحث الفرَس بصوتهِ وينهض همتها ويشجّعها حتى لايميلها الخوف على الحيدان عن الطريق. ثم رفع فأسهُ وتهدَّد الذئاب بها فلم تلتفت اليهِ فتركها تجري بجانبهِ لانها ما دامت بجانبهِ لا تراها الفرَس فلا تجفل منها

والظاهر ان الذئاب علمت انها ما دامت جادَّةً في اثر المركبة لا امل لها بادراك الفرس فجعلت تحيد عن الطريق وتحاول سبق الفرس فتغوص في الثلج وتتأخَّر عن المركبة. ولكن الفرس كانت تنفر كلما تراها وتكاد تحيد عن الطريق. وكان بين الذئاب ذئب اكبر من رفاقهِ واقوى منها عضلاً واسرع عدواً فكان يثب على الفرس وثبات طويلة ويكاد يدركها. فراقبهُ هنريك حتى دنا منهُ وعاجلهُ بضربة بفأسهِ فشطر رأسهُ شطرين فوقع على الثلج يتمرَّغ بدمائهِ ولم تشعر الذئاب بسقوطهِ لخفَّة الضربة وشدَّة عدوها فبقيت جادَّة في اثر المركبة

ولمَّا اقترب هنريك من بيتهِ اتسعت الطريق وكثرت الحزون فيها فسهل على الذئاب العدو فكادت تدرك الفرس وتبطش بها وحينئذٍ علقت المركبة بجذع شجرة مقطوعة فقلبت وتملَّصت الفرس منها وفي اقل من دقيقة غابت عن الابصار وتبعها ذئب

من الذئاب الثلاثة ولمَّا رأى نفسهُ عاجزًا عن ادراكها عاد الى رفيقيهِ و وقعت الثلاثة على هنريك وقبضت على عنقهِ وجعلت تنهشهُ وتحاول امتصاص دمهِ. وكانت ثيابهُ ثخينة فلم تصل انيابها الى عنقهِ الَّا بعد المشقَّة. ولشؤم طالعهِ وقعت الفاس من يدهِ حالما قلبت بهِ المركبة وفتَّش عنها حواليهِ فلم يجدها فجعل يصارع الذئاب مصارعةً وهي تنوشهُ وتغالبهُ فسال دمهُ على الثلج واستروحتهُ فزادت شراستها وتغلَّبت عليهِ وصرعتهُ على الارض. وحينئذٍ جالت في بالهِ جميع المسرات التي صادفها في حياتهِ ولاحت امام مرآة فكرهِ جميع الحوادث المهمة التي مرَّت عليهِ. ثم افتكر بزوجتهِ وقال انها الآن في انتظاري وستفتش عني في الصباح وترى ما تبقيهِ الذئاب من عظامي. وكانت الذئاب قد شدَّت خناقهُ حتى كادت روحهُ تزهق وللحال وقع عليها حيوان رابع كانهُ سهم نشب بينها او صاعقة انقضَّت عليها فانبغتت منهُ وتركت هنريك ودارت اليهِ فنهض هنريك على قدميهِ والتفت فاذا الحيوان الرابع هو كلبهُ وقد قبض على احد الذئاب واعترك معهُ. وحينئذٍ حانت منهُ التفاتة فرأى فأسهُ بجانبهِ فخطفها وضرب بها احد الذئاب فشق راسهُ ثم دار الى الذئب الذي كان يتصارع مع

الكلب فقطعهُ قطعاً حتى انقذ الكلب منهُ ولمَّا قام عنهُ وجد نفسهُ بين يدي زوجتهِ فسند رأْسهُ على صدرها وهو يكاد يغمى عليهِ لكثرة ما نزف منهُ من الدم . اما الذئب الثالث فولَّى هارباً لمَّا رأَى ما حلَّ باخويهِ

قتلُ الذي اتخذَ الجراءة خلَّةً وعَظَ الذي اتخَّذَ الفرارَ خليلاَ

وكانت زوجة هنريك قد استطالت غياب زوجها وجلست تنتظرهُ ثم رأَت فرسهُ آتية وحدها . ففتحت لها الباب وقلبها يكاد يطير فلما فُتح الباب خرج الكلب منهُ مسرعاً كانهُ علم بغريزتهِ ما حلَّ بسيدهِ فخرجت هي تعدو في اثرهِ الى ان وصلت الى زوجها وهو على تلك الحال . فكان من الامر ما كان . وبعد قليل عادت بهِ الى البيت وبهِ جراح كثيرة ولكنهُ شُفي منها والفضل في نجاتهِ لذاك الحيوان الابكم الذي يستقتل من اجل الانسان والانسان يتآمر الآن بملاشاتهِ عن وجه البسيطة

امانة الكلب

حدثت بالامس حادثة تدل على شدَّة امانة هذا الحيوان وذلك ان رجلاً حدَّادًا وضع في الكور قطعة من الفولاذ واحماها وفيما هو يطرقها تكسَّرت كسرًا واصابت كسرة منها صدغهُ الايمن ونشبت فيهِ فسقط على الارض مغشيًّا عليهِ . وبعد مدَّة افاق واذا بكلبهِ وكان معهُ في الدكان يعوي ويفرك فمهُ بالتراب لانهُ كان قد نزع قطعة الفولاذ من صدغ سيدهِ بفمهِ فحرقتهُ حرقًا اليمًا

الثعلب

الثعلب حيوان يشبه الكلب ويمتاز عنهُ في خَلقهِ بقصر عنقهِ واستقامة ذنبهِ وغزارة شعرهِ وهيئة حدقتهِ وفي خُلقهِ بكثرة روغانهِ وقلَّة امانتهِ. وتلد انثاهُ مرَّةً في السنة من اربعة اجراءٍ الى ثمانية وتعتني بصغارها اشد الاعتناء . ومدَّة نموّهِ ١٨ شهرًا ويعيش ١٢ سنة ولا يدجن الَّا نادرًا فالطبع الوحشيّ متملّكٌ عليهِ اشدَّ من تملكهِ على الافعى

وقد اشتهر من قديم الزمان بالروغان حتى صار يُضرَب بهِ المثل ومن ذلك قول الشاعر

يعطيك من طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ منك كما يروغُ الثعلبُ

فاذا طاردهُ الانسان او ما كان اشد منهُ قوَّةً من الحيوان هرب الثعلب من وجههِ واستعمل ضروب التحيُّل للتخلُّص منهُ فيدور يمنةً ويسرةً ويخوض الماء ليخفي اثرهُ ويثب فوق السياجات ويختفي فيها . وقد ذكر بعضهم ان ثعلبًا طاردهُ الصيادون فلم يجد من وجههم مناصًا فدخل بين قطيع من الغنم وبقر بطن شاة واختبأَ فيهِ الى ان بعدوا عنهُ . وهذه النادرة من الغرابة بمكان

ولكنها وردت في كتب بعض علماء الحيوان . وهب انها مختلقة فهي من جملة الادلّة على اعتقاد الناس بشدّة روغان الثعلب وتحيُّلهِ

وكما يُضرَب المثل بالثعلب في الروغان يُضرَب بهِ المثل في الخديعة والتحيُّل واخذ الامور مباياتة في ظلمة الليل لا مجاهرة على ضوءِ النهار* وقد ثبت الآن لدى الخاص والعام ان بعضاً من الذين يحاولون نقض تعاليم دارون باقوالهم يثبتونها بافعالهم الدالّة على ان اخلاق الوحوش لم تزل متغلبة عليهم وروغان الثعلب وخداعهُ متمكّنين فيهم . فتظهر عليهم بالطبع ولو حاولوا اخفاءها بالتطبُّع

تكلّفُ شيءٍ في طباعكَ ضدّهُ واسرعُ مفعولٍ فعلتَ تغيرًا

أَلا ترى انك اذا خطَّأْتهم في قولٍ قالوهُ او أَبنت سوءَ افعالهم وكذب دعاويهم خافوا ان يواقفوك ويدافعوا عن انفسهم جهارًا وراغوا من وجهك ولا روغان الثعلب . ثم حاولوا اشغال الناس عمَّا نالهم من العار والفضيحة بحِيَل كحِيَل الصبيان التي تضحك العقلاء على "ثعلب حوران" و"شيخ" الثعالب في لبنان . بل ربما وسوس اليهم الشيطان بحِيَل يترفع عن دناءتها الحيوان فيأْتونك باحب المطالب اليك ويزوّرون الرسائل

وينسبونها الى اهل الفضل والمعارف حتى تجوز مكيدتهم عليك ·
بل يتشبهون بك وبغيرك من محبّي العلم والساعين في نشر
المعارف فيرفعون لواء الحق كاقرانك ويأوون لنصرة العلم
والفضيلة الى دارك ويستنجدون بك على محاربة الجهل قائلين
انَّا معك واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انَّا منافقون مكَّارون
خدَّاعون روَّاغون ننصر الدين والعلم جهرًا اذا كانت نصرتهما
تكسبنا مالاً ونرتكب الدنايا والمنكرات سرًّا اذا كان ارتكابهما
يدفع عنَّا عارًا ويطفي بنا من الحسد نارًا

قيل ان الجهل يعمي صاحبهُ عن تمييز الحق من البطل وكذا
النفاق والخبث يعميان صاحبهما عن تمييز الفضيلة من الرذيلة
فيظنُّ ان كل ما لا يدرك بالقوة يجب ان يدرك بالحيلة جائزةً
كانت او محرَّمة حسنة او مذمومة اذ عين ضميرهِ قد عميت عن
تمييز صفات الافعال · ولولا ذلك لعلم اولئِك "الثعالب" ان
دناءتهم تعدُّ عليهم رذيلةً ولمحسوديهم فضيلةً فهي لهم ذلَّة وتحقير
ولمحسوديهم رفعة وتكريم فمثلهم مثل رجل ضعيف عاجز سيّء الاخلاق
حملهُ حسدهُ على معاداة رجل كريم فاضل ولكن خاف ان يناظرهُ
جهراً فدسَّ لهُ السمَّ في طعامهِ وشرابهِ . او بحث عن احب المطالب

اليهِ وكتب فيها كتاباً ثم زوَّر امضاء رجل آخر فنسب الكتاب اليهِ وطلى اوراقهُ بالسم ليسمهُ عند تقليب صفحات الكتاب . فلا جرم ان كل من يَسْلَم من خبث الثعالب ومكر الابالسة يحكم ان هذا الفعل فعل ذميم. وفاعلهُ دنيٌّ لئيم. ولو سمّي باسم الخليل "ابرهيم"

والثعلب يحتال على نوال ما بهِ نفعهُ ويذمّ . فكيف لو احتال على ما بهِ ضرّهُ فانهُ ليعدُّ أَدنى حيوان واجهل مخلوق وكذا شان المحتالين المزوّرين الذين تكون عاقبة احتيالهم تحقير الناس لهم وشماتتهم بهم

والخلاصة ان دلالة الافعال اصدق من دلالة الاقوال فمهما تظاهر المتظاهرون في صفحات الجرائد بذم مذهب دارون وجاهروا بمقاومتهِ فلا يعدُّ قولهم الَّا كذباً ونفاقاً ما دامت افعالهم تنطبق عليهِ وتؤيد ادلّتهُ . فان لم يكن الباري سبحانهُ قد مسخ بعض البشر قروداً وثعالب فلا ريب ان وجود هؤلاء الثعالب اصدق برهان على ان اصلهم من سافل الحيوانات وانهم لم يبلغوا بعدُ في الترقي اخلاق الانسان. لان الاخلاق الوحشية كالروغان والاحتيال والغدر تضعف في الذين قد ارتقوا في الكمالات

الانسانيَّة وتقوى في الناس كلمَّا انحطوا فيها . فاخلاق المتوحشين من الناس او المتهذبين التهذيب الكاذب اقرب الى اخلاق الوحوش من اخلاق الذين هم فوقهم من المتهذبين تهذيباً صحيحاً واخلاق هؤلاء ادنى من اخلاق الذين فوقهم . وهكذا حتى تاتي الى افراد يكرهون الرذائل والدنايا لمجرَّد كونها كذلك فيأبون ارتكابها ولو كان في الاباءة ذلهم او موتهم . ويحبون الفضائل لمجرَّد كونها كذلك فيأبون مخالفتها ولو كان في الاباءة مكر حسَّادهم بهم وعوي الرعاع من حسَّادهم وانصار حسَّادهم عليهم . ويناسب ذلك قول الفاضل الكريم "قاهر ابرهيم"

أَمثلتَ الفضل الذي حسَّادهُ ... امسوا ثعالبَ قصَّرا عن فضلهِ
اعفف فكم من سيّدٍ قد سبَّهُ ... من لا يساوي قدَّةً من نعلهِ

كتبهُ

ش . م

ان الشجرة التي تزهو وتَعِدُ صاحبها بالثمر ثم تكذبهُ ولا تثمر ولا ينجع فيها العلاج يجب قطعها وحرقها . والساعة التي لا تدلُّ على الوقت الصحيح ولا تقبل الاصلاح يجب تكسيرها وكذا الكذَّاب الذي يكذب الناس عمداً ولا ينجع فيهِ نصح عاقبتهُ الطرح والخذلان

الجزء العاشر من السنة الاولى

الاكتساب والاقتصاد

المال ثمرة الاشغال العقليَّة والاعمال الجسديَّة وهو قوام العمران والتمثال الذي تتجلَّى بهِ الحكمة والقوَّة. والاكتساب اصل المال والاقتصاد سورهُ فالرجل المكتسب المقتصد هو الغني القوي والامَّة التي يتعلَّق آحادها على الاكتساب والاقتصاد هي الامَّة الغنيَّة الراقية مراقي الفلاح . ومَنْ يكتسب ويقتصد يسعى في خير أُمَّتهِ ومَنْ لا يكتسب او لا يقتصد يسعى في خرابها

والاقتصاد ليس غريزة فطريَّة في الانسان بل هو خلق اكتسبهُ بالاختبار وتمكَّن منهُ بالتربية والممارسة . والانسان اميل بالطبع الى الاسراف منهُ الى الاقتصاد . ولذلك لا يقتصد المتوحشون في شيءٍ فاذا كثرت عليهم الخيرات اكلوا وشبعوا

وبذّروا ولم يبقوا الى الغد ولم يذروا . واذا قلّت عليهم تضوّروا
جوعًا وتعلّلوا بالقليل . فهم كالذئاب التي اذا اصابت قطيعًا من
الغنم لم تبقِ ولم تذر ثم تطوي على الجوع اياما حتى يضرب بجوعها
المثل . وشواهد ذلك كثيرة في كل بلاد فطالما رأينا بعض
الناس يطعمون القمح للبقر في ايام الحصاد وهم لا يشبعون من
الشعير في بعض اشهر السنة . واذا كانت ايام الفلاحة والحصاد
عملوا النهار والليل وفي غير ذلك لا يعملون عملاً يُذكر . وبعض
الناس يرصدون الخنازير البرية اشهرًا حتى اذا ظفروا بواحد
منها اكلوا من لحمهِ حتى سنقوا واطعموا كلابهم فضلاتهِ ثم تمضي
عليهم الشهور ولا يذوقون لحمًا . وكثيرون من اهالي بلادنا
يعيشون بالراحة والاسراف وهم في سن الشباب والكهولة ثم اذا
جاء سن الشيخوخة اضطروا ان يعتمدوا على اولادهم او يتضوّروا
جوعًا . وليس كذلك المتمدنون حقيقةً فانهم يقتصدون في اعمالهم
ونفقاتهم في كل فصول السنة وفي كل سني الحياة حتى لا يسنقوا
من اللحم يومًا ويقرموا اليهِ اياما ولا يعيشوا باليسر وهم في سن
الشباب وبالعسر وهم في الشيخوخة

واوّل فلّاح فلح الارض هو اول رجل اقتصد في خيراتها

فقطع بعضها عن فمه وخزنهُ الى ان جاء وقت زرعه ومن ثم شرع الناس في الاحتراف والاكتساب والاقتصاد فاضرموا النار واذابوا المعادن وسكبوا الآلات والادوات وتدرجوا في سلّم الحضارة من حال الى حال. وما اكتسبوهُ في زمان من الازمان ورثهُ الذين جاءوا بعدهم وزادوا عليهِ ما اكتسبوهُ هم بسعيهم. والاشياء المادّية التي ورثناها عن السلف ليست شيئًا يُذكر في جنب الامور المفيدة التي تعلمناها منهم والاخلاق النبيلة التي اتصلت الينا بالارث الطبيعي خلفًا عن سلف . فان الميل الى الاحتراف والاكتساب الذي نراهُ في اهل هذا الزمان ولا سيّما في الراقين منهم اعلى ذرى التمدن ليس الاَّ خُلقًا تملَّك من اسلافهم بعد طول المزاولة

وكل عمل بدني وشغل عقلي هو احتراف واكتساب . وافضل انواع الاحتراف والاكتساب ما كان سامي المبدإِ والغاية كالبحث عن الحقائق واذاعتها واغاثة الملهوفين وارشاد الضالين وتربية الصغار وغرس الفضائل في نفوسهم . والرجل النبيل لا يرتضي ان يكون عالةً على الناس كأنهُ دودة تاكل خيراتهم بل يتوخَّى ان يكون فضلهُ دائمًا على غيرهِ وان يستعبد

الناس باحسانهِ على حد قول القائل

أَحْسِنْ الى الناسِ تستعبد قلوبهمُ فطالما استعبدَ الانسانَ احسانُ
وكُنْ على الدهرِ مِعوانًا لذي أملٍ يرجو نداكَ فانَّ الحرَّ مِعوانُ
فالروضُ يزدانُ بالانوارِ فاغمةً والحرُّ بالعدلِ والاحسانِ يزدانُ

وطرق الاكتساب على انواعها هي من اوازم الحياة ومن مسرَّاتها. فان الانسان لا يحيا ما لم يصارع الطبيعة من جهة ويستعين بها من أُخرى. فهي تدعونا الى العمل والكدح لاجل تحصيل المعيشة ودفع الحرّ والبرد وهي التي تعيننا بانماء الحبوب والاثمار والاصواف والاقطان لاجل الغذاء والدِفاء. والناس متعاونون في الاكتساب فهذا يحرث الارض وذاك ينسج الصوف وذلك يخيط الثياب او يبني البيوت او يمهّد الطرق او يفتح الخلجان او يعمل غير ذلك من الاعمال. ولولا الاكتساب لنفد المال الذي في ايدي البشر وبارت الارض وهلك الناس جوعًا

يحكى ان رجلاً كان لهُ ثلاثة اولاد كسالى يحبُّون البطالة ويكرهون العمل فاشفق ان تضرّسهم انياب الجوع بعد موتهِ فدعاهم اليهِ وقد حضرتهُ الوفاة وقال لهم: يا بنيَّ ان في الارض التي ساتركها لكم كنزًا ثمينًا فاحتفروهُ منها. ولمَّا قال ذلك اسلم الروح. فخرج اولادهُ الى الارض ولما لم يعلموا اين مكان الكنز

جعل كلٌّ منهم ينقب في ناحيةٍ منها حتى نقبوها كلها فلم يجدوا فيها شيئًا . ثم زرعوها تلك السنة فجاءَت بخيرات كثيرة ففهموا حينئذٍ ان اباهم اراد بالكنز تعويدهم على العمل وما ينتج عنهُ من الخير الجزيل

وفي العمل التعب والمشقة وفيهِ ايضًا اللذة والشرف. وهو الدليل على حاجات الانسان وعلى نسبتهِ الى الطبيعة ولولاهُ ما كان الانسان ولا كان العمران. وكل عظيم ممَّا يملكهُ الانسان جاءَ بهِ العمل العقلي والجسدي فالاكتشافات والاختراعات والمبتكرات والشرائع والنواميس والقوانين كلها نتيجة العمل والتعب. واتعسُ الناس واشقاهم مَن لا عمل لهُ فانهُ لا يُرجَى منهُ نفع لنفسهِ ولا لغيرهِ. والذين اوصلوا العمران الى حالتهِ الحاضرة هم اصحاب الحرف ورجال العمل والتعب سواءٌ كانت اعمالهم جسدية كحرث الارض وتربية المواشي وبناء السفن والحصون او عقلية كتأليف الكتب ونظم الاشعار وسن الشرائع والقوانين

وتاريخ الصنائع مفعم بما يعود على الصنَّاع بالفخر فان الذي اخترع الآلة البخارية نجار وآلة الغزل حلاق والسكك الحديدية وقَّاد وامثال ذلك تفوق الاحصاء كما يظهر لمن يطالع كتاب

وليس العامل الذي يقتصر على العمل بيديهِ فان هذا لا يفرق عن الحيوان الاعجم بل العامل الذي يعمل بعقلهِ ويستعمل اعضاءهُ او اعضاء غيرهِ لقضاء اوامر العقل. وبهذا المعنى يكون الناظم والناثر والقاضي والحاكم عمّالاً مثل الفالح والزارع والحائك اذا كانت عقولهم تدرب اعضاءهم او اعضاء غيرهم على العمل

ولكنَّ العمل او الاكتساب لا يقوم بلا مال والمال لا يجمع الاَّ بالاقتصاد لان الذي يكسبهُ الانسان في يومهِ وينفقهُ كلهُ في يومهِ لا يبقى مالاً لهُ. فالمال هو ما جُمع بالاقتصاد وهو الذي يدير دولاب الاعمال ويوسّع نطاق العمران. والاقتصاد ليس غريزة في الناس كما تقدم بل خلق يربون عليهِ فيرسخ فيهم. وهو ليس بالامر السهل ولا يستطيعهُ الاَّ مَن يقوى على نفسهِ فيردعها عن هواها ويتغلَّب على اميالهِ بقوة عقلهِ

والاستعداد للمستقبل هو الحكمة العمليَّة ولكنَّ كثيرين من الناس لا يهتمون بالمستقبل ولا يعتبرون بالماضي بل هم ابناء يومهم فاذا اكتسبوا الكثير انفقوهُ كلهُ واذا اكتسبوا القليل اكتفوا بهِ واذا اخنى عليهم الدهر بكلكلهِ احنوا لهُ ظهورهم وتوسدوا التراب.

واذا وافاهم الموت واولادهم صغار تركوهم عالةً على الناس ليربوا في الفقر والشقاء وهم لو انصفوا انفسهم واولادهم لعاشوا بالكفاف والاقتصاد وذخروا الى وقت الحاجة . وما يصدق على آحاد الناس يصدق على مجتمعاتهم فالامَّة التي افرادها مجتهدون مقتصدون في نفقاتهم هي الامَّة الغنيَّةُ التي لا تهمُّها تقلبات الايام . والامَّة التي يعيش افرادها بالكسل والاسراف تبقى فقيرة لا صولة لها ولا قوة

كان في جهة من اسبانيا اثنتا عشرة الف قرية عامرة ايام كان العرب فيها وكان الاكتساب والاقتصاد ديدنهم — اما الآن وقد عادت الى الاسبانيين فلم يبقَ بها الاَّ ثماني مئة قرية لكسلهم واسرافهم . والمثل الاسباني يقول "ان الارض والسماء جيدتان والرديء بينهما" . فان الارض لم تزل على خصبها والسماء لم تزل تتعهَّد الارض بالامطار ولكن السكان تغيروا لان ذهب اميركا قد اسكرهم فاعتادوا الكسل وشمخت نفوسهم عن العمل . والآن ترى الاسباني يخجل من الشغل ولا يخجل من الاستعطاء . ومَثَلهُ مَثَلُ بعض ابناء العيال في جبل لبنان وبقاع العزيز فكم من مرة رأيناهم يستعطون وهم لا يتنازلون ان يعملوا بايديهم . والحرافشة امراء البقاع اوجدهم الله في اخصب بقعة من الارض فامسوا

بكسلهم واسرافهم يحسدون الثيران التي تدرس الحنطة لانها تشبع مماَّ لا يشبعون منهُ

وهذا شأن البشر في كل مكان فانهم فريقان مقتصد ومُسرف فالمقتصدون يبنون البيوت والمعامل ويحفرون الترع والمعادن وينشئون المستشفيات والمدارس ويديرون الصناعة والتجارة والعلوم والفنون والمسرفون يشبعون يومًا ليجوعوا اياماً ويموتون في خدمة المقتصدين. فالتمدن اساسهُ الاكتساب والاقتصاد وآفاتهُ الكسل والاسراف

ديانة اهل الهند

لجناب يوسف افندي بَشْتِلي

تنقسم ديانة الهنود الى مذاهب شتى ولكلٍّ منها دستور وطريقة عبادةٍ. الاَّ ان جميعهم يعتبرون الكتب المقدسة المسماة بالفيدا اعتبارًا شديدًا ويحسبونها دستورًا لايمانهم وان لم يسلكوا بموجبها تماماً. وقبل الشروع في البحث عن اعتقاداتهم نذكر شيئاً عن اصلهم فنقول: كانت بلاد الهند مسكونة بقبائل قديمة لا يُعرَف عنها الاَّ القليل. ثم فتحها اقوام من التتر والمغول في اواخر

القرن الثامن بعد المسيح وظلت تنتقل من أمَّة الى أُخرى الى ان وقعت في يد الامة التي كتبت كتبهم باللغة السنسكريتية. وهذه اللغة اصل لغات عديدة كلغة الفرس وكل لغات اوربا الاصلية. ومنها استدلَّ علماء التاريخ على ان كل الشعوب الذين يتكلمون باللغات المار ذكرها هم من اصل واحد وربَّما تفرعوا من قبيلة سكنت قديمًا شمالي هندكوش وشرقي بحر قزبين في اسيا. ويظهر من آثار هذه الامَّة انها كانت حائزة على درجة متوسطة من التمدُّن قبل تفرقها. فرحل جانب كبير منها أُولاً قبل المسيح بنحو ٣٠٠٠ سنة ودخل اوربا مارًّا في بلاد الفرس واسيا الصغرى والارجح ان منهُ من دخل اوربا من جنوبي البحر الاسود وسكن جنوبيها كايطاليا واليونان. ومنهُ من دخلها من شمالي بحر قزبين وسكن شماليها كروسيا وبولاندا وبوهيميا وبلاد السرب. ثم رحل بعض من بقي جنوبًا وفتحوا بلاد الهند وسكنوها وسكن البقية بلاد العجم وهم اسلاف اهل مادي وفارس. وكانوا يسمون انفسهم بالايرانيين ولم يزل هذا الاسم يطلق على اهل العجم الى يومنا هذا ويستدل من كتب الفرس الدينية المسماة زندافستا ان اهل الهند وفارس كانوا شعبًا واحدًا وقبيلةً واحدة وانقسموا

لاختلافات دينيَّة وقعت فيما بينهم . والارجح ان ازدحام السكان مع اختلاف الاقليم والانشقاقات الدينية اضطرتهم الى هذا التشتت . فسكن الذين رحلوا الى الهند اواسطها بالقرب من نهر الكنج ومن هناك شرعوا في التغلب على الجهات المجاورة شيئًا فشيئًا الى ان اخضعوها كلها واستعبدوا اهاليها الاصليين وادخلوا دياناتهم ولغتهم الى كل انحاء المملكة . الَّا ان لغتهم لم تثبت في جنوبي الهند

ونشأ بالهند في القرن السادس ق . م . ديانة بوذا الشهيرة وانتشرت في جانب كبير منها واستمرت الى القرون الاولى للمسيح ثم انحطت كل الانحطاط فرجعت ديانة البراهمة ثانيةً . اما ديانة بوذا فانتقلت من الهند الى مواضع اخرى كالصين والجزائر الشرقية وسيلان وشمالي اسيا ويبلغ اتباعها في هذه الايام نحو ٤٠٠ مليون نفس او ثلث البشر . وبقي جم غفير من الشعب الاصلي على لغتهم واعتقاداتهم الدينية ويبلغ عددهم ٢٠ مليونًا * ويقسم تاريخ الديانة البرهمية الى ثلاثة ازمنة وهي زمان الفيدا (١) نسبةً الى كتب

(١) لم يعرف تمامًا وقت كتابة هذه الكتب الَّا ان علماء الهنود يقولون ان الشروع في كتابتها كان في القرن الثاني عشر قبل المسيح وختامها في بداية القرن الثاني قبل المسيح

الفيدا المار ذكرها وزمان الراماياانا(٢) وزمان البيورانا(٣)

الاوَّل زمن الفيدا * والفيدا اسم لاربعة مجلدات ضخمة فيها اعتقادات الهنود ويسمَّى اقدمها ريغ فيدا وهو يحتوي على ١٠٢٨ تسبيحة تشتمل على ١٠٤١٧ بيت شعر مركبة من ١٥٣٨٢٦ كلمة . وقد ترجمها حديثًا اللغوي مكس ملر الى اللغة الانكليزية (انظر وجه ١٩٣ من مقتطف السنة السابعة) وهي تصف حالة الهنود قديمًا وتنفي ما ظنهُ الاكثرون من انهم كانوا قومًا رحلاً غائصين في وهدة الجهل والتوحُّش فانهُ يستدلُّ منها انهم كانوا يسكنون المدن وترأَّس عليهم ملوك وامراء اقوياء وكانوا ذوي ثروة وغنًى يفلحون الارض وينسجون القطن ويسبكون المعادن ويصنعون العجلات والدروع وكل انواع الحلى الثمينة . وبرعوا في فن الموسيقى . ويذكر فيها ايضًا عن بعض غزواتهم برًّا وبحرًا وعن معرفتهم بالطب والفلك الخ . واغلب صلوات هذا المجلد مقدمة للشمس والبرق والريح وما اشبه لتنعم عليهم بالحرارة والمطر والصحة

(٢) نسبة الى قصيدة بهذا الاسم والمرجح ان هذه القصيدة كتبت مع أُخرى تدعى مهابارانا في القرن الاول للمسيح

(٣) كلمة تطلق على اصلاحات دينية حدثت في القرون الوسطى وسيأْتي الكلام عليها

والخيرات على انواعها . والشرير عندهم من لا يقدم هذه الصلوات. وتُعرَف هذه العبادة بعبادة العناصر · ولم يَطُل الزمن على الهنود حتى نسبوا الخلق الى روح ازلي سمَّوهُ براهما وقالوا ان حياة الانسان تصدر منهُ واليهِ مرجعها

الثاني زمن البيورانا ٭ كل ما يُعرَف عن هذا الزمن مأخوذ من قصيدتين اشهرها رامايانا والاخرى مهاباراتا · والاولى تاريخ حياة راما احد آلهتهم المتجسّدة وهي احسن قصيدة باللغة السنسكريتية وتضاهي اسفار هوميرُس عند اليونان وتشتمل على ٢٤٠٠٠ بيت شعر وقد ترجم جزءٌ منها الى اللغة الانكليزية · والثانية تبحث عن تاريخ عائلة ملوك باراتا وتحتوي على مئة الف بيت · واشتهر في هذا الزمن مذهبان احدها العامي والآخر الفلسفي · وانقسم المذهب الفلسفي الى ثلاثة مذاهب ويُعرَف المذهب الاول منها بفلسفة العدد لانهم يعللون الاسباب بالاعداد ويذهبون الى ان جواهر كل الاشياء ٢٤ وهي الطبيعة والعقل والعناصر الاصلية وهي خمسة والجواهر وهي خمسة ايضاً والحواس وهي ١١ والضمير . وذهب بعض اصحاب هذا المذهب الى ان الطبيعة اصدرت الكون بما فيهِ وانكروا خالقها . اما البعض الآخر

فاعتقدوا بوجود الهٍ ازلي وان روح الانسان تذهب اليهِ بعد الممات وتصير جزءًا منهُ . وكانوا يعذبون اجسادهم بعذابات فظيعة لينالوا تلك السعادة ٠ فمنهم من يجلس في مكان واحد سنين عديدة بدون ان يبدي حركة فتيبس اعضاؤهُ وتنمو اظافرهُ فتخرق كفيهِ وتنفذ من ظهر اليد . وقيل ان احدهم بقي مدَّة على هذه الحالة في برية فنما الشوك حولهُ ونشب فيهِ وكاد يقتلهُ . واتت العصافير وبنت اوكارها على كتفيهِ ولم تخف منهُ لانهُ كان كقرمةٍ من الخشب ٠ اما المذهب الثاني من المذهب الفلسفي فمبني على المنطق ويعتقد انصارهُ ان العالم مكوَّن من تجمع جواهر ودقائق لا تفنى فهي من الازل وتدوم الى الابد . وسلك اصحاب المذهب الثالث حسب كتب الفيدا واعتقدوا ان كل شيءٍ من الهٍ سرمدي وان روحهُ حالَّة في كل شيءٍ حتى الجوامد ٠ واعتقادهم بحالة الروح بعد فراق الجسد عجيب جدًّا . فيزعمون ان النفس تطير عند الموت الى القمر وتبقى مدة ثم تسقط الى الارض ثانيةً على هيئة المطر فيمتصها بعض النبات ثم تدخل جسد الحيوان الذي يقتات منهُ ثم تتقمص من حيوانٍ الى آخر الى ان تتطهر فتصلح للسكن في دار السعادة . واختلف اصحاب هذا المذهب في

الخليقة فمنهم من اعتقد ان براهما خلق العالم من مادته وانكر البقية وجود المادة وقالوا ان كل ما نراه ليس الا خيالاً ووهماً وان براهما يجعل الاشياء تظهر كما هي. وهذا يماثل ما يعتقده بعض المحدثين من ان الاشياء صور عقلية لا اجسام مادية

الثالث زمن البيورانا نسبة الى الكتابات المسمَّاة بيورانا وقد ذهب الاكثرون الى انها قديمة جداً من عهد الفيدا ولكن ثبت الآن للمدققين ان كهنة الهنود كتبوها في القرون الوسطى للمسيح لمَّا رأوا الفساد قد انتشر وتفرق الشعب الى احزاب وعبد كلٌّ منها الهاً اشهرها ثلاثة وهي براهما وفيشنو وسيفا وادَّت هذه الاختلافات الى انشقاقات كبيرة . فكتبوا هذه الكتابات وجمعوا فيها الآلهة الثلاثة في الهٍ واحد ونسبوا الخليقة الى براهما والعناية الى فيشنو والخراب الى سيفا . ولم يزل هذا اعتقاد العامة الى الآن . اما الفلاسفة والعلماء فيعتقدون بوجوب وجود الهٍ واحد ضابط هذا الكون بحكمةٍ فائقة لا يدركها العقل البشري وان قضى العمر في البحث عنها . وسنأتي على معتقدهم في الخليقة والخلود ان شاء الله

اعتناء الفرنسويين بالازهار العطرة

يزرع الفرنسويون النباتات الطيّبة الرائحة كالورد والياسمين ويقطفون ازهارها في الصباح قبلما يجفُّ الندى عنها ويبسطون اوراقها بين صفائح من الزجاج مدهونة بالشحم (جزءان من شحم الخنزير وجزءٌ من شحم الغنم) ويضغطونها فيمتصُّ الشحم المادَّة العطرة من الازهار . ثم يأخذهُ المشتغلون باستخراج العطورات ويستخرجون المادَّة العطريَّة منهُ بواسطة السبيرتو ٠ وللفرنسويين ربح وافر من ذلك فان ارضًا مساحتها ٢٣ فدانًا واجرتها السنويَّة ١١٣ ريالًا غلَّت سنة ١٨٨٥ اكثر من ٤٢ الف ريال وكان ربحها بعد طرح كل النفقات اكثر من ٧٧٦٧ ريالًا

كذبة صغيرة قتلَت ولدًا

نشب عظم في حلق ولد فخرج ابوهُ يعدو وراء الطبيب فوجدهُ قد خرج من بيتهِ . ورأى امام البيت ولدًا صغيرًا فقال لهُ هل رأيت الطبيب خرج من هنا وفي اي الطرق ذهب فقال الولد نعم وقد ذهب في هذا الطريق وأشار الى طريق آخر غير الذي ذهب فيهِ الطبيب فذهب الرجل وراءهُ ولم يجدهُ ومات ابنهُ اختناقًا في غضون ذلك ٠ ولو سار في الطريق الذي سار فيهِ الطبيب لأدركهُ حالًا ونجَّى ابنهُ من الموت

مدفع المستقبل

كتب بعضهم في جريدة الكرنت الاميركية يقول "يزعم البعض ان اطول مجال تصل اليهِ كرات المدافع هو خمسة عشر ميلاً وان زاد عن ذلك صار الغرض تحت افق الذي يطلق المدفع فلم يعد يراهُ. اقول وهذا خطأٌ فانهُ يمكن ان تكبَّر المدافع حتى يصير مداها اثني عشر الف ميل وحينئذٍ تُركَّب على آلات كما تُركَّب النظارات حتى اذا وقع خلاف بيننا وبين جرمانيا مثلاً كما وقع حديثاً بسبب ما طعن بهِ الجرمانيون على الخنزير الاميركي واشهرنا عليها الحرب يحسب فلكيُّونا درجة طول مدينة برلين وعرضها ورياضونا مقدار البارود اللازم لدفع الكرة من هنا اليها. ويحشو المهندسون المدافع ويطلقها الكهربائيون في الدقيقة التي يعينها وزير الحرب فتطير الكرة فوق البر والبحر وتصل الى مدينة برلين وتقع فيها. نقول لا يخفى ان الكاتب بالغ كثيراً في ما ارتأى امكان عملهِ ولكن المدافع قد كبرت في هذه الايام كبراً فاحشاً فصُنع منها ما زنتهُ نحو مئة وستين الف اقة. وتدقيق الرياضيين قد بلغ حدًّا يفوق التصديق في تحكيم المدافع على الغرض كما ظهر في ضرب الاسكندرية. فلا يبعد ان يأتي زمان تُصنَع فيهِ مدافع نسبتها الى مدافع هذه الايام نسبة هذه الى اول مدفع صُنع في اسبانيا في الجرم والتدقيق. وتستنبط انواع جديدة من البارود نسبتها الى بارودنا نسبة بارودنا الى بارود القدماء في القوَّة. وتُحشَى الكرات بمواد قتالة بحسب ما اشار جول فرن في احدى رواياتهِ فتطلق الكرة منها من بلاد الى اخرى وتقع في المدينة فتخربها وتميت اهاليها. ولكننا نرجو ان تتفق دول الارض على الغاء الحروب قبل ذلك الزمان. والله العلم بمستقبل الامور

لا تيأَسنَّ من اللبيبِ وان جفا   واقطعْ حبالكَ من حبالِ الاحمقِ
فعداوةٌ من عاقلٍ متجمّلٍ   أولى واسلمُ من صداقةِ أخرقِ

الجزء الحادي عشر من السنة الاولى

الاسراف والاقتصاد

الراحة غاية ما يتمنَّاهُ الناس في هذه الدنيا . وما من احد الاَّ واسباب الراحة ميسورة لهُ اذا اجتهد في الاكتساب واقتصد في النفقات . والاكتساب اسهل من الاقتصاد فان كل احد قادر ان يكتسب وان يزيد اكتسابهُ ولكن المقتصدين في نفقاتهم قلائل ولهذا ترى الفقراء اكثر من الاغنياء

ومن المعلوم ان حالة التمدن الشائعة الآن في اوربا قد آلت الى حصر رأس المال في فريق قليل من البشر ولم تبقِ للعملة وهم الجمهور الاكبر رأس مال يعتمدون عليهِ فاضطروا ان يأجروا انفسهم لغيرهم ويتعبدوا لهم . وهذا الشر سينتشر في كل مكان يدخلهُ التمدن الاوربي فتصير الارض والمقتنيات

والمعامل والآلات والادوات ملكاً لبعض الخاصة ويضطرّ العامة ان يأجروهم انفسهم فيعملوا عندهم بالاجرة هذا اذا لم تشع بينهم مبادئ الاقتصاد. وربما انتشر هذا الشر شاعت مبادئ الاقتصاد ام لم تشع وحينئذٍ لا سبيل للعامة الاَّ ان يقتصدوا في نفقاتهم ويبتاعوا بعض اسهم الشركات الكبيرة التي تستولي على الارض والمعامل فيصيروا قسماء لها في ربحها. وهذا شيءٌ من الاستقلال وبعض الشر اهون من بعض

وكم من عامل صغير اقتصد في نفقاتهِ فلم يطل عليهِ الزمان حتى صار ربَّ معمل كبير وكم من اجير امتلك الارض التي كان خادماً لصاحبها. قال بعضهم زرتُ احد معامل النسج فوجدت فيهِ اربعة آلاف عامل يعملون معاً في بناءٍ واحد وكان معي واحد من اصدقائي فلما التقينا بصاحب المعمل التفت صديقي اليَّ وقال مشيراً اليهِ ان فلاناً كان اجيراً في هذا المعمل منذ خمس وعشرين سنة والآن صار المعمل كلهُ ملكاً لهُ باجتهادهِ واقتصادهِ. فقال صاحب المعمل ان امتلاكي لهذا المعمل لم يتوقف كلهُ على اجتهادي واقتصادي بل على اجتهاد زوجتي ايضاً واقتصادها فانني لما تزوجتُ بها كانت تعمل فيهِ وكانت اجرتها سبعة غروش

كل يوم

ومن لا يرى بين جيرانهِ ومعارفهِ اناساً كثيرين كانوا اجراء في اول حياتهم وهم الآن يملكون المعامل الكبيرة والاملاك الوسيعة واناساً غيرهم كانوا يجرُّون اذيال الفخار ويتنعمون بالاموال الوفيرة وهم الآن على بساط الفقر والذل وما من سبب لذلك الَّا ترفهم واسرافهم

وما من احد ينكر فائدة الاقتصاد فلا يضطرُّ الكاتب ان يقيم عليها الادلة ويأتي بالشواهد. وليس الاقتصاد من الفضائل التي يجبر الانسان نفسهُ عليها فتؤلمهُ او يضطر بسببها ان يفقد الراحة ويتحمل التعب ويتجشم المشقات اذ ليس المقتصد من ينكر على نفسهِ الراحة والمسرَّة ويعيش بالتقتير والكدر بل هو الذي ينفق بحسب حاجاتهِ ويتجنب تبذير اموالهِ سدًى وانفاقها في ما لا نفع منهُ

والمقتصدون مكرَّمون من جميع الناس حتى من المسرفين والمقترّين. فلا يلومهم احد على الاسراف ولا على الشح لانهم متوسطون بين الطرفين. وهم اقدر على التمتُّع بالمسرَّات من المقترين لان المقترين يمنعهم بخلهم من الانفاق على المسرَّات

والمسرفين لا يبقى بيدهم ما يكفي للانفاق عليها في وقتها. ترى ذلك عند اكثار اغنياء المغرب في الاسفار والانفاق على الاعمال النافعة التي تنبسط النفس من مجرَّد ذكرها. ومعلوم ان التجُّول في الاقطار ومشاهدة ما فيها من غرائب الآثار والوقوف على احوال الناس في بلدانهم المختلفة فيها من المسرَّة والفكاهة ما يأخذ بمجامع القلوب وتصبو اليهِ نفوس ذوي النهى. وكذا الاشتراك في الاعمال النافعة كبناء المدارس والمشاهد والمستشفيات ومساعدة الفقراء والايتام واغاثة الملهوفين والمحتاجين كل ذلك من الاعمال الجليلة المبرورة التي تملأُ قلب عاملها سرورًا وتنطق الالسنة بمدحهِ وتنشر لهُ لواء الشكر في كل مكان. وحَسْبُ المرء من دهرهِ ان يكون مسرورًا مشكورًا

اما اغنياء بلادنا ولا نعلم من نستثني منهم فاما ان يمنعهم البخل عن الانفاق على هذه الامور فيورثون اموالهم لمن يبذرها في السكر والمقامرة او يمنعهم الترف عن الانفاق عليها لانهم ينفقون دخلهم كلهُ في الملاهي والملاذّ حتى لا يبقى معهم من سنة الى أُخرى ما ينفقونهُ على المسرَّات الحقيقية النافعة لهم ولغيرهم

والانسان ما دام في هذه الدنيا فهو عرضةٌ للعطلة والمرض

والموت فان تعطَّلَ عملهُ بسبب وقوف الاعمال او مزاحمة الاقران ولم يكن عندهُ شيءٌ من المال ليتعلل بهِ حتى تسهل لهُ طرق الكسب وقع في حيرة ولا حيرة الضب واضطرَّ ان يخدم اصحاب الاعمال بل ان يستعبدهم . واما اذا كان عندهُ مال فيختار العمل الذي يناسبهُ ويشترط الشروط التي توافقهُ . وكذا اذا اصابهُ مرض فانهُ اذا كان صفر اليدين زاد الهمُّ مرضهُ الماً واخَّر وقت شفائهِ فاضطرَّ ان يستدين الدواء واجرة الطبيب ونفقات بيتهِ حتى اذا منَّ الله عليهِ با لشفاء وجد على عاتقهِ حملاً من الدين ثقيلاً لا يقدر القوي على حملهِ . واما اذا كان عندهُ مال يكفي لنفقاتهِ فان راحة بالهِ تعجل وقت شفائهِ

والعطلة والمرض قد يدفعهما الانسان بالتدبير ومراعاة قوانين الصحة واما الموت فلا دافع لهُ . واذا مات الانسان عن ارملة واولاد صغار ولم يترك لهم مالاً يكفي لحاجاتهم فهناك البليَّة الكبرى . وكم من رجل من اهل المقامات الذين يعيشون كأنهم في بحبوحة الغنى يموت ولا يترك وراءهُ ثمن كفنهِ . او يترك زوجةً واولاداً لا معين لهم ولا ملجا فيرتدون الذلَّ بعد العز ويتجرَّعون غصص الحياة ولا ذنب لهم الاَّ ما جناهُ ذلك الوالد المسرف

الذي كان ينفق دخلهُ كلهُ فتركهم عالةً على الناس ولو انصف نفسهُ وزوجتهُ واولادهُ لاقتصد في نفقاتهِ قليلاً وابقى لهم شيئاً يمنع عنهم العوز

ومن لا يقدر ان يوفر عشرة غروش كل اسبوع . فاذا وضعها في بنك من بنوك الاقتصاد صارت مئة وستين ليرة في عشرين سنة ومئتين وثمانين ليرة في ثلاثين سنة . واذا دفعها لشركة من شركات التأمين على الحياة (السكورته) اعطت ورثتهُ يوم موتهِ ثلثمئة ليرة . واقل الناس يدخن كل يوم من التبغ ما ثمنهُ غرش او نصف غرش . وليس للتبغ من فائدة تذكر فاذا ابطل التدخين وجمع المال الذي ينفقهُ عليهِ وأمَّن حياتهُ وهو ابن احدى وعشرين سنة تدفع شركة التأمين لورثتهِ اكثر من عشرين الف غرش

ويجب على الناس ان يستعدوا لامر آخر عدا العطلة والمرض والموت وهو الشيخوخة فيجب ان يقتصدوا في شبيبتهم وكهولتهم لتسهل عليهم ويلات الشيخوخة . والشبيبة سن الاقتصاد والشيخوخة سن الاسراف لان المال الذي يجمعهُ الانسان في شبيبتهِ يبقى لهُ ليتمتَّع بهِ في شيخوختهِ او يتقوَّت بهِ اولادهُ اذا مات

كهلاً وتركهم قصَّراً واما اذا اقتصد في شيخوختهِ فاقتصادهُ في غير محلهِ لانهُ لا يأْخذ من مالهِ شيئاً واذا تركهُ لاولادهِ بعد ان يبلغوا اشدهم فقلَّما ينتفعون بهِ . واذا كان لا بدَّ من الاسراف فليكن في الشيخوخة . وما من شيءٍ يفتت الاكباد مثل ان ترى شيخاً عاجزاً قد حنى الدهر ظهرهُ وبيضت الليالي مفرقهُ يتوكأُ على عصاهُ ويلتمس الاحسان من فلان وفلان ولاسيَّما اذا كان ممَّن عاشوا في الرخاء لا في العسر . ولا اقبح من ان ترى شاباً كثير الدخل ينفق دخلهُ كلهُ على ما لا طائل تحتهُ بل على ما يضرُّ بصحتهِ واسمهِ وآدابهِ

أَيُصدَّق ان كثيرين من المستخدمين في الحكومة المصرية لا يتوسَّط الشهر حتى ينفقوا كل ما بيدهم ويستدينوا على اجرة الشهر المقبل وأُجرهم لو اعتدلوا في نفقاتهم وانفقوا على الضروري فقط لامكنهم الاكتفاء بنصفها على الاكثر . ما هذا الاسراف بل ما هذا الاتلاف . مَن يلوم الرجل اذا وضع نصف اجرتهِ في البنك وانفق النصف الآخر على حاجاتهِ الضرورية . اومَن يمدحهُ اذا انفق دخلهِ في يوم واحد

يقول البعض ان حاجات الانسان لا تقتصر على المأْكل والمشرب والملبس والمسكن بل لا بدَّ لهُ من استعمال اسباب

السرور والفرح. وهذا هو الواقع ولكن ايُّ الرجلَين اشدُّ سرورًا أَلذي يأكل كفافهُ ام الذي يأكل اكثر من كفافهِ فيتخَّم ويصيبهُ عسر الهضم وما يتبعهُ من الالم والسوداء وصغر النفس. وايُّ الرجلين اشدُّ سرورًا أَلذي يذهب الى فراشهِ قبل نصف الليل بساعتين وينام الى الصباح مرتاحًا ام الذي يذهب الى الفراش بعد نصف الليل بساعتين وينام ثلاث ساعات فقط او اربعًا. وايُّ الرجلين اشدُّ سرورًا أَلذي يملأُ معدتهُ بمختلف الطعام والشراب ورأْسهُ بسوْرة الخمور والهواجس ويمزح ويضحك الناس عليهِ ثم يتمرَّغ في قيئهِ ام الذي يعيش بالاعتدال فيأْكل ليعيش ويعاشر الناس ليسرهم ويسروهُ ويفيدهم ويفيدوهُ. أَلا يمكن ان يبلغ الانسان مبلغًا يُسَرُّ فيهِ ما لم تكن معدتهُ متأَلمة من ضخامة الطعام وعينهُ محمرَّة من كثرة السهر ورأْسهُ مضطرب من شدَّة السكر وقوَّتهُ خائرة من ارتكاب المحارم

ان السرور الحقيقي الذي ينعش النفس ويطيل العمر هو في الاعتدال بالمآكل والمشارب حتى تبقى الصحة مستكملة وفي الاكرام الذي ينالهُ الانسان من الناس. وهذا الاعتدال يقتضي الاقتصاد بالطبع وذلك الاكرام لا ينالهُ الانسان الَّا اذا كان

رزيناً مستغنياً عن الناس مفيداً لهم

والاقتصاد شريف في نفسهِ وشرفهُ ذاتي لا نسبيٌّ فان اغنى الاغنياء الذي يمكنهُ ان ينفق الف دينار كما تنفق انت الدرهم الواحد لا يُعاب عليهِ الاقتصاد . فاذا رأَيتهُ يلمُّ عن الارض كسرة خبز او قطعة ورق لكي لا تضيع سدًى لا يمكنك الَّا ان تنظر اليهِ بعين الهيبة والوقار . وافقر الفقراء اذا رأَيتهُ يفعل ذلك مدحتهُ كما تمدح الغنيَّ وما هذا الَّا لان الاقتصاد فضيلة بالذات

والاقتصاد شريف ايضاً في ما ياول اليهِ فانهُ ياول الى النزاهة والاعتدال والاقتدار على مساعدة المحتاجين وكل ذلك من الفضائل التي تشرّف الاقتصاد وتجعلهُ من اسمى المطالب

واذا كان الناس مسرفين فاليسر اضرُّ بهم من العسر لانهم يزدادون باليسر اسرافاً وتوغُّلاً في الترف فتتملك منهم ملكة الاسراف مع ما يصحبها من الخصال المهلكة . ثم ان اليسر لا يدوم لاحد ولاسيَّما للمسرفين فتتضرّسهم انياب الفقر . ولذلك لم ينتفع اهل هذا القطر كثيراً من الخيرات التي انهالت عليهم بارتفاع اسعار الاقطان في ايام حرب اميركا ولا بالاموال الوفيرة التي استدينت من اوربا بل ان كثيرين منهم انضرّوا بسبب ذلك ضرراً بليغاً

ولم يزل الضرر لاحقًا بالبلاد ولا سيّما لان المال لم يأتِ من اوربا الاَّ وقد اتى معهُ اصحاب المسكرات والملاهي وانتشروا في كل مدن هذا القطر كالزنابير والافاعي . وهم اكبر بليَّة ابتليت بها هذه الديار . والفريق الذي لا يميل الى الاسراف وطبعهُ الشح يجمَع المال وهو لا يعرف ان يستخدمهُ لنفعهِ ونفع غيرهِ فتفوتهُ الفائدة المقصودة من المال . فانهُ عوضًا عن ان يستخدمهُ لتهذيب عقلهِ وتوسيع مداركهِ واصلاح حالهِ ومآلهِ ومعونة اخوانهِ واجتناء ثمار اللذة الادبيَّة يجمعهُ في خزانة من الحديد الى ان يولد لهُ ولد مجنون يبذرهُ في سنة من الزمان وهذا هو البخل بعينهِ وهو مذموم كالاسراف

ديانة اهل الهند

لجناب يوسف افندي بَشْتَلي (تابع ما قبلهُ)

الخلق والمعاد * قد حاول البشر في كل زمان ومكان ان يعرفوا كيفية الخلق والمعاد ومنهم الهنود فارتاوا ان الخلق على قسمين خلق العناصر وخلق الاجسام من هذهِ العناصر . وقالوا ان كل سنة من سنينا تعادل يومًا من ايام الآلهة وان كل ١٢٠٠

سنة الهيَّة تنقسم الى اربعة ازمنة غير متساوية طول اولها ٤٨٠٠ سنة والثاني ثلاثة ارباعهِ والثالث نصفهُ والرابع ربعهُ وهو الزمن الحالي. وبما ان اليوم الالهي يعادل سنة بشريَّة فكل ١٢٠٠٠ سنة الهيَّة تعادل ٤٣٢٠٠٠٠ سنة بشريَّة (وهذا عدد الايام في السنة الالهيَّة) وكل الف زمان تعادل يومًا برهميًا فاليوم البرهمي يعادل ٤٣٢٠٠٠٠٠٠٠ سنة بشريَّة. ويزعمون انهُ بعد غروب شمس هذا اليوم يرخي ليل براهما سدولهُ وهو يعادل ذلك النهار طولاً فينام فيهِ براهما وتنحل العناصر وتتلاشى الاكوان. وبعد نهاية الليل يستيقظ من غفلتهِ ويخلق خلقًا جديدًا

وتتألَّف سنة براهما من ٣٦٥ من هذه الايام ومدَّة حياتهِ ١٠٠ سنة (هو الآن حسب زعمهم في السنة الخمسين من عمرهِ) وبعد وفاتهِ يقوم الهٌ آخر باسم براهم ويعيش مئة سنة أُخرى والفرق بينهما ان براهما شخص حقيقي والكون موجود حقيقةً في زمانهِ واما براهم فيتلاشى الكون كلهُ في ايامهِ حتى العناصر ولا يبقى سوى روح براهم فقط ثم يدور الدور ويرجع براهما ثم براهم وهكذا الى ما شاء الله

اما كيفية خلق الانسان الاول عندهم فعلى هذا النمط وهو ان براهما انقسم الى قسمين ذكر وانثى فولدا الاله فيراج وهذا خلق مانو

وخلق مانو من روحهِ كل نسمةٍ حيَّةٍ ومنها الانسان . ويعتبر الهنود مانو بمنزلة الخالق . وخلقهُ للبشر يختلف بحسب رتبهم ويقولون ان الانسان كان في الزمن الاول من الازمنة الاربعة المتقدم ذكرها راتعًا في بحبوحة الراحة ونضارة العيش سالمًا من كل مرض ٍ امنًا من كل ملمَّةٍ حاصلاً على كل ما يتمناه وكان عمرهُ ٤٠٠ سنة فانحط شيئًا فشيئًا في الازمنة التالية وقصر عمرهُ الى ان وصل الى الدرجة التي هو فيها الآن فصار عمرهُ ربع ما كان اولاً . وهو الآن معرض للامراض والاخطار وملطخ بالخطايا والآثام وسينحط اكثر فاكثر عند نهاية هذا الزمان وتقصر حياتهُ جدًّا فينسى خالقهُ ويعيش بالاثم وتقلّ محصولات الارض ويندر هطول المطر ولا يزيد عمرهُ حينئذٍ عن ١٦ سنة . ويحمل النساءُ في السنة الخامسة او السادسة من عمرهنَّ

رتب الشعب * ينقسم الشعب الهندي الى اربع رتب الاولى البراهمة ووظيفتهم درس الكتب الدينيَّة والفقهيَّة وتقديم الذبائح والتعليم . والفقير منهم يعيش على احسان بقيَّة الرتب . الثانية الكشتريا ووظيفتهم وقاية الشعب وصيانتهم ومنهم الجنود والاشراف والملك . الثالثة الفاسيّا وحرفتهم حراثة الارض

وتربية المواشي والتجارة. الرابعة السودرا ووظيفتهم خدمة الثلاث الرتب السابقة · ويعتقد الهنود كما ذكرنا آنفًا ان اصحاب هذه الرتب يمتازون في خلقهم. فمانو وهو الخالق خلق البراهمة من فمهِ والكشتريا من يدهِ والفاسيًا من فخذهِ والسودرا من رجلهِ. وفي يد الثلاث الرتب الاولى زمام المملكة ومحور الاشغال وليس للسودرا حقوق سياسيَّة ولا دينيَّة فلا يؤذن لهم ان يلمسوا الكتب المقدسة الَّا انهم ليسوا من رتبة العبيد فلا يقدر سيدهم على بيعهم ولا يمكن لهم ان يتحرروا او يرتقوا الى رتبة اعلى وكذا بقية الرتب فكل من ولد في رتبة بقي فيها الى الممات. ويمتاز السودرا عن البقية بلون بشرتهم القاتم وهذا مما جعل الاكثرين يحكمون بانهم من بقايا اهل الهند القدماء لا من اصل بقية الرتب· وهم محتقرون احتقارًا شديدًا فاذا اهان احدهم برهميًا باللسان فقط يقاص قصاصًا صارمًا اقلهُ بقطع لسانهِ. ويحتملون ذلك بالصبر متوقعين الانتقال بعد الموت الى رتبة اعلى اذ انهم يعتقدون بالتقمص او تناسخ الارواح كما سيأتي

وكان تقسيم الشعب الى رتب جاريًا عند المصريين القدماء (انظر الصفحة ٢٨٢ من السنة السابعة من المقتطف) اما رتب الهنود

في وقتنا الحاضر فتختلف عن الرتب الاصلية كثيرًا ولا يوجد بينهم رتبة مستقلة الاَّ البراهمة وكثيرًا ما ترى جنديًا او طباخًا اصلهُ برهميٌّ

التقمص * اعتقد بالتقمص اكثر الامم المتمدنة كالهنود والصينيين والمصريين وبعض فلاسفة اليونان وغيرهم وهذا مما يدلُّ على اعتقادهم بخلود النفس وهول يوم الحشر والنشر. ويذهب الهنود الى ان الروح من الآلهة مصدرها واليها مرجعها ولا بدَّ قبل رجوعها اليها من تطهيرها من كل اثم ودنس لتصلح للرجوع الى القداسة الابدية. وفي كتبهم ان من قتل برهميًا تقمصت روحهُ الى كلب او خنزير او جحش او جمل او ثور او شاة او عنزة وذلك حسب جرم ذنبهِ. واذا سكر البرهمي هبطت روحهُ الى جسد دودة ونحوها من الهوام المضرة ومن سرق قمحًا صار فارة. اما من عاش عيشةً مرضية لخالقهِ فيترجى الانتقال الى درجة عالية بعد الموت. والبراهمة اقدس قوم واقرب للآلهة من غيرهم فيحظى البار منهم عند موتهِ بالسكن في فردوس النعيم بدون تقمص. اما آحاد بقية الرتب فلا يمكنهم ذلك بل يتقمصون عند موتهم الى رتب اعلى من رتبهم التي كانوا فيها وهكذا الى ان يصلوا الى رتبة البراهمة

ومن ثم الى الفردوس. وطمعاً بهذه السعادة يجتهد السودرا كالبرهمي في ان يحيا حياة طاهرة مستقيمة

آلهتهم * ابتدأ الهنود بعبادة النور والشمس والاجرام السموية. واول اله عندهم يسمَّى ايندرا وهو بمنزلة زفس عند اليونان والمشتري عند الرومانيين وكانوا يقدمون لهُ الذبائح اظهاراً لخضوعهم لهُ واحترامهم اياهُ الّا انهم فسدوا فاعتبروها كقوة سرية بها يدرك الانسان كل ما يتمناهُ من الآلهة. ثم اعتقدوا بالهٍ آخر يسمَّى برهمنسباتي اي "اله الصلاة" وكانوا يقدمون لهُ الصلاة ولم يلبثوا طويلاً حتى اعتبروا الصلاة الوسيلة الوحيدة التي بها ينال الانسان خيراتهِ العالمية فعبدوها تحت اسم براهم وهو يضاهي كاوس عند اليونان خالق السموات والارض وما فيهما ومن ثم فسدوا كثيراً وجعلوا لكل شيءٍ الهاً وفاقوا على اليونان في كثرة الآلهة فعدد آلهة اليونان نحو ٣٠ الفاً واما عدد آلهة الهنود فثلاث مئة وثلاثون مليوناً. فتأمل

السمك المقاتل

هذا نوع من سمك الماء العذب يقطن البلاد الواقعة في الجنوب الشرقي من آسيا ولاسيما بلاد صيام حيث يحفظ في حياض

من الزجاج كما يحفظ السمك الملون او السمك الذهبيُّ عندنا . والغرض من حفظهِ كذلك عند اهالي صيام التفرُّج على قتالهِ فانهُ اشدُّ الاحياء قتالاً فلا تكاد السمكة منهُ ترى السمكة الأُخرى حتى تتهاجما وتتقاتلا قتالاً هائلاً . بل أن السمكة اذا رأَت صورتها في المرآة هبت اليها تطلب قتالها

واهالي صيام مولعون بمشاهدة قتال هذا السمك ومنهم من مهنتهُ تربيتهُ وعرضهُ على الناس للتفرُّج . ومنهم من يجعلها المراهنة على غلبة سمكة على أُخرى والرهن كثيرًا ما يجاوز المال والعقار الى اولاد الانسان وزوجتهِ ونفسهِ . والحكومة تضرب الضرائب الثقيلة على من يربيهِ فيدخل عليها منهُ الاموال الطائلة . وهو اذا كان هادئًا كامد اللون واما اذا ثار للقتال فيتلوَّن بلون معدني برَّاق

بالعنا نيل المنى

قيل ان طائر الجنَّة البديع المنظر اذا طار ضدَّ العواصف لم تضرَّ بهِ ولم تؤثّر فيهِ شيئًا ولكن اذا طار مع العواصف ولم يضادها عبثت بريشهِ فنتفت عضهُ وكسرت البعض الآخر ومنعتهُ عن الطيران وهكذا حال الدنيا غالبًا فان الذين ينجون فيها هم الذين تعاكسهم وتقاومهم

الدنيا واسعة بسكانها وتحتمل اضعاف اضعافهم ففي القطر المصري مثلاً نحو ستة ملايين من الانفس ولكن لو زاد سكانهُ حتى بلغوا ستة عشر مليونًا ما ضاق بهم ولكانوا يجدون فيهِ ارضًا واسعة لسكناهم ومعيشتهم مع الرخاء . وفي القطر الشامي نحو مليونين من الانفس ولكن لو بلغ سكانهُ اثني عشر مليونًا كما كانوا في عصر من العصور ما ضاق بهم بل كانوا يعيشون فيهِ بالراحة والرغد . وقس على ذلك كثيرًا من البلدان الاجنبية فاراضي الولايات المتحدة الاميركية مثلاً تسع اكثر من ثلثمئة مليون من البشر واهاليها لا يبلغون ستين مليونًا

وهب ان الناس زادوا في بلاد من البلدان حتى ضاقت بهم فارض الله واسعة وما عليهم الاَّ ان يرحلوا الى بلاد أُخرى ويحيوا مواتها ويعمروا خرابها كما فعل كثيرون من الانكليز والهولنديين . او ان يحتالوا على ارضهم فتضاعف لهم غلاَّتها او ان يسخروا قوى الطبيعة الذاهبة سدًى عند غيرهم من الشعوب ويستولوا على مقاليد الصناعة فيعوضوا بها عمَّا ينقصهم من الزراعة .

وفي الجملة نقول ان الانسان لم يزل قادرًا ان يعيش بالراحة والغنى في كل مكان . فلا يستولي عليهِ الفقر ولا تؤلّمهُ انياب الفاقة الاّ اذا استولى عليهِ الكسل او تملك منهُ الاسراف . وهذا شأننا في بلاد المشرق فان السواد الاكبر منا في حالة يرثى لها من الفقر للسببين المتقدم ذكرهما اي الكسل والاسراف

اما الكسل فدولتهُ دائلة وشمسهُ آفلة بسبب مخالطتنا للافرنج المجتهدين الذين يلجون كل لج ويردون كل حوض ويتجشمون كل مشقةّ لكسب المال. واما الاسراف فآخذٌ في التزايد وستثبت قدمهُ في البلاد وتنتشر صولتهُ فيها ويخضع الكبار لسلطانهِ والصغار ان لم نعاجلهُ بالعلاج

والاسراف طبيعيٌّ في الناس وسابقٌ للاقتصاد ولكن الحضارة السابقة في بلادنا واحوال الاقليم الشامي الطبيعيَّة والاقليم المصري السياسية كانت تدعو سكانهما الى الاقتصاد. ثم عرض لهذين القطرين منذ ستٍّ وعشرين سنة ما غيَّر احوالهما فان الاموال الوفيرة التي انهالت على القطر المصري بسبب غلاء القطن ايام حرب اميركا والتي استقرِضَت لانشاء العمليات الكبيرة فيهِ عوَّدت كثيرين من اهاليهِ على الاسراف فحصدوا من عواقبهِ

الوخيمة الفقر والمرض والضعف. ورأى القطر السوريُّ شيئًا من ذلك بعد مذبحة سنة ستين لان الطائفة الغالبة نهبت اموالاً وفيرة فلم تلبث ان بذَّرتها وعادت افقر مما كانت. والطائفة المغلوبة توارد عليها العوض والاحسان وكثُرت في ايديها النقود فكثر اسرافها وخربت بذلك بيوت كثيرة من احسن بيوتاتها. وتسهَّلت الطرق لتقاطر الافرنج الى هذين القطرين بعد سنة ستين فاقتبس الاهلون منهم بعض عوائد الاسراف وكان من الامر ما نراهُ في وقتنا هذا ونخاف منهُ في مستقبل الايام ان لم تُتَّخذ الوسائط الكافية لمنع انتشار هذا الداء

وابواب الاسراف كثيرة نذكر اشهرها وهي

الباب الاول ﴿ التبغ ﴾ والارجح ان التبغ لا يفيد شيئًا ولا يغني عن شيءٍ ومع ذلك فهو باب واسع للاسراف. فالقطر المصري وحدهُ يُنفق عليهِ في السنة نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات. فاذا فرضنا ان الذين يدخنون التبغ هم ربع الاهالي عدًّا فكل واحد منهم ينفق عليهِ مئتي غرش ميرية في السنة. وهذا مبلغ زهيد لدى الاغنياء وهم لا يقتصرون عليهِ لانهم يدخنون انواعًا فاحشة الثمن منهُ ولكنهُ كثير بالنسبة الى الفقراء. ولو أَنَّ الحكومة غرَّمت

كلَّ بالغ من الذكور بمئتي غرش لبلغ صراخهم السبع الطباق وهم ينادون الجور الجور. ولكنهم يدفعون هذه الغرامة السنوية لاصحاب التبغ برضاهم واختيارهم ولا يستعيضون عنها بشيءٍ يذكر بل قد يخسرون معها ما هو اثمن من المال ولا يشترى بالدرر الغوال. نريد بهِ الصحة

اسأَلِ الاطباء عن مضار التبغ واسمع اقوالهم ولا تعمل اعمالهم لانهم يقولون ولا يفعلون. تَجِدْ ان كثيرًا من الادواء المزمنة التي تمرّر كاس الحياة زمن الكهولة والشيخوخة ناتج عن استعمال التبغ او عن الافراط فيهِ. اسمع سعال الشيوخ المتواتر وانظرهم يشكون ضعف قلوبهم ومعدهم واسأَل الطبيب المنصف عن سبب ذلك يجبك ان سببهُ التبغ الذي ولعوا بهِ بل استعبدوا لهُ. وهَبْ ان السواد الاكبر لا يسلّم بضرر التبغ او لا يتضرر منهُ ولا يرى موجبًا لمنعهِ من حيث الصحة فما من احد ينكر ان استعمالهُ اسراف او نفقة لا داعي لها وانهُ لو أُبطل من القطر المصري فقط ولم يُستعَض عنهُ بغيرهِ لزادت ثروة البلاد ثلثمئة مليون غرش كل سنة ولا تمضي سنون كثيرة حتى تصير في عزَّة وقوَّة لان المال عماد العزَّة والقوَّة

الباب الثاني ❊ المسكر ❊ وهو اوسع من الاول واشدُّ منهُ

ضرراً وقد جاء النهيُ عنهُ في كل كتب الاديان بعبارات صريحة لا تقبل التأويل ولا التحويل وأُلّفت في مضارّهِ كتب كثيرة تبين افسادهُ للابدان والاخلاق والآداب واتصال ضررهِ بالنسل. وليس من غرضنا التعرُّض لذلك لا اسهاباً ولا ايجازاً بل التعريض بضرر المسكرات من باب اقتصادي اي من جهة ثروة الامَّة والافراد

قال علماء وظائف الاعضاء ان اهالي الشمال الذين يكثرون من اكل اللحوم ويقللون من اكل الخبز والحبوب يحتاجون بالطبع الى شيءٍ من الاشربة الروحيَّة لقيام ابدانهم وحفظ حرارتها الحيوانية في بلادهم الباردة. فعلى التسليم بصحة ذلك لا حاجة باهل المشرق الذين يكثرون من اكل الخبز والحبوب الى شراب من الاشربة الروحيَّة ولذلك ترى شيوع السكر بينهم قليلاً في ما عدا المدن الكبيرة التي انبثَّ فيها اهالي المغرب. بل ان القرى الكبيرة المشهورة باستخراج الخمور لا يزيد السكيرون من اهاليها عن نفر قليل يُعدُّ على الاصابع. بخلاف المدن حيث صار يخشى ان تنتشر عادة السكر وتمتدَّ منها الى ما حولها وهناك الطامَّة الكبرى لان السكر وقاك الله منهُ من اوسع

ابواب الاسراف وارحب طرق الشر. فالمدخِن مهما افرط في التدخين لا ينفق الاَّ دراهم قليلة محدودة كل يوم واما السكير فينفق في يوم ما ينفقهُ المدخن في شهور. وكثيرون من اهل الحرف والصنائع يسكرون في يوم واحد باجرة اسبوع كامل فيشتغل الواحد منهم ستة ايام الاسبوع ثم يقبض اجرتها ويباكر الحان صباح اليوم السابع ولا يزال بين كاس وطاس الى ان يروح في المساء عادم العقل حليف الافلاس ويقوم في اليوم التالي متوعك المزاج من تأثير المسكر فلا يحسن العمل فيهِ

وكم من انسان كان في ثروةٍ وافرة ثم تعلق على السكر وما يتبعهُ من المنكرات فلم تمضِ عليهِ الاَّ سنون قليلة حتى امسى في حالةٍ يُرثى لها من الفقر والذل. فاننا نعرف اناساً يفاخرون ملوك الارض في علوّ حسبهم وامتداد اصول نسبهم ثلاثة عشر قرناً فاكثر وهم الآن يطوفون الشوارع يطلبون الصدقة ممَّن كان خادماً لخدَّامهم

قُل ما شئتَ في ضرر السكر من وجهٍ صحي فلن تبالغ فيهِ وحدّث ما شئتَ عن اضرارهِ الأَدبيَّة ولا حرج. ولكن اذا اتيت الى ضررهِ المالي من وجه اقتصادي وأَعوزتك الادلة فراجع

احصاءات الدول تجد ان الانكليز وجمعيَّات الامتناع عن المسكرات منتشرة في بلادهم اكثر ممَّا في سواها ينفقون في السنة نحو مئة وثلاثين مليونًا من الليرات الانكليزيَّة على الخمر والبيرة ونحوهما من الاشربة الروحيَّة · ونحن الشرقيين وان كنا لا نحصي ما يُنفَق على المسكر في بلادنا فحانات الخمرة تزداد عندنا سنةً فسنةً والمتردّدون عليها تزداد قحتهم يومًا فيومًا · فبعد ان كانوا يقيمون في الاماكن المستورة حياءً من الناس صاروا يجلسون على قارعة الطريق يرتشفون الكؤوس ويغازلون مَنْ لا ستار لهنَّ وهم لا يخافون لومة لائم

ولا يقتصر ضرر المسكرات المالي على السكيرين الذين يتمرَّغون في الازقة بل على كل من يشرب المسكرات لغير داعٍ صحي فان كلّ ما يدخل جسم الانسان من المسكر الذي لا داعي لهُ ضررهُ اكثر من نفعهِ والاموال التي ينفقها الانسان على المسكرات ويشتري بها الضرر لنفسهِ اموال مبذرة في شرّ طرق الاسراف

الباب الثالث ﴿ الحشيش ﴾ وهذا يكاد يكون خاصًا بمصر . وقد اجمع الاطباء على ان كل الذين يتعاطون منهُ غير ما

يشير بهِ الطبيب في بعض الامراض يُضرُّون بهِ ضررًا عظيماً يفضي الى البله والجنون. وكنّا نظنُّ ان الحشّاشين محصورون في الطبقة الدنيا من الناس التي هي اشبه شيءٍ بالاغصان الضعيفة في شجرة الهيئة الاجتماعيَّة التي صارت محلاً للسوس وستيبس وتقطع منها . ولكننا وجدنا بعد سؤَال الباحثين ان كثيرين من وجوه الناس واهل السيادة الذين يتوقف عليهم وعلى نسلهم قيام البلاد في الحاضر والمستقبل قد توغلوا في هذه العادة الذميمة فجنوا منها ضعف العزم وسقوط الهمَّة مسرعين الى الهلاك والبوار

وقد عُلِم بالتقدير ان القطر المصري يدفع كل سنة نحو خمس مئة الف ليرة للذين يأتونهُ بالحشيش تهريبًا من البلدان الاجنبيَّة ولا بدَّ من ان الحشّاشين يدفعون اضعاف ذلك للذين يبيعونهم مستحضرات الحشيش المختلفة (١) . وهذه الاموال تنفق كل سنة اجرة الضرر والخمول والبله ونحوها من الادواء التي تصيب الحشّاشين

الباب الرابع ﴿ التأنق في المآكل والملبس والمسكن ﴾

(١) انظر وصف هذه المستحضرات في الصفحة ٤٠٧ من السنة الحادية عشرة من المقتطف

نريد بالتأنق اتقان الماكل والملبس والمسكن بل الانفاق عليها فوق المقدرة تشبهًا بالاغنياء الذين ينفقون عليها حسب مقدرتهم . وهذا الداء حديث في بلادنا لان آباءنا واجدادنا كانوا مضطرين ان يتظاهروا بالفقر ولو كانوا من اهل اليسار اما نحن فقد اتينا على الضد منهم نتظاهر بالغنى ولو كنَّا فقراء . والاموال التي ينفقها الفقراء والمتوسطون على التأنُّق لا تقدَّر لكثرتها . وهذا الداء منتشر في كل البلدان المتمدنة وفي كل مكان توطَّدت فيهِ اركان الحرية الشخصيَّة . فانَّ الناس ينزعون بالطبع الى التشبُّه بمن هو فوقهم فان لم تكن ملكة الاقتصاد متملكة منهم مالوا الى الاسراف ليتشبهوا بالذين هم اغنى منهم . والاغنياء انفسهم اذا قوي فيهم الاسراف فلا يقف على حدٍّ فيكثرون من المركبات والخيول والحلى والجواهر ويبنون القصور الفاخرة ويفرشونها بنفيس الاثاث حتى يستنزف الاسراف ثروتهم مهما كثرت . وشواهد ذلك كثيرة في القطر المصري فان بعض اغنيائهِ الذين دأبهم الاسراف في الماكل والملبس والمسكن قد رهنوا املاكهم كلها وهي الوف من الفدادين ليوفوا اصحاب الملابس والجواهر والمركبات

هذه اشهر ابواب الاسراف نذكرها ونرجو ان ينتبه اليها

الوالدون فيربُّوا اولادهم تربية تمنعهم عن الدخول فيها متى شبُّوا لان الولد يشبُّ بحسب ما يربَّى

توفي احد الفضلاء منذ مدَّة وخلف اولادًا يضرب بهم المثل في الاسراف حتى ان من يعرف اخلاق والدهم ومقدار سعيهِ واجتهادهِ يعجب من مصير اولادهِ وعندنا ان اباهم هو الذي اوصلهم الى ذلك بتعويدهِ اياهم على الاسراف فانهُ كان يقطع لهم الرواتب الشهرية الطائلة وهم في المهدِ فشبُّوا ولا قيمة للمال عندهم ولا اعتبار فبذَّروا واما بذَّروا وساروا في كل طرق الاسراف ولو ربَّاهم على الاقتصاد واعتبار قيمة المال لمات بهم قرير العين وزادت عليهِ ثروةً واعتبارًا. وما احسن ما يفعلهُ كثيرون من الافرنج فانهم لا ينفقون على اولادهم الاَّ الضروري ويربونهم من صغرهم على الاكتساب والاقتصاد. اخبرنا احدهم قال ان ابي في نعمةٍ وافرة ولكنهُ لم يدفع درهمًا من اجرة تعلمي في المدارس العالية بل كنتُ اشتغل واتعلم من اجرة شغلي. واني قد فتحتُ والحمد لله بيتًا ليس فيهِ شيءٌ اعطانيهِ والدي الاَّ كتاب واحد. فبمثل هذا الوالد ليقتدِ الوالدون ولو فاق غناهم غنى قارون لان الاكتساب والاقتصاد لم يضرَّا احدًا ولكن الاسراف اهلك كثيرين

معادن الذهب في كليفورنيا

كليفورنيا ولاية كبيرة من ولايات اميركا استولت عليها الجمهوريَّة الاميركيَّة سنة ١٨٤٥ اي منذ اثنتين واربعين سنة وكان فيها من السكَّان حينئذٍ نحو ثمانية آلاف من البيض ونحو عشرة آلاف من الهنود المتحضّرين ونحو مئتي الف من الهنود المتبدّين. ولما ارتفع فوقها لواءُ الولايات المتَّحدة انتشر الامن فيها فهاجر اليها كثيرون فبلغ سكانها البيض سنة ١٨٤٧ نحو خمسة عشر الفًا. وفي اواخر تلك السنة واوائل السنة التالية كان رجل اسمهُ مرشل يبني مكانًا لنشر الخشب على فرع من فروع نهر سكرمنتو فاجرى الماء في قناة لتوسيعها فجرف الماءُ ما فيها من الطين والرمل ونظر مرشل واذا في الرمل قطع برَّاقة فالتقطها ورازها بيدهِ فوجدها ثقيلة كأثقل المعادن. وللحال علم انها ذهب فهرول الى صاحب المكان وهو يكاد يجنُّ من شدَّة الفرح واراهُ تلك القطع فطار عقلهُ فرحًا وتحالف الاثنان من ساعتهما على كتم ذلك واسرعا الى القناة وجعلا يصوّلان التراب وقد بدت الخفَّة في اعمالهما لما خامرهما من الفرح والجذل. ورأى ذلك احد الجنود

وكان قريباً منها فعرف ما كان من امرها واخبر رفاقهُ فذاع الخبر حالاً كأنَّ الرياح الاربع حملتهُ وطارت بهِ في اقطار المسكونة . فتقاطر الناس من كل فج الى ذلك المكان وجعلوا يحتفرون الارض بالمجارف والمعاول والرفوش والعصي والسكاكين وبكل اداةٍ وصلت اليها يدهم ويصوّلون التراب بكل اناء . وترك الرجال نساءهم والنساء اولادهنَّ وتقاطروا الى ذلك المكان فوجدوا الذهب في جهات مختلفة منهُ حتى خُيّل لهم ان البلاد كلها جبل من الذهب مغطًّى بقشرة من التراب ولا يعوزهم الاَّ البلوغ اليها ليرجعوا اغنى من قارون

وامتدَّ الخبر الى البلدان البعيدة فقام اهالي المكسيك واطراف كليفورنيا واهالي اوريغون وجزائر صندويج وبيرو وشيلي واقبلوا الى اماكن الذهب . وبلغ الخبر الى الصين واستراليا فرحل كثيرون منها في طلب الذهب وقامت الجماهير من شرقي اميركا وضربت في تلك القفار الشاسعة حتى انبثت عظام الهالكين منهم في عرض الطرق

وذاع الخبر في اوربا ايضاً فغصَّت السفن بطلاَّب الذهب من انكلترا وجرمانيا وفرنسا وايطاليا . وكان عدد الواردين الى

كاليفورنيا في الخمس السنوات الأُولى نحو مئتين وخمسين الفًا واكثرهم من نخبة الشبَّان

وكانت بلاد الذهب قفارًا لا طعام فيها ولا لباس ولا بيوت للسكن ومواد الطعام الواردة اليها قليلة فكانت تباع باثمان فاحشة لقلَّتها وكثرة الذهب فبيعت التفَّاحة بخمسة ريالات والبيضة بثلاثة ريالات وفنجان القهوة والشاي باربعة والرفش بخمسة عشر ريالاً ونقطة اللودنم بريال والوصفة الطبيَّة البسيطة بمئة ريال واجرة قلع الضرس بخمسين ريالاً. ولم يكن احد يساعد غيرهُ عشر دقائق باقل من خمسة ريالات وكانت اجرة العامل اليوميَّة ثلاثين ريالاً. وكثيرون كانوا يغتنون في يوم ممَّا يحتفرونهُ من الذهب ثم يخسرون كل ما احتفروهُ في ليلةٍ واحدة بالمقامرة

ثم شاع ان الذهب موجود في اماكن أُخرى فتقاطر اليها الناس بعشرات الالوف وعادوا منها بخفي حنين بعد ان اضاعوا اموالهم كلَّها. واشاع بعضهم انهُ وجد الذهب في مكان يبعد عن المكان الاوَّل الف ميلٍ فهاجر اليهِ ثمانية عشر الفًا ولم يعبأُوا بطول المسافة ثم رجعوا عنهُ خاسرين. ولكنَّ الذهب وجد

حقيقةً في اماكن كثيرة بقرب المكان الذي وجدوا فيهِ اوَّلاً فانبثَّ
الناس فيها وجعلوا يصوّلون التراب ويجمعون الذهب فجمعوا
منهُ قناطير مقنطرة في برهةٍ وجيزة . اما كيفية تصويل التراب
وجمع الذهب فكانت على هذه الصورة

يوضع التراب الذي فيهِ الذهب في اناء ويصبُّ عليهِ الماء
ثم يراق عنهُ فالتراب يمتزج بالماء ويصبُّ منهُ ويبقى الذهب في
الاناء لثقلهِ . ولكنَّ قطع الذهب قد تكون صغيرة جدًّا فتراق
مع الماء ولذلك كانوا يضعون الزيبق في قعر الاناء ثم يصوّلون
التراب بالماء فيلتصق الذهب بالزيبق ويصيران ملغما . ويبقيان
في الاناء . ثم يحمَى هذا الملغم فيطير الزيبق منهُ ويبقى الذهب

اما انبثاث الذهب في التراب فسببهُ على ما يظهر انهُ لمَّا كان
الذهب ذائبًا مع سائر معادن الارض انتشرت دقائقهُ بين
دقائق الصخر المعروف بالكوارتس وهو على نوعين نوع هش قليل
التماسك ونوع صلب متماسك . فالاوَّل انحلَّت دقائقهُ مع الزمان
وصارت ترابًا ورملاً وتساقط الذهب منها وجرفتهُ مياه الانهر
معها وهو قطع بعضها كبيرٌ جدًّا تساوي القطعة منهُ ثلاثة آلاف
ليرة ولكن اكثرها تبر او غبار دقيق . وطرق التصويل المتقدّمة لا

يجمع بها كل الذهب من التراب بل ينتشر ثلثهُ في الماء ويراق معهُ ولذلك جاء الصينيون بعد أن هُجِرَت اماكن الذهب وصوَّلوا ذهباً كثيراً من ترابها

والآن قد هُجِرَت كل الاماكن التي وجد فيها الذهب اولاً ولم يبقَ بها الاَّ صخور جرداء كانها عظام الارض وقد عريت من اللحم. وجميع الاودية ومسايل الماء التي جُرف اليها التراب صارت جنائن غنّاء وبساتين غبياء وكروماً فسيحة ولم يعُد استخراج الذهب ممكناً الاَّ للشركات الكبيرة الكثيرة الاموال التي تقلع صخور الكوارتس وتطحنها وتستخرج الذهب المنتشر فيها بواسطة الزيبق

والزيبق ضروري لاستخراج الذهب كما تقدَّم ولحسن الاتفاق وُجد منجم واسع منهُ في السنة التي وجد فيها الذهب اي سنة ١٨٤٥ وذلك ان احد روساء المكسيك رأى بعض قبائل الهنود مصبغين وجوههم بالزنجفر فرشاهم حتى دلُّوهُ على المنجم الذي يستخرجون الزنجفر منهُ. ثم تاَلَّفت شركة سنة ٨٥٠ وانفقت اموالاً وفيرة حتى استتبَّ لها استخراج الزنجفر من هذا المنجم واستخراج الزيبق منهُ. وهذا المنجم اوسع مناجم الزيبق التي في الدنيا. وفي كليفورنيا مناجم أُخرى للزيبق وكان ما يستخرج منها سنوياً قبل سنة

١٨٦٨ اكثر من خمسة واربعين مليون ليبرة ثمنها جملةً نحو ثمانية عشر مليونًا من الريالات

هذا ما كان من امر اكتشاف الذهب في كليفورنيا اما المقدار المستخرج منهُ فبلغ مليونًا وخمس مئة الف اقة او سبعة آلاف وخمس مئة قنطار شامي وكانت نتيجة هذا الاكتشاف ان ولاية كليفورنيا عمرت وزاد سكَّانها بسرعة غريبة فكانوا

سنة	١٨٦٠	٣٧٩٩٩٤	وصاروا
سنة	١٨٧٠	٥٦٠٢٤٧	
وسنة	١٨٨٠	٨٦٤٦٨٦	

وقصبتها سان فرنسيسكو لم يكن بها من السكان سنة ١٨٤٥ سوى ٢٠٠ انفس فزادوا بعد ذلك كما ترى

سنة	١٨٥٠	٢٥٠٠٠
سنة	١٨٦٠	٥٦٨٠٢
سنة	١٨٧٠	١٥٠٠٠٠
سنة	١٨٨٠	٣٠٠٠٠٠

وترتَّب على هذا الاكتشاف العظيم رواج التجارة والصناعة والزراعة في اميركا واوربا واكثر اقطار المسكونة

التاريخ

التاريخ في اللغة التوقيت تقول أرّختُ الكتاب وورّختهُ لغة في ارّختهُ . وفي الاصطلاح علمٌ تُعرَف بهِ احوال الامم واديانهم ورسومهم وعاداتهم وعلومهم وصنائعهم الى غير ذلك وموضوعهُ معرفة ماضي كل ذي شهرةٍ وفائدتهُ العبرة والتنصح بها لانهُ يكشف عن محيّا الماضيات ويهدي الى احسن السبل وينير لاظهار اسرار نخبات ادبيّة وعلميّة وسياسيّة . وسنجمع في هذه المجلّة فرائد شتّى من تواريخ الشعوب والممالك ومشاهير الرجال والنساء ونستفتح المقال بملخص ترجمة المخلّد الذكر ابي العائلة العلويّة الخديويّة

المرحوم محمّد علي باشا

ولد هذا الشهم الشهير بمدينة قواله ببلاد الارناؤوط سنة ١٧٦٩ مسيحيّة الموافقة لسنة ١١٨٢ هجريّة وتوفي ابوهُ وهو حديث السن فربّاهُ احد اصدقاء والدهِ حتى شبّ وترعرع فتزوج في مدينة قواله وهو في سن الثامنة عشرة وولد لهُ ولد سماهُ ابرهيم وسيأتي ذكرهُ ثم ولد لهُ طوسون وسعيد واسماعيل وحسين

وحليم ومحمد علي ولم يشتهر شيء من امره حتى تجند في سلك الجندية العثمانية. ففي سنة ١٧٩٨ حينما دخل الفرنسويون سورية ومصر جاء مع العساكر السلطانية لمحاربة الفرنسويين واخراجهم من القطر المصري فقاتل مع من قاتل واظهر من الشجاعة والبسالة ما اطلق الالسنة بمدحهِ فارتقى الى رتبة القايمقامية وكانت الجنود العثمانية والانكليزية المتحدة معها قد اخرجت الفرنسويين من البلاد المصرية وذلك سنة ١٨٠١

وما زال يظهر الهمم العلية ولين العريكة حتى جذب اليهِ قلوب الكثيرين من الجنود والعلماء وغيرهم وكان طالعهُ يزداد يمنًا واقبالاً وتغلبًا على الصعوبات التي تصدُّ طريق تقدمهِ الى ان قيَّض الله لهُ تقلد زمام الاحكام على الديار المصرية سنة ١٨٠٤ مسيحية الموافقة ١٢١٩ وذلك بموجب ارادة سنية من السلطنة العثمانية وترتب عليهِ مال معلوم يدفعهُ كل سنة للباب العالي ولما توطَّدت احكامهُ لاشى دولة المماليك الظالمة فانهُ بزوالها وزوال الانكشارية (١) وقتئذٍ ارتاح العالم من جور طائفتين اذاقتاه اشد الوبال. ونفى محمد علي باشا المظالم وعدل

(١) سنفرد فصلاً مخصوصًا لتاريخ المماليك والانكشارية

في الاحكام واهتمّ بتعليم الجنود النظام الجديد فجاء بضباط فرنسويين لتعليمهم وتمَّ لهُ ذلك على احسن منوال. ثم شرع في الاصلاحات الداخلية بالبلاد المصرية فوسَّع نطاق المعارف واكرم العلماء ورقّى الفقهاء وانشأ المدارس واصلح الترع وسهَّل المواصلات وقطع دابر الاشقياء وسيَّر العدل والامان في كل مكان حتى فاقت مصر على ما سواها من ممالك المشرق

وافتتح البلاد الشامية عن يد ولدهِ ابرهيم باشا ودامت تحت سلطتهِ من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٤٠ وسيأتي بيان ذلك في ترجمة ابرهيم باشا

وكان حليماً وديعاً متواضعاً حسن التدبير بصيراً بعواقب الامور انيساً لطيفاً يكره الجور والاسراف ويحب العدل والانصاف * ومما يحكى عنهُ انهُ مرَّ يوماً باولادٍ يلعبون فوقع طربوش احدهم على الارض وكان رثيثاً بالياً فركض الولد ليلتقطهُ فسبقهُ محمد علي والتقطهُ بعصاً كانت في يدهِ وقابل الاولاد بوجهٍ بسَّام وقال من يشتري هذا الطربوش فاقبل الاولاد عليهِ وصاروا يتزايدون على ثمنهِ فقال صاحبهُ يا مولاي لا ابيع هذا الطربوش الَّا بمئة دينار فاجابهُ محمد علي بلطف ما

هذا الثمن العظيم فقال الولد يا مولاي الطربوش الذي دلاَّلهُ محمد علي لا يكون باقل من هذا الثمن فعجب من بداهتهِ وامر لهُ بمئة دينار في الحال فاخذ الولد المال وهو يدعو لهُ بطول البقاء

ومما يحكى عنهُ ايضاً ان درويشاً من البصرة التمس منهُ الاحسان فوهبهُ الفاً من الفضة (الف بارة) فاخذها مستخفّاً بها ورجع اليهِ في اليوم الثاني فامر لهُ بمثل ذلك فاخذهُ وشكر فرجع اليهِ في اليوم الثالث فاعرض بوجههِ عنهُ فقال الدرويش اطال الله عمر مولاي اني قصدت اعتابك طمعاً باحسانك لانك ملاذ الفقراء وملجأ البائسين أفتعرض بوجهك عني لانك اعطيتني خمسين غرشاً بترددي عليك يومين فاجعلني مكانك وتردَّد عليَّ كل ساعة مرتين وانا اعطيك كل ساعة الف غرش فضحك محمد علي من كلامهِ وامر لهُ بثلاثة آلاف غرش فاخذها حامداً داعياً لهُ بطول العمر والنصر

وتنازل عن معاطاة الاحكام لولدهِ ابرهيم باشا سنة ١٨٤٨ ومات في الاسكندرية بعد ذلك بسنة بعد ما حكم ٤٥ سنة وكان قد ناهز الثمانين فدُفن في الجامع الكبير بالقلعة في القاهرة وقبرهُ يُزار الى الآن فذهب مأسوفاً عليهِ مخلَّد الذكر الحسن والصيت

الطيب الصالح * واكثر اعمالهِ عملها بالاشتراك مع ابنهِ ابرهيم باشا ولذلك نذكرها مع ترجمة ابرهيم باشا

ترجمة المرحوم ابرهيم باشا

هو ابن محمد علي باشا السابق الذكر وهو كبير ولدهِ وُلِدِ بمدينة قواله من الروملي سنة ١٧٨٩ اي سنة ١٢٠٤ للهجرة بعد تزوج ابيهِ بعامين وكان ذا قامة ربعة يبلغ ارتفاعها نحو ذراعين وثلث ذراع وكان ممتلئ الجسم قوي البنية مستطيل الوجه والانف اشهل العينين سوداوي المزاج اجشّ الصوت اشقر الشعر في وجههِ اثر الجدري. وقد جعلتهُ اتعاب الحروب واهوالها اشيب وهو شابٌ وكان فيهِ رئاسة وهيبة تفعل بمن يتوسمهُ مع همة عالية وبسالة لم تَرعهُ معها الكوارث ولم تقوَ عليهِ المصائب وكان محبًا لعساكرهِ مع صرامة في انفاذ القانون ومحافظة على النظام فكانوا لذلك يميلون اليهِ مع رغبة في طاعتهِ ورهبة منهُ وكان عارفًا بالتركية والفارسية والعربية حافظًا تاريخ البلاد الشرقية ولاَّهُ والدهُ قيادة قسم من الجيش وهو ابن ست عشرة سنة فتخرج في امور الجندية ثم ولاَّهُ عدة مقاطعات فتقلب في امور الاحكام وسيَّرهُ سنة ١٨١٦ في الجيوش لمحاربة

الوهابيّة(١) فخرج من القاهرة ثالث ايلول من السنة المذكورة وحل بقنا ورحل منها الى القصير فقدم اليهِ ثمة رسول من عبدالله بن سعود امير الوهابية بكتاب وهدايا لاستعطافهِ وموادعتهِ فرد الهدية وقال للرسول اني ساجيب مرسلك في درعية (مدينة ابن سعود)

(١) لما استفحل امر الوهابيين وزاد شرهم عهد السلطان محمود خان الى تنكيلهم فارسل امرًا الى محمد علي باشا ليكرههم على اخلاء البلاد الحجازية فاطاع وجهز جيشًا تحت قيادة ولدهِ طوسون باشا فسافر في شهر تشرين الاول (نوفمبر) سنة ١٨١١ لحرب الوهابيين فاخذ في طريقهِ عدة اماكن. وكانت لهُ مع الوهابيين ملاحم هائلة وكان تارةً غالبًا وطورًا مغلوبًا وسنة ١٨١٢ تمكَّن من فتح مكة المكرمة واستولى على جدة والطائف. وسنة ١٨١٤ اخذ قنفذة ولم يلبث حتى اخرجهُ الوهابيون منها. وسنة ١٨١٥ ابرم صلحًا مع ابن سعود عظيم الوهابيين على شرط اخلاء الوهابيين الحجاز واباحة الحج لهم واخلاء القصيم من المصريين ورد مشايخ العرب الذين كانوا انحازوا اليهم والاقرار بسلطة السلطان محمود على الوهابيين

وكان محمد علي باشا في ذلك الزمان قد اتى لزيارة عساكرهِ بتلك البلاد وحارب الوهابيين وغيرهم في بعض المعارك ثم رجع الى مصر لاسباب. وبعد ابرام الصلح مع ابن سعود كما تقدم جاء طوسون باشا الى الرص لمقابلة ابيهِ ولامضاء شروط الصلح فلم يجدهُ. فتوجه رسولان من قبَل ابن سعود الى مصر الى محمد علي باشا للتوقيع على صك المصالحة فأبى الّا اعطاء الاحساء للدولة وعاد الرسولان الى ابن سعود واخبراهُ بما كان فتجهَّز ثانيةً لقتال المصريين وفي تلك الايام اي في سنة ١٨١٦ سار ابرهيم باشا لمحاربة الوهابيين من قِبَل ابيهِ

وفي الثالث والعشرين من ايلول ركب البحر الى ينبع وسار الى المدينة المنورة تاسع ت ا (اكتوبر) فاقام بها ريثما ادى فريضة الحج وانطلق رابع عيد الاضحى لاحقاً بعسكرهِ وفي ٢٧ ك ا (ديسمبر) سار من حناكية في الف وثمانمائة فارس فغزا وغنم وعاد الى حناكية في ١٧ من ك ٢ (يناير) سنة ١٨١٧ بسلب كثير منهُ ٨٠٠ جمل و ٤٠٠٠ راس غنم فهابتهُ قبائل العرب واتوهُ سرباً صاغرين مستأمنين اليهِ ولقي جنودهُ في مستقرهم الامرَّين من شدة الحرّ نهاراً والبرد ليلاً ففشت بينهم الهيضة والحمى ومات كثير منهم الاَّ ان ذلك لم يكن ليثنيهُ عن عزمهِ فارسل الى ابيهِ ان يمدهُ بالجنود

وفي ٢٢ شباط (ففريه) قصد مدينة الرص فمنعهُ المطر من الوصول اليها فعاد الى معسكرهِ وغنم في طريقهِ غنائم كثيرة وفي نيسان (ابريل) من السنة المذكورة لقي عساكر الوهابيَّة فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نيفاً و ٨٠٠ رجل وغنم نحو الفي جمل وكثيراً من الماشية وفي اوائل تموز (جولاي) سار من الماوية في اربعة آلاف راجل والف ومائتي فارس ماخلا التابعين من الاعراب قاصداً مدينة الرص فنازلها ورماها بالكرات ستة ايام متوالية وهاجمها ثلث مرَّات فلم يتمكن

من اقتحامها وكانت بينهُ وبين حاميتها معارك قتل بها من عسكره زهاء ٢٤٠٠ مقاتل ولم يهلك من عسكر الوهابية الاَّ نحو ١٦٠ مقاتلاً وجرح منهم جماعة فكانت خسارة ابرهيم باشا في حصار الرص اعظم الخسائر التي المَّت بهِ في غزوة الوهابيَّة . ثم هادن اهل المدينة على ان يرحل عنها ولا يدخلها فواعدوهُ على ان يكون لهُ حق باقامة طائفة من جنده بها اذا استولى على بلدة عنيزة ثم رحل الى خبرة فنازلها وسلَّمت اليهِ واقام بها احد عشر يوماً وكان اثناء ذلك يوءدي ثمن ما اعوزهُ من الميرة للجيش فيستميل اليهِ العرب ثم قصد عنيزة وحاصرها ستة ايام وهو يرميها بالكرات فاحترق مخزن البارود في قلعتها واُلجي من بها الى التسليم فامنَّهم واخذ سلاحهم واطلق سبيلهم ودانت لهُ اهل بلاد القصيم وحصَّن قلعة عنيزة واقام بها ينتظر ورود المدد من الجيوش والذخائر ثم قصد بريدعة وحاصرها ثلاثاً فملكها ودك حصونها واقام بها شهرين فاتاهُ من المدد ثمانمائة جندي وشيء من الذخائر وفي ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) قصد بلدة الشقرا ولما وصل الى مذنب استأمن اليهِ من بها فتسلمها وفي ثالث عشر ك٢ (يناير) من سنة ١٨١٨ وصل الى الشقرا وتهيأ لمنازلتها وطفق يرميها

بالكرات من سادس عشر الشهر المذكور الى الواحد والعشرين منهُ صباحاً حتى استأْمن اليهِ من بها فخلى سبيل الجنود الوهابية بعد ان اخذ سلاحهم واستوثق منهم الاَّ يجردوا في وجههِ السلاح وارسل الى ابيهِ يخبرهُ بانتصارهِ في الشقرا وتقدمهِ الى درعية وقيل انهُ بعث اليهِ مع الرسول جُملاً من اذان الوهابية ثم قصد ضرمة وهي على ١٢ فرسخاً من درعية فلقيتهُ عندها جنود الوهابية وكانت بينهُ وبينهم معركة شديدة اجلت عن انهزامهم ودخل المدينة عنوةً فقتل من بها واطلقها للنهب ولم يسلم سوى النساء على انهنَّ سلبنَ متاعهنَّ

وفي ٢٢ اذار (مارس) سار الى درعية فخرجت اليهِ مقاتلة الوهابية ومعهم الامير حرث النجدي والتقوا عند قرين فاقتتلوا قتالاً شديداً دام نهارين وانكشف عن انتصار المصريين بواسطة مدافعهم. وفعل الامير حرث في تلك المعركة فعل صناديد الرجال وهجم على المصريين ولم يزل يخترق صفوفهم حتى دنا من ابرهيم باشا وانقضَّ عليهِ وكاد يوقع بهِ ففاجأَهُ احد الشراكسة بطعنة نجلاء فوقع يختبط بدمهِ وعاد الوهابية منهزمين الى درعية وتحصنوا بها فسار اليهم وحاصرهم في المدينة عشرين يوماً

فلما طال عليهِ امرها امر برميها بالكرات والقنابل فهطلت عليها من المساء الى الصباح فانقلبت ابنيتها وصارت حصوناً دكّاً فدخلها وامسك الامير عبد الله وآلهِ وحاشيتهِ ووجوه المدينة وقيل انهُ بعد اطلاق القنابل على درعية في ذلك اليوم وهو تاسع ايلول استأمن الامير الى ابرهيم باشا فامنهُ على ان يسير الى مصر اجابةً لامر السلطان فرضي بذلك واحسن ابرهيم باشا معاملة اهلهِ وامر العساكر بالكف عن النهب وعفا عن السكان الاَّ ائمة الوهابية فانهُ قبض عليهم وكانوا نحو خمسمائة رجل ابتغاء استئصال شافتهم وشيعتهم وانقاذ الحجاز ونجد من افسادهم فيها. وجمع اولئك الشيوخ في مسجدٍ هناك وجاءهم بشيوخ السنّة للمناظرة والجدال فتحاوروا اربعة ايام وطال على ابرهيم باشا تمحلهم ومجاراتهم فامر بهم فقتلهم الجنود عن آخرهم وسار ابرهيم باشا عن درعية تاركاً بها طائفة من جندهِ وقدم ضرمة وفيها تواطأت مماليكهُ على قتلهِ ورماهُ رئيسهم ولم يصبهُ فقُبض عليهِ وقُتل

ثم زحف الى البادية طلباً للميرة فالتقى بعنزة عند جبل شمر واقتتلوا فابلى بلاءً حسناً وانهزمت عنزة وتمزَّق لفيفهم وصرف عنايتهُ بعد ذلك صوب اصلاح الامور في تلك البلاد وتأمين

الطرق فانفتحت ابواب التجارة وامنت السابلة وحكم بالعدل
بين اهلها فدانوا لهُ واجتمعت قلوبهم على ولائهِ الاَّ انهُ كان يعامل
الوهابية بصرامة . ومن آثارهِ العظيمة هناك القلاع التي شادها
في نجد ولا سيما المعاقل التي في مدخل وادي حنيفة وهي جميعًا
ذات اهمية عسكرية واحتفر هناك آبارًا كثيرة منها للزراعة ومنها
للسابلة ورغب في تجديد بناء عيانة لحسن موضعها وجمع الفعلة
فلم يتم لهُ ذلك لان العرب كانوا يكرهون توطنها اعتقادًا انهُ محكوم
عليها بالخراب وعاد الى درعية وكان قد ارسل اليهِ والدهُ ان
يهدم درعية وغيرها من المدن الحصينة ويرسل اهل الامير
عبدالله ورهائن من وجوه البلاد الى مصر ففعل وانطمست
معالم درعية وسار ابرهيم باشا الى مكة فحج وانطلق الى ينبع وركب
البحر منها الى القصير ومنها سار الى الجيزة وحل بها تاسع ك ١
(ديسمبر) من سنة ١٨١٨ وخلف في البلاد التي تركها من حسن
الذكر ما لا يصيب الفاتحون في بلاد دوَّخوها ووافق رجوعهُ
ظافرًا تفاؤُل والدهِ قبل رحيلهِ وذلك فيما حكى بعضهم انهُ لما
ورد امر السلطان الى محمد علي باشا بالمسير الى الوهابية جمع اليهِ
امراء دولتهِ ووجوه بطانتهِ للنظر في ذلك وليمتحن ايهم اسدّ رايًا

فيسيرهُ في الجنود فوضع في ذلك المحفل بساطاً مستطيلاً وجعل في وسطهِ تفاحة وقال من منكم ياتيني بها ولا يطأُ البساط فتطاول الحاضرون وتمطَّوا فعجزوا عن ذلك. اما ابرهيم باشا فتقدم نحو البساط وكان اقصرهم قامةً وطفق يطويهِ طياً محكماً حتى قربت الغاية فالتقط التفاحة وحملها الى والدهِ فتوسم فيهِ الذكاء وتفاءل بالخير فجعلهُ على الجيوش وهكذا سيرهُ في العساكر فعاد ظافراً منصوراً

ولما آثر محمد علي باشا ان ينظم عسكرهُ على النمط الاوربي اخذ بيدهِ ولدهُ ابرهيم وتولى كبر ذلك حيث كان بصيراً بهِ خبيراً بنفعهِ وقام بامر ذلك قياماً حسناً وتخرجت بهِ العساكر في الاعمال والحركات الجندية وكان قد اضطلع بها في غزوة الوهابيَّة ثم ولي قيادة جيش مصري امر السلطان بتسيرهِ الى بلاد المورة سنة ١٨٢٤ فسار في اسطول من ٣٦ سفينة سادس عشر تموز (جولاي) من السنة المذكورة وكان جيشهُ ١٦ الف جندي فحل بكريت وسكَّن الفتنة فيها ثم سار الى مودون من بلاد المورة وقاتل اليونان

وفي ١٨ ايار (ماي) من سنة ١٨٢٥ استولى على نوارين ثم على تريبولتزا وغيرها من البلاد ثم نازل ناوبليا فامتنعت عليهِ

فقصد مسولونغي وكان على حصارها رشيد باشا فانضم اليهِ واظهر في منازلتها بسالةً واقداماً واكره من بها من اليونان على اخلائها فخرجوا منها فتاثرهم وقاتلهم واكثر فيهم القتل فلم يسلم منهم وهم ١٥ الفاً سوى ١٨٠٠ نفس ثم عاد الى المورة ليتم فيها اخماد الثورة فلم يزل يقاتل اليونان حتى ابرمت معاهدة سادس تموز (جولاي) من سنة ١٨٢٧ بين انكلترا وفرنسا وروسيا واُنبئَ بها ابرهيم باشا وطلب اليهِ ان ينكفئَ عن القتال فكف عنهُ منتظراً امر السلطان وابيه وفي ٢٠ ت ا (نوفمبر) من السنة المذكورة حُرِق قسم من الاسطول المصري في نوارين وفي ثالث آب (اوغست) من سنة ١٨٢٨ أُكره ابرهيم باشا على ابرام معاهدة من شروطها اخراج عسكرهِ من بلاد اليونان واطلاق اسرائهم وانثنى راجعاً في العسكر الى مصر سابع ايلول (سبتمبر) من السنة المذكورة وقد أُتهم بارتكاب الفظائع في بلاد المورة ونددت بهِ صحف الاخبار وذلك مما يتوقف في تصديقهِ ولا تصح نسبتهُ الى ابرهيم باشا حيث كان في الغاية من علو النفس والشهامة

وفي سنة ١٨٣٠ كان عبد الله باشا والي عكا ابن علي اغا الخزندار (احد مماليك الجزار) قد اخذهُ الطيش والخفَّة فخالف

اوامر الباب العالي واستمال اليهِ الامير بشير الشهابي فارسل الباب العالي درويش باشا والي الشام لمحاربة عبد الله باشا بعكا وضايقهُ فاستنجد عبد الله باشا بالامير بشير وسيَّرهُ الى مصر الى محمد علي باشا ليلتمس لهما استعطاف خاطر السلطان عليهما ومسامحتهما عما اقترفاهُ لعلمهما بما لمحمد علي باشا من نفوذ الكلمة ورفعة المقام فاستقبلهُ محمد علي احسن استقبال واكرم وفادتهُ وطلب لهما العفو من السلطان فعُفِي عنهما وامر برفع الحصار عن عكا ورجع الامير شاكرًا انعام محمد علي وقيل انهُ سارَّهُ في بعض الامور التي كانت تخطر لمحمد علي باشا فيما يختص باحوال سورية ولبنان. وبعد هذا المعروف العظيم مع عبد الله باشا قبَّح عبد الله المذكور بحق محمد علي باشا وامرًا لا يذكر راسمهُ في ولايتهِ وبلغ ذلك محمد علي فاغتاظ منهُ والى الآن يقبض عليهِ ويذيقهُ الوبال. فسيَّر ابنهُ ابرهيم باشا في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر عام ١٨٣١) في ثلاثين الفًا من العسكر المصري لقصد سورية فنازل غزّة واستولى عليهــا واخذ يافا وحيفاء ثم نازل عكاء واستدعى اليهِ الامير بشيرًا الشهابي فقدم عليهِ واقام على حصار عكاء ستة اشهر ودخلها عنوةً في ٢٧ ايار (ماي) سنة ١٨٣٢

واخذ عبد الله باشا اسيرًا وارسلهُ الى ابيهِ وعند دخولهِ عليهِ وقع على قدميهِ بالذل والخضوع فصفح عنهُ وانزلهُ في احسن مكان ولم يمسهُ بشيءٍ من الاهانة او الضرّ كما كان يستحق. وكان في اثناء حصار عكا قد استولى على صور وصيداء وبيروت وطرابلس وقد جرت لهُ وقعة مع عثمان باشا عند قرية الزراعة اجلت عن انهزام عثمان باشا ورحيلهِ الى حمص حيث كان السر عسكر محمد باشا والي حلب. وكان في عسكر ابرهيم باشا طائفة من رجال الامير بشير فسار من عكاء قاصدًا دمشق ومعهُ الامير المذكور ولما علم علو باشا والي دمشق بقدوم ابرهيم باشا عليهِ خرج من دمشق بعشرة آلاف مقاتل من الدماشقة والاكراد فالتقاهُ ابرهيم باشا ووجه عرب الهنادي على خيالة الاكراد واصدر امرهُ لعساكر النظام ان تقابل جموع العساكر الدمشقية وتطلق البنادق عليها في الجو. فلما التقى العسكران واطلق جنود ابرهيم باشا نارًا دائمة جزع الدماشقة لذلك وخافوا لانهم لم يعهدوا شيئًا مثل هذا من ذي قبل اما الهنادي فتبعوا الاكراد وقتلوا كل من لحقوهُ منهم. وفي المساء عقد الدمشقيون مجلسًا كبيرًا موءلفًا من وجوه الاهالي فقر قرارهم بهِ على تسليم المدينة لابرهيم باشا فارسلوا

اليهِ رهطاً من جملتهم علي اغا عرمان مستلم القلعة وطلبوا منهُ الامان فامنهم فسلموهُ مفاتيح المدينة ورجعوا وفي اليوم الثاني دخل ابرهيم باشا بجنودهِ المدينة من بوابة الله ومعهُ الامير بشير والامير خليل ولم يوقع باحدٍ ضرراً وجعل دمشق عاصمة سورية واقام فيها مجالس القضاء وجعل على ولايتها شريف باشا المصري وكان من مساعديهِ بحري بك المشهور

وسار ابرهيم باشا من دمشق قاصداً حمص فخرج اليهِ السرعسكر محمد باشا في ٢٠ الف مقاتل والتقى العسكران عند بحيرة قدس ثامن تموز (جولاي) وكانت بينهم معركة اجلت عن انهزام محمد باشا في عسكرهِ الى حلب وغنم ابرهيم باشا في تلك الوقعة ميرة الجنود ومضاربهم وعشرين مدفعاً وكان عدد القتلى من عسكر محمد باشا خمسة آلاف والاسرى الفين فادخل ابرهيم باشا هولاء في عسكرهِ ودخل حمص فبات ثمة ليلة وغدا قاصداً حلب فسلمت اليهِ واستولى على ما وجد بها من الميرة والذخائر

ثم سار الى كلّس فلقيهِ الصدر الاعظم حسين باشا عند مضيق بيلان في ستة وثلاثين الفاً فاقتتلوا اشد القتال والجئ حسين باشا الى التقهقر ووهن عسكرهُ لشدة ما لقي فتمهد لابرهيم

باشا بذلك النصر اخذ بلاد قرمان ثم زحف في العساكر الى قونية فلقيهُ عندها في ٢٢ من كانون الاوَّل (ديسمبر) من سنة ١٨٣٢ السر عسكر رشيد باشا في ستين الفًا وكان عسكر ابرهيم باشا ثلاثين الفًا فاقتتلوا وتناجزوا واشتد القتال فاتيح النصر لابرهيم باشا بعد ما اوشكت الجيوش العثمانيَّة ان تفوز بهِ وأُخذ رشيد باشا اسيرًا فاجزل اكرامهُ ورفع مقامهُ ثمَّ سار الى كوتاهية وأُكره على الرجوع لاسباب يطول شرحها ومنح الباب العالي اباهُ محمد علي باشا ولاية سورية واذنة علاوة على الديار المصرية بفرمان صدر رابع عشر ايار (ماي) سنة ١٨٣٣ فعاد ابرهيم باشا الى سورية فشرع في ترتيب امورها وضبط احكامها وتأمين بلادها واًمال اليهِ القلوب للطفهِ واتضاعهِ شأن كل عاقل عظيم وجرى مجرى ابيهِ في ذلك فاحبهُ جميع اهالي سورية حتى انهم كانوا يترنمون باسمهِ ويتمثلون بظرفهِ . وحينئذٍ قدَّم لهُ الشعراء قصائد المديح والتهاني بذكر انتصاراتهِ ورجوعهِ بالسلامة ومنهم الطيب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي قال في مطالع قصيدةٍ

يافاتح القطرين انتَ محمَّدٌ هل دون فتحك في البلاد مسدَّدُ

وهي قصيدة طويلة لا يسع المقام ذكرها

واقترح عليهِ الامير بشير الشهابي نظم تاريخ لعكا فقال

في فتحِ عكَّا بَرْدُ نارِ معاطِبٍ دارِ الخليلِ وللدّيارِ بهِ البُكا
رأسُ الثمانِ وأربعينَ بِطيِّهِ ميتانِ معْ ألفٍ فبارَكَ ربُّكا

وقد ضمَّن هذين البيتين ثمانية وعشرين تاريخًا لسنة ۱۲۴۸ تؤخَذ من كلٍّ من اشطرها الاربعة ومن ضمّ مهمل كل شطرٍ الى مثلهِ من غيرهِ وكذا من المعجم وبالخلاف على الطريقة المشهورة

وامتدحهُ الشاعر الشهير الشيخ امين الجندي بموشحات وقصائد ذكر فيها اشهر غزواتهِ

وامتدحهُ المعلم بطرس كرامة الذي كان مقربًا اليهِ ومعزَّزًا منهُ بعدة قصائد ايضًا

وكانوا يصدّرون قصائدهم بمديح والدهِ محمد علي باشا ويتفننون باجود النظم. فكان يقرّبهم اليهِ ويحسن اليهم وينشط ارباب المعارف بينهم بكلامهِ وافعالهِ . ولمَّا قدم اليهِ الامير بشير البيتين السابقي الذكر من نظم الشيخ ناصيف اليازجي اقترح عليهِ نظم قصيدة كالتي نظمها السيّد شاكر النخلاوي بمديح الشيخ عبد الغني النابلسي فنظم لهُ قصيدة رنَّانة على نسق تلك ضمَّن

كل بيتٍ منها تاريخين وافتتح اوّلها بحروفٍ اذا جُمِعت اعربت عن هذين البيتين

أنتَ الخليلُ وفي . الأطلالِ بَرْدُ لظًى

١٢٤٨ ١٢٤٨

أطلالِ عكًّا ورفضُ . الرُّعبِ والحذرِ

١٢٤٨ ١٢٤٨

كُنْ بالِغًا أَوْجَ سعْدٍ . ما بهِ ضَرَرٌ

١٢٤٨ ١٢٤٨

أو غالِبًا لم يزَلْ في . أوَّلِ الظَّفَرِ

١٢٤٨ ١٢٤٨

وهما يتضمنان ثمانية تواريخ هجريَّة وفي كل شطرٍ منهما تاريخان . واما القصيدة فهي هذه

الزهرُ تبسمُ نورًا عن اقاحيها ... اذا بكى من سحابِ الفجرِ باكيها

نورُ الاقاحي الذي ما بالحياء بهِ ... من صحَّةٍ وصفاء عزَّ منشيها

تلكَ الرُّبوعُ لليلي أينَ مربعها ... عن قصدهِ وسيوف العُرْبِ تحميها

أدماء تجني على الاكبادِ مصليةً ... تبارك اللهُ ما أحلى تجنيها

ليلى ولي شوقُ قيسٍ في محبتها ... فشعرهُ مجنونٌ شابةٌ فيها

خالٌ لها عمَّهُ وردٌ بدا حرمًا ... في وجنةٍ حميت عمَّن يدانيها

للهِ مقلتها السوداء صائدةً ... قلوب عشاقها والقرطُ راعيها

يقول قومي رُوَيدًا قد سقمتَ هوًى ... فقلتُ مهلًا شفاءي من نواحيها

لعلَّ صافي نسيمٍ من خمائلها   أنَّى يهبُّ على روحي فيشفيها
وَبي رقائقُ ليالٍ في النقاء وقت   بيضُ اللقاء فما أهنى لياليها
في جنةٍ حُورُها تزهو بنا وبها   لو كان يصفو خلودٌ في روابيها
يهزُّني ذكرها وجدًا فأعلمهُ   جرحًا وروحي تراهُ من مجانيها
أساتُ كتم الهوى والصبُّ كيفَ لهُ   سترٌ وادمعهُ قد هلَّ واشيها
ليسَ الهوى يخفيّ عند رادعهِ   فكيفَ ناشرهُ يطويهِ تمويها
أستودعُ اللهَ صبرًا ما أُمارسهُ   ومهجةً عن حسانٍ لستُ أحميها
طابَ الهوى والضنى واللومُ لي فدمي   أُسرٌ في بذلهِ في حيِّ أهليها
لبَّيْكَ يالحظها الجاني على كبدٍ   سالت اسًى في الهوى لولا تأسّيها
ان تعفُ طوعًا فانَّ العفوَ لي أربٌ   او لا فريحان روحي في تفانيها
ايتَ الصبا عادَ لي بعدَ المشيبِ على   شرطِ الوفا وهوَ ادني من تجاليها
بكرٌ محجبةٌ لا تنجلي لحيًا   حتى من النجمِ حتى ما يلاقيها
راقَ الدلالُ لها والذلُّ لي ابدًا   ولم يرق كأسُ وِردي من تدانيها
دَمعي ومبسمها الدرُّ الثمينُ صدًى   لمهجتي فبصبرِ القلب أُرويها
لما رأت جدَّ وجدي في محبتها   قامت بسيماء هزلٍ عينها تيها
ظنَّ الجهولُ الهوى سهلاً لواجهِ   مهلاً فقد تاهَ جهلاً أو عمي تيها
يهيجهُ غزلُ عينٍ جاءَ حائكهُ   يحوكُ بُردَ الضنى حليًا لهاويها
انَّ العيونَ التي بانت لطائفها   لها خفاءُ معانٍ ليسَ ندريها
طلاسمٌ سحرها المرموزُ طالعةٌ   اشكالهُ في سطورٍ حارَ قاريها
لواحظٌ لحنَ في زيِّ الحدادِ لكي   يبرزنَ حزنًا على قتلى روامها
الناهباتُ البواكي المبكياتُ فقد   كفّت عقولُ البرايا عن معانيها
لولا سوادٌ لها ما ابيضَّ فوديَ عن   شيبي ولا أحمرَّ دمعي من تهاديها

عزيزةُ الحسن من احكام دولتهِ　　أن يجنيَ الذلَّ دهرًا من يواليها
كلُّ الجراحاتِ مشفيها الدواءُ سوى　　جراحها أينَ حلّت فهيَ مشفيها
الى العيون التي في طرفها حورٌ　　عهدُ الرعايةِ رِقًا من محبيها
وَيلاهُ من زيغها داءٌ نطيبُ بهِ　　فلا شُفينا بعتقٍ من دياجيها
روحي وعيني فدى عينٍ مطهَّرةٍ　　ومهجةٍ للتي بالنفسِ أفديها
فهيَ الجميلةُ لكن بين عاشقها　　والصبرِ جورٌ قبيحٌ من تجافيها
ضاعَ الزمانُ وطالَ الوجدُ وأسفي　　ولم يقصّر سباقي في تصابيها
أشابني عنها قربًا فأزهدَها　　وعيرتني بشيءٍ جاء من فيها
للشيبِ انفعُ طِبٍّ في الفتى نبأً　　بما يوافي وترهيبًا وتنبيها
رأسٌ يصفّدهُ ناهي الصِبا عبثًا　　بأدهمِ الشعرةِ النذّاب ناميها
عيشٌ قصيرٌ طويلُ الرعبِ أعدلهُ　　ما يقصرُ النفسَ قربًا نحوَ باريها
برقُ المنى خلّبٌ إلاّ اقلَّ حيًّ　　نفرٌ عينٌ بهِ رَصدًا يسليها
والناسُ من يشتهي ما المطلُ حاصلهُ　　ومن تفيهِ عداتٌ نامَ داعيها
أعوذُ بالله من علمٍ بلا عملٍ　　ومن تداركِ نفسٍ كلٌّ راعيها
لوّامةٌ اوقفتني لا أُطاوعها　　ولا يحببُ ضعفي أن أُعاصيها
حلت لها النارُ دون العارِ في دوَلٍ　　من حاسديها بارضٍ سالَ واديها
ذُرني وما بيَ هل لومٌ يلمُّ بها　　وقد ملئتُ وملت من أُعاديها
رِماحكم ياكرام الحي لا تقفوا　　ولا ترعكم بلًى جدّت دواهيها
كلُّ البلايا من الدنيا متى نزلتْ　　بنا فنيران ابرهيمَ تفنيها
نارٌ ونورٌ متى قالَ النزالُ لهُ　　والجودُ هاتِ يدًا لم يلقَ ثانيها
بنى من العزِّ بيتًا دون أعمدةٍ　　سِوى قناةٍ له عزّت مبانيها
ألَّوْذَعيُّ العزيزُ الباسلُ الملكُ الغازي الملا بيدٍ حسبي اياديها

للسيفِ والرمحِ والاقلامِ قد وُلدت ... راحاتهُ ولسؤَّالِ تفاجيها
غازٍ مهيبٌ حسيبٌ ماجدٌ نجبٌ ... صافي الصفاتِ نفيسُ النفسِ زاكيها
اقوالهُ خطبٌ أفعالهُ شهبٌ ... آراؤهُ قضبٌ باللهِ حاميها
أحيى المحامدَ مفداةً مسلمةً ... أليسَ أموالهُ تفنى وتبقيها
وردَّ ما مرَّ من عدلِ الصحابةِ لا ... يلهو بزهرٍ ولا خمرٍ يعاطيها
جرَّارُ خيلٍ يحلُّ البأسُ جانبها ... والفتحُ والحتفُ عدلاً بين ايديها
سلْ قومَ عكاءَ حين اربدَّ مشرقها ... والشامَ والتركَ لمَّا اسودَّ ناديها
عبدُ الخليلِ لعبدِ اللهِ صارَ بها ... إسماً وشبه اسمهِ راحت اساميها
داسَ البلادَ بإذنِ اللهِ يكسرُها ... وتكسرُ السيفَ نزعاً من نواصيها
ماجت سراياهُ ابطالاً بسطوتها ... تبقي وفيًّا وتبلي من يعاديها
أحبب بأصيدَ تحكي الدهرَ همتهُ ... لكن منى نابَ شرٍّ من يحاكيها
بعيدُ قدرٍ عن الامثالِ ليسَ لهُ ... شبهٌ فما مدحهُ ما جاء تشبيها
هوَ الذي حجَّ آلِ البيت جاء بهِ ... بعدَ الذهابِ جليَّ الطرقِ جاليها
ضلَّ السعوديُّ وهَّابُ السوادِ فما ... أبداهُ الَّا ببرقِ البيضِ واليها
رَسولُ حقٍّ نزالُ الحربِ سُنتهُ ... وفرضهُ الجدُّ بالجدوى يواليها
رامَ الحجازَ وسودَ الزنجِ ثمَّ رمى ... فيها القتالَ وأمَّ الرومَ يرميها
اللهُ اكبرُ هذا حالُ من جلسَ آل ... أيامَ فوقَ سروجِ الخيلِ يدميها
والحمدُ للهِ لم تقصر بواكرُهُ ... سيفي ما يقومُ ولم تحصَر مساعيها
غلابُ نادٍ واجنادٍ يعاهدهُ ... نصرٌ قريبٌ على لطفٍ يماشيها
أحصى المنى والثنا والحزمَ والكرمَ الأسنى وآياتِ عدلٍ لستُ أحصيها
لا أعقبَ الوبلُ مصراً وهو تاركها ... همَّا فجودُ يديهِ جاء يغنيها
بحرٌ وبدرٌ وليثٌ لا يردُّ لهُ ... أمرٌ وصمصامةٌ سبحان باريها

أبو الفتوحات أمُّ الحرب طاهيها   سلطانُ ساحات برّ العرب واقيها
لهُ البلادُ بأشخاص العبادِ بما   أبقى التلادُ بما حاطت اقاصيها
محمديٌّ عليٌّ شأنهُ كسرت   طوارقُ الروع باسمٍ منهُ يأتيها
يا يومَ عثمانَ لم يقفل بباكرهِ   إلاَّ حفايا ظعونٍ وهوَ حاديها
زلَّت بهِ قدمٌ جاءت بهِ مرحًا   فردَّها عن يدٍ والنصرُ تاليها
لسيفِ سلطان مصر هيبةٌ لقيَ ال   بلادَ حيٌّ بها ياسيفَ غازيها
فاقَ الثنا أنكَ الدُّنيا وقاهرها   سعدًا وحاكمها حقًّا وقاضيها
يافاتحَ المنصبِ الطاري ندًى وردًى على الصدى والعدى يجلي طواريها
اتيتُ نحوكَ أُحيي الليل عن عجلٍ   وأقتلُ الخيلَ جوَّابًا أُزجيها
واللهُ يشهدُ كم ليلٍ سهرتُ بكم   أجلو رقيمةَ دُرٍّ رُدَّ جاليها
لم يأتها قبلُ الاَّ شاكرٌ عجبًا   وجئتُ بعدُ فأهدتني قوافيها
أبقت صداعًا برأسٍ راحَ يسلبهُ   وحبذا سلبُ أدواءٍ تداويها
لم ألقَ كفوًا لها ممَّن رفعتُ يدي   قبلًا اليهِ فلم أهتمَّ تنزيها
ظلَّ البديعُ لها عبدًا يلمُّ بها   وكلُّ خطبٍ سليمٌ عند راقيها
فانعم بها وهيَ فلتنعم بكرمها   جودًا ومعظمها جاهًا ومعليها
راقت كأدنى معانيكَ الحسان فما   آياتُ حقٍ كشطرٍ من مبانيها

ولما وقف ابرهيم باشا على ما حوتهُ من جودة السبك وغرائب البيان وحسن البديع اعجب بها واجاز الناظم بخاتم من الياقوت الفاخر وعشرة آلاف غرش ولا يخفى ما كان لهذه الجائزة من القيمة في ذلك الزمان

وبقي ابرهيم باشا برهةً في بيروت ثمَّ قصد نابلس لجمع الجنود

من اهلها فامتنعوا ونبذوا وراءهم طاعتهُ فسار الى يافا ومنها الى اورشليم فدهمهُ النابلسيون في وادي علي عند قرية ابي غوش وكان في نفر قليل فصبر لهم وكانت المعركة شديدة عليهِ فنجا بعد عناء جزيل الى القدس وامتنع فيهِ فحصرهُ النابلسيون وغيرهم من اهل تلك البلاد وامسكوا عليهِ الطرق فاوصل الخبر بحيلة الى متسلم يافا ثم راسل شيوخ النابلسيين وواعدهم على ان يعدل عن تجنيد قومهم واخذ بيدهِ في ذلك الشيخ حسين عبد الهادي احد رؤُوسهم فافرجوا عنهُ فسار الى يافا وكان والدهُ قد قدم اليهِ في العساكر فسار ابرهيم باشا الى نابلس في عشرة آلاف منهم واوقع بالنابلسيين وغلبهم على نابلس وسلبهم سلاحهم وفعل مثل ذلك باهل جبال القدس والخليل

وفي السنة المذكورة اثر ابرهيم باشا ان يجند ١٦٠٠ رجل من الدروز فامتنعت الدروز من ذلك فانطلق الى بيت الدين في عشرة آلاف رجل وجمع سلاح الدروز ثم النصارى وجنَّد من اولئك الفًا ومائتي رجل وفي سنة ١٨٣٥ انتقض على ابرهيم باشا اهلُ حوران لانهُ اراد ان يأْخذ منهم جنودًا وانضم اليهم عرب تلك البلاد فقاتلوا عسكرهُ وكان دروز لبنان ووادي التيم

آخذين بيدهم يأتونهم بالميرة والمدد الكثير وجرت بين العرب والدروز والجنود المصريَّة وقائع شتى في ارض اللجاة المعروفة بالوعرة وهي صعبة المسالك كثيرة الحزون فقتل الكثير من الجنود المصريين واقتضت الحال مسير ابرهيم باشا بنفسهِ فسار ونازلهم فرأى انهُ يتعذر التغلب عليهم وهم متحرزون في تلك الارض فامسك عليهم الطرق ومنع عنهم الزاد والماء فالجئوا الى الجلاء عن اللجاة ونجوا الى وادي التيم فتأثرهم ابرهيم باشا وكانت بينهُ وبينهم وقائع عديدة منها يوم وادي بكَّة وفيهِ انقضَّ عليهم وكان من رؤُوسهم الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد فاوقع بهم واستلحمهم. ويوم شبعا وفيهِ هزمهم شر هزيمة واستأمن اليهِ من ثمَّ شبل العريان المشهور

ولما تمَّ لهُ اخماد ثورة الدروز حوَّل اهتمامهُ الى اخماد غيرها من الفتن في سورية وكان يصحبهُ في اكثر غزواتهِ بسورية عباس باشا ابن اخيهِ طوسون باشا وهو الذي صار فيما بعد الخديوي الثالث

ولم يزل ابرهيم باشا بين اصلاح امور وترتيب شؤُون الى ان كانت سنة ١٨٣٩ وفيها صدر امر السلطان بنزع ولاية سورية

واذنة عن محمد علي باشا وارسل السر عسكر حافظ باشا في الجيوش العثمانية فبلغ الفرات وسار اليهِ ابرهيم باشا في عسكر ولقيهُ عند نزب في ٢٩ حزيران من السنة المذكورة . فاقتتل العسكران واحتدمت نار الوغى واظهرت الجنود العثمانية من البسالة ما لا مزيد عليهِ غير ان حافظ باشا لم يحسن التدبير ففشلت عساكرهُ وتمزق شملهم فاوقع بهم المصريون واشتد عزم ابرهيم باشا فتعقَّبهم واصاب منهم طائفة وغنم نيفاً وعشرين الف بندقية و ١٦٠ مدفعاً وسار الى عينتاب واخذ مرعش واورفا ثم انقلب راجعاً الى سورية

وكان السلطان عبد المجيد قد تبوَّأ اثناء ذلك اريكة السلطنة السنيَّة وعزم على استرجاع البلاد من محمد علي باشا وأُبرمت بين الباب العالي والدول العظيمة ما عدا فرنسا معاهدة في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ على اخراج ابرهيم باشا من سورية واقرار محمد علي باشا على مصر. وسار الاسطول الانكليزي والاسطول العثماني وعليهِ السر عسكر سليم باشا ورست تلك السفن في مرفإِ جونية ونزلت بها الجنود العثمانية وخرجت طائفة من اللبنانيين على ابرهيم باشا وطفقوا يناوشون عسكرهُ ولقي ابرهيم باشا الجنود العثمانية عند بحر صاف فانهزم الى قرنايل وهما قريتان بلبنان ثم

ورد اليهِ امر ابيهِ بالخروج من سورية وكان الانكليز في الاسطول قد اجبروهُ على الجلاء عن السواحل ورموا بيروت وعكاء بالكرات فرحل الى مصر وكان الكثير من اهل سورية قد انتقضوا عليهِ وقاموا بامر الدولة العثمانية . وكانت مدة ولايتهِ في سورية نحو تسع سنين وقد دلَّت احكامهُ فيها على حكمتهِ فانهُ اصلح امورها ولمَّ شعثها واستأصل منها المفسدين وامَّنَ السابلة وانفذ الاحكام بعدلٍ وصرامة تقتضيها صعوبة مركزهِ وسلب بعض الاهلين سلاحهم مخافة انبعاثهم عليهِ بالهرج والشغب وشاد كثيرًا من الابنية النافعة للعسكرية والاهلين معًا وعمَّم زراعة توت الحرير ونشط الصنائع وسعى في ترويج التجارة وقرَّرَ حق التملك ومنع الرشوة والمحاباة وكان يرسل مأموريهِ الى جهات سوريَّة ليجبروا الاهالي الذين كانوا قد نسوا الاعمال الزراعية ان يزرعوا اراضيهم وادخل في البلاد زرع الارز والنيل ودودة القرمز ولهُ غير ذلك من المآثر الحسنة

وفي سنة ١٨٤٦ سار الى فرنسا ليستحم بالماء المعدني وقدم باريس فقابلتهُ حكومتها باحسن مقابلة واجزلت اكرامهُ ثم عاد الى مصر ولما عجز والدهُ عن الحكم فيها ولي امرها سنة ١٨٤٧ وتوفي

قبل وفاة ابيهِ بداء الذرب سنة ١٢٦٥ للهجرة (عاشر نوفمبر ت ٢ سنة ١٨٤٨) وعمرهُ ٦٢ سنة تاركًا ثلثة بنين اكبرهم احمد ولد سنة ١٨٢٥ وهو كثير المشابهة لابيهِ وكان يرافقهُ في اكثر اسفارهِ ولا سيما بسورية والثاني اسمعيل وهو الخديوي المستقيل الماضي وستأتي ترجمتهُ والثالث مصطفى ولد سنة ١٨٣٣ وكانت مدة ولاية ابرهيم باشا على مصر احد عشر شهرًا وقال بعضهم مؤَرخًا عام وفاتهِ من الهجرة

فَمَضى وقلتُ مؤَرّخًا الله يرحمُ مَنْ مَضَى

وهو اعظم قواد المسلمين في هذا القرن وكان عادلًا يمقت المداهنين المتدلّسين ويثبت في وداد المخلصين لهُ وكان يميل الى الفلاحة وقد هيَّأَ اسباب تقدمها ما امكنهُ واخذ بيد اهلها وكان يتجشم الاهوال ولا يتأنق في امورهِ المعاشية . فكان اذا اقتضت الحال يفترش التراب ويتوسد الحجر غير مبالٍ بالحرّ والبرد وذلك ما سبَّب لهُ داءً عصبيًا . وكان عالي الهمة بصيرًا بالامور ثابت العزم كثير الحزم فيهِ ترفع وهيبة مع مؤَانسة وحسن مجالسة وقد اقيم لهُ في القاهرة تمثالٌ حسن سنة ١٨٧٢

المرحوم عبَّاس باشا الخديوي الثالث

ان المرحوم طوسون باشا هو الابن الثاني لمحمد علي باشا ولد في مدينة قواله في الاناضول وكان مشهوراً بشجاعتهِ وكرمهِ واتضاعهِ وشدة ميل الناس اليهِ للطفهِ وحسن سلوكهِ ولما توفاهُ الله ظهرت كل المزايا الحميدة التي كانت فيهِ بابنهِ المرحوم عبَّاس باشا صاحب هذه الترجمة

وُلِدَ عبَّاس باشا سنة ١٨١٢ مسيحية ورُبّي احسن تربية ولما كبرَ وترعرع مال الى محبة الابطال والخيول ورافق عمهُ المرحوم ابرهيم باشا الى الديار الشامية وحضر اكثر المواقع الحربية فاظهر من الشجاعة والاقدام ما حيَّر العقول. ولمَّا تُوُفّي ابرهيم باشا تولَّى احكام البلاد المصرية سنة ١٨٤٨ مسيحية الموافقة سنة ١٢٦٥ هجرية فعدل في الرعية وقطع دابر الاشقياء والمفسدين ولاسيما الذين كانوا يعيثون في الشرقية ونظم جمع العساكر حسب وقوع القرعة عليهم وشرع في انشاء التلغراف ومد السكة الحديدية من مصر الى الاسكندرية

وكان لهُ غلامٌ يدعى الامير ابرهيم الهامي بديع الصورة باهي الطلعة ذو عقلٍ فريد وطبعٍ لطيف وعلمٍ غزير زار الاستانة العلية سنة ١٢٧٠ واجتمع بالمرحوم السلطان عبد المجيد خان فاحبهُ وزوَّجهُ بابنتهِ وغمرهُ بنعمتهِ فرجع الى مصر وهو رافلاً بحلل العزّ والفخر. والمرحوم الهامي باشا هو والد ذات العفاف والعصمة حرم سموّ توفيق الاول الخديوي الحالي

وتوفي المرحوم عباس باشا بمصر سنة ١٨٥٤ الموافقة سنة ١٢٧٠ بعدما حكم نحو خمس سنين وكان عظيم المهابة وافر العقل كثير الاصابة فصيح اللسان قوي الجنان كثير الاحسان طيَّب الله ثراهُ

المرحوم سعيد باشا الخديوي الرابع

هو ابن المرحوم محمد علي باشا ولد في مصر سنة ١٨٢٢ مسيحية وتعلم اللغات الشرقية والعلوم الرياضية وسلك الابحر والرسم ودرس اللغة الفرنسوية فاتقنها وكان يتكلَّم بها بفصاحة

وطلاقة . وتولّى زمام الاحكام المصرية سنة ١٨٥٤ بعد وفاة عباس باشا فعدل في الرعية وأكثر من الاعمال المبرورة وفي ايامهِ بُوشِرَ باهمّ الاعمال فغُرِسَت الاشجار في طريق المنشية ونُصِبَ التلغراف ومُدَّت السكك الحديدية ولا سيما التي بين مصر والاسكندرية ونظمت لوائح الاطيان وغيرها لدوائر الحكومة السنية وابتُدِئَ بوصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر (بحر القلزم) وذلك بمشاركة شركة فرنسوية تحت عناية الموسيو دوليسبس الشهير وبُنِيَت مدينة بورت سعيد على اسمهِ وتيسَّرت للناس الاشغال واسباب المعاش ووفر الغنى وزادت ثروة البلاد

وسنة ١٨٥٩ زار سورية وبقي في مدينة بيروت ثلاثة ايام بضيافة بيت بسترس الشهير بوجاهتهِ وكان لحلولهِ فيها ايام عظيمة الشأن يرويها الوالد للولد في كلّ مدينةٍ وبلد . وكان في اثناء مرورهِ بالطرقات وازدحام الناس للتيمن بطالعهِ السعيد ينثر عليهم الذهب نثرًا فيلتقطهُ العوِز ويدعو لهُ بحسن الثواب والى ذلك اشار بعضهم بقولهِ

يسيرُ والذهبُ المنثورُ يتبعهُ
مِثلَ السماءِ ترشُّ الارضَ بالبَرَدِ

وقدَّم اليهِ حينئذٍ الشعراءُ قصائد المديح والتهاني معربين فيها عما لهُ ولابيهِ ولاخيهِ المرحومين من جليل الاثر والحب المتزايد في قلوب عموم الشعب السوري فاجازهم واكرمهم شأن كل منشطي فنون الادب في كلّ مكانٍ وزمان ولولا ضيق المقام لزيَّنا بها صفحات مجلَّتنا هذه

وبعد رجوعهِ الى الديار المصرية احسن الى السوريين ولا سيما الذين التجأُوا الى خديويتهِ فشملهم بانعامهِ وغمرهم بالتفاتهِ واحسانهِ

وما زال في عزّ وانعام واصلاح حال وتحسين شؤُون حتى عاجلتهُ المنيَّة في بداية سنة ١٨٦٣ مسيحية الموافقة سنة ١٢٧٩ هجرية وكانت مدة حكمهِ نحو تسع سنوات فأَرَّخ الشيخ ناصيف اليازجي وفاتهُ بقولهِ

ذهبَ السعيدُ عزيزُ مصرٍ طالبًا　　عرشَ السماءِ فسادَ في الحالينِ
في تربةٍ كَتَبَ المؤرّخُ فوقَها　　نالَ السعيدُ سعادةَ الدارينِ

وكان رحمهُ الله جوادًا كريمًا عاقلًا حازمًا حليمًا تنبئُ آثارهُ باعمالهِ وتبين مناقبهُ من افعالهِ

اسمعيل باشا الخديوي الخامس

هو ثاني انجال المغفور لهُ ابرهيم باشا وُلِد سنة ١٨٣٠ مسيحية وتربَّى احسن تربية وتعلَّم في احسن المدارس على امهر المعلمين فاتقن فن الهندسة وبرع في التخطيط والرسم وجال في اوربا واختبر احوالها ولما تُوفّي عمهُ سعيد باشا جلس على كرسي الخديوية في ١٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٦٣ الموافقة ٢٨ رجب سنة ١٦٧٩ هجرية . وبما ان تاريخهُ حديث ومشهور نكتفي بالالماع الى الاعمال المفيدة التي باشرها والاصلاحات الشهيرة التي اجراها

من الامور الجديرة بالذكر والحريَّة بالاعتبار التي اجراها اسمعيل باشا انشاء الانتيكخانة والكتبخانة واصلاح الطرق وبناء الابنية العموميَّة كالاوبرا الخديوية في العاصمة وتياترو زيزينا بالاسكندرية والسرايات الفخيمة وجرّ المياه الى العاصمة لتوزيعها في بيوتها وتعميم زرع الاشجار على الطرقات وتنوير العاصمة والاسكندرية بالغاز وتدارك ما ينجم عن الحريق

بجلب آلات لاطفاء النيران · وفتح المدارس وتعميم المعارف وتحسين مطبعة بولاق وترجمة الكتب المفيدة الى العربية وطبعها وتأسيس معمل الورق وغيرهِ من المعامل وتنظيم المجالس واصلاح ترع نهر النيل ومجاريها وايصال التلغراف والطرق الحديدية الى بلاد السودان · وبناء مدينة الاسماعيلية وتزيينها بالحدائق البهية والقصور الجميلة واتمام وصل البحر الاحمر ببحر الروم وانشاء المنارات في البحر الاحمر وابطال تجارة العبيد والسعي لاكتشاف ما غمض من قارة افريقية بمدد اصحاب الخبرة لاتمام هذا العمل وتزيين حديقة الازبكية بغرس اشجارها وتنظيم هيئتها وترتيب الموسيقى على ما هو مشاهد فيها الآن

فما ذكرناه بالايجاز الكلي وما لم نذكرهُ من اعمالهِ الحسنة يخلّد لهُ الذكر الطيّب الى ما شاء الله

وانما تقلُّبات الايام واحوال السياسة استدعت تنازلهُ عن كرسي الخديوية وتولية اكبر انجالهِ مكانهُ وتمَّ ذلك في ٢٦ حزيران (يونيو) سنة ١٨٧٩ فذهب الى اوربا ولم يزل فيها

سمو محمد توفيق باشا خديو مصر السادس

وُلد في مصر يوم الخميس الواقع في ١٠ رجب سنة ١٢٦٩ هجرية الموافقة سنة ١٨٥٢ مسيحية ولما بلغ التاسعة من العمر درس العلوم على افاضل الاساتذة بمدرسة المنيل تحت ادارة جكله بك ثم على الاستاذ الشيخ ابرهيم الغني ثم في المدرسة التجهيزية فتعلم الصرف والنحو والجغرافيا والتاريخ والرياضيات والطبيعيات والكيمياء ومن اللغات العربية والتركية والفرنسوية والانكليزية وكان نجيبًا في دروسهِ كلها طائعًا لمعلميهِ شديد الملاطفة لمرشديهِ

ولما بلغ التاسعة عشرة من العمر سنة ١٢٨٨ هجرية تولَّى رئاسة المجالس الخصوصية في دائرة الحكومة ثم توظف في نظارة الداخلية ونظارة الاشغال ومجلس النظار وكان مثالًا للاجتهاد واللطف والدقة في الاعمال

ولما بلغ الحادية والعشرين من العمر وذلك في اوائل سنة ١٨٧٣ مسيحية اقترن بذات العصمة والعفاف امينة هانم ابنة المرحوم الهامي باشا المتقدم ذكرهُ وهي مشهورة بالكمال والجمال

والرصانة والحنوّ على الفقير حتى قيل فيها انها لم تصلح الاَّ لقرينها ولم يصلح الاَّ لها

وسنة ١٢٩١ ﻫ الموافقة ١٨٧٤ مسيحية في ١٤ يوليو وُلد نجلهُ البرنس عباس بك وسنة ١٨٧٦ وُلد لهُ مولود ثانٍ هو البرنس محمد علي بك . ثم رُزِق كريمتين اولاهما نظلة هانم وقد وُلِدَت سنة ١٨٧٧ مسيحية

وما زال سموّهُ يتقلَّب في المناصب ويختبر احوال الرعايا والحكَّام حتى تكاثرت الارتباكات وازدادت المشاكل السياسية بسبب الاموال وغيرها فافضى ذلك الى تنازل والدهِ اسمعيل باشا وتولّيهِ منصب الخديوية مكانهُ يوم الخميس في ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هجرية الموافقة ٢٦ حزيران (يونيو) سنة ١٨٧٩ مسيحية وهو يوم ورود تلغراف من الباب العالي بالاستانة يؤذن بتوليتهِ على مصر مكان ابيهِ

وهذه صورة تعريبهِ

بناء على ان الخطة المصرية هي من الاجزاء المتممة لجسم ممالك السلطنة السنيَّة وان غاية حضرة صاحب الشوكة والاقتدار انما هي تأمين اسباب الترقي وحفظ الامن والعمارة في الممالك وبناء

على ان الامتيازات والشرائط المخصوصة الممنوحة للخديوية المصرية مبنيَّة على ما للحضرة الشاهانيَّة من المقاصد المذكورة الخيريَّة .
وبناءً على تزايد اهميَّة ما حصل في القطر المصري ناشئًا عما وقع فيهِ من المشكلات الداخليَّة والخارجيَّة الفائقة العادة وجب تنازل والد جنابكم العالي اسمعيل باشا

ثم انهُ بناءً على ما اتصفت بهِ ذاتكم السامية الآصفية من الرشد وحسن الرويَّة وعلى ما ثبت لدى ملجإِ الخلافة الاسمى من ان جنابكم الداوري ستوفقون الى استحصال اسباب الامنية والرفاهة لصنوف الاهالي والى ادارة امور المملكة على وفاق ارادة الحضرة الشاهانيَّة الملوكانيَّة توجهت الارادة العليَّة بتوجيه الخديوية الجليلة الى عهدة واستئهال آصفانيتكم . وبناءً على الفرمان العالي الشأن الذي سيصدر حسب العادة على مقتضى الارادة السنيَّة السلطانيَّة التي صار شرف صدورها . وبناءً على ما كُتب بالتلغراف الى حضرة المشار اليهِ اسمعيل باشا من تخليهِ عن النظر في امور الحكومة وتفرغه منها وبصورة وقوع انفصالهِ تحرَّر تلغراف هذا العاجز لكي يُعلَنَ حال وصولهِ للعلماء والامراء والمأمورين والاعيان واهل المملكة جميعًا وتباشر من بعدهِ امور

الحكومة وهذا من التوجيهات الوجيهة الى اثر استحقاق آصَفانيتكم لتجري التنظيمات والترقيات مبدأً ومقدمةً ويصير تكرير الدعاء بتوفيق الذات الجليلة الفخيمة السلطانية ولذلك صارت المبادرة الى ايفاء لوازم التهنئة لحضرتكم ايها الخديو المعظّم والامر والفرمان في كل حال لمن لهُ الامر افندم

﴿ خير الدين ﴾

فسرَّ الاهالي والاجانب بذلك وتوسموا في هذا التغيير الخير والاصلاح وأُطلقت المدافع على جاري العادة واقبل وكلاء الدول واعيان البلاد يهنئون سمو الخديو الجديد بارتقائهِ الى الاريكة الخديوية وبعثت الجمعيات بوفودها لتقديم مراسم التهنئة وفي مقدمتها الجمعية الماسونية

وبعد ورود الفرمان وتوليهِ زمام الاحكام شرع في الاصلاح فتنازل عن مبلغ عظيم من راتبهِ واهتم بايجاد الطرق الموصلة لراحة القطر المصري وخيرهِ . فسمَّى رجل الحكمة والحزم دولتلو شريف باشا رئيساً للنظار وبعث اليهِ بما يأتي

ياوزيري العزيز

لقد استعفت الوزارة فاكلفك بتشكيل وزارة جديدة ولا ازيدك بحقيقة الحال علماً

ولما قضت العناية الازليَّة بتوليتي امر بلادي جعلت عليَّ واجبات ليس من همي الاَّ النهوض بها بامانةٍ وشهامة على علي بمقدار صعوبتها وجسامة المطاليب المتراكمة عليَّ مع الارتباك والفترة المالية التي انزعجت منها الخواطر اذ وقفت حركة التجارة واوجدت فترة في البلاد لم تقع في مصر من قبل على اني عظيم الميل الى بلادي شديد الرغبة في تحقيق آمال الامة التي اظهرت السرور بولايتي وفي اخراجها من هذه الحال السيئة ومع هذه العواطف فاني عازمٌ عزمًا اكيدًا على بذل الجهد وصرف الهمة الى التماس احسن الوسائل لازالة هذا الاختلال المفسد لكثير من المصالح وذلك بتقرير الاقتصاد الحق القانوني في نفقات الحكومات ورعاية الامانة والاستقامة في الخدم العمومية واصلاح شؤون الهيئة القضائية والهيئة الادارية تلك هيَ الوسائل الاولى

التي يهمني اتخاذها لتقوى بها المملكة على استرجاع قوّتها وتوسيع موارد ثروتها وانجاز وعودها ووفاء عهودها . الاَّ ان ادراكي لهذه الغاية التي هي موضوع آمالي يتوقف على مساعدة الامة بجملتها ووجود الغيرة الوطنيَّة في قلوب مأموري الحكومة وصدق العزيمة في الذين يساعدونني على ادارة الاعمال مسئولين عما يفعلون ويقيني ان لا افقد هاتهِ المساعدات ولا اعدم من الله الكريم مددًا وانك ستنهض بما كلفتك بهِ على الوجه الموافق لنيتي وللغاية التي اسعى اليها فاقبل ياوزيري العزيز تأييد مودتي الصادقة

﴿ محمد توفيق ﴾

وبعث الخديو كذلك الى هيئة النظار بمنشور مؤرخ في ١٤ رجب سنة ٩٦ نمرة ٢ يظهر بهِ افكارهُ وآراءهُ ومستقبل سياستهِ واجراءات حكمهِ وهذه صورتهُ

ان العناية الالهيَّة سلمت زمام الحكومة المصرية الى يدنا فضلاً منها واحسانًا فقد تشرفنا بامرٍ شريفٍ بذلك من متبوعي الافخم وسلطاني الاعظم نصرهُ الله فهذه نعمة لا يؤدى شكرها الاَّ بحسن القيام باداء وظائف ذلك المقام وهذا انما يكون بتوفيقهِ

تعالى فعليَّ السعي والاجتهاد في تمشية مصالح العباد وادارة امور الحكومة على محور الاستقامة واني اعلم ان المقام صعب ولكن بحسن إخلاصي وبما رأيتهُ من حسن القبول من الناس جميعًا خصوصًا من سكان الديار المصرية عمومًا ومن المأمورين كافةً اعتقد ان ذلك الصعب يهون ويحصل التيسير ولعلمي ان الحكومة الخديوية يلزم ان تكون شوروية ونظارها مسئولين فاني اتخذت هذه القاعدة للحكومة مسلكًا لا اتحوَّل عنهُ فعلينا بتأييد شورى النواب وتوسيع قوانينها لكي يكون لها الاقتدار في تنقيح القوانين وتصحيح الموازين وغيرها من الامور المتعلقة بها وبحسب مقتضيات الاحوال صار انتخاب هيئةٍ جديدة بمعرفتكم وتحت رئاستكم واني معتقد في مأموري الحكومة المصرية الصدق والاستقامة ومؤمل بانهم يسيرون في المستقبل بالسيرة المرضية ويعرفون ان اعظم الغنى غنى النفس واعلى الشرف شرف العفة واغلى الحلى حلية الاستقامة واقوم الطرق طريق الحق والعدل فأول ما يجب المبادرة اليهِ من الامور هو دفع المشكلات المالية التي هي منشأ الصعوبات كلها فيلزم بذل المساعي المقتضاة لايصال الحقوق الى اربابها مع ملاحظة مصاريف الحكومة وهذه المسألة وان كانت صعبة

بسبب المضايقة الحاصلة الآن انهُ من المأمول حصول التخلص منها باتخاذ التدابير الحسنة ولا شك انكم تبذلون في هذا السبيل جهدكم بالاتحاد مع سائر النظار ويجب علينا اصلاح المحاكم والمجالس لانها هي ملجأُ ارباب الحقوق وبها يأْخذ الضعيف حقهُ من القوي ويجب علينا ايضاً دوام السعي في تعميم التربية العمومية لتنوير اذهان الاهالي بتحسين حال المدارس وتنسيق نظامات مفيدة لها على الوجه المرغوب وايضاً يجب الاهتمام بالاشغال العمومية النافعة وتوسيع دائرة الزراعة لانها منبع الغنى في القطر المصري والتجارة ايضاً مما يجب الاعتناء بشأْنهِ والسعي في تكثيرهِ باعطاء الحرية لها مع الاهتمام باصلاح ما يلزم اصلاحهُ من احوال الادارة في جهات الحكومة باجمعها واراحة العباد على قدر الامكان فهذه هي الامور التي اظنها سبل الرشاد ومناهج العدل والسداد ومسالك تدبير الممالك في جميع الاقطار فالامل ان تصرفوا هممكم في رؤْية امور الحكومة متحدين في القلوب متفقين في الافكار وفقنا الله الى ما فيهِ الخير والصلاح انهُ ولي التوفيق

ومن ذلك يتضح حسن مقاصدهِ واستقامة نواياهُ ثم استعفى دولتلو شريف باشا فتولَّى الخديو الرئاسة مدةً مكانهُ

وكان رياض باشا رجل مصر الشهير في اوربا وقتئذٍ فامر الخديو بان يكتب لهُ بالتلغراف ليعود الى القطر المصري فامتثل وجاء فوصل الى الاسكندرية يوم الاربعاء في ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ الموافق ١٧ رمضان سنة ١٢٩٦ ومعهُ ولداهُ فلاقاهُ الى البحر عدد عظيم من الوجهاء وشيَّعوهُ الى المحطة من حيث جاء مصر فاستقبلهُ في المحطَّة عدد عظيم ايضاً مع طونينو بك مأمور التشريفات الثاني مرسلاً من قبَل سمو الخديو ولما تشرف بمقابلة سموّهِ كلفهُ بتشكيل وزارة جديدة برئاستهِ وبعث اليهِ بما يأتي بشأن تشكيل الوزارة

عزيزي رياض باشا

لم اقصد بترأسي على مجلس النظار ان اعيد السطوة الشخصية وانما راعيت في ذلك ضرورة الحال وملت مع الرغبة في تقريب علائقي باعضاء الوزارة فلم يكن في خاطري عزم نهائي خصوصاً فيما يغاير المبدأ الذي اتخذتهُ يوم ولايتي وهو ان احكم مع مجلس الوزراء وبمجلس الوزراء

فهذا هو المبدأُ الذي يرتفع الى الامر الصادر في ٢٨ اغسطس سنة ٧٨ فلا يتعلق بان لا يكون مرعي الاجراء على الدوام فانك تعلم عواطفي المنجذبة الى هذا الامر ولا تجهل افكارَ الاستقامة والنجاح والنظام ولاقتصاد التي اروم ان اراها منتشرة في ادارات البلاد

وفي علمي انك توافق على هذه العواطف والافكار وانك عازمٌ على ان تصرف همتك بجملتها الى اجرائها

ولست اجهل عظم اخلاصك للبلاد وادارتها وانك تروم ان تبذل المجهود في سبيل المحافظة على استقلالها

ولذلك فاني مع الثقة وحسن اليقين اكلفك بتشكيل وزارة جديدة واجعل بين يديك رئاسة مجلس النظار حافظاً لنفسي حق الحضور في اجتماعاتهِ وان اتولى رئاستهُ كلما مست الحاجة الى ذلك

واني على يقين من انك ستعتني ايما اعتناء بانتقاء رفقائك الوزراء الذين سترفع لي اسماءهم لاصدق على توظيفهم

وبعد ان تتألف الوزارة تأخذ في الاشغال على وفاق القضايا الواردة في الامر الصادر في ٢٨ اغسطس سنة ٨٧٨ افانهُ لا يزال

مرعي الاجراء في جميع احكامهِ التي لم يغيرها امرنا هذا ثم ان المحافظين والمديرين ومأموري الضبطية ووكلاء النظارات وكتبة اسرارها ومفتشي المديريات ومديري الادارات المهمة جميع هولاء يجب ان يكون نصبهم او عزلهم بعد المفاوضة فيهِ بمجلس النظار وتعلق ارادتي

واما سائر الموظفين فيعينون او يُعزَلون بامرٍ يصدر رأْساً من النظارة التي هم تابعون لها

ولا يخفى عنك ياعزيزي رياض باشا اني في شغلٍ شاغل من المسائل المهمة ولا أَرى من حاجةٍ الى ان اذكرك في جملة تلك المسائل باهمية تقرير ميزانية الدخل والخرج السنوية على الوجه النظامي وبالترتيب النهائي لامور التحصيل الشديد العلاقة باصول الميزانية وتنظيم احوال المالية المتأَخرة الشاملة لجميع المصالح المستوجبة لمطلق اهتمامنا المحتاجة لمعظم عنايتنا

وفي علمي اني استطيع الاعتماد عليك في حلّ هذه المسائل وما شاكلها من المهمات وانك بالنظر الى حسن اختبارك وحبك الوطني لا تهمل شيئاً مما يعود على احوال البلاد الراهنة

بالاصلاح الحقيقي الذي نتمناهُ جميعًا والذي يجب على كلٍّ منا ان يبذل جهدهُ في تمهيد سبيلهِ

واقبل يا عزيزي رياض باشا عواطف مودتي الاكيدة

التوقيع ﴿ محمد توفيق ﴾

وصدر من سراي عابدين في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩

فتشكلت الوزارة على احسن حال واتمّ منوال

وبعد ذلك ساح في جهات القطر يتفقد حال الرعايا ·

وتمَّت حينئذٍ مسأَلة تسوية الدين على نظامٍ حسن وتحسنت الاحوال وتوطَّدَت اركان الامن وراجت الاشغال وخصوصًا بتقليد رياض باشا رئاسة مجلس النظار وتوليهِ نظارة المالية وغيرها

وارتفع ثمن الاطيان وعرف الفلاح انهُ من بني آدم وزهت المعارف وكثرت المطابع والجرائد وتناقصت الضرائب وتحسنت العلاقات مع اصحاب الديون وعدِّلت ميزانية الصرف والايراد وملحقات ذلك من المهام

وفي تلك الاثناء وجّهت رتبة المشيرية الى دولتلو رياض باشا

ولكن لم تطل الحال حتى استقال من الوزارة فأُحيلت الى دولتلو شريف باشا ثانيةً

وبعد ايام تفاقم خطب الجهادية بدسيسة عرابي وغيره وحدثت الفتنة المعروفة بالعرابية فاظهرت الحضرة الخديوية تمام الحزم والشجاعة والثبات وعرَّضت نفسها للخطر بغية خلاص القطر المصري من اعتداء البغاة حتى خمدت نار الفتنة العرابية وعادت المياه تجري في مجاريها

ومع ان للحضرة الخديوية تمام السلطان على ابادة العصاة واعدام الذين سعوا باتلاف راحة البلاد لكنها لحلمها المشهور وكرم اخلاقها المشكور عفت عن اكثرهم وعاملتهم باحسن مما يستحقون

ولما كانت هذه الحوادث لا تزال كلها حديثة العهد فقد امسكنا القلم عن الخوض في عبابها اعتماداً على معرفتها بين الخاص والعام

وما لبث القطر ان ارتاح من القلاقل العرابية حتى رزئ بطاعون المواشي فذهب بجانب من ثروته

ثم عقبهُ داء الهواء الاصفر سنة ١٨٨٠ فكان سموُّهُ يشجع البائسين ويزور المستشفيات ويرتب النفقات للفقراء ولدفن الموتى ويخفف آلام المصابين بلطفهِ وشهامتهِ ونبالة عواطفهِ

ولم يزل من ذلك الوقت الى الآن مشتغلاً بالاصلاح مهتمًّا بتحسين الاحوال رغمًا عن العوائق السياسية مسلمًا امورهُ ليد مدبّر الكل واثقًا بعنايتهِ راغبًا في خير البلاد وراحة اهليها .

وقد عدل في الرعيَّة وجاد على ابناء البلاد بكل ما في يدهِ من اسباب الترقية ورفع الشأن وكافأ المجتهدين وبحث عن الامناء والصادقين حتى صار حبهُّ لهم موضوعًا لاهل القلم واخلاصهُ في مصلحتهم اشهر من نار على علم

هذا وقد اختصرنا ما يود القلم الاطالة فيهِ داعين لسموّهِ بالعزّ وطول البقاء سائلين المولى ان يحفظ لنا جنابهُ العالي مع انجالهِ الكرام وآل بيتهِ الفخام ما سجع القمريُّ وغنَّى الحمام

اللطيفات

جَن دَرك

هي فتاةٌ فرنسوية بنت راعي مواشٍ وُلدت سنة ١٤١١ في قرية دومرمي التابعة لمقاطعة لورين ولما بلغت الخامسة من العمر كانت ترى احلاماً ورؤًى كان الملائكة والاولياء يخاطبونها فتقص احلامها على والديها. فعنفها ابوها على ذلك وشدَّد عليها فالتجأَت الى ارملةٍ من ربَّات الفنادق وخدمتها احسن خدمة ثم رجعت الى بيت ابيها وكانت مهفهفة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها تلوح عليها سيماء اللطف والدعة والشجاعة والعفة

ولما بلغت الثالثة عشرة من العمر تعاظمت فيها الهواجس والرؤى وكانت فرنسا وقتئذٍ في اشد ضنك من محاربة الانكليز لها وكان الشائع ان عذراء ستخلص فرنسا من اعدائها فاعتقدت جَن دَرْك انها هي المشار اليها في خلاص بلادها وتتويج ملكها ورأَت رؤًى كثيرة بهذا الشأن

وفي تلك الاثناء نهب البرغونيون قريتها وتركوها خاوية خالية فتأثرت من ذلك كل التأثُّر وازدادت فيها الاحلام والرؤى وصممت على اعتقال السلاح لتخليص بلادها فطلبت مساعدة بودريكور حاكم فوكولور بواسطة عمها في شهر ايار (ماي) سنة ١٤٢٨ فاستخف بها الحاكم وتردد في اجابة طلبها ولكنهُ ارسلها اخيرًا الى شارل السابع ملك فرنسا وذلك في شهر شباط (فبراير) سنة ١٤٢٩

قال في سحر هاروت وكان عليها ان تقطع مسافة ١٥٠ فرسخًا في اقطار مشحونةٍ بديادبة الانكليز ومحفوفةٍ بالمكاره والاهوال حتى تبلغ مدينة (تورين) حيث يقيم الملك فتزيَّت بزيّ فارس وعلت جوادًا سابحًا بعد ان تقلَّدت حسامًا بتَّارًا واخترقت تلك المهامه حتى اذا اشرفت على مقرّ الملك بعثت تنبئهُ بقدومها وتخبرهُ بانها ستكون منقذة العرش ورافعة الحصار عن اورليان وممهّدة سبيل تتويجهِ في رام فلما قدم عليهِ البشير بذلك النبإ ابتسم مزدريًا عن قلبٍ مشحون بالغيظ ثم ائتمر مع وزرائهِ في شأنها ثلاثة ايام فكان فريقٌ يسخر منها ويضحك عليها وفريقٌ يذود عنها ويرتإي القاء المقاليد اليها والملك بين ذلك

مذبذبٌ لا الى هولاء ولا الى هولاء حتى اسفر الرأي عن لقائها فلبس الملك ثياب احد اتباعهِ والبسهُ ثوبهُ الملكيَّ اختباراً لامرها ثم اذن لها فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشية حتى وقفت ازاءهُ فانحنت جاثيةً لديهِ قائلةً لهُ بلسان ذرب حيّيتَ وحييت ايها الملك الحليم فقال لها اخطأتِ فان الملك هو ذاك مشيراً الى من البسهُ ثوبهُ فقالت ما الملك الاَّ انت وما انت الاَّ الملك واني لمأمورةٌ انا العذراء المسكينة من الروح الامين بشدّ ازرك والدأب لاستتباب نصرك وما على الرسول الاَّ البلاغ فخلا بها الملك حيناً من الدهر ثم ناجى وزراءهُ فقال لهم لقد احاطت لعمر الله بما في سرائري ودرَت بما لا يدركهُ بعد الله الاَّ ضمائري واني لاوشك ان اكون من امرها على ثقةٍ ولكن لا بأس من التربُّص ريثما تمتحن ثم أتاها برهطٍ من مهرة الاطباء واساطنة العلماء حاولوا ان يعرقلوها بمسائل مشكلات وغوامض معضلات حتى اذا اعيتهم الحيَل وعادوا بالخيبة والفشَل عزَّزها الملك بكتيبة من خواصّ فرسانهِ فبرزَت امام الجيش شاكية السلاح معتقلةً بيدٍ رمحاً وبالاخرى رايةً وأَخذت تعدو على جوادها متفننةً في انواع الفروسة حتى حيَّرت الناظرين فهتفوا

ترحيبًا بها واستحسانًا لها وتعجبًا منها

ثم سارت بجيشها تنهب الارض اهماجًا وخببًا حتى بلغت المعسكر في اورليان واذا بارواح القوم تكاد تبلغ التراق والعدوّ محيط بالمدينة احاطة الهالة بالبدر واهلها في شدَّةٍ من ضيق الخناق فأَمرت بادئ بدأَة في تطهير المعسكر من عواهر النساء وحضَّت الرجال على الاستمساك بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثم زحفت على البلد فاستولى الرُعب على قلوب الانكليز وقالوا ما هذه بشرٌ ان هي الاَّ مَلَكٌ كريم او ساحرٌ اثيم وكانت تتردى بحلَّةٍ بيضاء وتركب جوادًا اشهب وتنشر فوق رأْسها راية بيضاء فاذا بصر بها الانكليز وهي في هذا الهندام فرُّوا من امامها كأَنهم حمرٌ مستنفرة فرَّت من قسورة وما برحت تصدق الحملة وتتابعها وتبلي بالعدوّ البلاء الحسن وهي تتجرَّع من انحراف جيشها عنها وعدم انقيادهِ لها انواع الغصص وضروب الاحَن حتى استتبَّ لها الفوز فضعف الانكليز واستكانوا وضُرِبت عليهم الذلَّة اينما ثُقفوا فالجئوا الى الجلاء عن اورليان فكفّوا عن حصارها في ٨ ايار (ماي) سنة ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شيءٍ فسارت (جَن دَرْك) الى بلوا لتهنّئ الملك بما اوتيهِ على يدها من النصر.

وكان القرويون في تلك الاصقاع يتسابقون لمرآها ويتزاحمون لمسّ اقدامها ولمس ثراها فاكرم رجال البلاط وفادتها ودعاها الملك الى وليمة فأبت قائلة ان الوقت وقت جهد وثبات لا وقت قصف ولذّات وان الروح انبأني بان الموت قد دنا فتدلى حتى صار على قاب قوسين وانهُ لم يبقَ بيني وبينهُ اكثر من عامين فاذهب بجيشك الى رام حيثما اتوّجك بيدي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء . فسار وسارت امامهُ بفصيلة من الجيش حتى اذا بلغت جارجو اعترضها العدوُّ فهاجمتهُ ورقت سلماً نصبت على السور فرُميت من اعلاهُ بما جندلها في الخندق فصرُعت ولكنها افاقت بعد قليل وجعلت تستثير حمية العساكر بكلام ارقّ من السحْر وأفعل في الرؤُوس من نشوة الخمر وهي تعاني آلاماً مبرّحة فدبّت النخوة في صدور الرجال وحملوا حملةً صادقة اذاقت العدوَّ الازرق بلاء اسود وأرتهُ من بريق النصل الابيض موتاً احمر فاستولت على البلد عنوةً بعد ان أسرت قائد الجيش . ولما طار الخبر الى الامير تلبوت قائد الانكليز العام اخلى سائر المدن وكرَّ قافلاً الى باريس وما برحت جَن دركْ آخذةً في سيرها وكلما عثرت بشرذمة فتكت بها حتى بلغت

مدينة رام وهنالك تمَّ تتويج شارل في ١٧ تموز (يوليو) سنة ١٤٢٩ وكانت جَن دَرْك ممسكة بسيفهِ وعليها اثواب الكماة وبعد انقضاء الحفلة جثت عند قدميهِ وعانقتهما باكية ثم قالت اليوم اكملت لكم نصركم وانجزت كل ما وعدتكم فاطلقوا سراحي فاعود الى ابي قريرة العين حيثما ارعى الماشية واغزل الصوف جريًا على سَنَنٍ ربيت فيهِ ونشأت عليهِ فامتنع الملك قائلاً كيف اغادر من بها نجاة الامة واليها يرجع امر استتباب راحتها وعليها يتوقف استكمال سعادتها ذلك لان الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقادًا وعلَّقوا على بسالتها واقدامها آمالاً طوالاً حتى كانوا يرون حول رايتها اسرابًا من الفراش البرَّاق البهج. فساءها امتناع الملك وعرتها مذ تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط وذهبت عنها تلك الحمية والبسالة وانقطعت عنها احلامها الروحانية حتى اصبحت اعمالها رهينة الحيرة والفشل واقوالها قرينة الوهم والركاكة وكانت ترى ابدًا خاثرة النفس دائمة البكاء. ولمَّا لم يجدها الالحاح نفعًا استعادت من معبد رام سلاحها وبرزت ثانية في زيّ الابطال جير ان كبراء القادة وامراء الجيش كانوا قد أُشربوا بغضها واضمروا لها الحسد والضغينة فصاروا يشنّعون

عليها ويسيئون معاملتها ويغرون العساكر على نبذها بالالقاب المستهجنة بل بلغت بهم القحة الى محاولة هتك حجابها ليفضحوها فكانت تردُّهم اقبح الرد ولا تجالس الاَّ حرائر النساء ومصونات الابكار ولا تنام الاَّ مع امرأة تخفرها فلم يجد احدٌ فيها محلاًّ للوم والقذف ومع انها جُرحت مرَّات لم يثبت كونها سفكت بيدها دم احد. ثم اشارت على الملك بالشخوص الى باريس ليستخلصها من يد الانكليز فسار وجن دَرْك سائرة في ركابه حتى اذا بلغها بعد شقّ الانفس امرها بالهجوم على (فوبور سانت اونري) حيث يقيم الاعداء فاثخنت في تلك الواقعة جراحاً وصرعت عدَّة ساعات ولما استعادت رشدها قامت فعلَّقت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى واعداً اياها باعفاء قريتها من الضرائب وبمنحها رتبة جليلة فعاودت الخدمة مرغمة. وفي سنة ١٤٣٠ انتدبها الملك الى اجلاء الانكليز عن (كومبيني) فسارت متدرّعة بالاقدام بيدَ انها لما ارادت الايقاع بالمحاصرين خذلها اتباعها وانحرف عنها اشياعها فرُميت بسهم فصرعت واستسلمت الى الامير فندوم وذلك في ٢٤ ايار (ماي) سنة ١٤٣٠ فذاع خبر اسرها في تلك الاصقاع واقبل الناس سراعًا لرؤيتها ثمَّ

بيعت للانكليز وخذلها الملك شارل جاحداً جميلها كافراً نعمتها لؤماً منهُ وخسة اصل وخاض الناس في حديثها وكان اهل باريس يشدّدون عليها النكير ويغرون الانكليز على اتلافها فلبثت مسجونة في قلعة جان دولكسمبورغ حتى أُقيمت عليها الدعوى في ١٢ شباط (فبراير) سنة ١٤٣١ تحت رئاسة كوشون مطران بوفه من صنائع هنري السادس عاهل الانكليز فسيقت الى المحكمة ست عشرة مرَّة ابدت في خلالها ثباتاً عجيباً ودفاعاً مفحماً على انهم حكموا اخيراً بانها مبتدعة ساحرة وبان تُجازى بالحبس الابدي مقصوراً قوتها على الخبز والماء ثم ارغموها على الحلف بالّا تتردى بعدئذٍ بلباس الرجال ثم نصبوا لها شركاً بان بدلوا ثيابها ليلاً بثياب رجل فلما ارادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب فلبستها مضطرَّة فهوجمت واستيقت الى الحاكم بهذا الزيّ فحكم بأَنها حانثة تستحقُّ الاحراق فقالت بثبات وجلال انني استأْنف حكمك الى عرش الحكَم العظيم ولكنها لما اخرجت الى حيث توقد النار خارت قواها فانَّت متأَوّهة ولما حمي الوطيس ولعلع لسان اللهيب أُدخلت فيهِ فجعلت تدعو وتبتهل بلسان ابكى اعداءها وصيرَّ الكردينال بوفور يحوّل وجههُ عنها تألماً

والدموع تتحدَّر من ماقيهِ كالسواقي وقد تمَّ هذا المشهد الاثيم الذي اكسب الانكليز لعنةً وخزياً في ٣٠ ايار (ماي) سنة ١٤٣١ في ساحة تسمى موضع البكر وذرّي رمادها في نهر (السين) ثم بعد عشرين عاماً نقض مطران باريس ومطران رام هذا الحكم واثبتا براءتها وفي سنة ١٨٣٠ أُقيم لها تمثال في موطنها دومرمي وآخر في محل احراقها رون ثم آخر في باريس وهو اجمل تماثيلها وفي سنة ١٨٥١ نصب لها اهل اورليان تمثالاً في مدينتهم وهم يعيّدون تذكاراً لها في ٨ ايار (ماي) من كل عام .

وقد عاب الرأي العام (فولتير) بقصيدتهِ التي اودعها ذم جَن دَرْك وتسويد صحيفتها بانواع الثلب الظالم والقذف الغادر ولكنهُ لا يستغرَب ذلك ممن اوقف حياتهُ على تقويض عُمُد الديانات وتزييف اوليائها . وقد الَّف كتبة الافرنج بموضوع قصتها عدَّة روايات محزنة من النوع المعروف (بالتراجيدي) اي الفاجعة وهي مما يذيب تمثيلها القلوب ويشق المرائر فيا قاتل الله الانسان انهُ لكافر

ليتَ السباعَ لنا كانت مجاورةً　　　وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان السباع لتهدا عن فرائسها　　　والناسُ ليسَ بهادٍ شرهم ابدا

الصناعة

لحام الرخام

يؤخذ جزء من الراتينج (القلفونيا) وجزءان من الشمع العسلي الابيض ويمزج الشمع والراتينج على النار ويضاف اليهما جزءان من سحيق الرخام ويخلط الكل خلطاً محكماً . وعند الاستعمال تُدهن قطعتا الرخام الواقع بينهما الكسر بهذا المزيج بعد ارخائهِ على النار ارخاء خفيفاً وتضمَّان احداهما الى الاخرى وتُترَكان

واذا كان في الرخام شقٌّ او ثلم يُسدُّ بماء الغراء ممزوجاً بهِ سحيق البَلَنْط (وهو الرخام الرخو الشفَّاف) بحيث اذا جمد يكون قوامهُ موافقاً لقوام الرخام ثم يُصقَل بسحيق الخفَّان والتريبولي والطباشير (الابيض الاسبانيولي)

ملاط للصيني والزجاج

يحلُّ ٣٠ غراماً من النشاء و٥٠ غراماً من الطباشير مسحوقاً سحقاً ناعماً في مزيج من مقدارين متساويين من الماء النقي والعرَق ثم يضاف الى هذا المزيج ١٥ غراماً من الغراء اللازب (اي الغراء

الحيواني Colle forte) ويوضع في اناء على النار حتى يغلي ومتى صار في قوَّة الغليان يُصَبُّ عليهِ ١٥ غراماً من تربنتينا وينيسيا ويُواظب على تحريك هذا المركب الى ان ينحلَّ الغراء والتربنتينا انحلالاً تاماً ويتحدا بهِ فهو افضل ملاطٍ للصيني والزجاج

تنييل الثياب

احسن ما تُنيَّل بهِ الثياب التركيب الآتي ٦٠ غراماً من خشب البَقَّم تُغلى في لتر من الماء مدة ساعة ثم يضاف عليها ٦٠ غراماً من الشب النقي ومثلها من النيل القابل الذوبان مسحوقاً سحقاً ناعماً جداً ويُترَك هذا المركب كلهُ يغلي بضع دقائق ثم يُصَفَّى ويُحفَظ ماؤُهُ للاستعمال وهو يستعمل كالنيل المعتاد بعد ان يُمَدَّ بالماء

وهذا التركيب سهل العمل كما لا يخفى وهو لا يتأثر بالهواء ويمتدُّ لونهُ في النسيج امتداداً متساوياً ويشرق بهِ البياض

تنظيف الصور الزيتيَّة

يستعمل لذلك محلول كلورور الكلس مركباً من اربع ملاعق منهُ في لتر من الماء تُغسَل بهِ الصورة ثم تمسح بقطعةٍ من النسيج الناعم نظيفة جافَّة

الحمَّال والقوارير

استأجر رجلٌ حمَّالاً ليحمل لهُ قفصاً فيهِ قوارير . على شرط ان يعلّمهُ ثلاث خصالٍ ينتفع بها الحمَّال . فلما بلغ ثلث الطريق قال لهُ الحمَّال هات الخصلة الاولى . فقال مَن قال لك ان الجوع خيرٌ من الشبع فلا تصدّقهُ . قال نعم . فلما بلغ نصف الطريق قال هات الثانية . فقال مَن قال لك ان المشي خيرٌ من الركوب فلا تصدّقهُ . قال نعم . فلما انتهى الى باب الدار . قال هات الثالثة . فقال مَن قال لك انهُ وجد حمَّالاً اجهل منك فلا تصدّقهُ . فرمى الحمَّال بالقفص فكسر جميع القوارير التي فيهِ وقال للرجل مَن قال لك انهُ بقي في القفص قارورة فلا تصدّقهُ

اعرابي

حدَّث ابن المدبر قال . انفرد الرشيد وعيسى بن جعفر بن المنصور والفضل بن الربيع في طريق الصيد فلقوا اعرابيًّا فصيحًا فولع بهِ عيسى الى ان قال لهُ يا كلب العرب . فقال لهُ بئسما قلت قد وجب عليك ردُّها او العِوَض فارضَ بهذين المليحين يحكمان بيننا . قال عيسى قد رضيت . فقالا للاعرابي خذ منهُ درهمين عوضاً عن شتمك . فقال أَهذا الحكم عدلٌ . قالا نعم .

قال فهذه ثلاثة دراهم خذوها وكلكم كلاب فقد حكمتم لانفسكم. فخجلوا من جوابهِ وتركوهُ

المهدي وعجوز

وقف المهدي على عجوز من العرب. فقال لها ممَّن أنتِ. فقالت من طيّ. فقال ما منع طيًّا ان يكون فيهم آخر مثل حاتم. فقالت مسرعةً الذي منع الملوك ان يكون فيهم مثالك. فتعجب من سرعة جوابها وامر لها بصلةٍ

جواب لطيف

قال رجل لآخر قد اخبرني الناس انك تكذب كثيرًا فلماذا ذلك. فاجابهُ ذاك كلّا لم اكذب سوى مرَّةٍ واحدة لا غير فقال لهُ الرجل واي متى هذا. اجابهُ انهُ جرى ذكر حضرتك بين جمهور من اكابر القوم واعيانهم وافاضلهم فمدحتك وأَثنيت عليك بالجميل وغير هذه المرَّة لم اكذب قط. فخجل الرجل من جوابهِ وانصرف عنهُ

الخمرة

يحكى ان عبد الملك بن مروان قال لاعرابي. صف لي الخمرة. فاطرق ساعةً ثمَّ وصفها. فقال عبد الملك لقد شربتها

يا اخا العرب ووجب عليك الحدّ . قال الاعرابي ومن اين لامير المؤمنين معرفة ذلك . فقال لانك وصفتها بصفتها . قال لهُ الاعرابي وانا ايضاً قد رابني من امير المؤمنين ما رابهُ مني بان يكون قد شربها حيث عرف اني قد وصفتها بصفتها . فضحك منهُ واحسن جائزتهُ

كنّاس

كان احد الكنّاسين وهو يكنس في الاسواق ينشد هذا البيت

واكرم نفسي انني ان اهنتها   وحقك لم تكرم على احدٍ بعدي

فسمعهُ رجل وفهم معناهُ . فقال لهُ وعن اي شيء اكرمت نفسك وهذه المكنسة بيدك . فاجابهُ الكنّاس في الحال . انني اكرمتها عن الوقوف على باب بخيلٍ مثلك بحمل هذه المكنسة

المأمون والنبي

تنبأ رجلٌ في زمن المأمون . فلما أُتي بهِ اليهِ سأَلهُ الى مَن بُعثت . اجاب الى اصفهان . فقال المأمون ولِمَ لم تمضِ اليها . قال أَمضي بلا نفقة . فضحك منهُ المأمون ووصلهُ

الرشيد والنبيَّة

أُتي الرشيد بامرأةٍ قد ادَّعت النبوَّة · فقال لها أأنتِ نبيَّة . قالت نعم . قال أتؤمنين بمحمد . قالت نعم . فقال ان محمدًا قال لا نبي بعدي . قالت فهل قال لا نبيَّة بعدي . فضحك الرشيد وعفا عنها

ملح منسوبة لابي نواس

رأى ابو نواس رجلاً قبيح الوجه في المسجد يستغفر الله من ذنوبهِ فقال لهُ لماذا يا حبيبي تبخل بهذا الوجه على جهنم فخجل الرجل وذهب من امامهِ

وسأل رجل ابا نواس متى تموت يا ابا الحسن · فقال لهُ ولماذا هذا السؤَال . قال اريد ان أُرسل معك كتاباً الى ابي فقال لهُ ابو نواس ليس طريقي على جهنم فارسلهُ مع غيري فخجل الرجل وانصرف

جاء رجل الى ابي نواس وشكى لهُ وجع قلبهِ فقال لهُ ماذا اكلت · قال قليلاً من خبز الشعير . فقال لهُ اذهب الى البيطار فانهُ أعرف مني بوجعك فتركهُ وانصرف

وقال لهُ رجل قبيح الخلقة اريد ان انظر الى صورة الشيطان فقال لهُ انظر في المرآة تَرَهُ تماماً

وسألهُ رجل ايما افضل يا ابا نواس المشي خلف الجنازة ام امامها . فقال لهُ ابو نواس لا تكن على النعش وامشِ حيث شئت

وجدوا ابا نواس سكران في بعض الايام فأتوا بهِ الى الخليفة فأمر الخليفة ان يصفع على وجههِ وكان الجلّاد قصيراً فلم يتمكن من ضربهِ فقال لهُ احنِ ظهرك قليلاً لكي اقدر ان اضربك فقال لهُ ابو نواس قاتلك الله هل تدعوني الى اكلة طيبة فلو قدرت ان اكون اطول من عوج بن عناق لما تأخرت عن ذلك فضحك الخليفة وعفا عنهُ

ومرَّ ابو نواس ومعهُ فقير بجنازة فسمع امرأة الميت تقول في تعديدها يذهبون بك الى بيت لا فراش بهِ ولا غطاء ولا مأكل ولا مشرب . فقال ابو نواس للفقير اظن انهم ذاهبون بهِ الى بيتك يا اخي فضحك الفقير من كلامهِ

تاثير التمدن الجديد في الشرق

لجناب نقولا افندي شحاده وكيل المقتطف العمومي في القطر المصري (١)

الشرق هو الاسبق بالعمران والاقدم بالمدنيَّة . فيهِ وجدت الشعوب القديمة كسكان سورية ومصر وفارس وغيرهم . واهلهُ هم الذين سنُّوا الشرائع والنظامات والقوانين . وبينما كان الانكليز والالمانيون وغيرهم من سكان اوربَّا عراة الابدان عائشين عيشة حيوان البر كانت بابل ترفل باثواب عزها ومصر تتباهى بشامخ ابنيتها ودمشق ببيانع رياضها . وبينما كانت اراضي اوربَّا عقيمة لا تأتي الَّا بما منحتها اياهُ الطبيعة اصاب اسحق بن ابرهيم الخليل مئة ضعف بزراعتهِ . وبينما كان لباس الاوربيين جلود النمر والثعلب كان لباس الشرقيين البز والبرفير

وهذه الامور راهنة لا ينازعنا فيها احد وكثيرًا ما طنطن بها كتَّابنا حتى صار ذكرها عادةً لنا وصرنا نتأسَّى بهِ عن حالتنا الحاضرة . وعندي ان هذا سبب قوي من اسباب تأخرنا الحالي . لاننا صرنا اذا نظرنا الى الاوربي ورأيناهُ قد سبقنا بمراحل ورأينا

(١) خطبة تلاها في جمعية الاعتدال بمصر

اننا لا نلحقهُ الاَّ بالتعب الشديد نحدّث النفس قائلين على مَ الكد والجد والسعي فالدنيا ادوار والدهر يومان يوم عليك ويوم لك وهذا هو يوم الاوربي فليلعب دورهُ في يومهِ كما اننا نحن لعبنا دورنا في يومنا . وكأن لسان حالنا يقول اعلم ايها الغربي انني انا الشرقي كنتُ السابق فعش هنيئًا وتاجر برًّا وبحرًا ووسّع نطاق سطوتك وتسلَّط عليَّ تسلُّط السيد وكفاني شرفًا انني أقدم منك في الحضارة . فيضحك ذاك مستهزئًا مسرورًا بتقاعدنا عما فيهِ خيرنا واكتفائنا بالضروري الذي لا قيام لحياتنا بدونهِ

وهكذا مرَّت علينا السنون ونحن نتأخر واهل الغرب يتقدمون. الاَّ انني ارى الشرق قد هبَّ من رقادهِ منذ خمسين سنة او حواليها وكأنَّ صوتًا ينادي في جهاتهِ الاربع ويقول "الاصلاح العلوم التقدم". فالاحداث اليوم لا يشبهون الاحداث الذين كانوا منذ خمسين سنة والبنات اليوم ينكرنَ علينا ان نعاملهنَّ معاملة امهاتهنَّ. وما ذلك الاَّ لان انقلابًا عظيمًا فاجأَ هذه البلاد واكثر بلدان المشرق . ولما كان من طبع الانسان الرغبة في معرفة مركزهِ الحالي بالنسبة الى ابيهِ وجدهِ ومعرفة حالهِ في يومهِ وما كان في امسهِ اخترت ان اجعل موضوع خطبتي هذه تأثير

التمدن الجديد في الشرق ناظرًا الى التغيرات الطارئة عليهِ حاصرًا الكلام في ما عدا الدين والسياسة لانهما ليسا من موضوع جمعية الاعتدال موجّهًا كلامي الى الذين تغيّرت احوالهم في مصر وسورية كاكثر سكان المدن تاركًا اهالي ارياف مصر وسهول سورية الداخلية لان احوالهم لم تتغير تغيرًا يذكر . فمن هذه التغيّرات

اولًا تغيّر اللباس . ان الفريق الاكبر من الحضور في هذه القاعة مرتدٍ بالثياب الافرنجيَّة وكثيرون من اهالي المدن رجالًا ونساءً قد ارتدوا بالثياب الافرنجيَّة بعد ان كانوا هم او آباؤهم يلبسون ثيابًا وطنية وسيعة متينة قليلة الثمن جدًا بالنسبة الى بساطتها وطول اقامتها . والواحد منا ينفق الآن على ثيابهِ اكثر ممَّا كان ينفق والدهُ بعشرة اضعاف او اكثر . والنساء ولا سيَّما المتطرفات في اتباع الزي بلغت نفقات ثيابهنَّ مبلغًا لا يصدَّق . فالمصيبة العظمى على مَن كان متوسط الحال او متوقف الاشغال . وثالثة الاثافي وأشد المصائب شكل الثياب من الحذاء الضيق الرفيع الكعب الى الكورست (المشد) الذي يضغط الصدر والاحشاء ويغير شكلهما الطبيعي . قال احد وزراء

الانكليز يجب ان يقاص الاساكفة بالقتل بلا محاكمة ولا شفقة كما يقاص القرصان . ولو سئِل هذا الوزير عن حكمهِ على الذين اخترعوا الكورست ونحوهُ لما حكم عليهم باقل من القتل . ومما زاد في الطنبور نغمةً ان كثيرين من الشبان لا ترضيهم الصفات التي يتجمل بها الرجل كالمروءة والفتوة وعزة النفس فتراهم يجدُّون ليتشبهوا بالنساء في استعمال الطيوب والبودرة وما اشبه

ثانيًا تغيير ترتيب البيوت واثاثها . وهذا التغيير لا يقلُّ نفقة عن تغيير الثياب لان العائلة التي كانت تكتفي بخمس غرَف في بيتها لم تعُد تكتفي بعشر . ولو كانت زيادة المساكن بنسبة زيادة السكان لما كان في الامر محلٌّ للوم ولكن اكبر غرف البيت وأحسنها موقعًا وأطيبها هواء صارت تفرش بالاثاث الفاخر وتُغلَق ابوابها وكواها ولا تفتح الَّا عند مجيء الزوار . اما الاثاث واكثرهُ من البضائع الافرنجيَّة فاثمانهُ تفوق التقدير مع ان الافرنج انفسهم يفضلون الاثاث الشرقي على اثاثهم ويفرشون بهِ بيوت ملوكهم واغنيائهم وهو مع متانتهِ جميل رخيص الثمن

ثالثًا التفنن في الملاهي . وهذا ضررهُ عظيم جدًّا لانك اينما

جلت في اسواق المدن وشوارعها ترى القهاوي والمراسح واماكن الرقص والخلاعة ولعب القمار. وعمر الانسان كما لا يخفى محدود وعليهِ ان يمضيهُ في اربعة امور العمل والنوم والاكل والرياضة فاذا تعلَّق على الملاهي اضطرَّ ان يتعدَّى على وقت العمل او النوم او الاكل او الرياضة. فان تعدَّى على العمل افتقر او على النوم ضعف ومرض او على الاكل جاع وضعف او على الرياضة فسدت صحتهُ واضطرب عقلهُ وفي كلها يكون الانسان لصًّا بل شرًّا من اللص لان اللص يسرق ليستفيد واما ذاك فيسرق النفع ليربح الضرر.

ولهذه الملاهي اضرار أُخرى منها انها تفسد الآداب في نفسها وفي ما تقود اليهِ وانها اكبر داعٍ الى انفاق الدراهم على غير فائدة ولا سيما محلات القمار والسكر والفجور فان ارضها من بلاط جهنم وجدرانها من بنيان الابالسة وخدمها من مردة الشياطين وغايتها سلب اموال العباد والمتاجرة باسمهم وعرضهم وصحتهم وكل ما هو عزيز عليهم

رابعًا انتشار الحرّية او ما يسمَّى بالحرية. لا انكر ان لبعض انواع الحرية التي انتشرت عندنا حديثًا شيئًا من النفع ولكن اذا أُريد بالحرّية عدم التقيُّد بالربط الدينية والعائلية كما هو مفهوم

الحرّية عند كثيرين فهي ضرر محض ولا يمكن ان تُمدَح بوجهٍ من الوجوه بل ان التغاضي عن ذمها واظهار شرها تقصير في الواجب — انظروا الى اين أدَّت هذه الحرّية فانها هي التي بنت تلك البيوت الجهنميَّة وجمعت اليها العواهر ما بين افرنجية وتركية وعربية ونصبت اشراكها لتصيد الشبان وتسلب مالهم وشرفهم وصحتهم وادارت كؤوسها لتسكرهم بخمرة الجهل فتسرهم يوماً لتحزنهم سنةً وتضحكهم ساعةً لتبكيهم العمر كلهُ . وهذه الحرّية التي رفعت عن الناس قيود الدين والربط العائلية لحريَّة بان تُعَدَّ من موارد جهنم ومخترعات الابالسة . انظر الى ذاك الشاب ترهُ كئيباً اصفر الوجه فتظنهُ مريضاً او متعباً من كثرة الشغل او متكدّراً من فراق اهلهِ ووطنهِ او ان احد اقاربهِ مات وهو حزين عليهِ والصحيح خلاف ذلك والواقع انهُ سكّير او مقامر او فاسق يشتغل الشهر كلهُ ليصرف تعبهُ في ليلة واحدة ولا يستطيع احد ان يعارضهُ لان العصر عصر حرّية وكل انسان متروك الى هواهُ . حبَّذا العبودية على هذه الحرّية بل حبَّذا عصر الجاهليَّة الذين كانوا يدفنون بناتهم خوفاً من العار ان كانت هذه هي الحرّيَّة واذا قابلنا بين اهالي المدن الذين تمذهبوا بمذهب الحريَّة

الجديد وبين اهالي الارياف او الاماكن الاقرب الى الفطرة رأينا ان هؤلاء اكثر بساطةً وأَحسن بنيةً وأَسلم طويةً وأَحفظ للآداب الصحيحة وما ذلك الّا لان لواء الحرية الجديدة لم ينتشر فوق رؤوسهم حتى الآن. ولولا وجود فئة صغيرة تعتبر الدين او تحافظ على مبادئِ الشرف لكنا نرى اعظم ممَّا رأينا . والحق ان الحرية امر شريف واجب ولكن اذا تخطت قانون الحق والفضيلة بطل كونها حرّيَّة وصارت اسرًا بل شرًّا من الاسر

خامسًا تنوُّع المسكرات وشيوعها . وهذا ممَّا كسبناهُ ايضًا من التمدن الجديد . فان الخمر كانت معروفة في هذه البلاد من قديم الزمان ولكن كان منها نوع او نوعان فقط وكلاهما قليل الضرر وكان السكر معيبًا محظورًا على الجميع بنصٍّ ديني لا يقبل التأويل ولا التحويل . اما الآن فقد تنوَّعت المسكرات وصارت تُمزَج بالمواد السامَّة وشاعت شيوعًا فاحشًا وكاد الخرق يتَّسع على الراقع ولا نعلم الى اين المصير . ولم يدخل الافرنج بلادًا الَّا ادخلوا المسكرات معهم وسمُّوا بها ابدان الاهالي واستعبدوا عقولهم وسلبوا اموالهم ونحن ان لم نقاوم المسكرات اشد المقاومة طمت علينا كالسيل الجارف ولم تبقِ ولم تذَر

سادساً اعتبار النساء . وهذا امرٌ حسن جداً الّا اننا نخاف ان يتجاوز حد النفع وتربو مضارهُ على منافعهِ فقد كانت المرأَة في كثير من الجهات محتقرة مهانة تكلَّف اشق الاعمال اما الآن فمالت كفة الميزان وشرع النساء يأخذنَ بثأْر امهاتهنَّ على ما أَرى ولا يتخذنَ غير البطالة والاسراف لهنَّ ديدنًا

سابعًا تقدُّم المعارف . والتحسين في ذلك ظاهر حقيقي لانهُ منذ خمسين سنة كان يندر وجود مَن يعرف القراءة والكتابة اما الآن فقلَّما ترى رجلاً او امرأَة يجهل القراءة ومبادئ بعض العلوم واللغات

ثامنًا تقدُّم الزراعة والصناعة وهذا من التغيُّرات التي تغلَّب فيها جانب النفع الّا ان الصناعة اقتبست شيئًا يظهر لي ان ضررهُ يوازي ما اكتسبتهُ من المنافع وهو التقليد فالمنسوجات المتينة التي كانت تنسج في دمشق وحمص وغيرهما من جهات سورية وكانت تفوق المنسوجات الافرنجيَّة في اتقانها ومتانتها صارت تحاك من مواد واهنة جداً حتى يمكن ان تضاهي منسوجات الافرنج برخص ثمنها وقس على ذلك كثيرًا من الصنائع

تاسعاً تقدُّم التجارة   وهذا ايضاً ضررهُ يفوق نفعهُ لانهُ قبل ان تقدَّمت التجارة كانت البلاد تكتفي بمحصولاتها ومصنوعاتها ولا تجلب من الخارج الاَّ بعض البضائع ممَّا لا غنى لها عنهُ ولا وجود لهُ فيها اما الآن فبتقدُّم التجارة انهالت مصنوعات اوربا وبضائعها علينا انهيال السيل فكسدت مصنوعاتنا واضطررنا الى اهمال الصناعة وبيع محصولات اراضينا بما تقدّمهُ لنا اوربا من الثمن مهما كان ولذلك نرى حرير سورية يُطرَح في اسواق مرسيليا سنة بعد أُخرى تحت رحمة السوق والسماسرة والعملاء وقطن مصر يطرح في اسواق ليفربول حتى يبتاعهُ الانكليز باي ثمن ارادوا وهذا شان الصوف والزيت وبقية محصولات البلاد

هذه نظرة عامَّة الي تأثير التمدن الجديد فينا وكل فرع من الفروع التي اشرت اليها يحتمل بحثاً دقيقاً وكلاماً طويلاً فاكتفي بما ذكر لضيق المقام

الطبع المنير

قال احد الايطاليين انهُ اكتشف حبراً جديداً للطباعة اذا طبع الورق بهِ انارت الحروف ليلاً حتى يستطيع الانسان ان يقرأها في الظلمة كما يقرأها في النور. وهذا غير بعيد فان الصور المنيرة قد شاعت كل الشيوع

رسالة

وردت الينا هذه الرسالة من حضرة الذكي الالمعي سليم بك رحمي فادرجناها بحروفها

حضرة الفاضل الهمام صاحب اللطائف الغراء

اسألكم وانتم أُولو الامر ان تنبئوني عمَّا جرى لرد المعلم ابرهيم الحوراني الموسوم بالحق اليقين في الرد على بطل دروين المدرج في النشرة الاسبوعيَّة

ثمَّ اخبركم ان صديقي الماجد عبد السلام افندي ذكي اخبرني انهُ من مدَّة اشهر ارسل الى ادارة المقتطف الاغرّ رسالةً مطلعها

واذا أَرادَ اللهُ نشرَ "حقيقةٍ" طويت أَتاحَ لها لسانُ "منافقِ"

يردُّ بها على ما اقترفهُ المعلم المذكور في ردّهِ على الحقيقة من الطعن الشنيع في صاحبها ولبث ينتظر نشرها على غير جدوى.

ثمَّ لمَّا صدرت مجلَّتكم اللطائف الغرَّاء كتب يسأَلكم ان تنشروها فيها اذا كنتم تحبون والى الآن خاب انتظارهُ ولم يعلم منكم السبب حتى ظن — وبعض الظن اثم — ان لكم ضلعًا في الامر ولعلَّكم بعد هذا تنشرون رسالتهُ او تعتذرون اليهِ بما يسلم معهُ جانبكم من مظنَّة الغرض

وفي هذا المقام اريد ان اروي لكم عبارةً وقعت لي مع جناب الدكتور شُمَيِّل صاحب الحقيقة اذ كان لم يزل في طنطا اثناء رد الحوراني . . كتبتُ اليهِ ذات يوم اسأَلهُ ماذا يقول في ردهِ وهل في نيتهِ ان يردَّ عليهِ فاجابني بقولهِ " كتبتُ بعلمي وكتب بعلمهِ فلا يليق بنا بعد ذلك ان نتناظر " وتمثَّل بقول نصر بن شُمَيْل

وإذا بُليتُ بجاهلٍ متحكّمٍ يجدُ المحالَ من الامورِ صوابا
اوليتهُ مني السكوتَ وربما كانَ السكوتُ عن الجوابِ جوابا

انتهى الامضا ﴿ سليم رحمي ﴾

مصر ١٥ يوليو ١٨٨٦

﴿ اللطائف ﴾ اننا لم ننشر الرسالة المشار اليها لاننا لم نرَ موجباً لنشرها فاوّلاً ليس فيها شيء من تقرير الحقائق بل هي ردٌّ على طعن وثانياً لانهُ لو عرض نشرها على جناب الدكتور شميل نفسهِ لابى ذلك وشاهدهُ ما ذكرتم من جوابهِ لكم وما بلغنا عن لسان غيركم وهو ان بعضهم اقترح عليهِ الرد على الحوراني افندي فاجابهُ بقولهِ ان المسألة قد دخلت في طورٍ من العلم جديد لا يحبُّ ان يكون لهُ فيهِ يد لا رأساً ولا بواسطة فهو يكره المشاتمة التي هي لسوء الحظ مذهب كثيرين من جدليي بلادنا الشرقيَّة كانهم لا يرون انهُ يمكنهم نقض كلامٍ او دفع رايٍ ان لم يسيئوا الى صاحبهِ . ولعلَّ هذا العذر يشفع لنا عند صاحبنا فيصفح لنا من حيث آخذنا

آثار بابل واشُور

لم يشرع رجال العلم في البحث عن آثار بابل واشور الاَّ منذ نحو خمسين سنة . وكل ما قالهُ المؤرخون قبل ذلك عن اليونانيين اقاصيص موضوعة لا صحة لها ولا يستثنى من ذلك الاَّ شيء يسير مما كتبهُ بروسس . واما اخبار التوراة فهي وحدها الاخبار الصحيحة ولكنها لا تتناول الاَّ اخبار مملكة اشور

ثم قام رجال البحث ونقبوا الخرائب القديمة وغرضهم منها كشف الصور والتماثيل والتحف المختلفة . اما الكتابات القديمة فلم يهتموا بأمرها ولا اعتنوا بجمعها ولكنهم لم يلبثوا حتى حلوا رموزها وعلموا قيمة كنوزها فصارت هي المقصودة من النقب والبحث وقد وجدوا فيها خبر الخليقة وخبر الطوفان وعلموا منها كل ما يعلم حقيقةً من تاريخ البابليين والاشوريين ومن جاورهم من الامم وبقي البحث في هذه الآثار مختصًّا بفرنسا وانكلترا حتى سنة ١٨٧٠ وحينئذٍ دخلت فيهِ جرمانيا واحرزت قصب السبق اذ نبغ منها علماء مشهود لهم كالاستاذ هَوْبت وغيرهِ

وقد تبين من هذه الآثار ان تاريخ بابل يمتدُّ الى سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح حينما اسَّس سرغون اول مملكة ساميَّة عامَّة والمظنون انهُ ضم شمل بعض الممالك الصغيرة والمدن المستقلة وانشأَ منها مملكة كبيرة . فلا بدَّ من ان التمدن الاسيوي كان سابقًا ايامهُ بقرون كثيرة . ولم يوجد حتى الآن آثار كافية للانباء بتاريخ بابل من ايام هذا الملك الى ايام حمورابي الذي اسس مملكة على خرائب مملكة عيلامية سنة ٢١٦٨ قبل المسيح ومن ثم ينجلي تاريخ بابل وتظهر منازعتها لمملكة اشور التي كانت آخذة في النمو . وتاريخ بابل واشور طلي ومفيد لشدة تعلقهِ بالمشرق كلهِ وباليونان والرومان ايضًا

وقد ثبت الآن ان الشعب البابلي لم يكن طورانيًّا محضًا كما كان يُظَن

سابقًا بل كان مزيجًا من شعبين شعب طوراني وشعب سامي . وقد تطرف بعض العلماء الفرنسويون وقال ان التمدن البابلي كان ساميًّا محضًا وان لم يثبت قولهُ فقد ثبت ان الفرع السامي هو الاهم من فرعيهِ

وقد اتقن البابليون والاشوريون النقش والتمثيل وكان البابليون يضعون افخر مصنوعاتهم في هياكلهم والاشوريون في قصور ملوكهم . وبين مصنوعات الشعبين فرق كبير من اوجه كثيرة فكان الاشوريون يكثرون من القناطر والعقود والاساطين والنقوش البارزة والبابليون يقللون من كل هذه ويكثرون من التماثيل المجسَّمة وكانت مصنوعات اشور على اتقنها في ايام اسَّرنزربال (٨٨٣–٨٥٨ ق.م) ثم انحطت رويدًا رويدًا وعادت فارتقت وتغير منهجها في ايام سنحاريب وبلغت اتمها في ايام اسَّربني بال سنة ٦٨٨ قبل المسيح

وكانت علاقة بابل واشور بامم المشرق شديدة جدًّا ولا سيما حين بلغت مدينة اشور اوج عزّها وصارت نينوى محط تجارة المشرق وكانت تجارة الاشوريين تتصل ببابل وعيلام وبلاد العرب ومصر والشام وارمينية واسيا الصغرى . وقد اقتبس المصريون والحثيون شيئًا كثيرًا من الاشوريين ثم تلاهم اليونان في ذلك حتى ان الاعمدة الايونية المضلعة يمكن ردها الى اصل اشوري

هذا وخرائب بابل رآها اسلافنا قرونًا كثيرة ولم يقدموا الاَّ على نهب انقاضها لبناء مدينة الحلة والآن قد غصَّت متاحف اوربا بالتحف المنقوبة منها ومن مدن اشور ومصر ولم يزل فيها ما تغصُّ بهِ اضعافها ونحن نودّعها آسفين على فقدنا لها لا عليها لانها نزلت على قوم يقدرونها قدرها ويكشفون جوهرها ويحفظونها من بوايق الايام

الزلزلة

لقد شعر كثيرون من اهالي القاهرة وغيرها من مدن القطر المصري بالزلزلة التي حدثت ليلة الثامن والعشرين من شهر اوغسطس (آب) الغابر بُعَيْدَ نصف الليل بنحو ربع ساعة. وكان كثيرون منهم على اسرَّة الراحة فمادت بهم الاسرَّة وانتفضت حتى خُيِّل لبعضهم ان تحتها اشخاصًا يرفعونها. وتوالت الهزَّات مثنًى وثلاث حتى لم تعد شبهة في كونها زلزلة عنيفة مادت بها الارض واضطربت. فقلقنا لذلك قلقًا شديدًا لان النهار السابق كان شديد الحرّ ساكن الهواء مغبرَّ أَرجاء الافق وكل ذلك من العلامات المنذرة بحدوث الزلازل. وخفنا ان يتفاقم الخطب والليل حالك الظلام ومباني القاهرة طبقات كثيرة اذا لا سمح الله اشتدَّ الزلزال عليها أَلقى بعضها على بعض. ولكنَّ الله لطف بعبادهِ فكانت الهزَّات ضعيفة بالنسبة الى طول مدتها فلم يتهدَّم بها جدار ولم تُصِب احدًا بمكروهٍ. وفي اليوم التالي والذي بعدهُ علمنا ان مركز هذه الزلزلة ليس في هذه الديار بل في نواحي بلاد اليونان فقد ورد تلغراف من باريس بتاريخ ٢٨ آب (اوغسطس) سنة ١٨٨٦ يقول زلزلات الارض في جنوبي

ايطاليا وخصوصاً في بلاد اليونان ويقال انهُ مات بها ٣٠٠ نفس
وورد تلغراف آخر من لندرا بتاريخ ٢٩ الشهر يقول حصلت
زلازل شديدة في بلاد اليونان ولاسيَّما في الغرب منها فدمَّرت
مدينة فيلاترا ومات فيها ٣٠٠ نفس وقد شعر اهل مصر وجنوبي
ايطاليا بالزلازل المذكورة. وآخر من اثينا بتاريخ ٣٠ الشهر
يقول ان الزلازل التي حدثت في بلاد اليونان مات بسببها ١١٦
شخصاً وجرح خلق كثير

هذا وبلاد مصر في مأمن من الزلازل اكثر من غيرها
من البلدان لانها ليست جبليَّة ولا بركانيَّة حتى تتولَّد الزلازل
فيها. واراضيها رسوبيَّة تضعف فعل الزلازل اذا وصلت اليها من
بلدان أُخرى ولذلك بقيت مبانيها الوفاً من السنين وصبرت على
كرور الايام ولو كانت في بلاد تنتابها الزلازل لتحطمت منذ
زمان طويل ودرست رسومها كما درست مباني بابل ونينوى
وبلاد اليونان

توفي في باريز سكير وجد بين اوراقهِ قيمة مشروبهِ من المسكرات وذلك
انهُ كان يشرب يومياً ٤ قناني من الخمر وفي مدة ٥٠ سنة كان عندهُ نحو من
٧٣٠٠٠ قنينة فارغة

نادرة

في سنة ١٨٨٤ كانت احدى السيدات مارة على شاطئ البحر فعثرت وسقطت في الماء واوشكت ان تغرق وكان على مقربةٍ منها شاب اسمهُ (هدسون) ومعهُ والدتهُ واخواتهُ فهرول الشاب الى البحر وانقذ السيدة بعد التعب الكلي ثم في سنة ١٨٨٥ توفيت السيدة المذكورة وخلفت لهدسون ٣٠٠٠ ليرة انكليزية ثم اضاف شقيقها عليها ٣٠٠٠ ليرة وقدمها للشاب المذكور (لسان الحال)

اهدى برنس أُف ويلس ولي عهد مملكة انكليترا حليةً ماسونية ثمينة جدًّا للسر جون مكدونلد الصدر الاعظم في كندا. وولي العهد هذا هو الرئيس الاعظم للماسون في بلاد الانكليز وجدّهُ ابو أُمهِ كان رئيسهم الاعظم في زمانهِ وكذلك كان عمهُ الملك جورج الرابع وكل ابناء ملكة الانكليز ركعوا امام السدّة الماسونية وسيموا بالسمة الماسونية وبالامس انتظم ابن ولي العهد في سلك الماسون ايضًا

في مدينة شيكاكو ببلاد اميركا خمسون امرأةً يتعاطينَ صناعة المحاماة (التوكيل) وثلث مئة امرأةٍ يتعاطينَ صناعة الطب

اللطيفات

لادي رسَّل

هي ابنة توما رونسلي وزير المالية ببلاد الانكليز. ولدت سنة ١٦٣٦ وتزوَّجت باميرٍ ارلندي اسمهُ اللورد فوغان سنة ١٦٥٣ فتوُفّي عنها بعد اربع سنوات . ثم اقترن بها الشريف وليم رسل فاحبها واحبتهُ حبًّا مفرطًا . وكان رسل شهمًا مقداماً نافذ الكلمة فاستعان بهِ بعض اهل الثورة الخارجين على الملك فمالأهم على قصدهم . ثم كُشِف الامر فقبِض عليهِ وأُلقي في السجن وهي تجهل السبب الذي سُجِن لاجلهِ. ولمَّا قيد الى المحكمة وقفت بجانبهِ وسمعت الحكم الذي صدر عليهِ بالموت وعادت معهُ الى السجن مظهرةً الجلد الشديد لكي لا تكسر قلبهُ وجعلت تشدّد عزائمهُ وتذاكرهُ في الوسائط التي يمكن استخدامها لتخفيف قصاصهِ او لتأجيلهِ . وكان يعلم ان السعي في ذلك يذهب سدًى ولكنهُ تركها تسعى لانهُ قال في نفسهِ لو تركتني الى التقادير بدون ان تستعمل كل الوسائط الممكنة لنجاتي لما وجدت الى الصبر عني سبيلاً

فانجعت كل روض والقت دلوها في كل حوض ولكنها عادت بخُفَّي حنين لانها لم تجد معينًا ولا نصيرًا في ذلك العصر المظلم عصر سفك الدماء . ولمَّا لم تجد للقضاء مردًا جعلت تشدّد عزائم زوجها وكأنَّ لسان حالها يقول

جانبِ السلطان واحذر بطشهُ لا تعادي مَنْ اذا قالَ فعَلْ

ثم ودَّعتهُ الوداع الاخير فودعها وهو يقول انني اودّع الحياة طَيّبَ النفس قرير العين لانني تركتُ ورائي اولادًا لا يفقدون شيئًا بفقدي وزوجة عفيفة فاضلة فيها الكفاية لان تدبّر امورها وامور اولادها على اتمّ المراد وقد وعدتني انها تعتني بنفسها من اجل اولادها وهذا حسبي "

ولما قضي عليهِ ارسل الملك يخبرها انهُ غير قاصد ان ينتفع بموت زوجها فيبقي لها ولاولادها كل مقتنياتهِ فرأَت ان حبها لاولادها يدعوها الى شكرهِ ولو مكرَهةً فارسلت اليهِ كتابًا تشكرهُ بهِ وكانت من فريدات عصرها في الكتابة والانشاء

ثم انتقلت باولادها الى الريف واطلقت العنان للزفرات والعبرات التي كانت قد حجبتها مخافة شماتة الاعداء . وكتبت في ذلك الحين الى احد القسوس الفضلاء تقول لهُ " انت تعرفنا

كِلَيْنا فلا تلوموني على الحزن ولو افرط . نعم ان كثيرات اصِبنَ بما أُصِبتُ ولكن اين فقيدهنَّ من فقيدي حتى يتجدَّد حزنهنَّ كما يتجدَّد حزني" . وكتبت بعد ذلك تقول "اللهمَّ أَرِني مقاصد عنايتك في ما ابتليتني بهِ لكي لا اسقط تحت ثقل كآبتي . اني استحقُّ هذا القصاص ولا اشكو منهُ ولكن قلبي حزين وقد عزَّت السلوى لان رفيق حياتي وقسيم افراحي واحزاني ليس معي. اوَّاه ان نفسي تتوق الى مسامرتهِ ومساكنتهِ ومواكلتهِ . قد صارت الحياة عليَّ حملاً ثقيلاً ولكن لا بدَّ من الصبر على مضض الايام والترفُّع فوق افراح الدهر واحزانهِ"

ثم دالت تلك الدولة وانقلب المُلك الى الملِك الذي كان زوجها من حزبهِ فغمر حماها وابنها بانعامهِ تعويضاً لهما عمَّا فقداهُ بفقد زوجها . ولكنَّ ابنها لم يعِش طويلاً حتى يتمتَّع بهذا الانعام لان الجدري وافاهُ وهو في الثلاثين من عمرهِ وقصف غصن شبابهِ

وعاشت بعد ذلك سنين كثيرة وماتت عن سبع وثمانين من العمر. وقد اجتمع في هذه المرأة الفاضلة لطف النساء وصبرهنَّ وفطنتهنَّ وهمَّة الرجال وحكمتهم واقدامهم وعاشت وماتت

طاهرة السيرة والسريرة ولها رسائل كثيرة تحلها محلاً رفيعاً بين مشاهير الكتبة

هند بنت النعمان

حكي ان هند بنت النعمان كانت احسن نساء زمانها فوُصِف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالاً جزيلاً وتزوَّج بها وشرط لها عليهِ بعد الصداق مائتي الف درهم . وأقام بها بالمعرَّة مدة طويلة . ثمَّ انهُ رحل بها الى العراق فأقامت معهُ ما شاء الله . ودخل عليها في بعض الايام فسمعها تقول ابياتاً تذمهُ بها فانصرف راجعاً ولم تكن علمت بهِ . وأراد طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معهُ مائتي الف درهم وهي التي كانت لها عليهِ . وقال يا ابن طاهر طلّقها بكلمتين ولا تزد عليهما . فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لكِ ابو محمد الحجاج . كنتِ فبنتِ . وهذه المائتا الف الدرهم التي كانت لكِ قِبَلهُ . فقالت اعلم يا ابن طاهر انَّا كنَّا فما حمدنا وبِنَّا فما ندمنا . وهذه المائتا الف الدرهم هي لك بشارة بخلاصي من كلب ثقيف . ثمَّ بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الله بن مروان خبرها ووُصف لهُ جمالها فارسل اليها

يخطبها لنفسهِ. فكتبت اليهِ تقول بعد الثناء عليهِ · اعلم يا امير المؤمنين اني لا اجري العقد الّا بشرط . فان قلت ما الشرط اقول ان يقود الحجاج محملي من المعرَّة الى بلدك الذي انت فيهِ ويكون ماشياً حافياً بحليتهِ التي كان فيها اولاً . فلمَّا قرأ كتابها ضحك ضحكاً شديداً وارسل الى الحجاج يامرهُ بذلك . فاجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت . وسار الحجاج في موكبهِ حتى وصل المعرَّة بلد هند . فركبت هند في محملٍ وركب حولها جواريها وخدمها . فترجَّل الحجاج وهو حافٍ واخذ بزمام البعير يقودهُ ويسير بها . فاخذت هند تهزأ عليهِ وتضحك مع الهيفاء دايتها . ثم انها قالت لدايتها اكشفي لي ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم فكشفتهُ فوقع وجهها في وجههِ فضحكت عليهِ وانشدت

وما نبالي اذا أرواحنا سلمت بما فقدناهُ من مالٍ ومن نشبِ
فالمال مكتسَبٌ والعزُّ مرتجعٌ اذا النفوس وقاها اللّه من عطبِ

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فرمت من يدها ديناراً على الارض وقالت يا جمَّال سقط منا درهم فردهُ الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يرَ الَّا ديناراً · فقال انما هو دينار

فقالت بل درهم . قال بل دينار . فقالت الحمد لله الذي سقط منا درهم فعوَّضنا الله ديناراً . فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جواباً

فعل الارادة في داء الكلب

منذ شهرين عقر كلب كلِب رجلاً من محرّري الجرائد باميركا فعزم ان يتخلَّص من داءِ الكلَب بمجرد العزم فاصابهُ الكلب والَّمهُ كثيرًا ولكنهُ قاومهُ مقاومة الابطال وتغلب عليهِ فشفي وتعافى . ويقال ان احد القواد المشهورين واسمهُ الجنرال بيل كان في كليفورنيا وهو شاب فعقرهُ ذئب كلِب وعقر الذئب اشد خطرًا من عقر الكلب ولم يكن عندهُ من يعالجهُ فاصابهُ الكلب ومعهُ النفور الشديد من الماءِ ولكنهُ قاوم هذا النفور اشد المقاومة وكان يغصب نفسهُ على شرب الماءِ ويشربهُ . وكان يرى من نفسهِ ميلاً شديدًا الى الصياح والطفر والجلبة ولكن قوى عقلهِ بقيت سليمة فضبط نفسهُ ولازم الهدو والسكينة الى ان زال الورم من حلقهِ وشفي . قالت الجريدة التي ترجمنا عنها هاتين الحادثتين ولعلَّ فعل الارادة هذا هو السبب الاكبر في شفاء كل الامراض التي يقال انها تشفى بمجرد التصديق او الوهم

لغزٌ

بقلم جناب الشاعر الاديب عبد الله افندي فريج

ألا يا ذوي العلياء ما اسمٌ تخالهُ غدا نزهةً انزهو لاهلِ المعارفِ
وروضاً نرى فيهِ حقوقاً لناظرٍ كمقتطفِ الازهار باهي اللطائفِ
اذا ما قطعتَ الرأس يرجى لهُ الشفا ومن عجبٍ لا زال يسعى كطائف
خماسيُّ وضعٍ والاصول ثلاثةٌ وجملتهُ اصلاحُ كل الوظائفِ
بعكسٍ لاصلِ نادهِ صاحِ قائلاً فياظلَّ مجدٍ مُهمَل الرسم وارفِ
اذا زدتهُ الفاً وخمسين جملاً فذلكَ ظرفٌ ما لهُ من مخالفِ
وإن تحذف المبدا كذا ثالثاً لهُ تبدَّى خيالاً في منامٍ لعارفِ
فأكرِم أخا فضلٍ بحلِّ رموزهِ ولا زلتَ تسمو في تليدٍ وطارفِ

ألم اليد بعد قطعها

روت جريدة الكرنت الاميركيَّة ان رجلاً داست يدهُ مركبةٌ من مركبات سكة الحديد فيئس الطبيب من شفاءها وقطعها. اما الرجل فاصيب بشيءٍ من الاغماء وكان بعد قطع يدهِ يقول انها تؤلمهُ وان ابهامها منقبض على راحتها واصابعها منقبضة عليهِ بشدة. قيل وكان الحضور قد اخذوا اليد وواروها التراب فنبشوا التراب عنها واذا بابهامها منقبض والاصابع منقبضة عليهِ. والظاهر انها كانت كذلك قبل ان قطعت فاستمر الشعور بها بعد قطعها

شذرات في تربية الاولاد

(١) دخول الولد المدرسة قبل السنة السابعة يضرُّ بهِ ضرراً بليغاً ويوقف نموهُ (٢) التعرض لنور الشمس واستنشاق الهواء النقي يكسبان الاولاد لوناً وعافية (٣) النظافة للصغار اوجب منها للكبار (٤) اللعب لازم للاولاد وبهِ تنمو ابدانهم وتقوى عضلاتهم ويقل تغلب الآفات عليهم (٥) البرد يضر اكثر مما يضر الكبار فليحترس عليهم منهُ (٦) السهر يضرُّ الصغار وهم في غنى عنهُ والنوم نافع وهم في احتياج اليهِ (٧) اعتاد بعض الوالدين ان يعطوا اولادهم شيئاً من الدراهم ليشتروا بها ما شاءوا من الحلوى والفاكهة والاولى امتناعهم عن ذلك لانهُ يعوّد الاولاد على الاسراف والتبذير وعلى مناولة الطعام في غير وقتهِ واتعاب المعدة بما لا فائدة منهُ

الغنى والراحة

على الانسان ان يسعى ويتعب في شبيبتهِ ليرتاح في شيخوختهِ. ولا يرتاح الانسان في شيخوختهِ ولا في حياتهِ كلها. ما لم يذخر شيئاً لوقت الحاجة والعطلة والمرض. وكسب المال اسهل من القيام

عليهِ وانفاقهِ بالحكمة . فان اردت ان تعيش غنيًّا عن الناس شريفًا مكرمًا فاقتصد في نفقتك ووفر شيئًا من دخلك . واعلم ان غاية الطعام نمو الجسد وحفظ الصحة فما زاد عن ذلك خسارة وضرر وغاية اللباس ستر الجسد وتدفئتهُ وما زاد عن ذلك فضول لا داعي لهُ . فاختر اللباس المتين الذي يستر جسدك ويدفئهُ ولا يضيق عليهِ ومدَّ رجليك على قدر بساطك واعلم ان الكثير من القليل والغيث مجموع من النقط . ومن يصرف اكثر من دخلهِ فهو فقير معوز دائمًا ولو بلغ دخلهُ الوف الالوف

مُلَح

سأَل رجلٌ فخر الملك حاجةً وأَمَّلهُ فلم يعطهِ شيئًا . فمضى الرجل الى القاضي واستدعى ابن نباتة الشاعر . فلما جاءَهُ رسول القاضي قال لهُ ما لاحدٍ عليَّ شيءٌ ولا عليَّ دينٌ ولا بيني وبين احدٍ خصومة حتى أَرضيهُ . فلما حضر عند القاضي قال للرجل ما حقُّك عليَّ . فقال لهُ انت قلت في شعرك

لكل فتىً قرينٌ حين يسمو ... وفخر الملك ليس لهُ قرينُ
أَنِخ بجنابهِ وانزل عليهِ ... على حكم الرضى وانا الضمينُ

فانت ضمنت لي وانا نزلت عليهِ فلم يعطني شيئًا والضامن غارم فقال لهُ امهلني حتى اصل اليهِ . فلمَّا دخل عليهِ اخبرهُ بالقصة . فقال للرجل كم أَمَّلت . قال مائة دينار . قال ادفعوها لهُ . ثم قال لابن نباتة اذا مدحتني بعدها فلا تضمن لاحد في شعرك

ابو نواس وفرحات

قيل ان هارون الرشيد خرج يومًا للصيد وكان من جملة حواشيهِ ابونواس فلمَّا وصلوا الى البرية نصبوا الصيوان وذهب الملك الى الصيد وبقي ابونواس ومعهُ خادم يسمى فرحات كان معهم لتسوية الطعام فلمَّا انتصف النهار جاع ابونواس فاتى الى فرحات وقال لهُ اطعمني فقال لهُ لا اطعم احدًا قبل ان يحضر امير المؤمنين فاجابهُ ابو نواس بقولهِ لهُ ان لم تطعمني لاغيظنك فقال لهُ افعل ما بدا لك فتركهُ ابونواس ومضى وقد اضمر لهُ الشر . وكان جملة عربان نازلين بجانب الكثيب فذهب اليهم وقال لهم اشتروا مني غلامًا عربيًّا لكنهُ يقول لكم انهُ حرٌّ فان كنتم تتركونهُ ان قال لكم ذلك فاخبروني حتى لا ابيعهُ فقالوا لا بل نشتريهِ لكن بهذه الناقة فقال لهم رضيت الله يبارك لكم فيهِ

ثم ساق الناقة امامهُ والقوم خلفهُ الى ان وصل الى فرحات فقال
ها هو الذي يصلح نار الطعام فامسكوهُ فتقدم العربان اليهِ وقالوا
لهُ سر معنا يامبارك فضحك فرحات وقال لهم انا حرٌّ وان الذي
باعني رجل كذَّاب فقالوا لهُ يارديَّ الطبع هذا الذي تقولهُ قد
شرطهُ علينا سيدك قبل ان نشتريك منهُ اقلب وجهك واخرج
معنا فجعل احدهم الحبل في عنقهِ وجعل يجرهُ غصباً عنهُ فاخذ
يصرخ ويقول لهم ان هذا الخبيث الذي باعني لكم لكذَّاب واذا
بالرشيد اقبل من الصيد فسمع الضجة فسأَل ما الخبر فاخبروهُ
بخبر ابي نواس مع فرحات فضحك حتى كاد يغشى عليهِ وقال
للعرب خذوا ناقتكم وخمسين ديناراً فوقها واتركوهُ فانهُ
حرٌّ وكلنا نشهد بذلك فاخذوا الذهب والناقة وذهبوا وبقي
فرحات مطروحاً على الارض مما قاساهُ منهم واذا بابي نواس
وقف امامهُ وصار يضحك ويستر وجههُ بكمهِ . فقال لهُ الرشيد ما
حملك على هذا العمل فقال لهُ ياسيدي الجوع واخبرهُ بما حدث
بينهما وقال لهُ وحياة راسك حلفت لهُ ان لم يطعمني لاغيظنهُ
فبالله عليك تسأَلهُ ان لم يغتظ افعل معهُ غير ذلك لئلا احنث
في يميني فازداد الرشيد ضحكاً عليهما واجاز كلاًّ منهما بجائزة وصالحهما

الجاحظ

قال الجاحظ ما اخجلني احدٌ قط الاَّ امرأةٌ أخذت بيدي الى نجَّارٍ وانا ماشيًا في الطريق . وقالت مثل هذا ومضت . فبقيت مبهوتًا من ذلك وسأَلت النجار فقال هذه امرأةٌ أتت اليَّ منذ ساعةٍ وطلبت ان أَصنع لها صورة قبيحة مرعبة تخوّف ولدها بها اذا بكى . فقلت لها لا ادري كيف يكون هذا . فقالت لي انا أُقدّم لك مثالاً ثمَّ مضت وأَتت بك فخجل الجاحظ وقفل راجعًا الى بيتهِ . فدخل عليهِ غلامٌ لهُ فرآهُ يجتهد في الصلاة والدعاء . فقال لهُ ما بالك يا مولاي : قال قد وجدت نفسي انني صرت هزءًا للناس فانا أَدعو الى الله ان يصلح ما بي من العيوب وقبح الصورة . فقال لهُ غلامهُ أَيسر على الله ان يخلقك جديدًا من ان يصلح عيوبك وقبح صورتك

جواب خادمة

سُئِلتْ خادمة اين تخدمين فقالت في بيت رجل من الاكابر فقيل لها ومَنْ هم الاكابر فقالت هم الذين عندهم مركبات وانواع مختلفة من الخمور واذا كان لاحدٍ مال عليهم لا يدفعونهُ لهُ الاَّ بعد ان يطالبهم بهِ مرارًا كثيرة

الرزق مقدور

قيل ان عروة ابن اذينة الشاعر وفد على الخليفة هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليهِ عرف عروة فقال لهُ ألستَ القائل

لقد علمتُ وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
اسعى اليهِ فيعييني تطلُّبهُ ولو قعدت أتاني لا يُعنّيني

واراك قد جئتَ من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال لهُ يا أمير المؤمنين زادك الله بسطةً في العلم والجسم ولا رد وافدكَ خائبًا والله لقد بالغتَ في الوعظ واذكرتني ما أنسانيهِ الدهر وخرج من فورهِ الى راحلتهِ فركبها وتوجه راجعًا الى الحجاز. فلما كان الليل ذكرهُ هشام وهو في فراشهِ فقال رجلٌ من قريش قال حكمةً ووفد اليَّ فجبهتهُ ورددتهُ عن حاجتهِ وهو مع ذلك شاعرٌ لا آمن ما يقول. فلمّا اصبح سأل عنهُ فاخبر بانصرافهِ فقال لاجرم ليعلم ان الرزق سيأتيهِ ثم دعا مولىً لهُ واعطاهُ الفي دينارٍ وقال إلحق بهذه ابن اذينة واعطهِ أيَّاها. قال فلم ادركهُ الَّا وقد دخل بيتهُ فقرعتُ الباب عليهِ فخرج اليَّ فاعطيتهُ المال فقال أبلغ امير المؤمنين قولي سعيت فأكديتُ ورجعتُ الى بيتي فاتاني رزقي

حسن النصح

نقل عن السلطان صلاح الدين انهُ قال يوماً للقاضي الفاضل لنا مدة لم نرَ فيها العماد الكاتب فلعلهُ ضعيف امضِ اليهِ وتفقد احوالهُ فلمَّا دخل الفاضل الى دار العماد وجد اشياء انكرها في نفسهِ مثل آثار مجالس انس ورائحة خمر وآلات طرب فانشد

ما ناصحتكَ خبايا الودِّ من رجلٍ ما لم ينلك بمكروهٍ من العذَلِ
محبتي فيك تأبى عن مسامحتي بأن أراكَ على شيءٍ من الزللِ

فلما قام من عندهِ نزع العمادُ عما كان فيهِ واقلع ولم يعد الى شيءٍ من ذلك البتة

ابيات في الاستعارة وغيرها

قال ابن نباتة

حتى اذا نهرَ الاباطح والثرى نظرت اليهِ بأعينِ النوَّارِ

وقال الآخر

مجرَّةُ جدولٍ وسماءُ آسٍ وانجمُ نرجسٍ وشموسُ وردِ
ورعدُ مثالثٍ وسحابُ كاسٍ وبرقُ مدامةٍ وضبابُ ندِّ

وقال مجير الدين بن تميم

وليلة بتُّ أُسقى من غياهبها راحاً تسلُّ شبابي من يدِ الهرمِ

مازلتُ اشربها حتى نظرتُ الى غزالةِ الصبحِ ترعى نرجسَ الظلمِ

وقال الآخر

والشمسُ لا تشربُ خمرَ الندى في الروضِ الّا من كؤوس الشقيق

وقال مجد الدين الاربلي

اصغي الى قولِ العذولِ بجملتي مستفهماً عنكم بغيرِ ملالِ
لتلقطي زهرات وردِ حديثكم من بينِ شوكِ ملامةِ العذّالِ

وقال محيي الدين بن قرناص الحموي

قد أتينا الرياضَ حينَ تجلّت وتحلّت من الندى بجمانِ
ورأينـــا خواتمَ الزهرِ لمّا سقطت من أناملِ الاغصانِ

نشر لسان الحال الاغر هذه الرسالة بامضاء دانيال كليمر مدير ريدن سابقاً في بنسلفانيا في امركا الشمالية وطلبهِ فنقلناها عنهُ بحروفها وهي

ان رائحة البصل تسكن الأرق وتعود على المستنشق بالراحة والسكينة واذا أُطعم للجندي الجادّ في السير والحداد الشديد العيّ اكسبهما قوةً ونشاطاً واذا اردت ان تستغرق في النوم فخذ بصلة خضراء ورضها واربطها حول عنقك ليلاً فتنبعث رائحتها اليك وأنت في مأمن من القلق والسهاد

الاعرابيان والباذنجان

قيل لاعرابي ما تقول في الباذنجان قال لونهُ لون بطون العقارب وأذنابهُ كاذناب المحاجم وطعمهُ طعمُ الزقوم فقيل انهُ يحشى باللحم ويقلى بالزيت فيكون طيبًا فقال لو حشي بالتقوى وقلي بالمغفرة وطبختهُ الحور العين وحملتهُ الملائكة ما كان الاَّ بغيضي . وقيل لآخر ما تقول في باذنجان عملتهُ بوران فقال ان شققتهُ مريم وطبختهُ سارة وقدمتهُ فاطمة لا رغبة لي فيهِ

الخيار والقثاَّء من الخضر العسرة الهضم وقد تحقق انهما تعرضان آكلهما للدود الخيطي ولذلك لا يؤْمن شرهما لمن يكثر من اكلهما

فيضان النيل المبارك

بعد ان أَخذ النيل المبارك بالنقصان أَدرَّت عليهِ انهار اواسط افريقية من فيض ذي الرحمة والرضوان فعلت مياههُ حتى بلغ ارتفاعها في القاهرة احدى وعشرين ذراعًا واكثر فتحققت الآمال وعُقد الرجاء باقبال المواسم والغلال

زيادة اصبع في كل يومِ

زيادة اذرعٍ في حسنِ حالِ

تاريخ الانكشاريَّة

يبتدئ تاريخ الانكشارية في زمن السلطان أُرخان ابن السلطان عثمان اول سلاطين دولة الترك وينتهي في زمان السلطان محمود ابي السلطان عبد المجيد . فتاريخهم متعلق بمعظم تاريخ آل عثمان ولذلك لايستوفى عليهِ الكلام الَّا باستيفاء الكلام على تاريخ آل عثمان وهو ليس مرادنا الآن وانما نورد هنا خلاصة تاريخ الانكشارية ملخصةً من اشهر كتب الثقات فنقول

كان الترك في بدء امرهم قبائل رُحَّل يتعيَّشون بالغزو وشنّ الغارات فيرحلون برجالهم ونسائهم واولادهم ومواشيهم كقبائل البدو في زماننا هذا حتى لاذ كبيرهم سليمان شاه جدّ السلطان عثمان بعلاء الدين السلجوقي سلطان قونية . وكان السلاجقة ارقى منهم في الحضارة فجعل الاتراك يقتبسون عوائدهم في الحلّ والترحال . وبعد وفاة سليمان شاه غرقًا في نهر الفرات ووفاة ابنهِ ارطغرل عبد علاء الدين سلطان السلجوقية قام عثمان بن ارطغرل وحارب حروبًا عديدة انتصر بها على اعداء

السلجوقية من الروم والتتر واخضع البلاد للسلطان علاء الدين فحظي عنده ُ ونال اعلى مقامٍ بين رجالهِ ، وتخلّق الترك حينئذٍ باخلاق اهل الحضر فكان رجالهم يخرجون الى الحرب والقتال وتبقى شيوخهم ونساؤُهم واطفالهم وانعامهم في المدن والضياع جريًا على عادة السلاجقة . ثم ثارت الرعيَّة بعلاء الدين وهاجمهُ التتر فتخلّى عن تخت الملك وولى هاربًا الى ملك الاروام ميخائيل بالالوغ واقام عنده ُ حتى توفي ، وبعد وفاتهِ نصبت الرعيَّة عثمانَ سلطانًا عليها سنة ٦٩٩ هجرية الموافقة لسنة ١٣٠٠ ميلاديَّة ولقبتهُ بلقب بادشاه وهو اوَّل سلاطين آل عثمان

فحارب السلطان عثمان حروبًا عديدة بعد تبوُّئهِ تخت السلطنة وكان يخرج معهُ عدد غفير من الفرسان فيهاجمون الاعداء ويرجعون ظافرين غانمين حتى كثرت عليهم الخيرات وانفتحت لهم ابواب الراحة والملذات . ومعلوم ان ذلك يذهب بميل الرجال الى شنّ الغارات واقتحام الاهوال ويفضي الى حب السكينة ونعيم البال ولذلك اصبح قومهُ اذا خرجوا الى القتال وقاتلوا اياما ولم يفوزوا بالنصر والغنائم غادروا ساحات القتال وتفرقوا في البلاد بحيث لا يتيسَّر جمعهم ولا العود بهم الى استئناف القتال

ولمَّا توفي السلطان عثمان سنة ٧٢٦ هجرية خلفهُ ابنهُ السلطان أُرخان وكان من الابطال المجرَّبين محبًّا للحروب والفتوحات فخاف ان يستولي التراخي على قومهِ فيجبنوا ويتوقفوا عن الغزو والقتال فانتخب جيشًا من المشاة وقطع لهم الجرايات لينقطعوا الى الحرب والقتال ولا يهتموا بتدبير ما يعيشون بهِ. فتدارك بذلك بعض ما حذر عواقبهُ الَّا انهُ لم يفِ بتمام غرضهِ ولا طال زمان الانتفاع بهِ لان الجنود كانوا من المشاة فاذا دارت الدائرة عليهم في ساحة الوغى وولَّوا الادبار لم يتيسر لهم الفرار كالفرسان فيدركهم العدوّ ويثخن فيهم ولذلك ما لبثوا ان تمرَّدوا على السلطان وكان ذووهم ينتصرون لهم اذا أَبوا الانتظام في الجندية فيكرهون السلطان على اعفائهم

فاستاء السلطان أُرخان من ذلك ورأَى ان العدول عنهُ أَولى من الاصرار عليهِ خشية سوء العاقبة . وكان في قومهِ رجل عاقل يسمَّى قره خليل (١) فقال لهُ أَرى يا مولاي ان تقيم لك جيشًا من اولاد الاسرى النصارى فتفصلهم عن آبائهم صغارًا قبل ان يدركوا

(١) قره خليل صار في ايام السلطان مراد الاوَّل صدرًا وسُمّي حينئذٍ خير الدين باشا وبقيت الصدارة في عائلتهِ يرثها الخَلَف عن السَّلَف حتى افتتح الاتراك القسطنطينية

وتتعلق قلوبهم باقاربهم وترسخ في اذهانهم قواعد دينهم وأَن تقيم لهم من يعلمهم قواعد الاسلام ويربيهم على حب السلطان والمسلمين حتى اذا شبُّوا لم يكن لهم في الحياة مطمع الَّا الجهاد في سبيل الدين والذود عن السلطان ابيهم ومربيهم فاذا غلبوا وظفروا شادوا اركان الامَّة والدين واذا قُهِروا وقُتِلوا دخلوا الجنَّة وخلدوا في ديار النعيم فيكون منهم على الحالين خيرٌ لهم وللمسلمين . فاستحسن السلطان رأْيهُ وامر باجرائهِ من ساعتهِ وعاش حتى رأى عندهُ جيشًا مؤَلفًا من اكثر من الف شابٍ من الابطال المدرَّبين المنتخبين

وكان بالقرب من اماسيا بالاناضول شيخ جليل القدر وافر الكرامات يسمَّى حاجي بكطاش وهو مؤَسس طريقة الدراويش البكطاشية . فسار السلطان أُرخان بجيشهِ الجديد الى منزل بكطاش ليباركهم ويسميهم باسم يختارهُ لهم فلمَّا اصطفُّوا امامهُ وضع يدهُ على راس قائد منهم طويل القامة معتدل القد ودلَّى كم ثوبهِ الابيض عن راسهِ وقال ليكن اسمهم "يكيچري" (يني تشاري ومعناهُ العسكر الجديد وقد تحرَّف فصار انكشاري) ولتبرق وجوههم بين اقرانهم ولتشتد سواعدهم على اعدائهم ولتقطع سيوفهم

وتسطع اسنتهم وليأوبوا والفوز يتقدمهم والعز يحفُّ بهم ولذلك كان الانكشارية يعتبرون حاجي بكطاش اعتبار الاولياء ويوقّرون دراويش طريقتهِ توقيرًا عظيمًا ويدلُّون من مؤخر عمائمهم شرائط من الصوف الابيض اشارةً الى كم بكطاش الابيض

ثم توفي السلطان أُرخان (سنة ٧٦١ هـ) حزنًا على ابنهِ سليمان باشا وخلفهُ ابنهُ السلطان مراد الاوَّل وكان من اعظم سلاطين آل عثمان قوةً وعقلاً وحزمًا وهمَّةً فكثرت الاسرى في زمانهِ حتى صار الاسير يباع بطاس من المبرّدات. فقال بعض العلماء ان الشريعة تقتضي ان يكون خمس الغنائم نصيب السلطان وذلك يعمُّ الاسرى كما يعمُّ غيرهم من السلب فاذا اخذ السلطان خُمس الاسرى ارتفع ثمنهم وتكاثر عدد الانكشاريَّة فاستحسن السلطان مقالهُ وجعل ياخذ نصيبهُ الخمس من نقاية ابناء الاسرى من ابن سبع سنين فما فوق الى ابن اربع عشرة سنةً ويسلّمهم للمعلمين فيعلمونهم القراءة والمصحف الشريف حتى يجيدوا حفظهُ وشعائر الدين ويمرنونهم على استعمال السلاح ويروضونهم بالاعمال الشاقة ليتعودوا المتاعب. وكانوا يستمرون على ذلك سبع سنين او ثمانيًا حتى اذا بلغوا اشدَّهم كانوا على ما يرام من القوة

وحب السلطان وبغض اعدائهِ والتمسك بالدين والتعصُّب للمتدينين بهِ فينظمونهم في سلك الجندية وينتخبون احسنهم منظرًا فيجعلونهم حرسًا للسلطان

وكان الجنود يقسمون الى اربع فرق هي الجماعة والبلوك والسيبان وعجمي اوغلان ويقسمون كل فرقة من هذه الفرق الاربع الى ارط واوض ووجاقات وكانت الأرطة تتالف من عشرة انفار في ايام السلطان مراد المذكور ثم جعل عدد انفارها يتزايد حتى بلغ مئة وتسعين نفرًا في ايام السلطان محمد الرابع

وكانت كلها خاضعة لامر قائد عامٍ يلقب "بالآغا" لهُ مطلق السلطان عليهم وحق التأديب لمن يذنب منهم نفرًا كان او ضابطًا. وكان راتبهُ في بادئ الامر اربعة آلاف غرش في الشهر ثم زاد كثيرًا على توالي الايام ولعلوّ مقامهِ لم يكن لغير السلطان كلمة فوق كلمتهِ ولم يكن يخلعهُ من منصبهِ الَّا السلطان وذلك اذا اذنب ذنبًا عظيمًا يستحق الخلع والَّا فيبقى في منصبهِ طول ايامهِ . فاذا رأى السلطان بعد خلعهِ ان يعفو عن عنقهِ بعثهُ واليًا على ايالةٍ من الايالات نفيًا لهُ وتنزيلاً عن سامي مقامهِ.

وكانت القاب المأمورين القابًا شريفة تتضمَّن الدلالة على انهم

اولاد السلطان عائشون في ظلال نعمتهِ راتعون في نعيم جودهِ وعنايتهِ مثل كشرجي باشي وعشي باشي وساقي اغاسي ونحو ذلك

وكان لكلٍّ من الانكشارية سمة يعرف بها وهي وشم مستدير فوق مرفقهِ الايسر قطرهُ يزيد عن القيراط وقد كتب باحرف تدل على اسم الانكشاري وسنهِ وعدد فرقتهِ. وكانت المراجل التي يتناولون الجراية فيها تعتبر عندهم اعتبار الرايات عند جنود هذه الايام فاذا خرجوا للحرب اخذوها معهم واذا خسروها عُدَّت اعظم عارٍ على خاسريها. ولمَّا فسد امرهم في اواخر ايامهم كانوا اذا ابوا الطاعة وارادوا اظهار التمرد قلبوها امام منازلهم علامةً على العصيان واحتقار النظام. وكانوا في بدء امرهم ينذرون العزوبة ولا يبيتون الَّا في منازلهم فاذا نكث بعضهم بنذرهِ قُتل لا محالة. هذا اذا كانوا صالحين للخدمة واما اذا عطَّلتهم الجراح او اعجزهم الكبر فيعتزلون عن وجاقاتهم ويُعطون جراية المتقاعدين ويباح لهم التزوج والاقامة خارج المعسكر على شرط ان يقيموا الدعاء يوميًّا بفوز رفاقهم وظفرهم

وازداد عددهم في ايام السلطان مراد الاول حتى بلغ عشرة آلاف رجل منتخب من احسن اسرى النصارى. ولمَّا رأى الناس

تعطُّف السلطان عليهم وما اجزل لهم من الامتيازات والنعم عرفوا
ن في الانضمام اليهم منفعة وربحًا فجعلوا يتطلَّبون ذلك وكانوا
يبذلون الاموال دون الانتظام بين الانكشارية طمعًا بالحصول
على امتيازاتهم وحقوقهم . وتزايد عدد الانكشارية على مرّ الزمان
وانقسموا قسمين قسمًا منظَّمًا وكان يقيم في الثُّكَن (القشل) في
الاستانة ومدن أُخرى قليلة وقسمًا غير منظَّم وكان متفرقًا في
نواحي المملكة واسمهُ اليمق وقيل ان المنظَّم بلغ عددهُ في زمن من
الازمان نحو ستين الفًا واليمق نحو اربعماية الف والله اعلم

ولما كان الانكشارية ينتقون من احسن الفتيان ويمرَّنون
على استعمال السلاح والخوض والكفاح ويعيشون العيشة
المنظمة دون غيرهم ممن حولهم اشتهر بأْسهم وهابت الامم والقبائل
بطشهم ولاسيما في ايام السلطان مراد الاول وابنهِ السلطان
بيازيد فان السلطان مراد حارب في اسيا واوربَّا حروبًا عديدة
فاز بها الانكشارية فوزًا مبينًا واجبروا لازار وسيجموند حاكمَي
السرب والبلغار على عقد الصلح مع السلطان على شرط ان
الاول منهما يقدم كل سنة الف حصان والف رطل من الفضة
والثاني يزوج السلطان بابنتهِ . ولمَّا رجع السلطان عن بلادهما

الى الاناضول خرجا عن طاعتهِ واجتمع معهما حاكم البوسنه وقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً فعاد اليهما وحارب سيجموند حماهُ فاسرهُ (سنة ١٣٨٩ ميلادية) ثم عفا عنهُ وقصد انصارهُ الى بلاد السرب وكمن لهم في سهل كسوفا احدى مدن السرب. فلمَّا قربوا منهُ استكثر عددهم واستقل عدد جندهِ في جنب عددهم فجمع رؤَساء جيشهِ ليستشيرهم في امر القتال فسدَّ عليهِ ابنهُ بيازيد ابواب الكلام واشهر الحسام وصاح القتال القتال. فثارت الحميَّة في صدور الرجال وامر السلطان فضُرِبت الطبول وانقضَّت الابطال فاشتبك الفريقان وتلاقت الرجال بالرجال وكان بيازيد يخترق الجموع كالبرق سرعةً والصاعقة انقضاضاً ويسقي الاعداء كاسات الحتوف حتى ارهب الابطال وشيَّب الاطفال. وثار الغبار وعلا الضجيج وتناثرت الجماجم وسالت الدماء كالانهار ثم انجلت عن هزيمة الاعداء ونصرة السلطان مراد وقومهِ ووقع حاكم السرب في يدهم اسيراً وتشتت الذين نجوا من المذبحة وولوا الادبار. وبعد انتهاء المعمعة جعل السلطان يجول بين القتلى متعجباً من كثرة عددهم فوثب عليهِ شابٌ مضطجع بينهم وطعنهُ بخنجرهِ في بطنهِ فخرَّ صريعاً مجندلاً وقبل ان يسلم الروح امر بقتل

حاكم السرب فقتلوهُ وهجم الانكشارية على قاتلهِ الفتى فمزَّقوهُ اربًا اربًا

وبعد موت السلطان مراد على ما تقدم خلفهُ ابنهُ السلطان بيازيد وكان لسرعتهِ يلقب بالبرق فلما استتبَّ لهُ الملك ولم يعد يخشى منازعًا جعل همهُ محاربة السرب الذين قتلوا اباهُ فزحف بالانكشارية على بلادهم فخافهُ حاكم السرب يومئذٍ وزوَّجهُ باختهِ وتعهد بتقديم عدد من الجند ودفع ضريبة معينة من المال فرجع عنهُ واشتغل بمحاربة غيرهِ

وطار صيت الانكشارية في الآفاق فصار الاقارب والاباعد يخشون هولهم وكان لهم في القتال وتيرة واحدة يجرون عليها . ولمَّا كان استقراء وقائعهم كلها يطول رأينا ان نقتصر على وصف واقعة منها اكتفاءً بها عما سواها فنقول

انهُ في سنة ١٣٩٤ ميلادية الموافقة لسنة ٧٩٦ هجرية حشد السلطان بيازيد الجيوش واعدَّ المؤونة والذخائر وزحف بجيش جرار من الاناضول على القسطنطينيَّة ليفتتحها ومرَّ في طريقهِ على مدينة سالونيك فاخذها عنوةً وحلَّ بها ثم وجَّه الجنود منها شمالاً على بلغاريا وغيرها من الولايات . فلمَّا سمع

امير البلغار بقدوم العساكر العثمانية داخلهُ الرعب فخرج هو وابنهُ لملاقاة وزير بيازيد القادم مع الجيوش وقد وضعا منديل الاستئمان حول عنقيهما فامَّنهما الوزير. ولمَّا بلغ سيجموند ملك المجر ما كان وان العساكر العثمانية زاحفة عليهِ ارسل الى السلطان رسولاً يقول لهُ باي حق استوليت على البلغار فلمَّا مثل الرسول بين يدي السلطان اراهُ حزمة من القسيّ والنبال وقال لهُ اخبر سيّدك بما رأيت

فرجع الرسول وقصَّ على سيّدهِ ما رأى فعلم سيجموند ان الحرب لا مفرَّ منها وخشي ان تدور الدائرة عليهِ لضعفهِ عن لقاء العساكر العثمانية فقصد البابا بونيفاس الثاني واستغاث بهِ ووعدهُ ان ينضمَّ بقومهِ الى كنيستهِ الغربية اذا مدَّهُ بالجيوش. فانجدهُ البابا بالجنود وبعث اليهِ كارلوس السادس ملك فرنسا بعشرة آلاف مقاتل تحت قيادة الكونت نافار ابن ملك برغونيا وانضمَّ اليهِ فرسان مار يوحنَّا المقيمون بجزيرة رودس وخلق كثير من المانيا والفلاخ وغيرهما حتى اجتمع عندهُ من ثمانين الفًا الى مئة الف مقاتل لصد الاتراك وردهم عن اوربا. وكان السلطان بيازيد قد حشد نحو مئتي الف جندي ونزل بهم في

مدينة نيكوبولي وتحصَّن فيها لملاقاة جيوش الافرنج وزحف سيجموند وقومهُ عليهم فلمَّا رأَوهم منتشرين انتشار الجراد على تلك السهول الفسيحة استخفوا بهم وقالوا ان النصر لنا فما هم الاَّ أغمار مجموعة لا يعرفون قتالاً ولا يلقون الصوارم. وذلك لان جيوش الاتراك كانت كثيرة الحركة والجَلَبة قليلة الترتيب والنظام ضخمة العمائم واسعة الملابس سابغة الذيول لا يسهل عليها الكرّ والفرّ ولا تهاجم عن تدبير ونظام ولاسيما لان عساكر الصباهية كانت دائمة الانتقال والاختلاط كثيرة الجَلَبة قليلة التدبير يخرج منهم الفرسان ويطوفون حول المعسكر ويرمون فرسان ماري يوحنَّا بسهامهم الطائشة فلا يصيبون احدًا ثم يقفلون الى قومهم راجعين. فلمَّا رأَى فرسان ماري يوحنَّا ما رأَوا وعلم الفرنسويون حال العدو فرغ صبرهم وثاروا للمهاجمة والكفاح فحذرهم سيجموند ملك المجر من سوء العاقبة فلم يصغوا اليهِ واغار اربعة آلاف فارس منهم يتقدمهم الكونت نافار حتى اتوا جيش العدو فخاضوا عبابهُ واداروا السيوف فيهِ ذات اليمين وذات اليسار فمزقوا شملهُ ولم يمضِ الاَّ ساعة من الزمان حتى وقع الرعب في قلوب الاتراك فاركنوا الى الفرار وتفرقوا على البيداء يرمون

بعمائمهم وقلانسهم واورديتهم تخفيفاً عنهم وتسهيلاً للفرار

وما زال فرسان الافرنج يعملون فيهم السيوف ويمزقون منهم الجماهير ويجدون وراءهم السعي حتى جاوزوا اكمةً في تلك السهول قد توارى بها مركز جيوش الاتراك وكمن وراءها الانكشارية نخبة ابطالهم . فلما اقبل فرسان الافرنج عليهم وراوا عددهم الغفير ونظامهم التام وابطالهم المدججة بالسلاح ثابتة كالاطواد لا يهمها انهزام الرجال ولا تخشى لقاء الابطال احجموا عن الهجوم وخافوا سوء العاقبة وعلموا ان الحرب لم تكن قد ابتدأت فنكص بعضهم على الاعقاب وولّوا مدبرين واما الباقون فكانت الحميّة لم تزل ثائرة بهم وسورة الظفر عابثةً في رؤوسهم فاعملوا في شاكلات الخيول المهاميز وانقضوا عليهم كالنسور مستقتلين . فصاح الانكشارية صيحةً دوت لها الارض وثاروا لملاقاة العدو بنفوس لا تهاب الموت والتحم الفريقان وتعاطوا كؤوس الحمام وقاتل فرسان الافرنج ذلك اليوم قتالاً تشيب منهُ الاطفال . وكان سيجموند يتبعهم بالفرسان ولكنهُ لم يبتدئ بالقتال الاَّ بعد ما كان الانكشارية قد اطبقوا عليهم ومزقوهم كلَّ ممزَّق لقلة عديدهم . ولما رأَت جنودهُ ما حلَّ بنخبة الفرسان من

بطش الانكشارية وما عند العدو من الصبر والثبات انحلّت عزائمها فهربت ميسرتها خوفاً وجبناً وانتهزت ميمنتها تلك الفرصة فغدرت وخانت فلم يبقَ مع سيجموند من تلك الجيوش الجرَّارة غير عشرة آلاف مقاتل من ابطال المانيا والمجر. فجعل الانكشارية يهاجمونهم من المقدمة والجيوش غير المنظمة من الميمنة والميسرة حتى لم يستطيعوا ثباتاً وتكاثرت عليهم الجيوش فهزموهم شرَّ هزيمة. ولم يبقَ لسيجموند نصير ولا ظهير ففرَّ من ساحة القتال وحدهُ بعد ان كان قد أتاها في الغداة بنحو مئة الف مقاتل. ويقال ان الانكشارية اتوا السلطان يومئذٍ بعشرة آلاف اسير وضربوا اعناقهم في الحضرة لكثرة ما قتلوا منهم. واظهر الكونت نافارا العجائب وحارب كالليوث البواسل فكان اذا حلَّ في مكان قالوا قد حلَّ القضاء المبرم وتفرقوا من وجههِ شذر مذر ولذلك سرَّ بهِ السلطان بيازيد واكرم مثواهُ وامر بعد القتال ان يلعب الفرسان على خيولهم ويظهروا لنافار واصحابهِ قواد الجيوش ما عندهم من البراعة في الفروسة والتفنن في ركوب الخيل

وذاع صيت الانكشاريّة بعد هذه الموقعة ووقعت مهابتهم في قلوب الافرنج جميعاً. وعلى ما وصفنا كانت طريقة قتالهم في كل زمانٍ

ومكانٍ فانهم كانوا لا يسيرون للقتال الّا محفوفين بجيش جرّار من الجنود الغير المنظّمة . فاذا باشروا الهجوم او الدفاع جعلوا تلك الجيوش في المقدّمة لتضرم نار الوغى وبقوا هم كامنين وراءهم حتى يشتغل العدو بالقتال مدة فلا يبلغ اليهم الّا وقد فترت حميتهُ وخمدت حماستهُ وضعفت قوّتهُ فيعجز عن ملقاهم ويولي من امامهم الادبار وكثيرًا ما كان الانكشارية يتخذون جثث القتلى من جيشهم الغير المنظم مراقي يعبرون بها على الخنادق ويرتقون الى الابراج والقلاع والحصون

ولما كان مقتضى طريقتهم في القتال ان تكون خاتمة الحرب عن يدهم كان النصر يتمّ في الغالب عن يدهم وتقع الغنائم والاسلاب في حوزتهم . ولذلك طغوا وتكبروا ولعبت بهم الخيلاء والغلواء فزعموا انهم هم حماة الدين وعماد المملكة وعلة وجود السلطان وان الامة والدين لا قيام لهما الّا بهم ولا عز ولا صولة الّا ببأسهم واقتدارهم . والناس اذا داخلها العُجب بنفسها فسدت وبطرت وانقلبت فضائلها رذائل ومنافعها اضرارًا . ولذلك كثرت مطامع الانكشارية وطالت دعاويهم وعرضت وطمحت ابصارهم الى اكثر ممّا قُسِم لهم وأُشرِبَت قلوبهم حُبَّ التمرد والطغيان

فقاموا على سليمان ابن السلطان بيازيد بعد وفاة ابيهِ وقتلوهُ فكان ذلك باعثًا لاخيهِ موسى على احراق الكثيرين منهم بالنار . ولعلَّ المعتذر عنهم يجد لهم في ذلك عذرًا فان سليمان اهان قائدهم "الآغا" فقصَّ عثنونهُ فكبر ذلك عليهم ففتكوا بهِ . بخلاف ما ظهر منهم في اواخر ملك السلطان مراد الثاني فانهُ لمَّا عانى ما عانى من المشقَّات والحروب وفجع بموت ولدهِ علاء الدين تنزَّل عن تخت الملك ونصَّب مكانهُ ابنهُ محمدًا الثاني ولم يكن لهُ يومئذٍ من العمر الَّا اربع عشرة سنة . فثارت الولايات المهادنة مثل البلغار والفلاخ والمجر استخفافًا بصولة ابنهِ فبعث كبار الدولة في طلب ابيهِ فاتى من مدينة مغنيسيا مكرهًا وحارب الاعداء وانتصر عليهم ثم عاد الى مغنيسيا وانقطع فيها عن حطام الدنيا . فلمَّا احس الانكشارية بذلك استخفوا بابنهِ محمد فثاروا وشقوا عصا الطاعة واهاجوا المدينة واضرموا فيها نارًا عظيمة . فخافت الوزراء بأسهم ولاطفتهم واسترضتهم حتى امنت جانبهم وكفت الناس شرَّهم ثم بعثت الى السلطان مراد تقول ان رجوعك لابدَّ منهُ لراحة الامَّة فترك مغنيسيا ورجع فاستوى على عرش الاحكام فهابتهُ الانكشارية وعادت الى الطاعة والانتظام

منشأُ الحياة الاوَّل على الارض

هذا عنوان مقالةٍ للمعلّم ابرهيم الحوراني احد المشتغلين بالترجمة وتعليم الصرف والنحو في بيروت تلاها بين رفاقٍ لهُ يسمُّون انفسهم الندوة السوريَّة لترقية العلوم وادَّعى في عرضها انهُ استنبط من "اقوال اكابر الفلكيين والجيولوجيين" رأيًا جديدًا فحواهُ ان منشأَ الحياة الاوَّل على الارض هو القطبان الشمالي والجنوبي . ولمَّا سُئِل المقتطف الأَغرّ عن هذا الرأْي أَجاب ان صاحبهُ رجلٌ اميركيٌّ وان مدَّعيهُ نقلهُ عنهُ على ما يظهر الى آخر ما اوردناهُ في العدد الماضي من اللطائف . فأنكر مدَّعيهِ ذلك وأَصرَّ على انهُ هو مستنبط الرأْي بكلام جامع لانواع الادعاء والمهاترة فوعدنا القرَّاء الكرام ان نكشف لهم الغطاء عن دعواهُ هذه ليُعرَف صدقها من كذبها واتمامًا لوعدنا نقول

كلُّ عاقلٍ يعلم ان الذي يرى في العلم رأْيًا مبنيًّا على اقوال اكابر العلماء يعرف ما يتعلَّق برأْيهِ من اقوالهم وما لا يتعلق بهِ ويدرك قوَّة المقدّمات التي يوردها لانتاج النتائج المطلوبة ويفهم ما اذا كانت تصلح لانتاج تلك النتائج او لا تصلح لانتاجها . فاذا ادَّعى زيدٌ برأْي جديد واستوفى ما تقدَّم من الشروط ولم يدَّعهِ غيرهُ لم يحقّ لنا معارضتهُ في دعواهُ واما اذا ادَّعى بهِ ولم يستوفِ ما تقدَّم حقَّ لنا معارضتهُ ولا سيَّما اذا كان غيرهُ قد ادَّعى الرأْي قبلهُ واستوفى شروطهُ فيقوى حقُّنا حينئذٍ في معارضتهِ واتهامهِ بالسرقة والانتحال

فنحن نعارض الآن صاحب مقالة "منشإِ الحياة" بحجة انهُ لم يستوفِ الشروط المطلوبة ممَّن يرى رأْيًا جديدًا كرأْيهِ ونتّهمهُ بانتحال رأْي سكربنر الاميركي . وهذا ما نريد اثباتهُ الآن

قال صاحبنا "ان كلَّ مَنْ علم الرأي السديمي ووقف على اقوال أكابر الفلكيين والجيولوجيين وكان عندهُ قليلٌ من الدراية يندر ان لا يخطر ذلك (اي رأيهُ) بباله". انتهى

نقول ان صاحب الرأي السديمي هو العلاَّمة لاپلاس الفرنسوي الذي عاش منذ مئة سنة . وكل الفلكيين والجيولوجيين الذين سلفوهُ وخلفوهُ من أكابر واصاغر وكل العلماء الذين طالعوا اقوالهم وسبروا اعماق الكون وحلُّوا المعضلات وكشفوا الغوامض وعرفوا الاسرار لم يرَ احدٌ منهم هذا الراي ولم يخطر شيءٌ منهُ بباله على ما علمنا وما سمعنا اذا استثنينا اثنين من الاميركيين سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٥ "والعالم الفاضل" صاحب المقالة سنة ١٨٨٦ . فان كان كل علماء الارض من متقدمين ومحدثين خالين من الدراية فما بقي لنا الاَّ ان نفتخر بخلوّنا منها وان نخصَّ الدراية — كل الدراية — بحضرة "العالم الفاضل" صاحب المقالة . وان كان ادّعاؤُهُ يحملهُ على ان يخصَّ الدراية بهِ وحدهُ دون علماء الارض وان يتفرَّد بالفهم والذكاء بين البشر أفلا تحملهُ الجرأة على ان ينتحل آراء رآها غيرهُ ويدَّعي استنباط امورٍ استنبطها سواهُ . على اننا لا نفهم باي درايةٍ يقول صاحب المقالة "انهُ اذا صحَّ الرأي السديمي صحَّ ان القطبين منشأُ الحياة الاوَّل على الارض" ولا نعلم ما هي الدراية الفائقة في اعتمادهِ على الرأي السديمي وجَعْل صحتهِ شرطًا لصحة رأْيهِ . فالرأي السديمي مفادهُ ان الارض والشمس وكل اجرام النظام الشمسي كانت في الاصل سديمًا واحدًا ثم انفصلت اجرامًا على ما يعلمهُ طلبة العلم في هذه الايام . وهو مبنيٌّ على مشاهدات وحقائق مقرَّرة في بعض العلوم منها ان الارض كانت في زمنٍ من الازمان السالفة ذائبةً من الحموّ بدليل وجود البراكين والينابيع الحارَّة عليها وازدياد حرارتها بازدياد التعمُّق فيها وتكوُّن قشرتها من صخور

نارية او من صخور تكوّنت من فتات الصخور الناريّة كما يعرف ذلك طلبة علم الجيولوجيا . فسواء ثبت الرأي السديمي او لم يثبت فذلك لا ينفي هذه الحقيقة المقرّرة وهي ان الارض كانت قديمًا حامية ثم بردَتْ تدريجًا . وسيأتي معنا ان صاحب المقالة يبني الرأي الذي يدّعيهِ على هذه الحقيقة المقرّرة عينها فرأيهُ غير مترتّب على الراي السديمي فلا يثبت بثبوتهِ ولا ينتقض بانتقاضهِ . وعليهِ فكل مَنْ يطالع اقوال اكابر الفلكيين او اصاغرهم في الرأي السديمي ويكون عندهُ ادنى دراية حقيقيّة لا يقول مثل القول الساقط الذي قالهُ صاحبنا ولا يرتّب على الراي السديمي صحة امرٍ لا علاقة لها بهِ . فهذه أُولى المعجزات وأسطع "الآيات البيّنات" . فلننظر الآن في الادلّة التي حملت صاحب المقالة على استنباط الراي الذي يدّعيهِ وهي كما وردت في مقالتهِ بالحرف الواحد

(١) ان الحياة لم تنشأْ على كل وجه الارض دفعةً بل في اماكن بعينها انتشرت منها شيئًا فشيئًا الى غيرها

(٢) ان القطبتين اوّل ما برد من اجزاء الارض الى درجة تصلح للحياة

(٣) فالقطبتان هما منشأُ الحياة الاوّل

(٤) ويقوّي ذلك انهم اكتشفوا في اقصى ما بلغوهُ من الاقاليم القطبيّة كثيرًا من دفائن الاحياء التي لا يمكن ان تحيا فيها اليوم مثل البلُّوط والزّين والحور والجوز والكرم وغيرها ممّا يقول بعض الجيولوجيين انهُ من عصر الميوسين وآخرون من عصر الإيوسين . ووجد بعضهم في الاقاليم الباردة كثيرًا من عظام الحيوانات العظيمة التي لا تحيا في غير الاقاليم الحارّة . واجمع الجيولوجيُّون على ان الاقاليم القطبيّة كانت في الدهور الخالية حارّةً . انتهى

هذا هو البرهان الذي اقامهُ صاحب المقالة اثباتًا للرأي الذي يدّعيهِ

وهذه هي الادلّة التي استنبطها من "اقوال اكابر الفلكيين والجيولوجيين" والتي يتمحّل لها وجه علاقةٍ برأيه. واما ما بقي فكلامٌ خارج عن دائرة البحث اورده ايهامًا بغزارة علمهِ وسعة اطّلاعهِ

فهَبْ ان تلك القضايا التي اوردها صحيحةٌ خاليةٌ من الخبط والخطإِ فايرادهُ لها على الوجه المذكور يدلُّ على انهُ لا يفهم مؤدَّاها اذ هي لا تفيد اثبات الرأي الذي يدَّعيهِ واليكَ ايضاح ذلك بأجلى بيان

لنورد تلك القضايا بصورة القياس فنقول

(١) ان الحياة لم تنشأ على كل وجه الارض دفعةً بل في اماكن بعينها انتشرت منها شيئًا فشيئًا الى غيرها

(٢) والقطبتان اول ما بَرَد من اجزاء الارض الى درجةٍ تصلح للحياة

(٣) فالقطبتان هما منشأُ الحياة الاوَّل! وهذه سفسطة لا تخفى على "مَن كان عندهُ قليلٌ من الدراية" ولو لم يعرف علم المنطق فكيف وصاحبنا يدَّعي انهُ فاق بمنطقهِ المشارقة والمغاربة حتى زعم في "حقهِ اليقين" انهُ بالمنطق يدكُّ كلَّ ما بناهُ العلماء المحدثون وبقوَّة القياس ينسف اركان مذهب النشوء ويقوّض دعائم رأْيِ "دروين". فالذي يجلو بالمنطق "شمس البرهان" ويعمل بالمنطق معجزات الزمان ويرفع بالمنطق راية حوران ويحوّل بالمنطق الحقَّ الى زورٍ وبهتان أَيعمى عن سفسطةٍ يراها اصغر الوِلْدان. ذلك وهمٌ واضحٌ لا يُستطاع عليهِ صبرًا ووزرٌ فاضحٌ يُعدُّ لفضل صاحبنا "العالم الفاضل" جحودًا وكفرًا. فهو يُجلُّ عن ان يجهل امرًا يدَّعي انهُ أَدرى الناس بهِ ونحن العاجزين لا نجترئُ على مخالفة هذا المنطقي المعجز فنسلّم بدعواهُ بلا معارضة ونقول اجلالاً لشأنهِ انهُ لم يرتكب السفسطة في القياس المذكور جهلاً منهُ باحكام المنطق وانما رام ان يلفقهُ من قياسَين فجاء تلفيقهُ هذا سفسطة عند عقلاء البشر

وربما كان حكمة فائقة عند غيرهم

والذي يراهُ عقلنا القاصر ان القياس المذكور لا يصحّ الَّا بابدال احدى المقدَّمتين فيقال مثلاً بابدال الاولى

(١) ان منشأ الحياة الاوّل كان في اوّل ما صلح لها من اجزاء الارض

(٢) والقطبتان اوّل ما برد من اجزاء الارض الى درجة تصلح للحياة

(٣) فالقطبتان هما منشأ الحياة الاوّل . وهذا هو القياس الاوّل

او يقال بابدال الثانية

(١) ان الحياة لم تنشأ على كل وجه الارض دفعةً بل نشأت اولاً في اماكن بعينها انتشرت منها شيئًا فشيئًا الى غيرها

(٢) والقطبان هما المكانان اللذان انتشرت الاحياء منهما شيئًا فشيئًا الى غيرهما من اجزاء الارض

(٣) فالقطبان هما منشأ الحياة الاوّل . وهذا هو القياس الثاني

فالعاقل السليم الفهم يسلّم ان كل قياس من هذين القياسين صحيح وانهُ اذا امكن اثبات مقدمتيهِ بالادلّة العلمية القاطعة ثبتت نتيجتهُ او ترجيحهما بها ترجحت نتيجتهُ . واما القياس الذي اتى بهِ صاحبنا فملفَّق من القياسين المذكورين بضم المقدمة الاولى من القياس الثاني الى المقدمة الثانية من القياس الاول على وجهٍ لا تنتجان معهُ النتيجة المطلوبة في حكم العقلاء الذين يفهمون . ولا يخفى عليك ان النتيجة المطلوبة هي الرأي الذي يدَّعيهِ صاحبنا وان المقدمتين هما الطريقتان اللتان اوصلتاهُ الى ذلك الرأي وان ادلتهما التي استنبطها من "اقوال اكابر الفلكيين والجيولوجيين" هي ما دلَّهُ على حقيقة رأيهِ. فَهَب اننا لم نسمع بان آخر ارتأى هذا الرأي فكيف نصدّق ان صاحبنا هو اوّل من ارتآهُ وهو يدَّعي انهُ اتصل اليهِ على طريقٍ لا تُبلغهُ اليهِ ولو سار فيها

الزمان كلّهُ . ان التصديق بهذه الدعوى عند ارباب العقول لأعسر من تصديق مَنْ يدَّعي اكتشاف دمشق او القاهرة والبلوغ اليهما في سفينة تسير في بحر الروم . فكما ان راكب السفينة في بحر الروم لا يبلغ بها دمشق او القاهرة ولو طاف البحر طول الزمان كذلك المعتمد على تينك المقدمتين وادلتهما في قياس صاحبنا لن يبلغ بهما الى الغرض المطلوب ولو ادّعى ذلك طول عمرهِ

ففساد دعوى صاحبنا يظهر للمتأمّل ولو لم يبلغهُ ان آخر رأى ذلك الرأي قبلهُ فكيف اذا علم انهُ منذ سنتين فقط ألَّف بعض الاميركيين تأليفاً اشهر فيهِ رأيهُ هذا وان كتابهُ قُرّظ وانتُقِد في كثير من الجرائد العلمية التي يقع نظر صاحبنا عليها فيترجم عنها ويهمل ذكرها عند الترجمة . وان عنوان مقالة صاحبنا هو مثل عنوان كتابهِ . وان ما يتعلّق بموضوع البحث من مقالة صاحبنا يكاد يكون مترجماً حرفاً فحرفاً عما في ذلك الكتاب . وان القياس الملفّق في مقالة صاحبنا ملفّق من احكامٍ مذكورة في الكتاب . وان ظهور مقالة صاحبنا كان بعد اشتهار الكتاب بزمان يسير

وان كان صاحبنا في ريب مما قلنا عن ذلك الكتاب وما يتضمَّن من الادلّة فاننا نأتيهِ في مقالةٍ أُخرى باقوالهِ الجلية المتضمّنة لكل مقدمة من مقدمات القياسين اللذين اوردناهما آنفاً مع ذكر الادلّة العلمية المعزّزة لهما ونبيّن لهُ باجلى بيان كيف نصدّق دعوى صاحب الكتاب بانهُ هو مستنبط ذلك الرأي كما ابنّا لهُ الادلّة التي قد افسدت دعواهُ في مقالتهِ

فحجة صاحبنا على انهُ صاحب الرأي المذكور هي قولهُ " واما ما كتبتهُ في منشإ الحياة فهو تأليف لم يسبقني احد اليهِ في العربية ولم اترجمهُ عن جريدة اجنبية . واما القول بان ذلك المنشأ قطبا الارض فلا يبعد انهُ قال بهِ كثيرون قبلي لكنني لم اقف على كلام في ذلك لاحدٍ . على ان كل من علم

الرأْي السديي ووقف على اقوال اكابر الفلكيين والجيولوجيين وكان عندهُ قليل من الدراية يندر ان لا يخطر ذلك ببالهِ". انتهى

وحجتنا على انهُ ليس صاحب ذلك الرأْي قد تقدَّمت فان كان يزعم نقضها بمجرَّد القول وادعاء المنطق فلا بدع فقد زعم انهُ نقض "بالمنطق" اسمى الحقائق التي قرَّرها علماء هذا الزمان. وان كان يزعم انهُ يستنصر علينا برأْي الجمهور مدعيًا المدافعة عن العقائد كما يفعل مع غيرنا فهذا بحث لا يغني فيهِ ذلك الاستنصار عنهُ فتيلاً. بل لو شئنا ان ناخذهُ بعاقبة قولهِ لابنَّا لهُ مناقضة رأْيهِ هذا للعقائد والاديان. فلا يخفى انهُ اورد وجود الحيوان والنبات في النواحي القطبية قديمًا شاهدًا يقوّي رأْيهُ الذي يدعيهِ اي ان منشأَ الحياة الاوَّل هو القطبان والمتدبّر البصير يرى ان وجود الحيوان والنبات في تلك النواحي انما يقوّي ذلك الرأْي اذا اعتبرنا ان منشأَها الاوَّل كان هناك. فاذا ثبت هذا الرأْي او ترجَّح فبالقياس الواحد يثبت ان منشأَ الانسان الاوَّل كان في القطب كما ذهب اليهِ بعضهم ولا يخفى منافاة ذلك للعقائد. فعسى ان صاحبنا لا يحاول باطنًا هدم ما يدافع عنهُ ظاهرًا

هذا واللبيب يرى اننا لم نقصد في هذه المقالة الاَّ بيان عدل المقتطف في حكمهِ على دعوى صاحبنا وتمييز كلام الصادقين عن كلام غيرهم. ولم نتعرَّض فيهِ لانتقاد هذا الرأْي ولا لاظهار اغلاط صاحبنا وقصورهِ في التعليل وخبطهِ في ذلك التأْليف "الذي لم يسبقهُ اليهِ احدٌ في العربيَّة" فوجود ذلك في مقالتهِ من فضلهِ كثيرٌ ولكن الالتفات اليهِ ليس من غرضنا. وانما نريد ان نختم الكلام بتحذيرٍ لطلاَّب العلم ولعلَّ صاحبنا لا يعنّفنا عليهِ اذا رآهُ ثقيلاً فالحقُّ على المحقوقِ ثقيلٌ

ان العلم القليل ينفخ واما العلم الكثير فيُعلّم الاتضاع كالسنبلة اذا فرغت

رفعت برأسها كأنها تشمخ عجبًا وتيهًا واذا امتلأت انحنتْ كأنها تميل ضعةً ودعةً . قال الفيلسوف اسحق نيوتن بعد ان فاقَ في العقل وسموّ العلم كلَّ مَنْ سلفهُ ومَن خلفهُ اني اراني واقفًا على شاطىء بحر الحقائق ألتقط تارةً صدفة منمقةً وطورًا حصاة مرقَّقةً . ومثل ذلك اقوال لا تحصى مأثورة عن اكبر العقلاء واشهر العلماء . ولا يخفى ان العلم عندنا لا يزال في بداءتهِ ولا يوجد عندنا اثرٌ يذكر ممَّا لهُ من الوسائط والمعدَّات والمسهّلات عند اهل المغرب فجُهد ما يبلغ الانسان اليهِ منَّا الآن التقاط قليل ممَّا عرفهُ الاوربيُّون ولو قلنا اننا اذكى منهم فؤَادًا وارفع عقلاً. فالعاقل منَّا والمحب للصدق يستفيد من علومهم ويعترف بما ينقلهُ عنهم . ويسلّم بما يدلهُ عقلهُ على وجوب متابعتهم فيهِ . ومن الجهالة ان صاحبنا ورفاقهُ يضحكون على طلاَّب العلم في هذه الايام فيلقبونهم تارةً بالمقلّدين وطورًا بالناقلين الذين لا يفهمون ما ينقلون ويحتقرونهم اذا ترجموا لابناء وطنهم ما يفيدهم ويستخفُّون بهم وباتعابهم اذا اعترفوا بفضل غيرهم وذكروا المصادر التي يستقون منها حرصًا على حقوق اصحابها . فهم يريدون ان يربُّوا في طلاَّب العلم صفات ذميمة من مثل الادّعاء والكبرياء وايهام الناس بانهم بلغوا مبلغًا يعجز عنهُ غيرهم . والاَّ فما قولك في صاحبنا الذي يلقّبُ بعض مناظريهِ مقلّدًا لانهُ متابع على بعض الآراء المشهورة وهو يقلّد رأيًا غير مشهور ثم لا يصدق بل يدَّعي انهُ هو مستنبطهُ . او ما قولك فيهِ حين تراهُ يلقّب نفسهُ "العالم الفاضل" كما في العدد ٤٨ من النشرة الاسبوعيَّة . وينزل اقوالهُ منزلة اقوال عظام الفلاسفة وفطاحل العلماء . كقولهِ في كتيّبٍ لهُ يتعلَّم فيهِ التلامذة القراءة عند كلامهِ على العقل قال الفلاسفة كذا وكذا واما انا فأقولُ العقل جوهر مجرَّد الخ ما يعرفهُ كل مطَّلع على تعريف العقل في كتب العرب . وتكاد لا ترى لهُ كتابةً الاَّ رأيتهُ يصدّرها بذكر

اقوال المشاهير ويردفها بقوله "واما انا فأقول" ثم يأتي إمَّا بقولٍ فارغٍ او قولٍ تداولهُ الخَلَف عن السَّلَف على توالي السنين والايام . فان كان تقليد المحدثين عارًا فهل يكون تقليد المتقدمين فخرًا . وان كان التقليد عيبًا فالتقليد والانتحال ماذا يكونان

انَّ الزرازيرَ لمَّا قامَ قائمها توَهمت انها صارت شواهينا

حل اللغز الوارد في الجزء السابع من اللطائف

ورد حلهُ من جرجس افندي حنا من بركة السبع ومن ابرهيم افندي رمزي من الفيُّوم ومن ابرهيم افندي جمال من مصر وهو في كلمة "شاهين"

الحذق في الجواب

ترجَّى فيلسوف ملكًا في حاجةٍ لبعض اصدقائهِ فردَّهُ الملك ولم يقبل فخرَّ على قدمي الملك وقبلهما فاشمأَزَّ من ذلك بعض الحاضرين واستصعبوهُ ونسبوا الدناءة الى الفيلسوف فقال لا لوم في ذلك عليَّ انما اللوم على الملك لانهُ وضع اذنيهِ في قدميهِ

سائل ومسرف

سأَل رجلٌ رجلاً مسرفًا ان يعطيهُ دينارًا فقال لهُ لماذا تطلب مني كثيرًا وترضى من غيري بالقليل فقال لانهُ يعطيني

مرةً ثانيةً واما انت فربما كنت لا اصادفك على ما انت عليهِ بحيث تكون قادرًا ان تحسن اليَّ مرةً أُخرى

فائدة المكاتب

لمَّا أُنشئَت المكتبة الاولى في مصر وُضِعَت تحت حماية الآلهة وكُتِب عليها هنا غذاءُ النفوس وطبُّ العقول

فائدة المطالعة

قالت مدام ده جنلي الكاتبة الفرنسويَّة الشهيرة "نشأْتُ بين جماعةٍ دان لهم الزمان ودارت عليهم كؤُوس المسرَّات ولكنني اشهد على رؤُوس الملا ان لذَّة الدرس والمطالعة تفوق كل لذَّة ومهما صفت الايام وتنوَّعت فيها اسباب اللهو والطرب والسرور لا بدَّ من ان يتلوها ايام كَدَر تنقبض فيها النفس وتتسلَّط السوداء وامَّا الايام التي يقضيها الانسان في المطالعة فلا يندم عليها بل يتذكَّرها فَرِحًا وحاسبًا انهُ لم يُضِعها سدًى بل استفاد فيها فائدة باقية"

اختيار الصديق

قال انتستنيس الفيلسوف اليوناني اني لاعجب ممَّن لا يشتري اناءً خزفيًّا حتى يدير نظرهُ فيهِ مئة مرَّة لئلاَّ يكون فيهِ عيب ثم هو يختار اصدقاءهُ من بين الناس مهما كانت عيوبهم

الاحذية القديمة

يضرب المثل بالحذاء القديم في حقارة شأنهِ وقلة نفعهِ وقذارة حالهِ اذ مصيرهُ الى الدمن والمزابل عند كل الامم الاَّ الاميركيين اهل الولايات المتحدة فانهم قد رقوهُ من تحت الاقدام الى ما فوق الرؤُوس ومن الدمن والمزابل الى الشوارب واللحى وذلك انهم يمزقون الاحذية القديمة اربًا اربًا ثم ينقعونها في مغطس من كلوريد الكبريت اياماً. وبعد ذلك يجففونها فتكون صلبةً شديدة التفتت فيغسلونها بالماء البارد ويجففونها ثانيةً ثم يطحنونها ويعجنون مسحوقها بمادة غروية رخيصة الثمن ويضغطون معجونها بمضاغط قوية ويجعلونهُ امشاطًا وازرارًا وانصبةً للسكاكين والقواطع على انواعها وادوات أُخرى كثيرة يظن الناظر اليها انها قد صنعت من الابنوس الفاخر او العاج الثمين

قوة القلب

حسب الدكتور رتشردصن الانكليزي في خطبة خطبها منذ ايام ان قلب البالغ يبذل كل يوم من القوة على دفع الدم منهُ في النبضان ما يكفي لرفع حجر ثقلهُ ١٢٥ طنًّا الى علو قدم واحدة . (والطن يعدل نحو ثماني مئة اقة). وانهُ (اي القلب) يدفع الدم فيديرهُ في الجسد مسافة ٢٠٧ يردات في الدقيقة وسبعة اميال في الساعة و ١٦٨ ميلاً في اليوم و ٦١٣٢٠ ميلاً في السنة و ٥١٥٠٨٨٠ ميلاً في حياة طولها اربع وثمانون سنة وان القلب ينبض في هذه الاربع والثمانين سنة . . . ٢٨٦٩٢٧٦٠٠٠ نبضةً

تأْثير الكهربائيَّة في الدعاميص

الدعاميص جمع دعموص ونريد بها صغار الضفادع قبل ان تزول اذنابها وتظهر ارجلها وقد ذكر في احدى الجرائد الجرمانية ان الاستاذ هَرْمَن الفسيولوجي اثبت تأْثير الكهربائية فيها تأْثيرًا غريبًا . وذلك انهُ وضع بعضًا منها في الماء في وعاء قريب القعر وكان عمرها اربعة عشر يومًا . ثم

غطّس فيهِ شريطين غليظين من الزنك متصلين ببطريّة ذات عشرين زوجًا من الزنك والكربون . فلمّا جرى المجرى الكهربائي في الماء اضطربت الدعاميص واصطفّت كلها على هيئةٍ واحدة موجّهةً رؤُوسها الى القطب الايجابي واذنابها الى القطب السلبي وبقيت كذلك حتى انقطع المجرى الكهربائي عنها فاضطربت ثانيةً ثم تفرّقت ذاهبةً كل مذهب على جاري عادتها . ثم اعاد التجارب عليها فتحقّق انها تنتج فيها عين النتيجة فعكس جهة المجرى الكهربائي فاصطفّت بعكس اصطفافها الاوّل. فتحقّق ان الكهربائية تؤَثر فيها فتصطفّ في جهة المجاري الكهربائية موجّهةً رؤُوسها نحو القطب الايجابي واذنابها نحو القطب السلبي

المرض النومي

رَوَت بعض الجرائد الاميركيَّة الطبيَّة انهُ يعتري ذكور الزنج على السواحل الغربية من افريقية مرضٌ عضّال يوردهم حتفهم بلا ألمٍ ولا وَصَب . وهو نعاسٌ يشتدُّ عليهم شيئًا فشيئًا ويلازمهم دومًا ولو نبّهوا باقوى المنبهات حتى يستغرقوا في النوم . ويبقون كذلك واحدًا وعشرين يومًا ثم يموتون . وفي اثناء هذا المرض يكون المريض بشوش الطلعة بادي السكينة ينتبه برهةً يسيرةً اذا نُبّه ويأكل اذا أُطعم ويجيب اذا سُئِل ثم يعود الى نومهِ . ويبقى نبضهُ على حالهِ وكذا تنفُّسهُ وحرارة جسمهِ وحدقة عينهِ وسائر افعالهِ الحيويَّة ما خلا النعاس والنوم . وقد شرَّحوا جثث كثيرين من الذين ماتوا بهذا المرض فلم يجدوا فيها خللاً واستعملوا لهُ كلَّ اصناف العلاج فلم تنجع

فائدة النور الكهربائي

للنور الكهربائي فوائد لا تحصى ومن جملتها ان البواخر التي تستضيء بهِ تقطع الآن ترعة السويس من بورت سعيد الى السويس في ست عشرة ساعة ويلزم لقطعها بدونهِ من ستٍّ وثلاثين الى ثمانٍ واربعين ساعةً

قلب الاسد

هذا اسم الرواية التي وعد منشئا المقتطف الاغرّ ان يهدياها الى المشتركين فيهِ على راس السنة الشمسيَّة اي في غرَّة سنة ١٨٨٧ . وقد شرعا الآن في طبعها والمأمول انها تنجز في الأَجل المعيَّن . وهي تتضمَّن وصف السلطان صلاح الدين الايوبي سلطان مصر والشام والعراق واظهار ما اشتهر بهِ من البسالة والنبالة وكرم الاخلاق . ووصف الملك ريكارد الملقَّب بقلب الاسد واظهار ما اشتهر بهِ من حسن الطويَّة والخفَّة والقوَّة والشجاعة والاقدام ووصف فيليب ملك فرنسا واظهار ما اشتهر بهِ من الحكمة ولين العريكة ووصف غيرهم من الامراء والقواد الذين اشتهروا في الحروب المعروفة بالحروب الصليبيَّة . ووصف طرق الحرب والصدام التي كانت جارية في تلك الايام . ويتخلَّل الرواية من اولها الى آخرها قصة غراميَّة شريفة تبيّن حقيقة الحب الصادق ولا تخجل العذراء من قراءتها على مسمع ابيها وامها . والرواية منسوقة نسقًا بديعًا حتى اذا شرع فيها الانسان لا يستطيع الَّا ان يقرأها كلها ويأتي على آخرها . وهي مشحونة بالفوائد التاريخيَّة والانتقادية ومدبَّجة بالاشعار النفيسة

هذا ولا يخفى ان ادارة المقتطف لا تهدي هذه الرواية الاَّ للذين يدفعون قيمة الاشتراك في المقتطف قبل انتهاء سنة ١٨٨٦ فعسى ان لا يتأَخَّر احد عن الدفع قبل الاجل المعيَّن لا سيَّما وان طرق ارسال النقود سهلة جدًّا بواسطة تحاويل البوسطة او طوابعها

محفل الثبات الماسوني

احتُفِلَ بتدشين محفل الثبات الماسوني مساء الاحد في ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٦ وكان في الجلسة الرئيس الاكبر للمحافل الوطنيَّة المصرية ونوَّاب من كل المحافل الماسونية في القطر المصري من الايطاليَّة واليونانيَّة والانكليزيَّة وعند نهاية الاشغال وتسليم الوظائف لاربابها خرج الجميع الى قاعة الاستقبال حيث قُدّمت عدَّة خطب نفيسة في مواضيع مختلفة وخُتِمَ الاجتماع بخطابٍ القاهُ بعض الافاضل ما لهُ الحث على العمل الخيري المبرور ثم انصرف الجمهور يشكرون تلك الهيئة الجليلة ويتمنون لمحفل الثبات الموقَّر اتمَّ النجاح والتوفيق

بشرى وتهنئة

لدى مطالعتنا الجرائد السورية في الاسبوع الماضي عثرنا على فقرات كثيرة يبين منها ان نظارة العدلية الجليلة بالاستانة العليَّة أَمرت بنقل بعض الموظفين من مكان الى آخر وفي الجملة أَمرت بنقل فضيلتلو الشيخ سعيد افندي الجندي من بيروت الى طرابلس فساءنا هذا الخبر جدًّا لان مدينة بيروت وكل متصرفيتها في حاجةٍ شديدة الى خدمهِ الصادقة لا سيَّما وانهُ تبرَّع بتعليم علم الحقوق مجَّانًا في المدرسة السلطانية العامرة . وعزمنا ان نعرض الامر على الوزير الخطير العلاَّمة دولتلو جودت باشا الافخم . وفيما نحن نفتكر بذلك اتتنا الجرائد السورية تبشّر انهُ ورد بالتلغراف خبر بقاء فضيلتهِ في وظيفتهِ في بيروت . وقد بلغنا ان وجهاء بيروت وفضلاءها استرحموا من والي سورية الافخم ومن نظارة العدلية ان لا تحرمهم من خدم هذا الشهم الفاضل فأَجابت طلبهم . فنهنئهم بذلك ونتمنى ان يسلك كل ارباب الوظائف مسلك العفَّة والاستقامة والاجتهاد نظير هذا الفاضل حتى تعظم ثقة الامَّة بهم وتهتم بحلهم وارتحالهم كما اهتمَّ وجهاء بيروت لمَّا بلغهم خبر انتقال فضيلتهِ من مدينتهم

حظينا بلقاء صديقنا الفاضل البك باشي الدكتور سليم موصلي حكيم باشي جيش الحدود عائدًا من سورية بعد ان اقام فيها بضعة أشهر بالرخصة وكان قد طلب الاقالة من منصبهِ قبل ذهابهِ واصرَّ على هذا الطلب في مدَّة تغيُّبهِ حتى اضطرَّت نظارة الحربيَّة ان تجيب طلبهُ . ولمَّا حضر الغت الامر العسكري في قبول استعفائهِ نظرًا لما رأتهُ منهُ من النشاط وحسن الخدمة فعاد الى منصبهِ الاول فنهنئهُ بسلامة الرجوع ونتمنى لهُ دوام الترقّي

وحظينا في هذه الاثناء بلقيا صديقنا الصناعي الماهر خليل افندي شاول الساعاتي احد عمدة جمعية الصناعة في بيروت قدم هذا القطر قصد اختبار حال الصناعة فيهِ . وقد ذكر المقتطف الاغرّ في بعض اعدادهِ السالفة ان حضرة خليل افندي المذكور قصد مدرسة جنيف المشهورة بصنع الساعات فاتقن هذا الفن فيها وذكر لهُ عدة اشغال صناعية بالغة حد الاتقان في عملها. ويسرُّنا ان نقول ان هذا الشرقي امتاز على سائر اقرانهِ الغربيين في جنيف بالبراعة ودقَّة الصناعة كما تشهد بذلك شهادة تلك المدرسة بلا مواربةٍ ولا تأْويل . وقد أرانا من صنعهِ ساعة على غايةٍ من الدقَّة والاتقان. وقد صنع فيها آلةً من ادقّ الآلات لقياس جزء من مئة جزء من المليمتر بغاية الضبط والاحكام وهو يعمل الآن في زيادة اتقانها وتحسينها حتى يقاس بها جزءٌ من الالف من المليمتر فتفوق كل آلةٍ قديمةٍ وحديثةٍ من نوعها . وقد اتخذ لهُ محلاً موقتًا للعمل في شغل الساعات في المكتبة الادبية بشارع كلوت بك فعسى ان يطيب لهُ المقام بيننا ويكون لمحروسة مصر نصيب من خدمتهِ الصادقة واشغالهِ المدققة

كتاب الحق اليقين

انتقاد

هذا كتاب طبعتهُ النشرة الاسبوعية في صفحاتها نبذًا متوالية ثم ضمّتها معًا وسمّتها "الحق اليقين في الرد على بطل داروين". وهو كتاب صغير القطع يحتوي على ١٥٦ صفحة مبوَّب بابين الاوَّل ويستغرق نحو ثلثي صفحات الكتاب ردٌّ على صاحب الحقيقة في إبطال مذهب داروِن في النشوءِ والارتقاء والثاني ردٌّ عليهِ في إبطال مذهب الماديين. والكتاب طبع في النشرة تحت اسم مأجورها[1] الذي سبق لنا ذكرهُ في اعداد اللّطائف ولذلك كنّا عزمنا على اغفالهِ وعدم الاهتمام بانتقادهِ فرارًا من ان نعدَّ صاحبهُ في مصاف اهل العلم والأَدب وهو لا يحبُّ الانتظام الّا في زمرة "الثعالب" ذوي المكايد والمثالب

ولكنّا اطّلعنا في هذه الاثناء على رسالةٍ اذاعها حضرة الدكتور شبلي افندي شميّل فرأَينا في عرضها ان الكتاب المذكور يُعدُّ في الجملة من "النبذ الاساسية التي يكتبها احد محرّري النشرة الاسبوعية وينقّحها المحرّر الاول او مساعدوهُ" وهذا قول مدير النشرة الاسبوعية نفسها فالكتاب كتابها وهو يُعدُّ جزءًا منها محرّرًا بقلم اصحابها منقّحًا بقلم مساعديها. ولذلك تغيَّر اعتبارنا لهُ عمّا كان عليهِ فاحببنا انتقادهُ لما يترتب على الانتقاد من الفائدة

(١) ان ماجور النشرة المشار اليهِ في صدر هذا الانتقاد رجلٌ قد اخرجهُ ادعاؤُه عن دائرة العقلاء فيخال كل لفظة يتشدّق بها او عبارة يخطها منزلةً لا يجوز للعقلاء انتقادها ولا المراجعة فيها. فاذا عارضهُ معارض ابدى نابهُ فنهش عرضهُ بالطعن والشتم واذا لم يستطع ثلبهُ جهرًا نظم القوافي في شتمهِ خفيةً واحتال على ذمهِ بكل حيلةٍ يوسوس اليهِ بها شيخ المحتالين

للكاتب والقارىء معاً

هذا ومعلوم ان الصحف العلمية انما أُنشئت في بادىء امرها لانتقاد المصنّفات والمؤلّفات . وكتبة الافرنج يتزاحمون لعرض كتبهم على المنتقدين ويعدُّون انتقادها كرَمًا من المنتقد ومنةً وعدم انتقادها استخفافًا وامتهانًا . واما عندنا فاعظم مانع يمنع من الانتقاد قلة التأليف والمؤلّفين وفقر اهل العلم والأدب وكساد بضاعتهم لقلة انتشار العلوم . فيخشى ان يكون الانتقاد عائقًا في سبيل العلم واهلهِ وسببًا لزيادة اهل المعارف فقرًا على فقرهم . فاذا أُمِنَ ذلك كما في الكتاب الذي نحن بصددهِ كان للانتقاد فوائد عظيمة منها توجيه الاذهان اليهِ ومنها اظهار حكم المنتقدين عليهِ ومنها تعويد المؤلّفين على احتمال انتقاد غيرهم لمؤلفاتهم وتعويدهم وتعويد القرّاء على احلال الانتقاد في محلّهِ فلا يعدُّونهُ احتقارًا للمؤلف او بغضًا من المنتقد ولا يحملونهُ على غاية غير احقاق الحق والرغبة في ازهاق الباطل . وعلى ما ذكر نشرع في انتقادنا فنقول

علم القارىءُ مما مرَّ ان هذا الكتاب ردٌّ على مناظرٍ . والراغب في الوقوف على الحقائق من مطالعة الردود يلتفت بادىءَ بدءٍ الى قصد اصحابها فاذا وجد ان قصدهم فثُّ غضبهم وضغائنهم بالمهاترة والمشاتمة او بالتهكُّم والاستخفاف . او ان قصدهم المباهاة والافتخار بادعاء العلم والمعرفة او اطالة الكلام على غير طائل والتوغُّل في المباحث التي لا لزوم لها في الرد . او ان قصدهم الصلف والايهام بالمعاندة والمكابرة والتعلق باهداب المحال . عدل عن مطالعتها وقال ما هذا بعشّكِ فادرجي وسعى الى غيرها لتثقيف عقلهِ وترويض ذهنهِ

ويسرُّ المنتقد ان يبشر محبي الفوائد من القرّاء بان اصحاب الكتاب صرَّحوا بانهم لم يقصدوا فيهِ الاَّ قصدًا حميدًا يمدحهم عليهِ الصديق والعدوّ

وبشاركهم فيهِ كل نصير للحق ومعتصم بحبل الايمان والرجاء . وهاك نص عبارتهم التي ختموا بها الكتاب وكان الاخلق بهم ان يصدروهُ بها لاقتضاء اهميتها هذا التقديم وهي "هذا ولم اقصد في ردي عليهِ سوى **اظهار الحق اليقين وارشاد من شكَّ من السذَّج في وجود الباري تعالى او نفاهُ** مما وقف عليهِ في الحقيقة وشرح بخاز ومناقيل بعض المقلّدين من وساوس غلاة الدرو ينيين وخبطات الغواة المادّيين" انتهى (انظر الحق اليقين وجه ١٥٢)

"فاظهار الحق اليقين" أحمد قصد يقصدهُ العلماء مؤمنين كانوا او كافرين وارشاد من شكَّ من السذَّج في وجود الله او نفاهُ" أسمى غاية يتوخاها المؤمنون وانصار الدين. فان كان ما ذكر من الشك قد وقع فعلاً من مطالعة الكتب المذكورة فاننا في مقدّمة من يقول بوجوب التصدي لها واظهار بطلانها وخطاء اصحابها

ومما يزيد المقصد المذكور شرفًا ونبلاً ان اصحاب الكتاب عقدوا النيَّة على الاخلاص قولاً وفكرًا واستعانوا الله في ذلك كما دلَّ عليهِ قولهم في ختام ديباجتهم وهو "واسالك ببكر خليقتك وصورة حقيقتك ..... ان **تخلص مقصدي** وتاخذ بيدي" (وجه ٢) فهذا وعد اصحاب الكتاب وهذه دعواهم في قصدهم — اظهار الحق اليقين وارشاد من شكَّ من السذَّج في الله او نفى الحق سبحانهُ والاخلاص في ذلك .وهذا غاية ما يبتغيهِ كل محب للحق مؤمن بالخالق سبحانهُ راغب في خير بني نوعهِ .فللنشرة عليهِ اطيب ثناء واخلص دعاء باحسان الوفاء

وانَّما دعونا لها باحسان الوفاء وقد فرغت من الكتاب املاً بان يتمَّ لها ذلك في كتابٍ آتٍ اذ قد قصَّرت عنهُ كل التقصير في هذا الكتاب . فاننا بعد ما طالعناهُ وامعنّا النظر فيهِ وجدناهُ خاليًا من الاخلاص بعيدًا عن الحقّ اليقين بعدهُ عن ردّ الضالين الى حظيرة المؤمنين . وقد أوصد الباب في وجه

كل مشتغل بالعلم من محالفي النشرة في الايمان ومشاركيها في الاعتقاد وغلّ ايديهم عن مساعدتها وأقدامهم عن السعي معها الاّ اذا راموا التهوُّر في مهاوي الخطاء والارتطام حيث لا تؤمن حبائل الاعداء . وليتهُ اقتصر على ما ذُكِر من التقصير بل نقول ولا نخشى لومة لائم انهُ مضرٌّ بايمان السذَّج وآدابهم معيق لانتشار العلوم والمعارف في البلاد كما سيظهر جليًّا . ومعظم اللوم على النشرة في ذلك أنها وكلت اتمام مقصدها الحميد الى مَن تقصيهِ احقادهُ واغراضهُ عن حميد المقاصد واعطت قوس الاخلاص والعلم غير باريها واطلقت لهُ العنان فهام في بيداء اوهامهِ ينقض ما بناهُ انصار الدين ويدوس العلم ويسخر باهلهِ ويذم الناس ويتهكم على المناظرين حتى جعل النشرة مضغةً في افواهِ المحبين والمبغضين

ولبيان ذلك كلهِ ننتقد الكتاب من ثلثة اوجه الوجه الديني والوجه الأَدبي والوجه العلمي . وقبل الشروع في الانتقاد نقول دفعًا لتوهُّم مَن يظن اننا ننتصر لفريقٍ من المتناظرين ان غرضنا انتقاد كتاب الحق اليقين لا ان نحكم على اقوال الفريقين ونبدي رأْينا في ايهما اقوى حجة واوسع علمًا . ولكنَّا نعتقد ان مذهب دارون لا ينفي الدين وان مذهب الماديين باطل . فاذا تبيَّن ذلك نشرع في الوجه الديني من انتقادنا فنقول

النبذة الأُولى : في الوجه الديني

علم المطالع ان القصد من كتاب الحق اليقين "اظهار الحق اليقين وارشاد مَنْ شكَّ من السذَّج في الله او نفاهُ .... من وساوس غلاة الدروينيين وخبطات الغواة الماديين". فاتمام هذا المقصد يكون باظهار تلك الوساوس وهاتيك الخبطات واقامة البراهين القاطعة على بطلانها وعلى ان الحق اليقين هو اعتقاد المؤمنين . وذلك مع مراعاة جانب الوداعة واللطف والاتضاع طبقًا لمقتضى الايمان والدين . فاذا تصفَّحت الكتاب المذكور وجدت مدار الثلثين

الاوّلين منهُ على ابطال مذهب دارون في النشوء والارتقاء ووجدت معظم الكلام في الثلث الاخير منهُ دائرًا على الجوهر الفرد ونفيهِ . وليس فيهِ الّا ستّ صفحات مما يتعلّق بالغرض المقصود في القِدَم والحدوث واثبات الباري . الّا ان الكلام فيها على غاية الاجمال بحيث تفوت الفائدة المقصودة منها معظمَ السذّج او كلَّهم . واما مكان الكتاب من اللطف والانضاع وغيرهما من الاوصاف فسيتبين في انتقاد الكتاب من الوجه الادبي

فالذي يجد معظم الكتاب دائرًا على نفي المذهب الداروني والمذهب الجوهري يظنُّ انهما مذهبان كفريّان منافيان للايمان وان البراهين الدينية قاطعة ببطلانهما وان ذلك ما حمل صاحب الحق اليقين على ابطالهما اتمامًا لقصدهِ الوحيد المتقدّم ذكرهُ . الّا انهُ لا يكاد يستوعب ما فيهِ حتى يتيقّن منهُ ان المذهبين المذكورين لا ينافيان الدين ولا يثبتان مذهب الماديّين

فاسمع ما قالهُ كاتب الحق اليقين في كلامهِ على رأْي دارون من هذا القبيل: قال (صفحة ١١ من الحق اليقين) ردًّا على صاحب الحقيقة ان الطعن باسنة الايمان ليس "لمذهب دروين بل للكفر والتعطيل". وذلك اقرار واضح بان مذهب دارون هو غير الكفر والتعطيل وان اسنّة الايمان لا تطعنهُ اذ لا حرب بينهما ولا طعان . هذا بعد ما قال صريحًا ان النشوء والارتقاء على مذهب الالهيين لا يناقضان الدين (انظر وجه ٢٤ من المناهج) فثبت لك ان مذهب دارون في النشوء والارتقاء لا يقتضي لذاتهِ نفي الدين باقرار كاتب الحقّ اليقين

ثم اسمع ما قالهُ عن الجوهر الفرد من هذا القبيل "على انهُ لو ثبت (اي الجوهر الفرد) ما سلمنا بانهُ ازليٌّ لعدم البرهان على قدمهِ وللادلة القاطعة على حدوثهِ" (وجه ١٧ الحق اليقين) وهذا اقرار صريح على ان المذهب الجوهري لا يثبت مذهب الماديين وعليهِ فلا يشكّك في الله ولا في الدين

فاول نتيجة يتصل اليها مطالع الكتاب هي ان الكاتب بذل جهده في ابطال مذهبين لا ضرر منهما على المؤمنين ولا منافاة بينهما وبين الدين والعذر الذي يتمحله كاتب الكتاب لابطالهما من الوجه الذي نحن فيه هو ان الماديين والمعطلين غالوا فيهما فخرجوا بهما عن الحدود المعينة لهما واتخذوهما حجة كاذبة على بطلان الدين وذريعة لتشكيك السذج من المؤمنين (الحق اليقين وجه ١١٧) نقول ان تكلف ابطالهما لهذا العذر هو عين الخطإ فلا يوافق عليه عاقل حكيم لاسباب عديدة منها

اولاً ان الماديين والمعطلين والمشككين يحاولون التسلح بكل ما تصل اليه يدهم فهل ننفيه لنفي اقوالهم فان ستروس الالماني ورينان الفرنسوي وكثيرين غيرهما من علماء اللاهوت الالمانيين والفرنسويين والانكليز غالوا في التفسير حتى اوغلوا في فيافي الاوهام فنفوا الوحي وخطأوا التوراة والانجيل بناء على مبادئ عمومية يجري عليها المفسرون . فهل نبطل التفسير ابطالاً لدعاويهم . وكبون وبكل الانكليزيان وكثيرون غيرهما من فلاسفة المؤرخين انكروا الدين او عناية الباري في خلقه او نفوا وجوده اعتمادًا على فلسفة التاريخ . أننفي فلسفة التاريخ لانها انفى لقولهم . وكم وكم من الماديين وغير الماديين نفوا وجود الروح في الانسان او حرية ارادته واختياره بناء على اكتشاف هارفي لدورة الدم واكتشاف غيره لاحكام التنفس والحرارة الحيوانية واكتشاف آخرين لاحكام الافعال المنعكسة في الاعصاب والدماغ . افننفي هذه كلها في نفي قول الماديين لانها انفى لقولهم . إنّ هذا ضرب من المحال وعذرٌ لا يعتذرهُ المخلصون في النيّات والاقوال

ثانيًا ان المذهب الداروني انصارهُ من مشاهير رجال الدين كثيرون والمذهب الجوهري انصارهُ منهم اكثر بل ان كلّ العلماء الذين هم من انصار الدين يثبتون الجوهر الفرد إلاّ افرادًا قليلين . وهؤلاء الافاضل قد حوّلوا

هذين المذهبين لتمجيد الباري جلّ جلالهُ اعظم تمجيد ولاظهار عظمته احسن اظهار . ولا حاجة هنا لسرد اقوالهم في هذا الشان فلطالما مرّ ذكرها في المقتطف . وقد ذكر بعضها في رسالة للدكتور شميل عنوانها صاحب الحقيقة والنشرة . بل ان كثيرين منهم مثل كلارك مكسول وستورت وتات قد نصروا الدين وحجُّوا الماديين بان الجوهر الفرد يدلُّ دلالةً قاطعةً على وجود الباري تعالى وعلى ان العالم حادث وعلى امكان المعاد والخلود . افمن الحكمة ان نعادي جمهور العلماء المؤْمنين ونحاول اقناع السذَّج ببطلان مذهبين ينصرهما العلماء المؤْمنون ويحجُّون بهما خصوم المؤْمنين . ان هذا لا يفعلهُ العاقلون

ثالثًا ان هذا الكتاب يقصد "ارشاد السذَّج" ومعلوم ان الساذج لا يراعي ما يراعيهِ العالم المحقّق من التدقيق في المسائل والوقوف عند الحدود التي لا يتجاوزها المدقّقون . فاذا اقنعناهُ ببطلان مذهبين لا منافاة بينهما وبين الدين طمعًا في اقناعهِ ببطلان مذهب الماديين اعظم اقناع لم نأمن عليهِ شرَّ النكس الى الشك والتهافت على التعطيل اذا ثبت ذانك المذهبان بعد آن . لان ثبوتهما يقوّي حجّة الماديين حينئذٍ في اعتبارهِ ويضعف حجة المؤْمنين فيتردَّد عن قبول قولهم في ما يجب قبولهُ فيهِ . وهذا قد تواتر حدوثهُ المرار العديدة حتى صار حجة على السنة الخصوم يحجُّون بهِ المؤْمنين كلما عارضوهم في امر من الامور . والاختبار يشهد انهُ كان اقوى باعث على القاء الشك في نفوس السذَّج وحلّ عرى الايمان عن عقولهم . فان لم يكن بطلان هذين المذهبين مقرَّرًا بالبرهان القاطع كانت معارضتهما صخرة عثرة في سبيل الايمان اذا ثبتا

فثاني نتيجة يتصل اليها مطالع هذا الكتاب هي أن كاتبهُ إن لم يثبت بطلان ذينك المذهبين بالبرهان القاطع فقد حمّل نفسهُ مشقّةً كان في غنىً

عنها وعادى جمهور العلماء الذين ينصرونها وينصرون الدين بها والقى في سبيل السذَّج حجر عثرةٍ يطوح بهم الى مهاوي الشك والضلال . ولا يخفى ان الكاتب مطالب ايضًا بابطال هذين المذهبين بالبرهان القاطع من وجه غير الوجه الذي قدمناهُ وهو الوفاء بقصدهِ — اظهار الحق اليقين — والاَّ لم يكن في قصدهِ من المخلصين ولا في وعدهِ من الصادقين

فبقي لنا ان نسأَل هل جاء بالبراهين القاطعة على نفي هذين المذهبين . والجواب كلاَّ . ولا يلزمنا لاثبات جوابنا هذا مراجعة اقوالهِ العلمية والرد عليها واظهار ضعفها بل حسبنا قولهُ شاهدًا على صدق جوابنا . قال في المذهب الداروِني ردًّا على صاحب الحقيقة ان الذيج بقواطع البرهان ليس "لمذهب دروين بل للكفر والتعطيل" (الحق اليقين وجه ١١) وهذا كلام واضح على ان مذهب دروين لم يبطل بقاطع برهان فبطلانهُ ليس حقًّا يقينًا . وقال ايضًا عن التغيُّرات التي يخرج بها الفرد عن حقيقتهِ النوعيَّة وهو مذهب دارون ما نصُّهُ بالحرف الواحد "فان قيل وما البرهان على ان الفرد لا يخرج بها (اي التغيُّرات) عن ذلك (اي عن حقيقتهِ النوعيَّة) قلنا ان لم نستطع اقامة هذا البرهان بما لنا من العلم اليوم لزم **التوقف** با لامرين فليس للقائلين بذلك الخروج ان يقطعوا بثبوتهِ **وليس لنا ان نقطع ببطلانهِ**" انتهى فهذا قول واضح لا يحتاج الى زيادة ايضاح على انهُ يلزم كاتب الكتاب التوقف وليس لهُ ان يقطع ببطلان المذهب الداروني

واما المذهب الجوهري فلم ينفهِ في كل ما قالهُ عنهُ بان لهُ برهانًا قاطعًا على نفيهِ واقوى حجة لهُ على ذلك سلبية وهي انهُ لم يقم على ثبوت الجوهر الفرد برهان قاطع . ولا يخفى ان العلماء على اختلاف طبقاتهم واعتقاداتهم لا يرجّح واحد في المئة منهم نفي الجوهر الفرد . فلو كان على نفيهِ برهان قاطع او ترجيح لما خفي عليهم امرهُ ولما سكت عن ذكرهِ احد اللاهوتيين الذي اقرَّ مدعي

الكتاب انهُ "متسوّل على ابوابهم" (وجه ٧٨ من الحق اليقين)

فالنتيجة الثالثة التي يتصل اليها مطالع الكتاب هي أن المذهبين المذكورين لم يقم على بطلانهما برهان يقنع بهِ العقلاء . ولا يخفى عليك ان لا قصد لاصحاب هذا الكتاب منهُ الاَّ اظهار الحق اليقين وارشاد من كفر من الساذجين . والساذج إما نبيه او غافل فان كان نبيهًا ميَّز ان الكاتب لم يفدهُ الغرض المقصود ولم يستطع اثبات ما ادَّعى وهو اظهار الحق اليقين فقال في نفسهِ لو كان الحق اليقين في جانب صاحبنا لاظهرهُ واقنعني بصحة دعواهُ . فاقرارهُ بانهُ لا يستطيع القطع في نفي ما تعرَّض لنفيهِ دليلٌ كافٍ على انهُ لم يرسُ على الحق اليقين فما ادراني ان الحق اليقين ليس في جانب خصومهِ . وذلك يزيدهُ شكًّا على شكٍّ وارتيابًا على ارتياب . وان كان غافلاً لم يميّز بين ما يوافق الدين وما يخالفهُ من كلام الكاتب . فاذا صدَّقهُ عدَّ المذهبين المذكورين منافيين للدين وعدَّ انصارهما معطلين ومـاديين ولو كانوا من اعظم انصار الدين . فالنتيجة ضرر على الحالين وهي تلزم عن تقليد صارم الدفاع لمن لا يعرف الضرب بهِ والقاء مقاليد البحث لمن ليس من اربابهِ

واكره ما في الكتاب من قبيل ما نحن فيهِ جلوس الكاتب على منصَّة الاحكام وتحكُّمهُ على ايمان الانام كان الباري سبحانهُ قد اقامهُ ديَّانًا مقامهُ فجعل بيدهِ الميزان والقسطاس وقال لهُ زِن ايمان الناس فتراهُ يحكم على هذا بالكفر او التعطيل وعلى ذاك بالايمان والصلاح ويجعل المؤمن معطلاً وغير المؤمن مومنًا ناقلاً عن كتبة الادب من الافرنج بلا تثبُّت ولا رويَّة . فاذا وجد كاتبًا منهم يخالف عالمًا في رأي كفَّر ذلك العالم او عدَّهُ من المعطّلين واذا وجدهُ يوافق العالم على رأيٍ عدَّهُ من المؤمنين وانصار الدين ولو اشتهر بانهُ من غير المؤمنين . ولا يخفى انهُ كان قد خبط هذا الخبط في مناهجهِ في ما

يتعلّق بالارتقاء وعدمهِ والظاهر انهُ نُبّه اليهِ فتمحّل لهُ في آخر المناهج عذرًا ساقطًا . ولا ندري ما يكون اعتذارهُ الآن وقد جعل الدكتور كربنتر من ايمّة الماديين وقد كان رحمهُ الله من الاتقياء المعدودين وانصار الدين المشهورين . ولو كان الكاتب يميّز ما ينقلهُ عن ادباء الافرنج لعلم انهُ نقل في مناهجهِ ان كربنتر من الالهيين والالهيون في تعريفهِ هم "الذين يعترفون بالواجب تعالى ويقولون بانهُ خلق المادة والحياة" (الحق اليقين وجه ٤٢) ولعلم كذب من يقول ان كربنتر من ايمّة الماديين (وجه ١٤٠ الحق اليقين) والماديون (في تعريفه) "هم الذين يقولون ان لا اله سوى ما صوّرتهُ اوهام الخوف وحيل الدهاة من رؤساء الاديان"

وقال ايضًا في آخر المناهج لعلّ طمسن من الالهيين تصليحًا لخطاءٍ في جعلهِ اياهُ من الارتقائيين ولو جاز لنا ان نحكم على ايمان الناس كما فعل لقلنا ان طمسن مشهور بانهُ ممّن ليس كذلك . وقال ايضًا في المناهج ان الاستاذين هكسلي وتندل هما من اللاادريين واللاادريون في تعريفهِ هم "الذين لم يتعرّضوا لنفي الخالق ولا لاثباتهِ" (وجه ٤٢ الحق اليقين) ثم عاد فجعلهم من ايمة الماديين "الذين يقولون ان لا اله" (وجه ١٤٠ من الحق اليقين) وجعل جماعةً من اشهر المومنين ايمّةً للماديين في زعمهِ ان الماديين هم الذين يعدّون الجوهر الفرد عند الكيماويين مركّبًا من جواهر افراد متعددة والحال ان اشهر من يقول بذلك هم من العلماء الالهيين . ومثل هذا الخبط الشنيع كثير في "تقليدِ" كتبة الادب من الافرنج الذين ليسوا على شيء من العلم

ولم نذكر ذلك هنا قصد التخطئة واظهار خبط الكاتب فمحلّ هذا في الوجه العلمي من انتقادنا وانما ذكرناهُ قصد التنبيه على عادة سمجة ذميمة تغاير روح الحب والايمان في المؤمنين وتفضي الى المضرّة والشقاق . فلو قرأ هذا المتحكّم اقوال الذين يقضي عليهم قضاء ما انزل الله بهِ من سلطان وكان من

المخلصين للجم لسانهُ في فيهِ وقال ان ربّي اعلم بسرائر الناس فلا ادين احدًا ولوجد ان كثيرين من الذين رماهم بالكفر واتّهمهم بالتعطيل اناسٌ يخافون الله و يؤمنون بهِ و باليوم الاخير وانما رماهم "مقلّدوهُ" من ادباء الافرنج بالكفر والتعطيل اما جهلاً منهم لاقوالهم وآرائهم او لعدم انطباقها على اذواقهم وآرائهم او لعدم التثبت والروية فيها او لاغراض أُخرى غير حميدة كما هي حال اصحاب البشير مع اصحاب النشرة وغيرهم . وما كان احراهُ ان يتعلم اجتناب ذلك مما جرى في المذهب الداروني نفسهِ في سوريّة

فالنشرة تقرُّ اليوم ولا تخشى ملامًا ان دارون كان من الالهيين الذين يعترفون بالواجب تعالى ويقولون بانهُ خلق المادّة والحياة (انظر المناهج وجه ٥) والنشرة تتباهى اليوم بصداقة دارون وتجاهر بمشاركتهِ لها في الايمان . فاسمع قولها (وجه ٤٠ — ٤١ من الحق اليقين) وهو "اني على مخالفتي دروين في بعض مظنوناتهِ صديقٌ لهُ... قال دروين بان للكون ربًّا وانا اتيقّن ذلك.... وقال دروين ان ذلك الرب خلق العالم وانا آمِن بذلك .... ودروين لم يقل بالتولُّد الذاتي وانا من نفاتهِ" الخ . الخ . ولا لوم على النشرة في ذلك ولا تثريب لانها عرفت انهُ حقٌ فجاهرتها بهِ اخلاصٌ منها وحجة على غير المؤمنين

على انهُ لم يئِن لها ان تنسى انها لو قالت هذا القول منذ بضع سنين لعُدّت عند جماعةٍ من نفس اصحابها اكبر إمام من "ائمة المادّيين والمعطّلين" ولُمزّقت شذَر مذَر وتطايرت في آفاق البلاد هباء منثورًا . فلا ريب انها تذكر ما حلّ بالدكتور ادوِن لويس يومَ قال في المدرسة الكليّة ببيروت ان داروِن عالم مجتهد في العلم ومدح اجتهادهُ كيف قامت عليهِ القيامة وانطلقت في لومهِ الاقلام والالسنة وانبرى لهُ الجرّاح "العلّامة الشهير" (الحق اليقين وجه ٨١) يرفس منبر الوعظ برجلهِ ويقرع المسامع بجهير صوتهِ وينادي يا لنصرة الدين على داروِن وانصارهِ الكافرين المعطّلين . فجعل ذلك ذريعة

الى حصول ما لم تزل اضرارهُ تتزايد يوماً فيوماً وسنةً فسنة

فلو تدبّرت النشرة لرأت مصدر تلك المضار اشاعات القوم الذين يكيلون الاقوال جزافاً كاشاعة كارلَيل الانكليزي وامثالهِ من كتبة الأدب أن داروِن واباهُ وجدّهُ كانوا من المعطّلين والمحقّق بشهادة زوجة كارلَيل انهُ كان بهِ مسٌّ الى جنون فلم يسلم من ثلبهِ الاّ القليلون . فليتدبّر مترجم النشرة قبل ان يبرم قضاءهُ على ايمان الانام وليعتبر حال الذين يذمّون و يثلبون من ذوي الاقلام

والخلاصة ان النشرة قصدت من ردّها اظهار الحقّ اليقين وارشاد السذّج الذين شكُّوا من وساوس غلاة الدروينيين وخبطات المادّيين فوكلت ذلك الى مَنْ خالف قصدها فما اظهر الحقّ ولا ارشد السذّج الشاكّين ولكنهُ حاول نفي مذهبين لا ينافيان الدين بل ينفعان المؤمنين فجاء الكتابُ مضرًّا بالمؤمنين لما قدّمناهُ. وسيأتي معنا في الوجه الادبي من الانتقاد ان الكاتب اغفل ما يؤيد حجة اهل الدين في كلام خصمهِ اشتغالاً بمدح نفسهِ واظهار علمهِ واحتقار مناظرهِ فلم يخلص المقصد ولا سعى الى الغاية المطلوبة (ستاتي البقية)

تاريخ الرومانيين

من بناء رومية الى تلاشي الحكومة الجمهورية

ألّف هذا الكتاب جناب نجيب افندي ابرهيم طراد وذكر في مقدمتهِ انهُ جمعهُ "من عدة كتب انكليزية وفرنسوية" . وقد طالعناهُ فوجدناهُ منسجم العبارة لا يقتصر على سرد الحوادث التاريخية بل يشفعها بما يناسبها من الانتقاد والتمحيص . طُبع في المطبعة اللبنانية بنفقة مديرها الاديب جرجي افندي غرزوزي فنثني عليهما اطيب الثناء ونتمنى ان نتحقق الاماني فيقبل اهالي بلادنا "على تنشيط طلبة العلم واهلهِ"

النقش في الحجر

اهدانا نصير الفضيلة واخوها العلّامة الفيلسوف الابرّ الدكتور كرنيليوس ڤان ديك الجزء الثالث من كتابهِ المسمّى "النقش في الحجر" ومجثهُ في الطبيعيات اوضحهُ حضرة مؤلفهِ الفاضل بكلام جامع بين الفصاحة والبساطة يقبلهُ الخاصة ويفهمهُ العامة. وفيما ذكرهُ المقتطف عنهُ غنًى عن التطويل وقد نجز طبعهُ حديثًا في المطبعة الادبيّة البهيّة في بيروت والامل ان يصلنا منهُ كميّة وافرة قريبًا فنرجو الكثيرين من اخواننا الشرقيين الذين كرّروا طلب هذا الكتاب ان يصبروا علينا قليلاً حتى يصل من بيروت والله مع الصابرين

رواية قلب الاسد

اكملت مطبعتنا طبع هذه الرواية المفيدة فتوزّعت على الذين دفعوا قيمة الاشتراك في المقتطف سلفًا اتمامًا لما وُعدوا بهِ . وهي تتضمن وصف السلطان صلاح الدين الايوبي سلطان مصر والشام والعراقين وتبيّن ما اشتهر بهِ من البسالة والنبالة وكرَم الاخلاق ووصف الملك ريكارد ملك الانكليز وما اشتهر بهِ من حسن الطوية والخفة والقوة والشجاعة . ووصف فيليب ملك فرنسا وما اشتهر بهِ من الحكمة ولين العريكة . ووصف غيرهم من الامراء والقواد الذين اشتهروا في الحروب الصليبية. ووصف طرق الحرب والصدام في تلك الايام . ويتخلّل الرواية من اولها الى آخرها قصة غرامية شريفة الغاية والمنهج تتبيّن فيها حقيقة الحب الصادق ولا تخجل العذراء ان تقرأها على مسمع من ابيها وامّها. والرواية منسوقة نسقًا بديعًا طافحة بالفوائد التاريخية والانتقادية مدبّجة بالاشعار المقتبسة والمترجمة محتوية على ٢٠٨ صفحات مطبوعة على ورق صقيل متين بحرف واضح جدًّا تخفيفًا على البصر وثمنها عشرة غروش ميرية تطلب من ادارة المقتطف واللطائف ومن وكلائهما

الرزنامة السوريَّة لسنة ١٨٨٧

فاتنا ان نذكر هذه الرزنامة في الجزء الماضي والآن نعلن لحضرات القرّاء ان هذه الرزنامة التي عرِفَتْ بالضبط وسهولة الاستعمال قد صدرت لهذه السنة (١٨٨٧) من المطبعة الادبيَّة في بيروت وهي تباع في مصر في ادارة المقتطف واللّطائِف وتطلب من وكلائهما في الجهات ومن المكتبة الادبيَّة لاسعد افندي الخشف بشارع كلوت بك . وثمنها ستة غروش ميريَّة . ولا حاجة لتبيان مزيَّة هذه الرزنامة فانها جامعة للحساب العربي والافرنجي

تقويم لخمسين سنة

يسرُّنا ان ننشر عن تقويم لخمسين سنة باشر في تأليفهِ حضرة الاديب سليم افندي مصوَّر وهو تقويم لم يسبق لهُ مثيل في اللغة العربية ولا في غيرها فانهُ حاوٍ للتواريخ الخمسة الهجري والافرنجي والقبطي والرومي والعبراني للخمسين سنة الواقعة بين ١٢٧٥ و ١٣٢٥ هجريَّة ووضعهُ لتعميم الفائدة باللغتين العربيَّة والافرنسيَّة . هذا ويعلم العموم ولا سيَّما الذين يشتغلون في دوائر الحكومة ما لهذا المشروع من الفوائد العظيمة ولذلك كنَّا بتلهُّفٍ لِمَن يقوم بمثلهِ من مدَّة طويلة حتى رأينا حضرة المؤلّف اقدم عليهِ بعزمٍ مكين فنرجو لهُ تمام التوفيق وممَّا يزيدنا ثقةً بضبطهِ واحكام تاريخهِ انهُ قد عهدَ مسأَلة تصحيحهِ لاحد منشئَي المقتطف الفاضلين . ولذلك اقبلت النظارات الجليلة على الاشتراك بهذا المؤلّف الجليل ليُستعمَل في دوائرها

ونظرًا لكون هذا المشروع بحسب جديدًا وعلى نوعٍ ما عظيمًا رأى حضرة المؤلّف ان احسن طريقة تسهّل طبعهُ واقتناءهُ تخفيض قيمتهِ و فتح باب للاشتراك ففتح باب الاشتراك وجعل قيمتهُ عن كل نسخة عشرين غرشًا ميريًّا وفوَّض امر هذه الاشتراكات الى ادارة المقتطف واللطائف

يوسف بك سابا

لقد تعطَّفَتْ الحضرة الفخيمة الخديويَّة بتعيين النزيه الفاضل عزتلو يوسف بك سابا مديرًا لعموم البوسطة المصريَّة وقد سرَّنا هذا الامر جدًّا ولا غرو فان ما لجناب البك المشار اليهِ من الاستقامة والدراية وحسن السعي والاهتمام بالواجبات يستدعي التفات أُولي الامر الى مثل هذا التعيين والحق يُقال انهُ قام في كل ما سُلِّم اليهِ من المهام حق القيام فاستوجب الثناء عليهِ زادهُ الله ارتقاء وكمالاً . وقد تشرَّف بمقابلة الجناب الخديوي لتأدية واجبات الشكر فنال من سموّهِ تمام الرعاية والالتفات وعاد الى الاسكندرية يتعاطى مهام مأموريَّتهِ وفَّقهُ الله في كل اعمالهِ

ملحم بك شكُّور

يسرنا ان نعلن التفات سموّ الخديوي المعظم الى الكريم الحسيب صديقنا الفاضل عزتلو ملحم بك شكور وتقليدهُ فيما سبق النيشان الجليل الشان والآن توجيه الرتبة الثانية مع لقب بك اليهِ . وطالما ذكرت الجرائد المحلية وغيرها افضال هذا الشهم الاديب وتمنت لهُ المكافاة فلم يغفل سموّ توفيقنا عن الالتفات اليهِ من وقتٍ الى آخر ولا سيما بعد تقديم الشهادات المرضية بحقهِ من السردارية الجليلة . ولمَّا تشرَّف بمقابلة سموّهِ اعلن لهُ مزيد سرورهِ من نشاطهِ واهتمامهِ وامانتهِ وفتح لهُ مجالاً للحديث فاظهر بكلامٍ لطيف شكرهُ لسموّهِ وعبوديتهُ لالتفاتهِ المتواصل نحوهُ ثم دعا لهُ بطول البقاء وانصرف حامدًا شاكرًا

انعمت الحضرة السلطانية على جناب الفاضل المهذَّب رفعتلو محمد بديع افندي اليافي رئيس تحرير الويركو في بيروت بالرتبة الثالثة مكافاةً على خدمهِ العديدة للدولة والوطن ومن يعلم ما لحضرة الافندي المشار اليهِ من الصفات الحسنة والخلال الحميدة يشاركنا بتهنئتهِ مع الرجاء بدوام ترقيهِ

بلغنا ان حضرة اللبيب المهذَّب الياس افندي الحداد وكيل المقتطف في طرابلس قصد الاستانة العليَّة وقدَّم الامتحان الصيدلي في المدرسة الطبية السلطانيَّة فاجاد واجب فأُعطي الدبلوما السلطانيَّة في فن الصيدلة وعاد غانمًا فائزًا بعد ان تغيَّب عن الاوطان يسيرًا من الزمان فنهنئهُ بنجاحهِ ونوال مآربهِ وسلامة عودتهِ

أَكَلَة الناس في افريقية

عُلِم من قديم الزمان ان في افريقية قبائل تأْكل لحوم الناس ولكن لم يثبت ان هذه القبائل كثيرة العدد او منتشرة في بلاد واسعة الاَّ من مدَّة يسيرة حينما اكتُشِفَت البلدان التي تصبُّ مياهها في نهر الكنغو. فان المكتشفين وجدوا فيها قبائل كثيرة تغتذي بلحوم البشر وبعضهم يجاهر بذلك ولا يستقبحهُ وبعضهم لا يجاهر بهِ بل يفعلهُ سرًّا او لا يفعلهُ الاَّ شيوخهُ ورؤَساؤُهُ. ومن الغريب ان بعض القبائل الساكنة بجانب القبائل التي تأْكل لحوم الناس تستقبح هذه العاده اشدَّ الاستقباح مع قرم اهاليها اي اشتياقهم الى اكل اللحوم

شجرة ليمون قديمة

منذ اربع مئة سنة زرعت الملكة البنور زوجة الملك كارلوس الثالث شجرة ليمون في فرساليا ولم تزل هذه الشجرة حيَّة الى يومنا هذا

انتقاد الحق اليقين

(تابع ما قبلهُ)

النبذة الثانية . في الوجه الادبي

تبيَّن للمطالع ممَّا تقدَّم عن انتقاد هذا الكتاب انهُ لم يفِ بقصد اصحابهِ منهُ وهو اظهار الحق اليقين وارشاد مَن شكَّ من السذَّج في الله او نفاهُ وان نفعهُ لهم من الوجه الديني لا يساوي اضرارهُ بهم لنفيهِ ما لا ينافي الدين بل يُتَّخذ حجَّةً للمؤْمنين كالمذهب الداروني والمذهب الجوهري . واذا انتقدناهُ من الوجه الادبي قطعنا بانهُ مخالف لما قُصِد منهُ لا محالة منافٍ للتقوى ومقتضى الديانة .

ولو اخلص كاتب الحق اليقين في مقصدهِ وجعل اظهار الحق اليقين وارشاد السذَّج الشاكّين غاية مرادهِ لنظر في كلام مناظرهِ من حيث يتمُّ لهُ ذلك القصد . اعني انهُ كان ينظر فيهِ اوَّلاً الى ما يتَّخذ منهُ حجَّة لتأْييد قول المؤْمنين فيحجُّهُ بهِ (ان ثبتت دعواهُ على صاحب الحقيقة) . وثانيًا الى ما يتخذهُ مناظرهُ حجَّة على نفي قول المؤْمنين فيدحضهُ بالبرهان اقناعًا للاذهان . وثالثًا الى ما تطوَّح اليهِ مناظرهُ (في زعمهِ) من ضروب الطعن فيهِ وفي غيرهِ من انصارهِ فيقابلهُ بالصفح ويعاملهُ باللطف والاغضاء عملاً بمقتضى الدين القويم حتى يمسَّ قلب الساذج المشكّك فيحرّك عواطفهُ بتقواهُ وسموّ آدابهِ وحسن فعالهِ وبذلك يقنعهُ بحسن تأْثير الدين في الناس ووجوب التديُّن بهِ كما يقنعهُ بصحَّة الدين ووجود الباري بصدق ادلَّتهِ وقوَّة براهينهِ

فهل نظر الكاتب الى امرٍ من هذه الامور وهل راعى شرطًا من تلك الشروط . هذا ما نبحث عنهُ ولك الجواب عليهِ

اوَّلاً في ما يتخذ من "الحقيقة" حجَّةً للمؤْمنين * (١) اذا صحَّ ما

يدَّعيهِ كاتب الحق اليقين من ان الحقيقة تشكِّك الساذج في الله فلا أسهل من ارشادهِ الى الايمان بالله بكلام الحقيقة نفسها فقد جاء في الصفحة ٢٦ منها في الكلام عن اصحاب الخلق ما يأتي : "فتحصَّنَ عقلاؤُهم وراء حصن الحياة واعقلهم وراء حصن الخلق الكلي تحت نظام كليّ وسنن كليَّة وتركوا الطبيعة تدبّر امرها باذن باريها . وقد اثبتوا بذلك حكمة الخلق اكثر من سواهم من فرقتهم اذ اثبتوا وحدة الخلق في الطبيعة او كادوا **واتفقوا مع الواقع** او كادوا" انتهى . فاقلُّ ما يؤْخذ من هذا الكلام هو ان الاعتقاد بالخالق الحكيم سبحانهُ وبأن الطبيعة تدبّر امرها باذنهِ يطابق الواقع . وكفى بهِ دليلاً على وجوب نفي الشك من الاذهان والارشاد الى الايمان . على ان كاتب الحق اليقين لم يُشِر الى هذا الكلام ادنى اشارة

(٢) اذا صحَّت دعوى كاتب الحق اليقين بان الحقيقة تحاول نقض ايمان المؤْمنين بواسطة مذهب دارون فلا اسهل من ابطال محاولتها بما صرَّحت بهِ جهارًا وجه ٤٨ وهو "ان مذهب داروين لا ينقض ايمان المؤْمنين" وقد قالت في اثناء ذلك ان هذا المذهب لا يوجب قلق المؤْمنين "على خلود النفس وعلى كل الافكار الروحانية التي هي رجاء الانسان وعزاؤُهُ" الى ان قالت "أليس في التعليل عن العالم بنواميسهِ الخاصَّة زيادة عظمة للقوَّة التي سنَّت هذه النواميس . ماذا يذيع مجد الله اكثر أَفلك الاقدمين الدوَّار الذي هو سقفٌ مرصَّع بمسامير من ذهب ام العوالم التي لا تحصى الخاضعة لناموس الجاذبيَّة العامّ" انتهى . فهذا كلام واضح على ان مذهب دارون لا ينقض ايمانًا ولا ينفي معادًا ولا خلودًا ولا يبطل رجاء ولا تعزيةً . وقد اغضى كاتب الحق اليقين عنهُ كل الاغضاء كأنهُ رمقهُ بعين رمداء او عمياء

(٣) اذا صحَّت دعوى كاتب الحق اليقين بان الحقيقة تحاول اثبات قدم المادَّة والنشوء وابطال الخلق ونفي الخالق بالجوهر الفرد فلا أيسر من

افساد محاولتها هذه بقولها وجه ٦١ ان كان الغرض من نفي الجوهر الفرد "نفيَ النشوء واثبات الخلق فهذا لا ينفي نشوءا ولا يثبت خلقاً فنيوتن اثبت مذهب ديموقريطس ولم ينفِ خلق الجوهر الفرد . فنفي الجوهر الفرد لا ينفى به شيء يراد نفيهُ ولا يُثبَت به شيء يراد اثباتهُ من هذا القبيل" انتهى وقد ذكرت غير مرَّة ان المذهب الجوهري يتفق فيهِ المليُّون والماديُّون . الاَّ ان كاتب الحق اليقين قد اغفل ذلك كلهُ وأبى الاَّ اظهار ان كاتب الحقيقة ينفي الخالق سبحانهُ

(٤) اذا صحَّت دعوى كاتب الحق اليقين بان الحقيقة تقول بالتولُّد الذاتي لنفي الخالق سبحانهُ فلا أسهل من نقض غايتها هذه بقولها وجه ٧٩ عن الاصل الاوَّل الذي تفرَّع منهُ عالم الاحياء "أيكوَّن بفعل خالقٍ خاصٍّ ام نشأ ذاتيًّا — ويُراد بالنشوء الذاتي نشوء الحياة من المادَّة بقوَّةٍ فيها — ونفي الخلق الخاصّ لا يلزم منهُ نفي الخلق الكلي" انتهى وعليهِ فاذا انتفى خلق الخالق للحياة خلقاً خاصًّا لم ينتفِ خلقهُ للكون خلقاً كليًّا فالتولُّد الذاتي لا ينفي الخالق تعالى

(٥) اذا صحَّت دعوى كاتب الحق اليقين بان الحقيقة تهزأ بالايمان فلا أسهل من اظهار خطائها هذا بتذكيرها ما قالتهُ صفحة ٨٥ وهو والعقل لا يرى في النشوء "ما يحطُّ بشأن الخالق عند المؤمن خلافاً لمن يظنُّ ان كل ما خالف ما قام في مخيلتهِ هو جهل و بطلان وضلال و بهتان وهذه دعوى لا يقولها الاَّ مثلُ من لا يرى العلم الاَّ في تخريفهِ . سُئِل احد كبار العلماء والفلاسفة المؤمنين ما قولك في مذهب داروين وكيف تصنع معهُ بخلق الانواع فقال 'اذا كان الذي يصنع ساعةً يُعدُّ عظيماً فلا شكَّ ان الذي يصنع ساعةً تصنع ساعةً يكون اعظم ايضاً'" انتهى . فان كان مذهب النشوء يفيد تعظيم الخالق فهو يفيد احترام الايمان لا الهزء بهِ

فقد ثبت من كلام الحقيقة نفسها انها تسلّم بان الاعتقاد بالله باري البريَّة يطابق الواقع وان المذهب الداروني والمذهب الجوهري لا يقتضيان نفي الخالق ولا ينقضان ايمان المؤمنين وان التولُّد الذاتي (ولو ثبت) لا ينفي خلق الخالق للكون . وان النشوء كلَّهُ يزيد الخالق في اعتبار المؤمن عظمةً وجلالاً . فلو كان كاتب الحق اليقين على يقينٍ من أن الحقيقة تشكِّك قارئيها في الله تعالى وكان يرغب في ارشادهم الى الايمان وردّهم الى الهدى لاتَّخذَ اقوالها اقوى حجَّةٍ على دحض دعاويها واحسن ذريعة الى اقناع السذَّج بفساد ما فيها . ولكنهُ طوى عن اقوالها هذه كشحاً وأبى الاَّ اثبات ان صاحب الحقيقة يرغب في نقض الدين بالجوهر الفرد ومذهب دارون ليلقّبهُ كافراً معطِلاً ويلقي الملام على كل مسلّم بالجوهر الفرد او مذهب دارون . فتنبَّه

ثانياً في ما يتخذهُ الماديُّون حجةً على المؤمنين * علم القارئ مما اوردناهُ من كلام الحقيقة ومما يجدهُ فيها انها لا تجد في المذهب الداروني ولا المذهب الجوهري ولا استحالة القوى ما ينافي الدين ولا ما يثبت مذهب الماديين وقد صرَّحت غير مرَّة ان الماديين والعلماء المؤمنين متفقون في هذه كلها ولكنهم يختلفون في امورٍ أُخرى اشهرها ان الماديين يقولون بالقدم وينفون الحدوث بدعوى ان الحدوث لا ينطبق على الواقع كما في مسأَلة القصد وعدمهِ في الطبيعة وان القدم ينطبق عليهِ (انظر الحقيقة وجه ٦٢) . فلو كان كاتب الحق اليقين يقصد ارشاد السذَّج ويخلِص في قصدهِ لقصر جلَّ كلامهِ ان لم نقل كلهُ على اثبات القصد في الطبيعة وافاض في بسط الادلَّة على عناية الباري في خلقهِ وبالتالي على وجودهِ وحكمتهِ وقدرتهِ . وذلك اهمُّ للساذج مشكّكاً كان او مؤمناً من كل بحث تعرَّض لهُ الكاتب لان مآلهُ الى الارشاد والانذار والحث على التقوى وخوف الله وحبّهِ . والكتب العربيَّة مفتقرة اليهِ كلَّ الافتقار والنشرة الاسبوعيَّة أُنشئَت للبحث في مثلهِ خصوصاً وفي غيرهِ عموماً .

ولكنهُ اقتصر من كل ذلك على كلمات قليلة لا تقنع منكرًا ولا تثبت مترددًا ولا تفيد مؤمنًا وهي قولهُ وجه ١٤٨ من الحق اليقين "اما قول ذي الحقيقة ‹ان ما تسمُّونهُ قصدًا نسميهِ ضرورة› فليسَ بشيءٍ لان الحقائق لا تتوقف على تسميتهِ . وعدم رؤيتهِ اشياء كثيرة لا ينطبق القصد عليها كما قال على اثر ذلك فلعجز مداركهِ". اه

فهذا ما جاء بهِ حيث يلزم البسط والايضاح وايراد البراهين والادلّة والشواهد اذ هو محلُّ الاختلاف والمناظرة . واذا قلت فلماذا هذا التقصير المخل قلنا عذرهُ في ذلك انهُ التزم الاختصار كما قال مرارًا والحال انهُ انما التزم الاختصار المخل حيث يلزم التطويل . والتزم التطويل المملّ حيث يجب السكوت كما في طعنهِ وشتمهِ وتهكمهِ على ما سترى او حيث يصحُّ الاستغناء كما في مقالة استنباط العلوم ومقالة التغيُّر ومقالة التيراتولوجيًّا التي لا لزوم لها في البحث وانما جاء بها ليقول في خاتمة الكتاب انهُ "لم يقف على نظيرها في الكتب العربية" (وجه ١٥١) فينال فضل السبق في هذا الميدان . ولا ندري كيف يدَّعي انهُ التزم الاختصار في الرد وهو قد اشغل ما يزيد عن خُمس الكتاب في الرد على ديباجةٍ لصاحب الحقيقة لا تبلغ الوجه الواحد ولا فائدة في الرد عليها ولا غرض لهُ من هذا الرد الاَّ ان يضمنهُ نفثات صدرهِ من القول البذي والطعن البيّن والخفيّ كما سيجيء . واذا رُمتَ ان تعرف نهج ردهِ هذا فخذ المثال قال: "قال موشي تلك الديباجة ‹ألا قل لمن عدَّ مذهب دروين وساوس واجتهاد اصحابهِ دسائس› فألاَ حرف استفتاح للتنبيه .... و"قل" خطاب لغير معين فهو امرٌ إمَّا لكل انسان على وجه الارض وإما لكلِّ ممن يذهب مذهبهُ وفي كلا الامرين ما فيهِ . ويحتمل انهُ خطاب لنفسهِ على سبيل التجريد كقول الشاعر

تطاول ليلُك بالاثمدِ ونامَ الخليُّ ولم ترقُدِ

الى ان يقول وبقي في ذلك احتمالات كثيرة ارجحها عندي انهُ خطاب لبعض نظرائهِ او نصرائهِ رأى مناهج الحكماء فلم يستطع نهجها فذاب حسدًا وذهل وجلاً وكمدًا !!! فنبههُ وخاطبهُ بذلك اشماتًا وتجرئةً وتعزيةً والله اعلم"

فانظر رعاك الله أَيُصدَّق مَنْ يدَّعي عند الرد على ما يجب الرد عليهِ انهُ التزم جانب الاختصار. وهو يفيض في مثل هذا المقام بمثل ما اوردنا عليك من الاقوال التي لا طائل تحتها. فكأني بهِ يحسب مذهب دارون قصيدة للحطيئة والمذهب الجوهري ابياتًا للبحتري ويزعم ان القارئ يسلم بابطالهِ لهما اذا تفنَّن في الاعراب واظهار النكات البيانية وتباهى بان مناهجهُ التي يجحل بها اعوانهُ يذوب منها الناس حسدًا ويذهلون بهذيانها وجلاً وكمدًا

ثالثًا في آداب كاتب الحق اليقين * انكر كاتب الحق اليقين على صاحب الحقيقة ثلثة امور عدَّها خروجًا عن آداب المناظرة . (١) ان صاحب الحقيقة شتم مجهولاً بقولهِ "فمن حاطب ليل تخبَّط فيهِ تخبُّط مَنْ ضلَّ السبيل وخانهُ الدليل فاكثر من القول الهراء وبالغ في التسخُّط والاغراء" وقولهِ "فمهلاً ايها الكاتب الحاطب فلقد طالما اصغيتُ الى بيانك لعلي استضيء بضوء برهانك فاذا انت كرجلٍ متقلدٍ هراوةً مقطوعةً من غابات الغباوة تهش بها على الانام كراعي الاغنام" فهذا كلام عدَّهُ كاتب الحق اليقين شتمًا لمجهولٍ. الاَّ انهُ ما فرغ من ايرادهِ حتى ادَّعى انهُ هو المجهول وان الكلام موجَّهٌ اليهِ فقابلهُ بالصفح والاعراض (الحق اليقين وجه ٤)

(٢) قول صاحب الحقيقة "لولا الجهل . . . . لما رأيت بعضهم يعربد علينا كالبعير" فاجابهُ على قولهِ هذا بقولهِ " ولقد وددت لو لم يتفوَّه هذا الاديب بهذه العبارة البعيرية" (وجه ٦) فهب ان كلام صاحب الحقيقة خروج عن الادب أفمن الادب ان يقابل بكلام ليس فيهِ الاَّ قلَّة الادب . الاَّ اننا لا ندري باي اخلاص يدَّعي كاتب الحق اليقين ان هذا الكلام موجَّهٌ

اليهِ (والواقع انهُ كلام يصف حال بعض الكتّاب كما هي دون ان يخصّصوا بالذكر) وقد اعترف (كاتب الحق اليقين) صريحاً ان كل ما في الباب المشتمل على هذا الكلام غير موجه اليهِ وهذا قولهُ "وما ذكرت مشتملات هذا الباب الّا لبيان أدب المؤلف في المناظرة وايضاح عذري في تفنيد ما لهُ علاقة بما افندهُ من كلامهِ **وان لم يكن موجهاً اليَّ**" انتهى (وجه ٦) وهذا يدلُّك على ان كاتب الحق اليقين ما اختلقَ ذلك الّا ليتمحّل لنفسهِ عذرًا اقبح من ذنبٍ الى ما خالف بهِ الآداب كل المخالفة كما سترى

(٣) ان صاحب الحقيقة اشار اليهِ بقولهِ "بعض ادباء اللغة" وقد اردف هذه الالفاظ بشرحٍ طويلٍ عريض يدلُّ على غيظهِ وحنقهِ وغضبهِ وتسخُّطهِ مدعياً ان صاحب الحقيقة اراد بذلك ان يزدري بهِ ويحط من شأنهِ (الحق اليقين وجه ٢٥) فكأنَّ كاتب الحق اليقين ينكر على مناظريهِ ان يلقّبوهُ بغير "العالم الفاضل" كما لقّب نفسهُ (وجه ١) وكأنهُ وجد في التواضع حطّة فابدل قولهُ في مناهج الحكماء "للمعلم فلان عفي عنهُ" بقولهِ في الحق اليقين "تأليف العالم الفاضل فلان" وهو إبدالٌ اقلُّ ما فيهِ تفضيل الادعاء والنفخة على الاتضاع والدعة

فهذه هي اشنع ضروب الطعن التي تهوَّر اليها صاحب الحقيقة في اعتبار كاتب الحقّ اليقين ولذلك وَعَد في الصفحة الثامنة من الحق اليقين باجتناب امثالها بقولهِ "واعتزات كشأني في هذا الميدان غير اسلحة البرهان فانها هي عدّة المناظرة لا المغالطة والمكابرة ولا المشاتمة والمهاترة" وانهُ لنعمَ الوعد وليتهُ لم يخلفهُ فاخلاف الوعود ضرب من الكذب مذموم" كالكفر بالايمان والنكث في العهود

على اننا لمَّا تصفحنا الكتاب تبين لنا ما يشهد بهِ كلُّ من طالعهُ أنَّ أنكرَ ما فيهِ خروجهُ عن دائرة الحشمة والآداب فانهُ لم يترك صورةً مستهجنةً الّا

صوَّر بها صاحب الحقيقة ولا تورية مستفيحة الاَّ ورَّى عنهُ بها ولا وصفًا منكرًا الاَّ وصفهُ بهِ . فاسم مناظرهِ عندهُ المقلِّد . ذو الخبط . صاحب خبط العشواء . بطل دروين . بطل الابطال الخ . وهذه الاسماء متفرقة في الكتاب من اولهِ الى آخرهِ حتى لا تكاد صفحة منهُ تخلو منها فتعيين اماكن ورودها يطول . ومناظرهُ عندهُ "بهيم" (وجه ٩٨) آفتهُ سقم الفهم (وجه ١٨) لا يعقل ما يقول (وجه ١٩ا) يتبلتع طويلاً (وجه ٢٤) ويتمادى في الطيش والكبرياء (وجه ٤٠) واوَّل بطلٍ في الخليقة جمع كتائب الاعدام تحت لواء الحقيقة (وجه ١٤٣)

واذا رمتَ ان تعرف صورة مناظرهِ هذا "البهيم" او "ليث العرين" (وجه ٩) فتصوَّرها "بأن تضع رأس العلاَّمة دروين على بدن أَسدٍ بلا ذَنَبٍ له يمين ابن مقلة يكتب بقلمٍ من ريش العنقاء على لوح الهواء تخطئة مناهج الحكماء" (وجه ٦٩)

قلتُ إنَّ مَنْ تجود المتخيلة فيهِ بمثل هذا التركيب البديع لاجدر بان يكون مصوّر جريدة هزلية من ان يكون مترجم النشرة الاسبوعية

واذا رمت ان تعرف لمناظرهِ "البهيم" صورة أُخرى فتصوَّرهُ لا يشبع من ضاهس (اي النزر القليل من النبات ياكلهُ بمقدم فيهِ ولا يتكلَّف مضغهُ) ولا من قارس (اي ماء بارد قراح) بل يرعى ويشرب "في آجام افريقية فردوسهِ القديم وفرةً من الأَبّ (العشب الاخضر) والهشيم (النبت اليابس المتكسِّر) والشثّ والطبَّاق (شجر) وكثرةً من الحميم والغسَّاق" (الماء الحارّ والبارد) (وجه ٣٥)

واذا رمتَ ان تعرف لمناظرهِ صورة أُخرى فتصوَّرهُ "بهيمًا ذا نسف وضرس (اي عض شديد وجه ٣٣) مولعًا بنبش قبور الاحلام ونشر موتى الاوهام" (وجه ١٤٣) وانت تعلم ان من يستجيز مثل هذا الكلام دفاعًا عن الدين وايمان المؤمنين في جريدة دينية ينفق عليها انصار الدين والفضيلة لا يستعيب التهكم على مناظرهِ واحتقارهُ والاستخفاف بهِ . ولذلك تجد كل صفحة

من صفحات الكتاب ناطقة بذلك فلا حاجة الى اعادة ما فيها من هذا القبيل

فليت شعري مَنْ يطّلع على اقوال كاتب الحق اليقين ويبقى في ريب من انهُ لم يُخلِص في ما كتب ولا قصد ارشاد احد وانما اراد شفاء غليلهِ من مناظره بكلامٍ ينكرهُ اهل الدين وانصار الآداب ولا يأتيهِ الاَّ "صغار العقول". ولقد احسن صاحب الحقيقة حيث قال "فتبًا لدهرٍ رجالهُ صبيان كبار". فكيف يجوز لمن يدَّعي الدفاع عن الدين ان يثلب اعراض المناظرين وكيف ترضى النشرة الاسبوعية ان تقول لانسان يا بطل الخيال وليث الاوهام ويا ايها الوحش الضاري والدابَّة الراعية في الآجام والحيوان الكاسر العضوض النابش القبور الى غير ذلك من شتائمٍ اولاد الازقَّة وسفلة الناس. أتحقَّقت الآن ان مترجمها (الذي يعيب مَنْ يسمّيهِ اديبًا من ادباء اللغة) يتخذ معرفتهُ للالفاظ اللغوية سترةً يطعن من ورائها على الناس ويشتمهم ما شاء ولا يخشى من بأْس وانهُ يتذرَّع بنحو اللغة وبيانها الى التهكُّم والاحتقار والاستخفاف. اكذا يكون اظهار الحق وارشاد الساذجين

وليس العتب في ذلك على مَنْ لم يتوسَّع في المعارف العربية من اصحاب النشرة الاسبوعية فعذرهم عَذْر مأْجورهم بهم . وانما العتب على مَنْ تولَّى تحرير النشرة وادارتها قبلهم ونعني بهما ذينك العالمين العاملين والشيخين الجليليين والتقيين الفاضلين (١) اللذين تعهَّدا النشرة بالتربية والعناية ازمانًا حتى نمت واينعت فكيف يتغاضيان الآن عنها لتفسدها الثعالب بعدما افرخت واقعلت، فان يقولا انهما براءٌ مما فيها فالناس لا يقنعون بما يقولان ولا يرون ما يريان (ستاتي البقية)

---

(١) الاشارة الى الفاضلين الدكتور فان ديك والدكتور ادي

تقريظ

اتحفنا حضرة العالم الناثر الناظم والاستاذ الفاضل السيّد قاسم افندي ابي الحسن الكستي البيروتي بهذا التقريظ فادرجناهُ مع الشكر لحضرتهِ

وجريدةٍ شُحِنَت بكُلِّ لطيفةٍ تُهدَى لِمَنْ يزِنُ الكلامَ بعقلِهِ
منشورُها يَطوي البسيطةَ حاملاً كنزَ اللّطائفِ للزّمانِ وأهلِهِ

من المعلوم عند ذوي الالباب ان لكلّ جديدٍ لذّةً تُسرُّ باكتسابها النفوس وتتنقّل بها من منهلٍ الى منهل ويتجلي عنها صدأُ السآمة والملل لا سيَّما اذا كانت حاصلة من الامور العقليّة كجريدة اللطائف التي ظهرت في مصر القاهرة من حجاب الخفاء لمجالي الابصار والاسماع ظهور البدر في منتصف كل شهر بصورة بديعة يغار منها نسيم الصَّبا حيث انها تشتمل على فنون مختلفة كلُّها مقبول ومستحسن يشتهيها مهذبُ الطبع ويشتريها ولو بقرطَي مارية لان بها طرائف قلَّما توجد في غيرها مع خلوّها عمَّا يشينها . وما هي الَّا روضةٌ انيقة قطوفها دانية واثمارُ فكاهتها يانعة تغرّد في افنانها طيور النوادر الادبيَّة بألحان الفصاحة النقيَّة

اذا تغلغل الفكر الثاقب في مخارق خمائل معانيها يتنزَّه بمواردها العذبة ويتعجَّب من اساليب ترتيبها وكيفيَّة تركيبها ويستفيد منها وصف التمدن ويرى بمرآتها ما كان بعيدًا عن ادراكهِ قبل مرآها ويجتني من فواكه أدواحها ما يحلو مذاقهُ ومتى أتمَّ سياحتهُ في ساحتها يعود ملآن الوطاب شاكرًا نظام تأليفها المستطاب وشاهدًا بحذق وذكاء محرّرها برقائق الفاظهِ وهو الاديب الأريب شاهين افندي مكاريوس الذي عرف مشرب عصرهِ فاتاهُ بما يناسبهُ ووفى بمقاصد اهلهِ فاستوجب منهم الثناء الجميل وصار لهُ بحسن عملهِ أثر لا يبيد. على ان قيمة الانسان ما يحسنهُ وقد حملني على تقريظ هذا المؤلف الجديد ما رأيتهُ فيهِ من المنافع العامَّة والفوائد التامَّة

قاسم ابو الحسن
الكستي البيروتي

تقدُّم الماسونيَّة في مصر

قد أُنشئ حديثًا محفل ثانٍ جديد للماسون في مدينة طنطا وقد دعاهُ منشئوهُ "محفل الاخلاص". وممَّا علمناهُ ان حضرة رئيسهِ الفاضل وموظفيهِ الكرام من الطبقة الاولى في الآداب والمعارف والغيرة الشديدة على الفضيلة وخير القريب. فلنا الثقة

الاكيدة انهم يروننا من اعمالهم الحميدة ما يُشكَرون من اجلهِ لا سيَّما وان لهم اخوةً يشاركونهم في عمل الخير وهم اعضاء محفل الكمال .

ونرى من واجباتنا في هذا المقام ان نُذكّر اعضاء هذه الجمعيَّة الكرام بانهُ قد حان الاوان لاظهار المنافع العلميَّة والادبيَّة المنتظرة من امثالهم

نسبة البر الى البحر

قالت جريدة العلم الفرنسويَّة ان اوَّل من عيَّن نسبة البحر الى البر بالتقريب هو بود فجعلها كنسبة ١ : ٢ وذلك بعد اسفار القبطان كوك سنة ١٧٧٩ ثم جعلها ريكود كنسبة ١ : ٢٬٨٢٧ سنة ١٨٢٨ واقرَّ ذلك همبلت ورتر . ثم جعلها أَنكَلْهرَت ١ : ٢٬٨٢٧ سنة ١٨٥٣ ودوق ١ : ٢٬٧٣٠ سنة ١٨٦٢ وهرمن وكنر ١ : ٢٬٧٦٥ سنة ١٨٧٠ وكرُمَّل ١ : ٢٬٧٥ سنة ١٨٧٠ ثم وافق وكنر على نسبتهِ

اما النسبة المدقَّقة فلا يمكن تعيينها لان مساحات القارات والبحور لم تتعيَّن تمامًا ولا سيما في نواحي السواحل

سرعة الصناعة

ان الجزَّارين في شيكاكو بالولايات المتحدة باميركا يستخدمون الآلات في صناعتهم فيذبحون المواشي والخنازير

ويسلخونها او يحلتون هلبها ويشطرونها شطرين وينزعون احشاءها وامعاءها ويغسلون بواطنها وينقلونها الى المثالج لتجميدها وتقديدها وذلك كلهُ في خمسٍ وثلاثين ثانية اي نحو نصف دقيقة من الزمان

كلاب الحرب

ان الالمانيين يحاولون تعليم الكلاب قضاء بعض المهام في ساحة القتال ولذلك أتبعوا عددًا منها ببعض فرق الجنود وهم يعلمونها المسير في طلعية الجيش ويعلقون في اعناقها اصفانًا من الجلد يضمنونها التعليمات اللازمة فتحملها الكلاب من ناحية الى أُخرى ويعلمونها ايضًا التفتيش عن الجرحى والتائهين وغيرهم وردَّهم الى محلَّة الجيش. ومرادهم استخدامها في الطليعة لتنبيه الحرَّاس بقدوم العدوّ فلا ياخذهم فجأةً والكلاب المستعملة لذلك هي من صنف كلاب الرعاة ويقال ان غيرها من الاصناف يصلح لهُ ايضًا

ترعةٌ عظيمة في اسيَا

ذكرت جريدة الاكسبورتاسيون فرانسيز التجاريَّة في عددها الصادر في ١٥ يناير سنة ١٨٨٧ ما مفادهُ . ان الموسيو جنسن عرض على المجمع العلمي الفرنسوي في جلستهِ التي عقدها في ٦

ديسمبر الماضي لائحةً في فتح ترعة تسدُّ مسدَّ الطريق القديم الذي كان مفتوحًا من سوريَّة الى شرقي اسيَّا وذلك بان تمتدَّ هذه الترعة من سواحل سوريَّة الى خليج العجم. وصاحب هذا الرأي مهندس فرنسوي اسمهُ الموسيو يود. ومن رايهِ ان تفتح ترعة في سوريَّة الى الفرات ثم في عدوة الفرات الى دجلة ثم يسار على ماء دجلة الى خليج العجم وذلك بان تبتدئ من انطاكية وتسير مسافةً على نهر العاصي ثم تخترق عدوة العاصي وما هناك من الهضاب والآكام حتى تصل الى الفرات. فتسير عليهِ حتى تقرب من مدينة بابل التي اشتهرت في قديم الزمان فتترك الفرات وتسير في ترعٍ الى بغداد. ومن بغداد تسير على دجلة الى مصبهِ في خليج العجم. فيكون بعض الطريق انهارًا وبعضهُ ترعًا. ولهذه الطريق فائدتان الأُولى تجاريَّة لانها تقصر مدَّة الذهاب الى بومباي والاياب منها ستة ايام عما هي الآن والثانية زراعيَّة وهي ريُّ الاراضي بتلك الترع كما تروى اراضي مصر بترع نيلها

وفي رأي المهندس يود المذكور ان فتح هذه الطريق واجب لان علاقات اسيَّا مع اوربَّا متزايدة فلا بدَّ ان تمسي الطرق الحاليَّة غير صالحة لاتصال القارَّتين في زمانٍ غير بعيد

حمامات حلوان

بلدةٌ حسنة الموقع جيدة الهواء جميلة البناء الى جنوبي القاهرة والى شرقي حلوان مصر المشرفة على النيل تبعد عن القاهرة نحو ستة اميال وعن حلوان نحو ثلاثة كيلو مترات واقعة على ارتفاع ٣٣ مترًا فوق سطح النيل في وسط سهلٍ رمليّ فسيح ينبثق الماء منهُ اينما حفرْتَ على غور قليل كائن عند سفح جبال طره الممتدة من المقطّم . اختطها اسماعيل باشا خديوي مصر وذلك في سنة ١٨٧٢ للميلاد عند ما بنى فيها الحمّامات المعدنية الكبريتية

وينابيع حلوان قديمة وقد ذكرت في تواريخ العرب . وقيل انهُ لما استوطن عبد العزيز بن مروان حاكم مصر حلوان عندما هرب من الفسطاط في طاعون سنة ٧٠ للهجرة وبنى فيها الدور الحسان وغرس الكرم والنخل وزرع البساتين جرّ اليها الماء من هذه الينابيع . والظاهر ان خصائص هذه المياه الطبية لم تكن مجهولةً في القديم الاَّ انهُ ليس لنا نصٌّ صريحٌ على ان الناس استخدموها في ذلك العهد للتداوي ما خلا الآثار المكتشفة حديثًا التي ترجّح هذا الظن . وفي عهد محمد علي باشا فاتح مصر كان سكان القاهرة الفقراء يقصدون هذه المياه ويستحمّون هناك في حفرةٍ يجتمع الماء فيها . ثم في سنة ١٨٤٩ امر عبّاس باشا والي مصر فأُبدلت الحفرة بصندوقٍ من خشب وبني عليها بيتان من خشب ايضًا ليأْوي اليها المستحمّون وبقي الامر على ذلك الى ان تبوَّأَ الخديوي اسماعيل باشا تخت مصر فوجّه التفاتهُ الى هذه المياه والّف لجانًا لدرس طبيعتها وخواصها الطبية ولاستكشاف ينابيعها ثم بنى الحمّامات بادارة مؤسسها الدكتور ريل الشهير واختطّ المدينة وجلب ماء الشرب اليها من النيل ووصلها اخيرًا بالقاهرة بالطريق الحديدية اعني انهُ اوجد فيها كل التسهيلات لاقبال الناس عليها فبنيت الفنادق والدور وانشئت المتنزهات وتقاطر المرضى اليها من كل انحاء القطر حتى اصبحت اليوم بلدةً جميلة يقصدها الناس للاستحمام وللتنزُّه ولتبديل الهواء (الشفاء)

لغزٌ

بقلم جناب الشاعر الاديب عبد الله افندي فريج

ألا يا سادتي يا من سموا في أُفقِ عرفانِ
أَجيبوا العبدَ عن نعتٍ وايضًا جنس انسانِ
ومن عَجَب بتحريفٍ غدا جمعًا لحيوانِ
فلولا النصفُ منهُ ما تسامى ركنُ بنيانِ
ولولا منهُ باقيهِ لما فزنا بخلّانِ
فاوّلهُ يُرَى حرفًا لعمري وهوَ حرفانِ
كذا الثاني وثالثهُ تبدَّى وهوَ زوجانِ
ولكن صاحِ رابعهُ تراهُ ربعَ ديّانِ
اذا عكسوا لهُ رأسًا فلا يأْتي بتبيانِ
لهُ بسطٌ بدا عشرًا ولكن بعدها اثنانِ
ومن قدْ رامَ جُملَّهُ يلاقيهِ بديوانِ
فحلُّوا لغز عبدٍ كي يوافيكم بشكرانِ

نجم برادِنْبرْغ

يظهر هذا النجم مرةً كل ثلاثة قرون وينتظر ظهورهُ في الاربع السنين القادمة. واوّل ما انتبه اليهِ الفلكيُّون سنة ٩٤٥ للميلاد في عهد الامبراطور أُوتُو الاوّل حينما لاح لامعًا في برج (ذات الكرسي) ثم اختفى الى سنة ١٢٧٢ عند ما اكتشفهُ تيخو براهي في شهر نوڤمبر من تلك السنة وكان وقتئذٍ من المع النجوم في الجوّ حتى كاد يفوق الزهرة بهاء فكان نورهُ يصل الى الناظر من خلال الغيوم المارّة عليهِ مدة الليل وهكذا في منتصف النهار عند صفاء الجوّ واختفى سنة ١٢٧٤ اي بعد مضيّ ١٧ شهرًا من ظهورهِ

انتقاد كتاب الحق اليقين

تابع ما قبلهُ

النبذة الثالثة . في الوجه العلمي

ان الباعث على انتقاد كتاب الحق اليقين من الوجه العلمي هو اقلّ البواعث الثلثة عندنا اعتبارًا ولو اقتصر الامر عليهِ لاعرضنا عنهُ تمامًا خوفًا من اضاعة الوقت واطالة الكلام على غير طائل

فان جلّ ما في هذا الكتاب اقوال مردودة واحكام فاسدة ونصوص مشطورة او محرفة عن معناها واعتراضات واهنة تدلّ على ان كاتبها لا يعلم ما يناظر فيهِ ولذلك لم يكن لهذا الكتاب قيمة علميّة يستحق عليها الانتقاد . ولبيان ما تقدّم نكتفي بذكر شيء مما ورد فيهِ عن المذهب الداروني اذ فساد ما بقي فيهِ عن نفي الجوهر الفرد وابطال استحالة القوى واضح لكل من ذاق طعم العلم الطبيعي فاظهارهُ تحصيل حاصل

كلّ شرقيّ محبٍ لوطنهِ يباهي بعلم ابنائهِ واجتهادهم ويتأسف على جهلهم ويخجل لادعائهم ومما يوجب الاسف والخجل ان احد ابناء الوطن كتب في هنيهة من الزمان وريقات لا قيمة لها عند اهل العلم وجعل يطنطن بها بين ظهرانينا زاعمًا انهُ نقض بها تعليم رجل معدود في مقدمة اهل الارض طرًّا علمًا وعقلاً واجتهادًا . ومما يزيدنا اسفًا انهُ اهان غيرهُ من ابناء وطنهِ لمّا ذكّرهُ بانهُ اديب من ادباء اللغة فليس يستطيع نقض ذلك التعليم الاّ بعد الاجتهاد والدرس والمشاهدة والتجربة ازمانًا طويلة (وجه ٣٥ الحق اليقين) ولم يقتصر على ذلك بل زينت لهُ اوهامهُ ان يعدّ نفسهُ في مصاف اعظم العلماء الطبيعيين في

عصرنا حال كونهِ لم يطّلع على مبادئ التاريخ الطبيعي فزعم انهُ كفوء لان يطعن في مذهب داروين الذي قضى عليهِ اكثر من خمسين سنة كالعلماء الاعلام ونشل وولاس وفرخو وميفرت وفون بشوف واغاسز وهكسلي وتندل الذين قضوا العمر في هذه المباحث وامثالها وهم اشهر ثقات اهل الارض فيها (الحق اليقين ١٤ — ١٧) بدعوى انهُ "من ارباب البرهان" (وجه ٥٧)

وزد على ذلك ما زعمهُ من انهُ يستطيع ما لم يستطعهُ عالم من علماء الارض قبلهُ اعني ابطال المذهب الداروني ابطالاً قطعيًا برأيٍ يرتئيهِ في التغيُّر ("اذا ثبت"). وهذا الرأي الذي تضحك شواهدهُ الثكلى ذكرهُ وفصّلهُ (وجه ٧٥ فما بعد من الحق اليقين) وزعم انهُ أيّدهُ بالتجربة — وايُّ تجربة — قال في وصفها "زرعتُ بزور منثور فنبتت ونمت وازهرت فكان زهرها في اول الامر بنفسجيًّا ثم اخذ يميل الى الحمرة فصار احمر ثم شاب حمرتهُ بياض ثم صار ابيض فجمعتُ كلاًّ من بزور الازهار المختلفة على حدتهِ وبذرتهُ كذلك فلما نبت الجميع وازهر كان الزهر كلهُ بنفسجيًّا ثم اخذ يتغير كما ذكر. على اني لا اقطع ان هذا نهاية تغيرهِ لاني لم امتحن ذلك سوى مرتين. . . . . ولكن ما ذكرتهُ من امرهِ وافٍ ببيان التغير الدوري" (وجه ٦٠) ذلك رأيهُ وهذه تجاربهُ في هذا البحث الذي اخبر القرّاء انهُ طالع لهُ المطوّلات واي المطوّلات "جريدة نولدج وببلار سينس وجورنال أُف سينس" (وجه ٣٩) ونحوها من الجرائد التي غايتها نشر المعارف والعلوم بين عامّة الناس لا التطويل في مباحث العلماء. فهذا ما اعتمد عليهِ الكاتب في نفي مذهب داروين ولو انهُ كلّف نفسهُ قراءة كتب داروين واطّلع على تجاربهِ التي تعدُّ بعشرات الالوف وعلى القضايا الجليلة الشان التي اثبتها في التغير وعلى ما ذكرهُ من الجملة عن المنثور وبزورهِ وتغير الوانهِ والوان بزورهِ وتعليل ذلك كلهِ حسب نواميس التغير والوراثة على مقتضى مذهبهِ لعلم اننا لم نستخفَّ

باقوالهِ في الحق اليقين شماتةً بهِ بل كرهًا عنّا وعملاً بمقتضى الواقع .

قال الشاعر

ومَن جهلت نفسهُ قدرهُ رأى غيرهُ منهُ ما لا يرى

وليتهُ بعد هذا كلهِ عرف ان يميّز بين الادلة التي تثبت مذهب دارون والادلة التي تنفيهِ . فانّا اذا جاريناهُ على بعض اقوالهِ وجدناهُ دارونيًا قحًّا لا ريبَ فيهِ . خذ مسألة الاعضاء الاثريّة مثلاً واتّبعهُ في ما قالهُ في تعليلها تجد انهُ اطوع مقلّد لدارون . فلا يخفى ان الاعضاء الاثرية تطلق على اعضاء من الانسان وغيرهِ من انواع الحيوان ليس لها وظيفة معروفة ولا لزوم فبقاؤُها فيهِ ونزعها منهُ (اذا امكن) سيّان عندهُ . "كعضلات الحركة في اذن الانسان" (الحق اليقين وجه ٥) مثلاً . وقد ذهب كاتب الحق اليقين الى ان هذه الاعضاء ضمرت لقلة الاستعمال في قولهِ (وجه ٦٣) "ومن تغيرات الافراد ضمور بعض الاعضاء وضعفهُ لقلة الاستعمال ونمو بعضها وقوتهُ للمزاولة فليس ما يسمونهُ بالاعضاء الاثرية بدليل على نشوء الانواع من تغير الافراد" اه . وعليهِ فالمزاولة تؤُول الى نمو بعض الاعضاء وقوتها وقلة الاستعمال تأول الى ضمورها حتى تصير ما يسمونهُ بالاعضاء الاثرية . فقلة الاستعمال اضمرت اذًا عضلات الاذن في الانسان . وهذا الاضمار قديم العهد بدليل ان الولد يولد في ايامنا هذه وعضلات الاذن فيهِ ضامرة بخلاف عضلاتهِ الأُخرى فانها تكون على الحال اللازمة من القوة والنموّ . وذلك يتضح بالاكثر في غير عضلات الاذن كالزائدة الدودية من الامعاء مثلاً فان ضمورها حين الولادة ظاهر . وعليهِ فعضلات الاذن وغيرها من الاعضاء الاثرية ضمرت منذ زمان طويل لقلّة استعمالها ثم صار ضمورها ثابتًا ينتقل بالوراثة من الوالد الى ولدهِ . وقبل ضمورها كانت قوية نامية كغيرها من الاعضاء لسبب الاستعمال . فاذا تصوّرنا

الانسان قبلما ضمرت فيهِ وجدناهُ طبق ما وصفهُ لنا داروين في كلامهِ على الاعضاء الاثرية في كتابهِ المسمى تسلسل الانسان . واضطررنا ان نسلّم انهُ كان في اصلهِ متحرك الاذنين يصرها عند الحاجة اشعر الجسد طويل الذنب الى غير ذلك من الاوصاف التي لا تبقي بينهُ وبين غيرهِ من الحيوان فرقاً يذكر . كل ذلك وكاتب الحق اليقين يدَّعي انها على هذا التعليل لا تؤيد مذهب النشوء والارتقاء فأعجب بهذا الذكاء

هذا وان الذين لا يسلمون بالتحوُّل يعلّلون الاعضاء الاثرية تعليلاً آخر قد اسهب ونشل في بسطهِ حتى لربما فاق فيهِ اقرانهُ . وكاتب الحق اليقين قد استشهد بونشل غير مرةٍ فلو طالع كتابهُ لتعلم منهُ ما لم يعلمهُ ولكنهُ ينقل عن كتبة الادب من الافرنج فيقلّدهم وهم ليسوا على شيء من العلم ويضحك ممَّن يتابع العلماء الاعلام على رايهم . ألا تراهُ يستشهد بلوكنت في الفرق بين الانسان والحيوان (وجه ٥٧) ولوكنت لا تعتبر لهُ كلمة في هذه المباحث وانما هو جامع لاقوال اهل العلم فيها . ويستشهد ايضاً بخطب "العلاَّمة" (واي علامة) كوك (وجه ٧٦) وكوك هذا تلميذ لاهوت مشهود لهُ بالتلفيق والمجازفة عند الذين يعرفونهُ حق المعرفة او يطالعون اقوالهُ ويقابلونها باقوال العلماء . وقس على مثل ذلك ما لا حاجة الى ذكرهِ

هذا وفي كل مناظرة يجب على المناظر ان يبيّن مركزهُ ووجهتهُ من البحث ويفهم مركز مناظرهِ ووجْهَتهُ من البحث ايضاً ليرى وجوه الأَخذ والعطاء معهُ والهجوم عليهِ والرجوع عنهُ والَّا فتكون مناظرتهُ خبطاً على غير هدًى ينصر بها نفسهُ تارةً وخصمهُ طوراً غير عالمٍ ما يعدُّ لهُ فوزاً ولخصمهِ انخذالاً . وهذا هو شأن كاتب الحق اليقين . فتراهُ تارةً يستنصر بداروين على انصارهِ الارتقائيين وطوراً بانصارهِ عليهِ ويحسب ان ذلك مبطلٌ لمذهب خصمهِ ومؤيّد لمذهبهِ . والحقُّ ان ذلك لا يضعف مذهب التحوُّل

وإلا لما كان اولئك العلماء اشهر انصاره . فاذا تخالفوا فانما يتخالفون في آرائهم الخاصة في بعض المسائل الخاصة ولا يتخالفون في ما اتفقوا عليهِ من ان احياء الارض تفرَّع بعضها عن بعض . وعليهِ فما ذكرهُ عن مخالفة الارتقائيين بعضهم لبعض لا يضعف مذهب الارتقاء ولا يفيد مذهب الخلق الخاصّ ولذلك يمكنك ان تحسب الاقوال الكثيرة التي استغرقت جانبًا كبيرًا من الحق اليقين مثل اقوال ولاس وميفرت وهكسلي وتندل ومجنر وأون وهكل وداروين اقوالاً لا تؤيد الاَّ مذهب النشوء والارتقاء ولو قرأها كاتب الحق اليقين في اماكن ورودها ونظر في قرائنها نظر أُولي الفهم لعلم ذلك حقّ العلم . ولكنهُ لقلّة اطلاعهِ يحسب المخالف لداروين في بعض اقوالهِ نافيًا لمذهب النشوء والارتقاء كما يحسب الذين يستشهد "مقلّدوهُ" باقوالهم مؤمنين والذين يخالفونهم في اقوالهم معطلين ولو كان الحقُّ عكس ذلك على ما تقدَّم في النبذة الأُولى من هذا الانتقاد

وكذلك اخطأ المقصود من ادلّة الخصم ولم يفهم قوّتها . وخطاؤهُ هذا منتشر من اول الكتاب الى آخرهِ فنقتصر على ذكر بعض الامثلة عليهِ

لا يخفى ان ما عاش وما هو عائش على الارض من حيوان ونبات مختلف الصور والاشكال والعادة ان نسمّي ما تشابهت صورهُ من افرادهما نوعًا . وانواع الحيوان والنبات كثيرة والمطلوب ان نعرف كيف حصلت . وقد قيل في جواب ذلك اقوال اشهرها اثنان : الاوّل ان كل نوع من هذه الانواع خُلِق وحدهُ مستقلاً عن غيرهِ خلقًا خاصًّا وانهُ يبقى على وجه الارض طول زمانهِ كما خُلِق ولا يتحوّل الى نوعٍ آخر . والثاني ان كل ما على الارض من حيوانٍ ونبات (عائش او بائد) اصلهُ نوعٌ واحد او بضعة انواع من الحيوان (وكذا من النبات) ثم تغيَّر شيئًا فشيئًا على طول الزمان حتى تحوّل الى الانواع الكثيرة التي نراها والتي انقرضت . والاوّل يسمَّى مذهب الخلق الخاص

والثاني مذهب التحوُّل . فصاحب الحقيقة ينفي الاوَّل ويثبت الثاني . وكاتب الحق اليقين اقتصر على نفي الثاني وقصَّر عن اثبات الاوَّل وذلك تقصير يلام عليهِ لانهُ على فرض انهُ ابطل مذهب خصمهِ لم يثبت بذلك مذهبهُ

ولنعُدْ الى ما نحن بصددهِ فنقول علمتَ ان صاحب مذهب التحوُّل يقول ان بعض افراد النوع تظلُّ تتغيَّر حتى تبعد كثيرًا عن اصلها وتصير نوعًا جديدًا . وشاهدهُ على ذلك ان بعض انواع النبات والحيوان التي دجنت بتربية الانسان منذ الوف من السنين قد تغيَّرت بالتربية تغيُّرًا عظيمًا ولا تزال تتغيَّر اكثر فاكثر في ايامنا هذه كما هو مشاهد وكما مثَّل عليهِ دارون كثيرًا في كتبهِ ولا سيَّما كتاب الحيوانات والنباتات الداجنة . فاذا كان التغيُّر لا يزال يتزايد منذ الوفٍ من السنين الى يومنا هذا فهو يظلُّ يتزايد كذلك الى ما شاء الله حتى تبتعد الافراد عن نوعها ابتعادًا كليًّا فلا تعود تحسَب منهُ بل تحسَب نوعًا آخر جديدًا

وههنا اول عثرة في سبيل كاتب الحق اليقين . فتارةً يقول "ان التغيُّر محدودٌ" (وجه ٥٣) كأنهُ يريد بذلك ان التغيُّر لا يدوم حتى يخرج بهِ الفرد من نوعهِ الى نوعٍ آخر وسترى سوءَ فهمهِ لذلك . وطورًا يقول "لا ريب ان كل فردٍ يختلف عن غيرهِ من افراد نوعهِ بصفات عرضيَّة هي المشخصات ولكن لا دليل على ان تلك العرضيَّات تصير ذاتيَّات او انها تزيد على نسبةٍ يخرج بها الفرد عن حقيقتهِ النوعيَّة" (وجه ٤٦) ثم يقول "فان قيل وما البرهان على ان الفرد لا يخرج بهذه التغيُّرات عن حقيقتهِ النوعيَّة قلنا ان لم نستطع اقامة هذا البرهان بما لنا من العلم اليوم لزم التوقُّف بالامرين" (وجه ٥٧)

اما قولهُ ان التغيُّر محدودٌ فقد بناهُ على ما نقلهُ بخنر عن دارون وهو "الاحياءُ مائلةٌ الى التغيُّر على اوجه مختلفة وحدٌّ محدود" (وجه ٤٨ من الحق

اليقين) ولو انهُ قرأ كتب دارون لعلم ان دارون يقول ضدّ ما فهم من هذا القول فقد افردَ في كتبهِ مقالات جمع فيها من الشواهد مئات لاثبات "انهُ لا يوجد دليل على ان تغيُّر الاحياء على توالي الازمان محدود" (انظر اصل الانواع . الطبعة السادسة وجه ٤٢٢ و٤٢٤) واما قول بخنر فيراد بهِ ان الولد يميل الى الاختلاف عن والدهِ اختلافاً محدودًا بحيث لا يحصل نوعان ممتازان كل الامتياز مثلاً من عقبين متواليين خلافاً لمن يزعم ان الانواع قد تحصل من انواع أُخرى بتغيرها دفعةً تغيرًا كليًّا (انظر وجه ٤٢٢ من اصل الانواع) . والعجب ان كاتب الحق اليقين يلوم من يقلِّد العلماء بعد فهمهِ اقوالهم وهو يقلّدهم ولا يفهم اقوالهم

بقي انهُ لا يسلّم بتغير افراد الانواع الى انواع جديدة لانهُ لا دليل على ان "العرضيّات تصير ذاتيّات" ولا ان التغير يزيد حتى "يخرج الفرد عن حقيقتهِ النوعية" . على انهُ لم يبيّن لنا ما مرادهُ من "العرضيّات والذاتيّات والحقيقة النوعيّة" . فقد اثبت دارون ان كثيرًا من الصفات التي تعدُّ ذاتيّة كانت اصلاً عرضيّة وأُخرى كانت تعدُّ عرضيّة فتمكّنت بالوراثة حتى صارت ثابتة في الصنف كلهِ وان كل عضوٍ من الاعضاء يقبل التغير الى ما شاء الله فالتهويل بالعرضي والذاتي في هذا الشأْن ليس من دأْب "ارباب البرهان" . واما الحقيقة النوعيّة فهو نفسهُ يقرُّ ان العلماء لا يعرفون ما هي ولا يستطيعون تعريفها (وجه ٦٥) ولذلك لم يستطيعوا التمييز بين الصنف والنوع في كثير من الاحياء . وقد زعم ان تعريف اللاهوتي هُدج لها "غاية في فصل النوع عن الصنف" وهو ان حقيقة النوع تقوم "اولاً بوجود خواص النوع في كل افرادهِ وثانيًا بقاء تلك الخواص في الاعقاب المتوالية وثالثًا القدرة على التوالد" (وجه ٦٥) فهذه الامور الثلاثة قد وضعها علماء الطبيعة انفسهم والعلاَّمة هُدج نقلها عنهم والعمدة فيها الامر الثالث اي التوالد الذي قضى

العلّامتان كولريتر وكرتنر حياتهما في اثباته ولم يستطيعا . واما خواص النوع فلفظة غير واضحة المعنى كالذاتي والعرضي اذ لا يعيّنها الّا علماء الطبيعة وهم غير متفقين عليها . ولو طالع كاتب الحق اليقين اقوال داروِن وما ذكرهُ عن توالد الانواع اذا زُوِّجَت وتفاوتها في الولادة والعقم وكذلك تفاوت الصنوف في الولادة والعقم لقلّت ثقتهُ في تعريف هُدْج وعذر العلماء على عدم اتفاقهم على تعريف النوع تعريفًا جامعًا مانعًا اذ لا يوجد في الطبيعة حدٌّ يفصل بين الانواع الّا بقدر ما يلزم عن مذهب التحوُّل

ولكن هَبْ ان الانواع الموجودة اليوم حقيقتها معيّنة معروفة فعدم امكان تحويل نوعٍ بالصناعة الى نوعٍ آخر لا يمنع من التسليم بمذهب التحوُّل اذا وُجدَت ادلّة أُخرى عديدة على صحتهِ . فدوران الارض على محورها وحول الشمس لم يثبت بالبرهان القاطع الّا منذ عهد غير بعيد ومع ذلك فقد سلّم جمهور العلماء بهِ منذ زمان طويل وتسليمهم بهِ انما كان لانهُ تعلّل بهِ حقائق كثيرة لا تعلّل بغيرهِ تعليلًا علميًّا مقبولًا . وهكذا يقال في مذهب التحوُّل فانهُ وان كان لم يقم عليهِ برهان قاطع فانهُ يعلِّل حقائق كثيرة لا تعلّل بمذهب الخلق الخاصّ . فهو "فرضٌ" تترجّح لهُ الصحة بقدر ما يصلح لتعليل تلك الحقائق . ومن هذه الحقائق الاعضاء الاثريّة السابق ذكرها فانهُ يمكن تعليلها بمذهب التحوُّل على قول داروِن اتمّ تعليل . ولذلك تعتبر دليلًا مرجحًا لصحّة النشوء والارتقاء . ولو ثبت الخلق الخاص لكان خلقها من العبث اذ لا فائدة لها في المخلوق . على ان كاتب الحق اليقين لم يدرك قوّة ذلك في كلام خصمهِ ولو ادركها لما قال "فليس ما يسمونهُ بالاعضاء الاثرية بدليل على نشوء الانواع من تغيُّر الافراد . وبهذا ترى سخافة قول صاحبنا 'لو كانت الانواع نتيجة خلق خصوصي لما اقتضى ان يكون فيها شيءٌ من الاعضاء المسمّاة اثريّة' وهل يقتضي الخلق الخاص ابطال الشرائع الطبيعية ومنع تغير المحدثات

ان هذا من اعجب ما خبط الخابطون" (وجه ٦٣) الى آخر ما نقعّر به

ومن هذه الحقائق المشابهة بين الاحياء في الاعضاء وهو الفنّ المعروف بالمورفولوجيا وقد جاء عليهِ كلام مجمل وجه ٣٢ وما بعدهُ من الحقيقة . فان هذه المشابهة قد عرفها علماء الطبيعة منذ زمان طويل ولكنهم حاروا فيها ولم يهتدوا الى تعليلها تعليلاً علميًّا مقبولاً الّا بمذهب دارون ولذلك نتخذ دليلاً مرجحًا لصحتهِ . وممَّا يندرج في ذلك ما كانوا يزعمونهُ من ان القرد يمتاز عن الانسان بان عضلة واحدة تقبض اصابعهُ وابهامهُ واما الانسان فلهُ عدا العضلة القابضة المشتركة عضلة خاصة بقبض الابهام . ثم وجدوا بعد البحث ان العضلة الواحدة تبتدئ بالانفصال شيئًا فشيئًا في القرود كلَّما قاربت اعلاها . وان العضلتين اقلُّ انفصالاً في الفروع المنحطَّة من البشر ممَّا هما في الفروع المرتقية . ولا يخفى ان هذا التدرُّج في انفصال عضلة الابهام عن العضلة المشتركة انما ينطبق على مذهب دارون وعليهِ فيكون الانفصال المذكور دليلاً مرجحًا لصحة المذهب الداروني . ولكن كاتب الحق اليقين لا يفهم ذلك ولو فهمهُ لما قال عنهُ (وجه ٧٥) "وهذا من الادلَّة على صحة قولي في المناهج انهم يدفعون الاعتراضات على اوهام باوهام مثلها او ادنى منها . فكان عليهِ (صاحب الحقيقة) وعلى من نقل ذلك عنهُ ان يثبتا الارتقاء اولاً ثم يدفعا الاعتراضات بهِ" . الى آخر ما جاء بهِ من سقط الكلام

ومن الحقائق المذكورة تكوين الاجنة فجنين كل حيوان يمرُّ اثناء تكوينهِ على صور ما دونهُ من اجنة الحيوانات على ما هو مجمل وجه ٤٢ وما بعدهُ من الحقيقة . وعلم تكوين الجنين يعرف بالامبريوجنيا وقد اشتغل العلماء فيهِ زمانًا طويلاً ولطالما لحظوا المشابهة المذكورة ولكنهم لم يعرفوا تعليلها حتى علَّلها دارون بتعليل يقبلهُ العقل السليم حتى ان علماء الامبريولوجيا انحازوا بجملتهم الى مذهبهِ على ما ذكر . وقد شهدوا ان تعليل الاجنة هذا التعليل البديع

اقوى دليل على صحة المذهب الداروني والظاهر ان كاتب الحق اليقين لا يعلم شيئاً من هذا القبيل على الاطلاق وانهُ لم يدرك معناهُ ولا فهم قوتهُ ولولا ذلك لما بالغ في التهكم على صاحب الحقيقة بقولهِ "وذلك لا يلزم منهُ ان الانواع نشأت من تغير الافراد الاَّ عند اهل الاوهام فانهُ تمثيل واهن فالقطع بذلك النشوء بهِ تكاد اكفُّ البهائم تصفق لغرابتهِ والاجنة تضحك بهِ . وهو الدليل الخادع عند المستر دروين" (وجه ٧٤) فيا ليت هذا المغرور المسكين قرأ ذلك في مطوَّلات اربابهِ قبل ان اقدم على اقوالٍ لم تبقِ شبهة في ان ادراكهُ للامور لا يكون الاَّ على عكس ادراك اهل العلم لها . ومما يضحك القارئ في خبطهِ قولهُ (وجه ٧٤) "ان علة مشابهة الجراثيم والاجنة الى ذلك الحد بساطة التكوين وقصر النظر" وايضاً "ولو ثبت نشوء دروين بتلك المشابهة لثبت ان البيضة وكرة الارض تفرعتا من اصل واحد" فان كان هذا الهذيان هو كلام "ارباب البرهان" فعلى البرهان واربابهِ السلام

وقس على الامثلة المتقدّمة سائر ما جاء بهِ على دحض ادلة النشوء والارتقاء فانهُ لم يفهم قوّتها ولا رأى وجه اثباتها لمذهب النشوء . واستيفاء ذلك وبيان خطائهِ فيهِ يستغرق مجلداً ضخماً ومراجعة اقوال بخنر وصاحب الحقيقة ومطوَّلات دارون وغيرهِ وهو ليس غرضنا في هذا الانتقاد

وقد اعترض على مذهب دارون اثني عشر اعتراضاً نصفها مبنيٌّ على عدم فهمهِ مذهب دارون وهو الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر . وامثال هذه الاعتراضات على المذهب الداروني عديدة ولكنها قد تناقصت كثيراً عما كانت عليهِ وهي تزيد تناقصاً بزيادة فهم الناس للمذهب المذكور . فذكر كاتب الحق اليقين لها من جملة الشواهد العديدة على انهُ لم يفهمهُ ولا اطَّلع على ردود اصحابهِ والمنتصرين لهُ

واما اعتراضهُ الاوَّل (وجه ٨٧) فلا يليق ورودهُ عمَّن كان من

علماء المنطق "وارباب البرهان" فقد تقدم انهُ قلّد القائلين بان التوالد يفصل النوع من الصنوف . وان الاحياء التي يستمرُّ النتاج بينها هي صنوف والتي لا يستمرُّ النتاج بينها هي انواع . وعليهِ يكون التوالد هو المعلوم والنوع والصنف هما المجهول . ولا يتصل الى معرفة هذا المجهول الاّ بذاك المعلوم . وليس في ذلك ما يمنع من امكان تغيُّر الصنوف بعضها عن بعض الى حد ان ينقطع استمرار النتاج من بينها فتُعَدّ انواعًا . واما في اعتراضهِ المشار اليهِ فقد جعل التوالد مجهولاً والنوع والصنف معلومَيْن عكسًا لما تقدم وزعم انهُ بهذا الدور ينفي مذهب دارون لقولهِ ان "صنوف النوع الواحد مهما بعد احدها عن الآخر يستمرُّ النتاج بينها بدليل المشاهدة والامتحان" فترى انهُ جعل ثبوت استمرار النتاج تابعًا لمعرفة صنوف النوع الواحد . ولذلك يلزمهُ ان يسلّم بوجود فاصل بين الصنف والنوع غير استمرار النتاج حتى يسوغ لهُ ان يعترض باستمرار النتاج وعدمهِ . فهو ينقل عن كتبة الادب على غير هدًى فينقض بنقلهِ عن الواحد ما قررهُ بنقلهِ عن الآخر من حيث لا يدري ويهزأ مع ذلك بطلاّب العلم المتابعين على اقوال العلماء

وقد حسّنت لهُ نفسهُ في هذا الاعتراض ان يعارض العلاّمة هكسلي في امكان استمرار النتاج بين البغال بقولهِ "والمحقق انهُ لا نتاج متصل او متسلسل بين البغال". نقول والمحقق الثابت انهُ لم يقل هذا القول الاّ لقلّة اطلاعهِ وضيق معارفهِ فكان الواجب عليهِ قبل ذلك ان يطالع الشواهد العديدة التي اوردها دارون عن تسلسل نتاج البغال تسلسلاً متفاوتًا من العقبين والثلثة الى ما لم تعرف لهُ نهاية . واما قولهُ ان "صنوف النوع الواحد مهما بعد احدها عن الآخر يستمر النتاج بينها بدليل المشاهدة والامتحان" فالذي حققهُ العلماء بدليل المشاهدة والامتحان ان حكمهُ هذا تحكُّم فان صنوف بعض الانواع يكون النتاج بينها اذا تزاوجت كما يكون بين افراد الصنف الواحد وصنوفًا

أُخرى ينقطع النتاج من بينها و بين هذين الطرفين مراتب متفاوتة في كثرة النتاج وقلتهِ . اما التي انقطع النتاج من بينها فيعدُّها البعض انواعًا واما الاكثرون فيعدونها صنوفًا. واما بقية الصنوف فهم متفقون على عدّها صنوفًا. فان كان النتاج يستمرُّ بين صنوف النوع الواحد مهما بعد احدها عن الآخر فلماذا لا يبقى فيها على درجةٍ واحدة ولماذا يقلُّ في بعضها حتى يعدم او يكاد. وقد سلَّم جمهور العلماء ان هذا الاعتراض اصبح من الادلّة المرجحة لصحة مذهب التحوُّل لا النافية لهُ

ولا حاجة لانتقاد سائر اعتراضاتهِ فعلى المطالع ان يقابلها بالرد عليها في شرح بخنر والحقيقة ويحكم بما يدلّهُ عليهِ عقلهُ . الّا انهُ لا يحسن بنا ان نغفل ما كرَّرهُ في اماكن متعدّدة من الحق اليقين نقلاً (بتصرُّف) عن اللاهوتي الفاضل مكوش وهو "ان الصنوف التي نشأت من افراد النوع بالانتخاب الصناعي او التربية اذا تركت وشأنها عادت شيئًا فشيئًا الى اصلها" قال دارون في ذلك ما ترجمتهُ "اني اجتهدت لأعلم ما هي الحقائق الاكيدة التي بنوا عليها هذا القول الذي اكثروا من تكرارهِ بجرأة عظيمة فذهب اجتهادي سدًى" وقال في كتابٍ آخر "ان هذا الرأي ليس عليهِ الّا دلائل ناقصة لا طائل تحتها" وأكد ان اكثر الحيوانات الداجنة اذا تركت وشأنها لم تستطع المعيشة فتبيد وانها اذا صارت بريّة لم يلزم ضرورةً ان ترجع الى صورة اصلها الاوَّل . اما كاتب الحق اليقين فلعدم توسُّعهِ في المطالعة جعل هذه القضيّة وقضيّة كون التغير محدودًا قضيّتين ثابتتين ثم بنى رأيهُ في التغير الدوري عليهما . وقد علمت ان احداهما فاسدة والأُخرى غير ثابتة ولا مرجَّحة فما قولك في رأيهِ المبني عليهما

اما اعتراضهُ الاخير المنقول عن السر وليم طمسن في ما يتعلَق بالزمان فالظاهر انهُ لم يطالعهُ في كتاب صاحبهِ بل نقلهُ عن بعض ادباء الافرنج .

ولولا ذلك لعلم انهُ غير ثابت ولعلهُ اذا طالع خطبة العلّامة جورج دارون التي تلاها على جمعيَّة العلوم الرياضيَّة والطبيعية في المجمع البريطاني منذ بضعة اشهر في ادلَّة السر وليم طمسن علم ما فيها من الخلل والريب وتحقَّق ان الاعتراض بها على المذهب الداروني اعتراض بفرض على رأيٍ كاد يثبت. وزد على ذلك انهُ لو ثبت راي السر وليم طمسن لم ينتفِ مذهب التحوُّل

هذا وبقي هناك امور كثيرة لا يمكننا ضيق المقام من انتقادها وهي ايضاً ناتجة عن قلة اطّلاع الكاتب او عن عدم فهمهِ معنى ما ينقلهُ او عن عدم ادراكهِ قوَّة الادلَّة او عن غير ذلك. وفي الكتاب من التعقيد اللغوي شيءٌ قليل كما في اواخر وجه ٢٩ ومن المغالطة والمواربة ومحاولة الكاتب لاخفاء اغلاطهِ شيءٌ كثير. وليس فيهِ ما يستحسن غير بعض الحوادث المقررة في مقالة التيراتولوجيا وتعريف الاستقراء عند المحدثين. الَّا انها لا دخل لها في البحث

والخلاصة ان مضارَّ هذا الكتاب تزيد على فوائدهِ زيادةً عظيمة جدًّا. على ان المتأمل فيهِ يتعلَّم منهُ ثلثة امور: الاوَّل ان المذهب الداروني ليس مذهباً كفريًّا بل يجوز للملّي التسليم بهِ كما يجوز للمعطّل. والثاني الحذر من تفويض اتمام المقاصد الحميدة الى من لم تُحمَد مقاصدهُ فان عاقبة ذلك وخيمة. والثالث ان تفويض البحث عن حقيقة لمن يجهل طرق البحث عنها ولا يعرف المعارف اللازمة لها يعود على المفوّض بالخسارة وعلى القارىء بالضرر. فان كان اصحاب النشرة الاسبوعية يرون من واجباتهم دحض المذهب الداروني فما بالهم لا يكلون ذلك الى اقدرهم عليهِ كجرَّاح المدرسة الكليَّة الذي قضى جانباً طويلاً من العمر في درس نبات سوريا ولا سيما لانهُ هو الذي اهاج مسألة المذهب الداروني في ديار الشام ولكنهُ ما لبث ان أثارها حتى تنحَّى عن خوض غبارها. وههنا مندوحة واسعة للافادة اذا رامها اذ البحث في هذه المسألة أسهل عليهِ من البحث في علم قلما اطَّلع عليهِ كعلم المتيورولوجيا وطقس سوريا

تجديد طعم الجوز القديم

لا يخفى ان الجوز القديم يتغير طعمهُ وقد وصفت جريدة "العلم للكل" الفرنسوية وصفةً ترد طعمهُ الى ما كان عليهِ وهو جديد وهي ان يوضع في وعاء ويصبّ عليهِ الماء الغالي المملح ثم يرفع من الماء ويبرّد فيعود اليهِ طعمهُ وهو جديد

فائدة البن لسمد الارض

قالت جريدة الزراعة الايطاليَّة ان الكيماوي الشهير باثن قد اثبت ان البن عظيم النفع لتسميد الارض لكثرة النيتروجين وفصفات الكلس في الراسب منهُ وزد على كونهِ من اقوى انواع السماد انهُ يقتل النباتات المضرة في ما زعم الكيماوي المذكور ويمنع الحشرات المؤذية عمَّا يسمد بهِ من النباتات. والتسميد بهِ يكون بمزجهِ بالتراب مزجاً جيّداً ووضع التراب على اصول النبات. ولا سيما الخُضَر وما شابهها قبلما تنمو حتى اذا اخذت جذورها في الامتداد تجد سماد البن معدًّا لها فتغتذي بهِ . وزعم الكيماوي المذكور ان البن يطيّب طعم ما يسمد بهِ من مزروعات الجنائن. نقول وتسميد الفل بالبن امر معروف ونفعهُ مشهور. وقد قالوا ان تسميد الشمَّام بهِ يطيّب طعمهُ ورائحتهُ

كيف ننام

ينام البشر ورؤوسهم مرفوعة على الوسائد حتى تكون اعلى من اقدامهم. وكلهم متفقون على ان الرقود على هذه الكيفيَّة هو الذي يريح النائم وينفعهُ. وقد ذكرت الجريدة الطبيَّة الانكليزية ان الدكتور منَلي هِلْتي يرى ان النافع للنائم عكس ذلك وهو ان يكون قدماهُ ارفع من راسهِ. ولذلك اشار على الناس ان يعوّدوا انفسهم الرقاد على هذه الكيفية بان ينزعوا الوسائد تدريجًا حتى يعتادوا النوم بدونها ثم يرفعوا الفراش تحت القدمين تدريجًا ايضًا حتى يرتفعا نحو عشرين سنتيمترًا عن الراس. وعندهُ ان هذا الاضطجاع يسهّل على الدم الدوران في الجسد وعلى الدماغ والاعصاب التغذي بما فيهِ من الغذاء لتجديد قواها الخائرة. ويقلّل تعب القلب في النبضان. ويأمن بهِ النائم احتقان الدم في الدماغ. قال ولم يبرهن احدٌ من اهل العلم او غيرهم ان رفع الراس عن القدمين في النوم يفيد ادنى فائدة. وعليهِ اشارت الجريدة العلميَّة الفرنسوية بتجربة ما وصف لتحقُّق فائدة ما قال لانهُ اذا لم يُفِد لم يضرَّ

قرون البشر

اذا صحَّ ما روتهُ جريدة "العلم للكل" الفرنسوية وجب على كتبة العرب من اليوم فصاعدًا ان يعدلوا عن استعمال لفظ القرن للانسان بمعنى موضعهِ في راس الحيوان والقرن للمرأة بمعنى ذؤَابتها اذ القرن ينبت على رؤُوس البشر حقيقةً لا مجازًا. قالت الجريدة المذكورة في صدد ذلك . اتوا حديثًا مستشفى سان لوي بقرن بشري طولهُ ٢١ سنتيمترًا (نحو الفتر) ويشبه قرن الكبش وقد قطعهُ الجراحون عن راس امرأَة من نواحي دِيَار. والظاهر ان امثال ذلك غير نادرة فقد ذكر العلماء نساء ذات قرون وجمع الجراح ديماركي منها تسعة وستين قرنًا. انتهى

وردت الينا رسالة من مرج عيون من جناب رفعتلو يعقوب أفندي جباره يثني فيها كل الثناء على عزتلو رشيد أفندي اباظه قايمقام ذلك القضاء لسهرهِ على واجبات وظيفتهِ وحثهِ الاهالي على نصب اغراس الاشجار المختلفة واصلاح الطرقات ومنع ظلم الملتزمين الذين تتبور الاراضي بسببهم ثم قال ان المطر كان غزيرًا في تلك البلاد واشار الى تحسين المزروعات وراحة الاهلين بانتباه الحكومة

دوران الاعمال على محور الاميال

لاحد الادباء

لا مراء ان الاميال والاعمال من خصائص طباع النوع الانساني بل من الصفات اللازمة الوجود والثبوت الدائمة النمو في كلٍّ من افرادهِ ما دام حيًّا . ذلك امر بليغ الوضوح والبيان غنيٌّ عن البرهان بعلمهِ الجميع بداهةً ويُشاهد عيانًا في كلِّ اينٍ وآنٍ

اما الاميال فهي انفعالات نفسيَّة تحرّكُ الانسان وتدفعهُ الى ميدان الكد والجهاد لادراك مطلب يراد نوالهُ . وهي انواع متعدِّدة ومتباينة . فتقسم عمومًا الى طبيعيَّة غريزيَّة وحادثة اكتسابيَّة . وتكون خصوصًا اما اراديَّة اختيارية او قسرية اغتصابية واما جيدة محمودة او فاسدة مكروهة مذمومة وغير ذلك الَّا انها لا توجد بجملتها في كلٍّ على حدٍّ سوى ولا تجتمع باسرها في شخصٍ واحد بل يختلف ويتنوَّع وجودها كاختلاف الاشخاص وتنوع درجاتهم واصنافهم . وما يُرى منها في الشخص الواحد لا يلزم حالة واحدةً ولا يثبت عند حدٍّ معيَّنٍ بل يتغير كتغير سنهِ واحوال حياتهِ العموميَّة . فكلُّ شخص انما تحد اميالهُ ويحصر عددها ونموها بالنسبة الى الدرجة التي وُجدت عليها القوة العقلية والجسديَّة وبالنظر الى ما تربَّى عليهِ من العوائد والمعارف والى الاسباب الفاعلة في تمرين قواهُ وتهذيبهِ وما يعرض لهُ من الاحوال المتخالفة مدة تدرُّجهِ في مراقي الحياة

واما الاعمال في حركات القوى العقلية وتأثيرات الاميال البشرية فتتمها قوة الاختيار اي الارادة الحرة بواسطة آلات الجسد عن سبق معرفة الغاية والانتباه الى جودتها او رداءتها وفقًا للامر الصادر من محكمة التمييز . وهي ايضًا متعددة متخالفة الانواع كتعدد البشر وتنوُّع اميالهم . ونسبتها الى الاميال

كنسبة الثمر الى الشجر او البناء الى الاساس حتى يمكن ان تعرف اميال الانسان ويحكم على ماهيتها واهمّيتها بمقابلتها مع اعمالهِ الظاهرة وقياسها عليها قياساً عقلياً . فالعلاقة بينهما ثابتة لازمة الوجود لزوم الرابط بين الموضوع والمحمول والفاعل والمفعول . لأن الاعمال ليست سوى وسائط تحدثها الاميال وتستخدمها وسيلةً لبلوغ المآرب وادراك المطالب . والاميال هي المركز الاصلي الذي تدور عليهِ سائر الاعمال او البخار الذي يحرك دواليبها توصلاً الى الغايات ونوال المقاصد

واما المصادر الاولية والاسباب الاصلية التي تنشئ وتقوي الاميال حتى تلجئ الى توسيع نطاق الاعمال فهي المطالب الجليلة السنية والرغائب العظمى الشهية المعروضة لدى ابصار الجميع التي تتسابق اليها ارباب العقول وافراد الرجال في ميادين الاعمال وساحات الكد ومزاولة الاشغال . و يخاطر لاجلها ذوو الحزم والاقدام هازئين بالمخاطر والاهوال ولو ادَّت الى تجرع كؤوس الحمام . لعلمهم انَّ امتلاكها ينيل الكرامات و يرقي الناس الى اسمى المقامات و يرفع بعضهم فوق بعضٍ درجات . لا سيما وتلك المطالب فائقة الحصر جليلة المقام والقدر . لا يزيدها الذكر شهرةً ولا التعداد كثرةً كالتقى والفضيلة والآداب الصحيحة النقية وشرف الانسانية والعلوم والمعارف السنية ورتب المجد والرياسة ودرجات السلطة والسيادة والشهرة والعظمة والمال والاملاك والملذّات والمسرّات وغير ذلك مما تغني اليهِ الاشارة عن بسط العبارة الامور التي تملأ دائرة الكون من كل معقول ومحسوس وتجعلهُ معرضاً فسيح الرحاب غير محدود الجهات حتى كيفما اتجهت الافكار والحواس يجد كلٌّ فيهِ ما يروق لنظرهِ و يحلو لذوقهِ و يوافق مشربهُ واميالهُ

وكأني برجال العالم اجمع قد وقفوا صفًّا واحدًا تجاه هذا المعرض الجليل الشان العظيم القدر وجعل كلٌّ منهم يحدق بابصارهِ الى ما حواهُ من المواضيع

الحسنى والمطالب الشهية العظمى ثم اخذ يقابل و يقيس ما عندهُ من الاستعداد والقوة والاقدام والشجاعة على المصاعب والمشقات التي لا بدَّ لهُ من ملاقاتها والتغلب عليها قبل بلوغهِ الغاية التي حركت اميالهُ الى نوالها والتمتع بها. و بعد ان اطال الجميع امعان الفكر والنظر في القياس ودققوا البحث في المقابلة قال قسمٌ منهم بصوت انهكهُ الفشل وقطَّعهُ التنهد

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركهُ تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

غير عالمين بان قوة الاميال وشدة العزائم قد جعلت السفن ان تخوض لجج البحار المزبدة كما تختار وتشتهي ضد هوج الرياح والعواصف . وانقلبوا على اعقابهم بالخيبة والخذلان يسندون قواهم الواهنة القاصرة وهممهم العاجزة المتقاصرة بقول الشاعر

مالا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ ابدًا وما هو كائنٌ سيكونُ

سيكونُ ما هو كائنٌ في وقتهِ واخو الجهالة مُتعَبٌ محزونُ

حاسبين ان ما قدِّر نوالهُ لكلٍّ من البشر سوف يجدهُ في المنام او في مجالس الكسل والاهمال دون تكلف الى الكد والعمل واغتنام الفرص بكل حرصٍ وانتباهٍ واما القسم الآخر فهتف بصوتٍ زجل رنان يزري بانغام البلابل على الافنان

لا تقل قد ذهبتْ اربابهُ كلُّ من سار على الدرب وَصَلْ

وشمروا عن ساعد العزم والنشاط يتسابقون في ميادين الجد الى خطير الاعمال و يخوضون في لجج مشقات الاشغال بقلوب لا ترهب المخاوف ولا تريعها الاهوال ووجوه تتبسم كلما تعسرتَ وتعاكست الاحوال يصرخ الواحد

لاستسهلنَّ الصعب او ادرك المنى فما انقادت الآمال الاَّ لصابرِ

فيجيبهُ الآخر

تحقَّرِ عندي همتي كلَّ مطلبٍ ويقصرُ في عيني المدى المتطاولُ

اقول وان يكن مقال كلٍّ من الفئتين باخلاق آلو جديرًا حليفًا فهو نظرًا الى الاسباب التي الجأت كلاً منهما الى ما نطق بهِ بحُسب صحيحًا حقيقًا. لانهُ ليس بالامر السهل على الجبان الضعيف الارادة والاميال ان يدرك المطالب التي دون نيلها خرط القتاد وتضحية الحياة على مذبح الجد والاجتهاد ولا يستحيل نيلها على المجتهد الراغب الذي لا يبالي بالاتعاب والمصاعب . ولا شك بان من كان فاقد الشجاعة غير ثابت النية والارادة يرى القريب بعيدًا وسهل الامور مستحيلاً فيقطع الامل من كل غاية وبغية ويتهور في وهدة اليأس والقنوط . واما ذو الميل الشديد والعزم الوطيد فيثبت القدم ولو عزَّت المطالب وحالت دون نيلها اشد الخطوب والنوائب . معتصمًا بحبل الرجاء وعروة اليقين . متحققًا بان (لفظة المستحيل لا توجد الَّا في قاموس المجانين) فلا يثني عن قصدهِ ولا ينيخ مطية الحزم والاقدام حتى تذل لهُ الصعاب وتدين لهُ شوامخ الشدائد ذلاً وخضوعًا ويقطع لج المخاطر والاهوال قوةً واقتدارًا ويطأ باخمصيهِ قمة المعالي وتحني لهُ مراقي الفخار رؤوسها تعظيمًا وتوقيرًا ويحييهِ بشير المجد والنجاح والنصر والفلاح اجلالاً واكرامًا . ذلك قانون مطرد وسنة ثابتة ظاهرة في حياة العموم والافراد في كلِّ قطر وناد والادلة على حقيقتها فائقة التعداد راهنة المبادىء كاصدق البينات واوضح الاوليات . يصادق على صحتها كل من طالع تراجم المشاهير والافراد الذين ذاع صيتهم في الآفاق وامتازوا عمن سواهم اما باحراز العلوم وكسب المعارف والفنون او بترقية الصنائع واختراع الآلات واكتشاف الغوامض والاسرار الطبيعية . بل كل من تصفح تواريخ الامم والممالك العظمى التي قامت في سالف الاعصار وسادت الاقطار وحكمت الامصار ودقق البحث عن الاسباب التي كانت ترقيها الى اوج المعالي وذرى العز والفخار والبواعث التي كانت تدك اركان ملكها ودعائم سلطتها ونجاحها الى اسفل دركات الانحطاط والبوار

على انهُ وان كان الباعث على التاخر والانحطاط ضعف الاميال والعزائم وعدم ثبات النية والارادة فليس مجرد قوة الميل وشدة الحزم هي فقط الاسباب المؤدية الى التقدم والارتقاء وبلوغ الاماني والغايات بل انما تكون سبباً لذلك متى كانت مؤسسة على مبادىء الحق والاستقامة ومبنية على ناموس الضمير وآداب الانسانية الحقة لانها متى بنيت على مبادىء الفساد والدناءة ولم تركز على اساس الحق والاستقامة لا يكون اصحابها الاَّ اللعنة الكبرى على البلاد والنقمة العظمى للعباد والسبب الاقوى المؤدي الى الخراب والدمار والانقلاب . اذ من المحقق بانهُ حيثما يوجد شخص ثابت الميل والارادة شديد الهمة في الاعمال ولكنهُ مطبوع الاخلاق على الفساد والرداءة وعدم الحق والاستقامة يكون اينما توجه صاعقة جهنمية مهلكة اشد بطشاً من الوحوش الفاتكة والذئاب الكاسرة وحيثما حل يحل الويل والبلاء والتدمير والفناء . ولكن متى كانت اميالهُ القوية وشدة همتهِ العلية مقوَّمة على سنة الحق ومفطورة على مبادىء الاستقامة يكون عَلَم الهدى ونبراس الرشاد ولواء الفخر في البلاد وركن النجاح والعمران الذي يقوم عليهِ تقدم الاوطان . اذا خاض بحر العلوم جنى لابناء وطنهِ درر الحقائق والفوائد ونشرها لافادة العموم وانارة الاذهان . وكشف الحجاب عن دقائق المعارف فانجلت للابصار والاذهان كزواهر النيرات . وان مدَّ يدهُ الى معاطاة المهن واحتراف الصنائع اتى بالعجائب وبدائع الغرائب من كل عمل مفيد واختراع جديد يساعد على اعلاء شأن الاوطان فينال عليهِ اطيب الحمد والثناء من الخاص والعام . واذا تولى منصباً خطيراً اظهر حكمة وحزماً وتدبيراً وكان لكل ضعيف وقاصر ملجأً ونصيراً ودمَّر ذوي البغي والفساد تدميراً ومهد سبل الاستقامة باظهار الحق واجراء المساواة بين الجميع وجعل سنَّة العدالة والانصاف جزءاً من حياتهِ يجري مع دمهِ في عروقهِ فيرتع الناس تحت لوائهِ في بحبوحة الراحة والامن

والهناء ويكون لهم موضوع حمدٍ وثناء ومنار هدًى ونجاحٍ وارتقاء

ويتضح ذلك جليًّا كما ذكر انفًا من تصفح مطولات تواريخ الممالك والامم القديمة التي اضمحلت وتلاشى من الارض سلطانها وانقرض ملكها ووجودها كالمصريين والبابليين والاشوريين والفرس واليونانيين وغيرهم الذين كشف لنا التاريخ جل اخبارهم واطلعنا على اسرارهم واسباب تقدمهم ونجاحهم وعلل انحطاطهم وانقراضهم فترى ان كل قوم منهم حينما كانوا يقرنون قوة العزم وثبات الارادة مع الحق والعدالة في اجراء المقاصد والاعمال ويثبتون الاميال والمشارب على مبادىء الشهامة والاستقامة في الافعال ويراعون حرمة الآداب والانسانية في سائر الاحوال كانت تهتز لسطوتهم الجبال الرواسي ويرقيهم النجاح الى ذرى المجد والفخار ويكللهم التقدم بتيجان العز والانتصار ويسودون على بقية الشعوب بصولجان الهيبة والقوة والاقتدار وتمطر على بلادهم سحب الغنى والثروة وتتدفق عليهم ينابيع النعم والخيرات وتصبح بلادهم جنة نعيم يرتعون فيها بالامن والاقبال وتصفو لهم كؤوس الراحة والمسرات فيتفرغون اذ ذاك لاجتناء درر العلوم والفوائد واعلاء منار الحكمة والمعارف وينبغ فيهم المشاهير والافراد اهل الحزم والسداد ويقوم منهم القواد والمدبرون العقلاء والمصنفون الحكماء والمؤرخون الفضلاء والشعراء البلغاء والادباء النبلاء وينشأ بينهم جبابرة الحرب والصدام وصناديد الضرب والطعان وسائر العظماء والمشاهير الذين طار صيتهم في البلدان ممن كانت تعقد لهم الخناصر ويشار اليهم بالبنان. ولكن حينما كانت تفسد اميالهم وينحرفون عن مناهج الجد والصواب ويتهافتون على الملاهي والبذخ والاسراف وارتكاب الدنايا واجتراح القبائح والرذائل وينبذون شرف الحق والانسانية كانت تستأصل من صدورهم البسالة والشجاعة ويفقدون النخوة والمروءة والحماسة وتبارحهم شهامة النفوس فتنقضّ على الوية مجدهم صواعق العطب والمهالك

وتدهم بلادهم دواهي النوائب وجيوش الملمات والمصائب وفواتك الخراب والدمار فتتزلزل حصون ملكهم واركان سلطانهم وتنقلب وتدك شوامخ عزهم واقتدارهم الى حضيض الشقاء والهوان ودركات الذل والخذلان وتذهب باثارهم ادراج الرياح بعد ان تجرعهم علقم العذاب وغصّات الموت من كؤوس الشدائد والمرائر ويصبحون اثرًا مأثورًا وخبرًا مذكورًا وعبرة لمن يقوم بعدهم على وجهِ البسيطة جيلاً فجيلاً . لان التقدم والارتقاء والتاخر والانحطاط في كل بلاد يدور على محور الاخلاق والاميال

هذا واذا اردنا ان نقيس نجاح اوطاننا وتقدمها العمومي الحالي على هذه القاعدة . ونقابل احوالها بالتدقيق على هذا القانون نجد تلك النتيجة عينها اي ان درجة التقدم والنجاح العمومي الحالي في العلوم والصنائع والزراعة والتجارة توازي الدرجة التي ارتقت اليها الاميال العمومية تمامًا وتوازن مقدار نمو روح الجد والغيرة والاجتهاد في السعي وراء تلك المقاصد والمطالب الجليلة . وما نجدهُ من التاخير والتقصير عن الدرجة المطلوبة والانحطاط عن الرتبة المرغوب فيها لا يزيد عن تقصير الاميال والهمم الباقي فينا لحد الآن وسيدوم هذا التاخر والخلل ما دامت عزائمنا واهنة وهممنا واميالنا ضعيفة قاصرة . لان التقدم والتاخر يتغيران كتغير الاميال دون ادنى شبهة وخلوًّا من كل ريبة

وبناء على ما تقدم يلزم قبل مسك عنان القلم ان نقرر الامور الآتية وهي . انهُ لا يمكننا ازالة موانع النجاح والتقدم التام من بلادنا العزيزة ولا يتسنى لها بلوغ المطالب والارتقاء الى قمة الفلاح التي نتمناها لها قبل النظر والالتفات الى ايجاد اسباب فعالة تنبّه من البلاد روحًا جديدًا وتربي ميلاً ثابتًا عموميًا شديدًا يؤدي الى تلك الغاية . ولا يتهيأُ لنا ذلك مالم نرَ كل ذي عقل ومعرفة في الوطن بل كل وطني" حرّ ومقتدرٍ يفضل تقدم بلادهِ ونجاحها على نجاحهِ

الذاتي وحياته وعنده غيرة مفرطة ومحبة فائقة لتشييد عدد المدارس الوطنية العالية وانشاء المراكز العلمية الوافرة والمكاتب العمومية الزاهرة وله رغبة شديدة في تكثير سائر الوسائط لاكتساب العلوم والفنون وتقدم الزراعة واتقان الحرف والصنائع وبقية الاشغال المتنوعة . فكيف يتأتى لنا ان نرى الوطن العزيز صاعداً في مراقي الفلاح ما لم نجد العدد الوافر من ابنائه النجباء قد تضلعوا في المعارف والفنون وخصصوا حياتهم لخدمة العلم ونشر الآداب وتهذيب اخلاق العموم وتربية الفتيان والفتيات والسعي وراء كلّ امر يأول الى اصلاح الاحوال العمومية . وانّى يتاح لنا ان نرى بلادنا المحبوبة تتدفق عليها ينابيع الثروة والغنى اوبالاحرى يبقى فيها ما يحصل منها من النعم الوافرة والخيرات الجزيلة ما لم نجد جانباً كبيراً من شبانها الاقوياء الاذكياء قد تجردوا لمعاطاة الصنائع والتفنّن في كل نوع من الحرف والاعمال كي يسدوا احتياجات البلاد ويوفروا المبالغ العظيمة التي تفوز بها الاجانب على الدوام ثمناً لمصنوعاتهم وبضائعهم العديمة الاقامة والثبات التي قد راجت سوقها فملأت المدن والقرى واكتفى بها الخاص والعام وامانت الاشغال والصنائع الوطنية وقطعت اسباب الرزق والمعاش عن كثيرين من الصناع واهل الحرف في هذه البلاد

وعلاوة عمّا ذكر يجب ان يتقرر عند من تخولوا امر التعليم في المدارس والمراكز العلمية الحالية وأُلقيت على عاتقهم مسألة تعليم وتهذيب الفتيان والفتيات ولا سيما الذين اخذوا على انفسهم مسئولية تربية وتعليم احداث السن بانهُ ليس المقصود من التعليم تنوير العقول والاذهان بنور العلوم والمعارف مجرداً بل اكسابهم الاميال والصفات والاخلاق الشريفة وتربيتهم على روح المروءة والنخوة والشجاعة الادبية وتوجيه افكارهم الى اسمى الفضائل واسنى المطالب وكبح جماح ما يظهر فيهم من الاميال الدنيئة والافكار والاخلاق الرديئة

وتأسيس كلما ذكر وما لم يذكر من الصفات الادبية الحميدة على مبادىء الحق والاستقامة والامانة وزيادة على ذلك يجب ايضاً على كل الوالدين والمربين والمعلمين الالتفات الى مشرب الولد الطبيعي وملاحظة اميالهِ الخصوصية ومن ثمَّ يباح لهُ ان يتعلم ما يميل ذوقهُ وعقلهُ اليهِ كما قرَّر ذلك كثيرون من ارباب المعرفة والاختبار الذين حنكتهم التجارب والامتحانات المستطيلة. ولا يجوز اجبار ولد على تعلم ما لا يميل اليهِ طبعاً لان ذلك يجعلهُ غير مفيدٍ ولو كان ذكي العقل واسع الفطن بل يقف مانعاً في سبيل تقدمهِ في العمل ونجاحهِ مدة الحياة. ومتى روعيت هذه المبادئ الاصلية وغيرها لا يحتمل المقام ذكرهُ وتفصيلهُ حق المراعاة ينمو حينئذٍ في البلاد ميل عمومي عظيم الى محبة الاوطان والى الجد والاجتهاد والسعي وراء كل مطلب جليل فيزداد التقدم سرعةً ونمواً واتساعاً ويرتفع شان الوطن بارتقاء ابنائهِ الى خير حال ويُدفع العار الذي اورثنا اياهُ زمان والاهمال ونتدرج في مراقي الكمال ونبلغ اسمى المطالب واجل الغايات والرغائب لان نجاح الاحوال وتقدم الاعمال يدور على محور الاعمال

عوائد الهنود

لجناب يوسف افندي بشتلي

من الامور التي يحق للهنود الافتخار بها حبهم المفرط بعضهم لبعضهم ولا سيما لانسبائهم فيبذلون الدرهم والدينار لمساعدتهم ولو بهم خصاصة. والزواج عندهم من الفروض الواجبة على كل شاب ويتزوجون احداث السن فابن البراهمة يجب عليهِ الزواج

في الثامنة من عمرهِ . اما ابناء بقية الرتب فحسب اختيار والديهم.
ويتزوج البنات غالبًا قبل العاشرة. وعلى الوالدين نفقات
العرس. واذا ابقى برهمي ابنتهُ الى الحادية عشرة بدون زواج
يطرد من رتبتهِ ووظيفتهِ. وقد جرت عادة بيع البنات عند الهنود
مع انها محرمة في كتبهم وشرائعهم. وشرط الزوجين ان يكونا من
رتبة واحدة الاَّ انهُ يجوز ان تكون الزوجة من رتبة ادنى ولا
يعكس وبهذا تنتقل الفتيات من رتبة والديهنَّ الى رتبة ازواجهنَّ.
ومن غرائب البراهمة انهُ اذا مات بعل المرأة او خطيبها لا يحق لها
الزواج ثانيةً فتمضي حياتها ارملة مرذولة وتضطر ان تحلق
رأسها وتنزع صلاها وتُحرَم من الحضور الى الولائم. ويجوز لارامل
بقية الرتب الزواج ثانيةً الاَّ ان ذلك نادر جدًّا. وكثيرًا ما تفضّل
الارملة الموت عن هذه الحياة المرَّة فترمي نفسها على المحرق الذي
تحترق عليهِ جثة زوجها المتوفَّى

ويقيمون للعرس اعظم الاحتفالات وينفقون عليهِ النفقات
الكثيرة ويدفعون مالاً طائلاً للمنجمين ليجدول للعروسين يومًا
سعيدًا. ويستشيرون اصنامهم عن حسن طالعهما فيبلّون زهورًا
ويلصقونها على خدَّي التمثال او صدرهِ فاذا سقطت ازهار

الجهة اليمنى اولاً دلت على توفيقهما وحسن حظهما والعكس بالعكس. وطقوسهم في رسوم الزواج كثيرة وهي طويلة مملّة يتلوها البرهمي بعجلةٍ في اللغة السنسكريتيّة فلا يفهمها الحاضرون. ويتم زواج البراهمة بربط ثياب العروسين معًا ودورانهما حول نار متقدة ثلاث مرات. وتقام الولائم في بيت ابي العروس حيث تبقى العروس الى سن البلوغ فياتي العريس بالمشاعل ليلاً مصحوبًا باهلهِ وخلانهِ ويزفونها بموكب حافل وحينما يصلون الى بيت العريس تستقبلهم آلات الطرب بالانغام الشجيّة ويكون البيت مزينًا بالانوار الساطعة مدبجًا بانواع الحلى والزخرفة. وهذه الاحتفالات من السنن المفروضة عليهم فينفق عليها الغني قدر طاقتهِ ويقع الفقير بسببها تحت طائلة الدين الذي قد لا يتيسر لهُ ايفاؤهُ الاَّ بعد سنين كثيرة

والهنود يفضلون البنين على البنات وقد شاع الضرار بينهم مع ان شرائع "مانو" تنهى عنهُ الاَّ في الاحوال الآتية وهي اولاً متى كانت الزوجة عاقرًا جاز للرجل الاقتران باخرى بعد ثماني سنوات من زواجهِ ثانيًا متى توفي جميع ابناء الرجل جاز لهُ في السنة العاشرة ان يتزوج ثانيةً. ثالثًا اذا لم يولد للرجل الاَّ بنات

جاز لهُ ان يتزوج باخرى في السنة الحادية عشرة

ومنزلة المرأة عندهم اخفض من منزلة الرجل فلا يسوغ لها ان تتناول الطعام معهُ ولا ان ترافقهُ في الخارج وان احوج الامر لتمشي معهُ مشت وراءهُ . ونساء رعاعهم يساعدنَ رجالهنَّ في الاشغال الشاقة كحراثة الارض وحمل الاثقال

ويحتفلون بولادة اولادهم وبعضهم يطعم الطفل عند ولادتهِ قليلاً من الشهد ويسمون اطفالهم بعد مضي ١٢ يوماً من ولادتهم. ومن الاسماء الشائعة عندهم النور والسلام والصحة الخ. ويولمون وليمة بعد ولادة الطفل باربعين يوماً ويذبحون فيها تيسين اذا كان المولود ذكرًا وتيسًا واحدًا اذا كان انثى ثم يحلقون شعر الطفل ويقدمون الشعر محرقةً للاصنام

واذا اشرف احدهم على الموت يحملهُ اقاربهُ الى ضفة نهر الكنج او غيرهِ وينتظرون حلول اجلهِ بفروغ. صبرٍ وعند آخر رمق يصبون قليل ماء في فيهِ لتطهير روحهِ. واذا طالت مدَّة المريض فكثيرًا ما يملُّ اقاربهُ من الانتظار فيقتلونهُ بسد فيهِ وانفهِ واذنيهِ بطين النهر. ومن اشرف على الموت وكان بعيدًا عن الانهر يخرجونهُ الى خارج البيت ليقضي نحبهُ فوق التراب مقاسيًا

حرّ الشمس وبرد الليل . ويعجلون بفروض الجنازة بعد مبارحة الروح للجسد فيقيمون المحرق بالقرب من نهر او بركة ويضرم نارهُ ابن المتوفَّى الاكبر (لان من اضرم النار على محرق المتوفَّى ورث مالهُ وامتعتهُ) ويضعون الجثة عليهِ فتحترق . ويحتفل اهل الميت مرة في اول كل شهرٍ مدَّة السنة الاولى تذكاراً لهُ ثم مرة كل سنة ولهذه الاحتفالات المقام الاول في ديانتهم

ومن عوائدهم انهم يحسبون استعمال اليد اليسرى في السلام او الاكل او غيرهِ عاراً عظيماً . والضيف لا يرحل ان لم يشيعهُ صاحب البيت باشارةٍ وهي عند اسلام الهند تقديم روائح عطريَّة وعند البقية وضع اكليل من الزهور حول عنق الضيف . واذا زار وطنيٌّ افرنجياً يظل جالساً الى ان يقال لهُ "اب جاو" اي ارحل الآن . الاَّ ان الافرنج المستوطنين اصطلحوا على عبارات لطيفة كقولهم "لا تقطع زيارتك عنا" او "تعود على زيارتنا دائماً" فيفهمها الضيف ويرحل . واذا قدم احد اليهم ثلاثةً من اي شيء كان حسبوهُ احتقاراً فيجب ان تكون اكثر من ثلاثة او اقل

ومن عوائدهم انهُ لا ينبغي للضيف ان يذكر زوجة صاحب البيت في حديثهِ واذا اراد ان يسأَل عن صحتها مثلاً قال "كيف

صحة البيت". ويعتقدون بالعين ويتطيرون وعوضاً عن ان يقول احدهم للآخر بلغني انك كنت منحرف المزاج "يقول ان اعداءك كانوا منحرفي المزاج". واذا تعجب الضيف من شيءٍ امامهُ استدل صاحب البيت انهُ يريدهُ فيقدمهُ لهُ. ومن عوائدهم انهم يحرمون قتل الحشرات فاذا عثر واحد بواحدة منها في عمامتهِ او ثيابهِ نزعها ووضعها على الارض فتسرح بسلامٍ. ويتشاءمون من قتل القرود والطواويس والكلاب والذئاب. وذبح البقر من افظع الخطايا

بقي علينا ان نذكر شيئًا عن هيئاتهم وملابسهم ومساكنهم ومآكلهم فنقول. يمتاز اهل الشمال عن اهل الجنوب بطول القامة وقوة البنية وخفة الحركة وحسن اللباس. ويمتاز الهنود عن غيرهم من الشعوب باهليلجية الوجه وسواد الشعر والعينين واسمرار اللون ورقة الشفة ونحوفة الجسد وحسن المنظر وجميعهم يحلقون رؤُوسهم ولحاهم ويعتمون بالعمائم. وتتألف ملابسهم غالبًا من ثوبين من القطن يلفون احدهما على احقائهم حتى ركبهم ويلفون الآخر على اكتافهم ويلبس نساءهم كالرجال الاَّ ان الثوب الاول يصل الى الرجلين وبالثاني يغطين رؤُوسهنَّ

ايضًا . ومن غريب عوائدهم انهم يتعرَّون تمامًا مدَّة اقامتهم في بيوتهم . ويتحلون في اعيادهم واحتفالاتهم بكل انواع الحلى فيلبس رجالهم كنسائهم وابناؤهم كبناتهم اسوار وقلائد واقراطًا ذهبية او فضية . ويلبس النساء فوق ذلك خزائم في انوفهنَّ وخلاخل في ارجلهنَّ وخواتم في ابهامهنَّ ويزيّنَّ شعورهنَّ بتعلق قطعٍ من النقود الذهبية فيها

اما مساكنهم فحقيرة فاسدة الهواء لقلة الشبابيك فيها . وقلما يستعملون الكراسي والاسرَّة . وينامون على الحصر وكثيرًا ما ينامون خارج البيت لشدَّة الحر . ويستعملون للركوب الخيل والجمال والافيال والهوادج وهوادجهم صناديق يحملها الرجال بعمد مارَّة في اعلاها

اما طعام الهنود ففي غاية من البساطة فالبراهمة لا يذوقون اللحم ولا البيض اذ فيه جرثومة الحياة . وكثيرون غيرهم يحرمون اللحم ويحللون السمك وكلهم يرفض لحم البقر . ويستعملون التبغ مضغًا وتدخينًا والافيون تدخينًا واكلاً . اما مدمني الخمر منهم فقليلون جدًّا . والعابهم حقيرة ومنها الصيد بالصنَّارة والسفر بالقوارب ويكثر في ولائمهم الرقص والانوار المختلفة الالوان

والالعاب النارية بمصارعة الديوك ويتسلَّى رعاعهم بلعب الورق والقمار والشطرنج وكبارهم بالصيد والقنص

اوطان بعض النباتات

وطن الفجل بلاد الصين اي البلاد التي وجد فيها اولاً ونُقل منها الى غيرها . ووطن الخيار بلاد الهند . والفول بلاد مصر على ما يُظن . والسفرجل جزيرة كريت . والجوز والدراقن بلاد العجم . ودوار الشمس بلاد بيرو . والسبانخ بلاد العرب . والاجاص (الكمثري) والتفاح اوربا . والبقدونس سردينيا . والتوت بلاد العجم . والاترج بلاد اليونان . والتبغ بلاد فرجينيا باميركا . والبصل بلاد مصر . والكستنا (الشاه بلوط) بلاد ايطاليا

كرمٌ من وراء المدافع

في اوائل الشهر الماضي دفع السر وليم ارمسترُن للجمعيَّة العلميَّة الملكيَّة سبعة آلاف وثماني مئة ليرة انكليزية دفعةً واحدة . ولا يخفى ان هذا الرجل مشهور باختراعاتهِ الكثيرة في عمل المدافع والآلات الحربيَّة

كنوز المنافع

في منتخبات الملح والفكاهات والصنائع

كليوباترا

ان كليوباترا هي من الملوك البطالسة الذين تغلبوا على مصر عقيب دولة الفراعنة المنقرضة. اقترنت باخيها (بطليموس ديونيسيوس) سنة ٥٢ قبل الميلاد وكان في سن الثلاث عشرة وهي في السابعة عشرة فسوَّلت لها نفسها الاستئثار بالعرش دونهُ فقاومها رجال البلاط واوصياء زوجها القاصر حتى اذا اعيتها الحيل عمدت الى الاستنصار (باغسطوس) قيصر الرومان فأَلَّف ذات بينهما ولكنها بعد قليل تزوَّجت باخيها الثاني ولم يكن قد اتى عليهِ أحدى عشرة سنة فنودي بهِ بامر قيصر ملكاً على مصر ثم مات هذا مسموماً بعد زواجهِ باربعة اعوام. ولما خلا العرش من ملكٍ بعث انطونيوس احد مشتركي دولة الرومان

الاربعة فاستدعى (كليوباترا) الى طرسوس حيث كان ذاهباً لمحاربة (بروتوس) الروماني فلبّت الدعوة وسارت على اجنحة الرياح حتى بلغت نهر طرسوس. وهنالك اتخذت لها سفينةً فاخرة الاثاث ارجوانية السُجُف والقلاع مزدانة ببديع الاواني ونفائس الجواهر وافرغت على قدها الفتان حلّةً كسرويةً مدبجةً بالماس والدرّ وكلّلت جبينها الوضّاح بتاجٍ وهّاج والبست وصائفها الحُور ثياباً خضراً من سندسٍ واستبرق وتصدّرت بينهنّ كأنها الشمس وكأنهنّ البدور وهنّ يضربنَ بالعيدان والقياثير ويطلقنَ الندّ والبخور حتى عبق الشاطئُ برياها وماج النهر طرباً بنغمات اعوادهنّ ولألاء محيّاها. فلما لقيها (انطونيوس) استطار فؤادهُ شغفاً وذهب رشدهُ هياماً وكلفاً فما عتم ان عاد معها الى الاسكندرية وهناك زُفّت عليهِ حليلةً فلم يستطع بعد على فراقها صبراً فغادر واجباتهِ ومهامهُ الى التقادير واصبح حِلس بيتهِ لايستفيق من خمرة حبها سكرًا

ولما طار الخبر الى زوجتهِ الاولى (اوكتافيا) نزغها من شيطان الغيرة نازغٌ فاغرت اخاها (اوكتافيوس) احد الشركاء الاربعة على مناصبتهِ والانتقام منهُ فحشد جيشاً خميساً

وقصد الديار المصرية فتغلَّب عليها بعد نزالٍ يشيب لهوله الوليد
ولما حمي الوطيس واحسَّ انطونيوس بسوءِ المنقلب سقط في يدهِ
ولات حين ندامة فتناول مديةً وطعن بها ثدية فكانت القاضية .
واما (كليوباترا) فلما لم تنطلِ اساليبها على اوكتافيوس ولم تقوَ
على اختلابهِ بما أُوتيت من الجمال الباهر واللطف الساحر
تبوَّأَت عرشها بعد ان احاطت بهِ سراريها واترابها وكانت قد
زيَّنت رأسها بالتاج وافرغت على جسدها البلوريّ حلةً من
نفيس الديباج ثمَّ زحزحت غلالتها عن نهديها العاجيَّين
واطلقت صلاًّ (ايّ حيةً خبيثة) على صفحة صدرها المزري بالجين
فلدغها لدغة مشوقٍ ملهوف اوردتها حياض الحتوف وكان
ذلك سنة ٣٠ قبل المسيح وبموتها قرض الله دولة البطالسة بعد
ان حكمت مصر ٢٩٤ عامًا

وقد وجد على مقربةٍ من صيدا وغيرها بسورية آثار
متعدّدة مرسوم عليها كليوباترا والصل وغير اشياء منها تمثال
كان ملقىً امام صراي الحكومة ببيروت سألنا عنهُ مرةً عزتلو
فوزي افندي (المحافظ) فشرحنا لهُ قصة هذه الملكة وطلبنا منهُ
المحافظة على هذا التمثال الثمين ولا نعلم ماذا جرى لهُ بعد تركنا سورية

فوائد صناعيَّة

جلاء الفضة من البقع السوداء

ان اجساماً كثيرة تترك على الملاعق ونحوها من الادوات الفضية بقعاً سوداء حبرية لاتزول بالوسائط المعتادة فهذه تزول اذا صُبَّ قليل من الحامض الكبريتيك (زيت الزاج) في وعاء وبُلَّت بهِ خرقة كتان نظيفة ومسحت الفضة بها ثم تجلى بمسحوق الطباشير الناعم المنخول المبلل بروح الخمر ومتى جف الطباشير عليها بعد ربع ساعة من الزمان او اكثر تمسح بمنديل من الحرير وتجلى بجلد الوعل الناعم

جلاء الخواتم وسائر الحلى والجواهر

ضع قليلاً من النشادر في وعاء وامسح بهِ الخواتم والمصوغات بخرقة نظيفة ناعمة مسحاً تاماً ثم نشفها واجلها بخرقة اخرى ناعمة وبعد ذلك بقطعة من الحرير . كذا تجلى الحجارة الكريمة ايضاً وانواع الفسيفساء . واما اللآلئ المنزّلة في الحلى فتجلى بورقة من الورق الذي تغرز فيهِ الدبابيس وذلك بان تلف الورقة وتمسح كل لؤلؤة بطرف اللفة حتى تنظف

هذا والنشادر يزيل الدبوغ التي تكون على الحرير احياناً

وعلى الكفوف الجديدة . واذا كان قويًّا يخفف بالماء ولا يصبُّ كثيرٌ منهُ دفعة واحدة لانهُ يطير

دهان الفضة ليصير بلون الذهب

الدهان الذي تدهن بهِ الفضة لكي تظهر صفراء كالذهب يُصنع هكذا: يُذَاب قشر اللك النقي في الالكحول بنقعهِ فيهِ مدَّة في مكانٍ دافئٍ ويلوَّن المذوب بالكركم (العقدة الصفراء) ودم الاخوين وتدهن بهِ الفضة

ازالة البقع ونحوها عن الثياب

الصمغ والسكر والجلاتين تزال عن الثياب بغسلها بالماء فقط

الدهن والسمن والزيت تزال عن الثياب القطنية البيضاء بغسلها بالصابون وعن المصبوغة (بلون واحد او الوان مختلفة) بغسلها بمحلول الصابون فاترًا وكذا عن الثياب الصوفيَّة. وتزال عن الثياب الحريرية بطليها بالطباشير الفرنساوي او ترابة القصار واذابتها بالبنزين او الايثر

الادهان الزيتية والفرنيش والصموغ الراتينجية تُزال عن الثياب الكتانية والقطنية والصوفية بزيت التربنتينا المصحح وصابونهِ وعن الثياب الحريرية بالبنزين والايثر والصابون والستيارين يزال بالكحول القوي النقي

الاصباغ النباتية ودبوغ الاثمار والخمر والحبر الاحمر تزال عن الثياب البيضاء بدخان الكبريت اوماء الكلور وعن الثياب القطنية المصبوغة بغسلها بالامونيا وكذا عن الثياب الحريرية ولكن يجب غسلها بهِ بالاعتناء التام

حبر الاليزارين يزال عن الثياب البيضاء بالحامض الطرطريك وعن الثياب القطنية والصوفية المصبوغة والثياب الحريرية بالحامض الطرطريك المخفَّف

الدم يزال عن الثياب بنقعها في ماء فاتر ثم بغسلها بالببسين اذا وجد

آثار الحديد والحبر الاسود تزال عن الثياب البيضاء بالحامض الاكساليك السخن وعن الثياب القطنية والصوفية المصبوغة باصباغ ثابتة بالحامض الاكساليك ولا تزال عن الثياب الحريرية

دبغ الكستنا والجوز الاخضر يُزال عن الثياب البيضاء بماء الكلور سخنًا وبالحامض الطرطريك السخن. وعن الثياب المصبوغة قطنية اوصوفية او حريرية بماء الكلور المخفف ثم بغسلها حالاً بالماء ويكرر غسلها حتى يزول الدبغ

القطران وزيت العجلات والشحم والحامض الخليك تزال عن الثياب القطنية البيضاء بغسلها بماء وصابون ثم بزيت التربنتينا . وعن الثياب المصبوغة صوفية كانت او قطنية بفركها بشحم الخنزير ثم بالصابون ثم تغسل بزيت التربنتينا والماء

ازالة دبوغ الاثمار

تكثر دبوغ الشراشف والفوط في الصيف بسبب كثرة الفاكهة فعلى كل صاحبة بيت ان تنزع الدبوغ عن شراشف المائدة وفوطها قبلما تغسلها لان الغسل بالصابون يثبت الدبوغ . واحسن ما تزال بهِ دبوغ الاثمار السائل الآتي وصفهُ

يوضع ثلاثون درهماً من كلوريد الكلس في قنينة ويصب عليها قليل من الماء وتحرك بقضيب حتى تنكسر قطع كلوريد الكلس وتمتزج بالماء جيّداً . ثم تملأ القنينة ماء وتترك حتى يروق ماؤُها جيّداً وحينئذٍ يصب السائل الرائق في قنينة أُخرى تسدّ وتوضع في مكان بارد مظلم الى حين الحاجة . وكيفيَّة استعمال هذا السائل هي ان يبلل الدبغ بهِ ويغسل جيّداً بماء نقي بلا صابون فيزول ويجب ان تزال كل الدبوغ قبل الغسل العادي بالصابون

(المقتطف)

منافع

قال بعضهم متى بلغ الانسان الخمسين من عمرهِ فانهُ يكون اما طبيبًا او احمق · ولقد صدق هذا القائل لان من كان لهُ بصيرةٌ لا بد ان يكون في تلك السنين الماضية قد استفاد شيئًا مما يوافق صحتهُ او ينافيها وعرف ما هي الامراض التي يميل بدنهُ اليها في الغالب وما هو الطريق الذي يحترز بهِ منها . وبناءً على ذلك لا يخلو من ان يكون قد تمرَّن على ضبط نفسهِ والغلبة على شهواتهِ فصار يستطيع ان يمتنع عمَّا يوافق اللذة اذا كان لا يوافق الصحة . واذا استقرَّت هذه الملكة في نفسهِ فقد صار طبيبًا والاَّ فهو احمق . غير انهُ لا بد لهُ من الوقوف على قوَى بعض الادوية البسيطة المستعملة في اكثر الامراض ليكون على بصيرةٍ في ما يعالج بهِ نفسهُ او يفيد غيرهُ بهِ اذا تعذَّر وجود الطبيب . واما اذا امكن الوصول الى الطبيب فلا بدَّ من استحضارهِ لان هذه الادوية لا تغني عنهُ على الاطلاق

وللطبيب شروطٌ لا تحق الثقة بهِ الاَّ اذا وُجدَت فيهِ

الاوَّل ان يكون قد درس هذه الصناعة وعرفها حقَّ

معرفتها. لان الانسان لا يجوز ان يستأمن على نفسهِ من لا يعرف حقيقة وضع هذه البنية وانحرافها عن مجراها الطبيعي

الثاني ان يكون لهُ حذاقةٌ طبيعيَّة في الامور الخارجيَّة. فان من لا يميّز الامور المتعارفة بين الناس لا يُرجى لهُ ان يميّز ما هو ادقُّ منها من اسرار هذه الصناعة

الثالث ان يكون من ذوي الهمَّة والعناية يجيب متى دعوتهُ ولو في الليل ويفحص جيدًا عن المرض ويلاحظ تقلُّباتهِ وتأْثير الدواء فيهِ

الرابع ان يكون محبًّا وديعًا يتلقَّى المريض باللطف والبشاشة مشجّعًا لهُ. فان ذلك ينعش طبيعتهُ ويكون انفع دواء بخلاف الطبيب الجافي. فان المريض ينقبض منهُ والاصاغر تنفر عنهُ حتى لا يقدر ان يقف على شيء من دلائل النبض والعلامات الأُخر

الخامس ان يكون اديبًا عفيفًا. لانهُ اذا دخل البيت امتزج باهلهِ فان كان طامح العين كنت كمن يرسل الذئب بين النعاج

السادس ان يكون رحومًا قنوعًا يميّز بين الاغنياء والفقراء في طلب المال ولا يميز بينهم في الاهتمام والعناية فمن كان من الاطباء متصفًا بهذه الصفات كان جديرًا بان يُوثق بهِ ويُركَن اليهِ

عجيبة من عجائب الدنيا السبع

من اعظم عجائب بلاد الصين السور العظيم المبني قبل المسيح بنحو مايتين وعشرين سنة والذي بناهُ على ما قيل الملك سنشاي وصرف عشر سنوات فقط في بنائهِ وطولهُ الفٌ ومئتان وخمسون ميلاً وارتفاعهُ بين خمس عشرة وثلثين قدماً وسمكهُ من الاسفل اكثر من الاعلى ويسع خمسة فرسان بصفٍّ واحدٍ اذا جروا على سقفهِ. ويوجد درابزون في راس السور على دائرهِ علوهُ خمسة اقدام وفي مسافة كل ٢٠٠ ذراع برج علوهُ ٤٠ قدماً وسمكهُ مثل علوهِ. وداخلهُ سورٌ ثانٍ مثلهُ الاَّ ان طولهُ ٤٠٠ ميل فقط وقد زيد على السور الاوَّل المبني بالحجارة والآجرّ سورٌ من الاخشاب طولهُ ٥٠٠ ميل وذلك من عهدٍ ليس بطويل. وبقي هذا السور معموراً اكثر من الفي سنة فوق الجبال الشامخة والاودية المنخفضة فاصلاً بلاد الصين عن بلاد المنغول. قيل انهُ بني لمنع دخول التتر المجاورين لبلاد الصين والله اعلم

رفض شكوى وشهادة حقّ

قيل انهُ ورد يوماً الى الاسكندر ذي القرنين كتاب من واحدٍ من عمَّالهِ مملوءٌ ثلباً ووشياً بامهِ. فبعد ان قرأهُ قال ان قطرة واحدة من دموع الام تمحو الف كتاب مثل هذا. فهذا الكلام حق لانهُ لا يوجد حبيب للانسان مثل امهِ لان محبتها لا تنقص فتعزّي ولدها في الحزن وتعينهُ في الضيق وتشجعهُ عند اليأس وتحامي عنهُ حتى الموت

جواب مفحم

انهُ بعد ان حارب ملك اسوج المشهور كارلوس الثاني عشر روسيا وسكسونيا وبولونيا وانتصر على اصحابها وخلع فيليب اوغسط صاحب

سكسونيا واقام عوضهُ الملك ستنيسلاس اتى سكسونيا فجاء اليهِ رجل وقال لهُ ايها المولى قد تعدى عليَّ جندي من عسكرك وسلب الطعام الذي كنت قد هياتهُ لعائلتي وليس عندي غيرهُ فانصفني فامر كارلوس على الفور باحضار ذلك العسكري ولما أُتي بهِ اليهِ سألهُ قائلاً لماذا فعلت ذلك الفعل القبيح فاجابهُ على الفور ماذا فعلت يا ترى بالنسبة الى ما فعلتهُ جلالتك فانك سلبت من مولى هذا الرجل مملكة كاملة اما انا فلم اسلب غير ديك هندي فسر الملك بهذا الجواب وعفى عن الجندي ووهب المدعي مالاً عوضاً عن ديكهِ

حسن الجواب

دخل بيرون الفرنسوي يوماً حجرة فولتار الشاعر الانكليزي واذ لم يرهُ هناك كتب لهُ على الحائط "غشاش" فلما رجع فولتار ورأى المكتوب ذهب الى حجرة بيرون فلما رآهُ قال لهُ ما بالي اراك آتياً اليَّ قال فولتار رأيت اسمك على حائط حجرتي فاتيت لارد لك الزيارة

كسرى وحاجب بن زرارة

وفد حاجب بن زرارة على باب كسرى وكان قد منع تميم ريف العراق فقال لحاجبهِ قل للملك ان بالباب رجلاً من العرب يريد الوفود عليك والمثول بين يديك فاعلم الحاجب كسرى بما قال لهُ فاذن لهُ . فلما وقف بين يديه قال لهُ من انت قال سيد العرب قال أليست القائل لحاجب انك رجل من العرب قال نعم قلت ذلك قبل وصولي اليك ومثولي بين يديك فاما وقد تشرفت بخدمتك وحظيت برؤيتك فقد صرت سيد العرب فقال كسرى زه وامر ان يملأ فمهُ دراً . ورمى اليهِ وسادةً تكرمةً لهُ فاخذها ووضعها على

راسهِ فتغامز عليهِ من كان حاضرًا من المرازبة واستجهل . فقال لهُ كسرى ليس هذا مكانها انما هي للجلوس عليها فقال علمتُ ايها الملك ولكني لما رايت عليها صورتك اجللتها فوضعتها على اشرف اعضائي ليتشرف بها فقال كسرى زه وامر ان يسوّر زندهُ فسوّر

الحجاج والولد

قيل بينما كان الحجاج جالسًا في منظرةٍ لهُ وعندهُ وجوه اهل العراق . اذ أُتي بصبي من الخوارج لهُ من العمر نحو بضع عشرة سنة ولهُ ذؤابتان مرخيتان قد بلغتا خصرهُ . فلما أُدخل عليهِ لم يعبأ بهِ ولم يكترث . وصار ينظر الى بناء المنظرة وما فيها من العجائب ويلتفت يمينًا وشمالاً . ثم اندفع يقول . أَتبنون بكل ريع آيةً تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . قال وكان الحجاج متكئًا فجلس وقال ياغلام اني ارى لك عقلاً وذهنًا . أَحفظت القرآن . قال أَوخفت عليهِ الضياع حتى احفظهُ وقد حفظهُ الله تعالى . قال أَفجمعت القرآن . قال الغلام أَوكان مفرَّقًا حتى اجمعهُ . قال أَفأحكمت القرآن . قال أَليس الله انزلهُ محكمًا . قال الحجاج أَفاستظهرت القرآن . قال الغلام معاذ الله ان اجعل القرآن وراء ظهري . قال الحجاج ويلك قاتلك الله ماذا اقول . قال

الغلام الويل لك ولقومك قل اوعيت القرآن في صدرك . قال الحجاج فاقرأ شيئًا . فاستفتح الغلام اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . اذا جاء نصرُ الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله افواجًا . فقال الحجاج ويحك انهم يدخلون . فقال الغلام قد كانوا يدخلون واما اليوم فقد صاروا يخرجون . قال ولمَ ذلكِ . قال الغلام لسوء فعلك بهم . قال ويلك يا غلام وهل تعرف من تخاطب . قال الغلام نعم شيطان ثقيف الحجاج . قال ويلك من ربّاك . قال الذي زرعك . قال فمن أُمك . قال الغلام التي ولدتني . قال فأين ولدت . فقال في بعض الفلوات . قال فأين نشأت . قال الغلام في بعض البراري . قال ويلك امجنونٌ انت فاعالجك . فقال الغلام لو كنت مجنونًا لما وصلت اليك ووقفت بين يديك كانني ممَّن يرجو فضلك او يخاف عقابك . قال الحجاج فما تقول في امير المؤمنين . قال رحم الله ابا الحسن . قال الحجاج ليس هذا عنيتُ انما اعني عبد الملك بن مروان . فقال الغلام على الفاسق الفاجر لعنة الله . قال ويحك بما استحقَّ اللعنة امير المؤمنين . قال الغلام اخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والارض . قال ما هي . قال الغلام استعماله

اياك على رعيتهِ تستبيح اموالهم وتستحلُّ دماءهم · فالتفت الحجاج الى جلسائهِ وقال ما تشيرون في هذا الغلام · قالوا اسفك دمهُ فقد خلع الطاعة وفارق الجماعة · فقال الغلام يا حجاج جلساء اخيك فرعون خيرٌ من جلسائك حيث قالوا لفرعون عن موسى واخيهِ ارْجِه واخاهُ وهولاء يامرون بقتلي إذن والله تقوم عليك الحجة غداً بين يدي الله ملك الجبَّارين ومذلُّ المستكبرين · فقال لهُ الحجَّاج هذّب الفاظك وقصّر لسانك فاني اخاف عليك بادرة الامر وقد امرت لك باربعة آلاف درهم. فقال الغلام لا حاجة لي بها بيَّض الله وجهك وأَعلى كعبك. فالتفت الحجاج الى جلسائهِ وقال · هل علمتم ما اراد بقولهِ بيَّض الله وجهك وأَعلى كعبك · قالوا الامير أَعلم. قال اراد بقولهِ بيَّض الله وجهك العمى والبرَص · وبقولهِ اعلى الله كعبك · التعليق والصلب . ثم التفت الى الغلام فقال ما تقول فيما قلت. قال الغلام قاتلك الله من منافقٍ ما افهمك فامتزج الحجَّاج غضباً وامر بضرب عنقهِ. وكان الرقاشي حاضراً فقال اصلح الله الامير هبْهُ لي · قال هو لك لا بارك الله لك فيهِ · فقال الغلام واللهِ لا ادري ايكما احمق من صاحبهِ الواهب اجلاً قد حضر ام المستوهب اجلاً لم يحضر . فقـال

الرقاشي استنقذتك من الفتك وتكافئني بهذا الكلام . فقال الغلام هنيئاً لي الشهاده ان ادركتني السعاده والله ان القتل احبّ اليّ من ان ارجع الى اهلي صفر اليدين. فامر لهُ الحجاج بجائزة وقال يا غلام قد امرنا لك بمائة الف درهم وعفونا عنك لحداثة سنّك وصفاء ذهنك واياك والجراءة على ارباب الامر فتقع مع من لا يعفو عنك. فقال الغلام العفو بيد الله لا بيدك والشكر لهُ لا لك ولا جمع الله بيني وبينك. ثمَّ قام فخرج فابتدرهُ الغلمان. فقال الحجَّاج دعوهُ فوالله ما رأيت اشجع منهُ قلبًا ولا افصح منهُ لسانًا ولعمري ما وجدت مثلهُ قط وعسى ان لا يجد مثلي. فان عاش هذا الغلام ليكون عجيبة العجائب

جواب لطيف

كان بعضهم مشغفاً بحب بعض السيدات وكان يتردد كثيراً الى منزلها فبينما كان ذات يوم جالساً بالقرب منها يتفرس بجمالها الفتَّان كانت هي عابسة مطرقة براسها في الارض تفتكر فقال لها يا سيدتي ألَا تبعينني افكارِكِ بدرهم فاجابت انها لا تساوي ما دفعت فقال لماذا قالت لانني افتكر بك

عدد السكان في بعض المدن بالقطر المصري

في القاهرة ٣٥٣١٨٨ وطنيين و ٢١٦٥٠ اجانب وفي الاسكندرية ١٨١٧٠٣ وطنيين و ٤٩٦٩٣ اجانب وفي دمياط ٤٣٥٠٢ وطنيين و ١١٤ اجانب وفي طنطا ٣٢٧٢١ وطنيين و ١٠٢٩ اجانب وفي المحلة الكبرى ٢٧٥٧١ وطنيين و ٣٥٢ اجانب وفي المنصورة ٢٥٨٤٨ وطنيين و ١٠٩٤ اجانب وفي دمنهور ٢٣٠٤٤ وطنيين و ٣٠٩ اجانب وفي الزقازيق ١٨٧٠٩ وطنيين و ١٠١٦ اجانب وفي رشيد ١٩٣٦٧ وطنيين و ١١١ اجانب وفي شبين الكوم ١٠٥٩٨٠ وطنيين و ٢٧٠ اجانب وفي الجيزة ١١٣٧٩ وطنيين و ٣١ اجانب وفي بنها ٨٠٥٢ وطنيين و ٣٠٢ اجانب وفي بورت سعيد ١٠٦٩٣ وطنيين و ٨٦٧ اجانب وفي السويس ٩٩٨٥ وطنيين و ١١٩٠ اجانب

عدد السكان في بعض مدن سورية

في دمشق ١٥٠٠٠٠ وفي بيروت ١٢٠٠٠٠ وفي القدس ٣٠٠٠٠ وفي طرابلس ١٧٠٠٠ وفي حمص ٢٠٠٠٠ وفي حماه ٣٠٠٠٠ وفي عكا ١٠٠٠٠ وفي اللاذقية ١٢٠٠٠ وفي صيدا ٩٠٠٠ وفي نابلس ٨٠٠٠ وفي حاصبيا ٦٠٠٠

اللطيفات

مرَّةً دخل عمرو بن العاص على معاوية وعندهُ ابنتهُ عائشة فقال من هذه يا امير المؤْمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهنَّ يلدنَ الاعداء ويقرّبنَ البعداء ويورثنَ الضغائن قال "لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرَّض المرضى ولا ندب الموتى ولا اعان على الاخوان الّا هنَّ". فانعم بهِ قولاً تتناقلهُ الاقلام وتتداولهُ الالسنة فالنساء ريحانة النفوس وتفاحة القلوب ومشكى همّ الرجل اذ لا خليل لهُ اوفى ودًّا من امرأتهِ ولا قيام للعيال والبيوت الّا بربّاتها

والنساء الفاضلات في الدنيا كثيرات ولسوء الحظ لم نرَ في اللُّغة العربيَّة مؤلفًا خاصًّا بهنَّ لتبيان افضالهنَّ وحميد فعالهنَّ وتنشيط بنات المشرق ليحذينَ حذوهنَّ ويتوخّينَ عمل الفضائل مثلهنَّ. ولمَّا كنا قد سمَّينا صحيفتنا هذه باللطائف فقد استنسبنا نشر ترجمة واحدة من تراجمهنَّ في كل عددٍ سواءٌ كنَّ من الشرقيات او من الغربيات املاً بان نجمع لحضرات القرّاء كتابًا في تراجم النساء على توالي الايام

فيكتنسًّا سترانكفرد

ولدت هذه الفاضلة في بلاد الانكليز وتهذبت في احسن مدارسها . ولما بلغت من العمر عشرين سنة جاءت سورية ومصر قصد السياحة ثم الَّفت كتابين في هياكل مصر القديمة وقبور السريان القدماء سنة ١٨٦٠ مسيحية وطبعتهما في بلادها فبيع منهما في ثلاثة اسابيع ١٥ الف نسخة واعيد طبعهما ثانيةً . وسنة ١٨٦٢ تزوجت بالشريف العالم باللغات الشرقية فيكنت سترانكفرد فاعانها في تأليف كتابها المسمَّى "السياحة الشرقية" واضاف اليهِ فصولاً ذات اهمية وكان محبًّا للشرقيين راغبًا في خيرهم مثل قرينتهِ الفاضلة ولكن لم تمضِ مدة طويلة حتى توفاهُ الله فعوَّلت على اتمام كل ما كان باشر بهِ من الاعمال الخيريَّة ولذلك عزمت على فتح مدرسة بمدينة دمشق الشام لتعليم فن الطب ووقفت نفسها على خدمة المرضى في مستشفيات لندن وانشأَت لذلك محلات شتى وانفقت المبالغ الوفيرة من مالها الخاص على هذه المآثر . ولما نكِبَ البلغاريون في الحوادث الاخيرة جمعت النقود الكثيرة وقصدت تلك البلاد لاعالة

الفقراء وتمريض المرضى وتخفيف مصاب البائسين . ومع انها من اجمل خلق الله خلقةً لم تبالِ بنفسها في جانب الخير والرحمة بل عانت حرّ النهار وبرد الليل في تلك البلاد المدمَّرة وكانت تنام على ردم البيوت المحترقة رغبةً في تعزية الحزانى وتسلية المنكودي الحظ من اهل تلك البلاد . وقد وزَّعت ما ينيف على ٢٨٨٩٢ ليرة انكليزية بين فقرائهم وجبرت قلوبهم المنكسرة ببشاشتها ولطفها وحنوها وحشمتها ومشاركتها لهم في مصابهم

ثم سافرت من البلغار الى مواقع الحرب بين الترك والروس رغبةً في الاعتناء بالجرحى من العثمانيين فخدمتهم احسن خدمة وما زالت بينهم تخفف آلامهم وتلطف كروبهم حتى انتهت تلك الحرب المشومة فرجعت الى بلادها لمداومة سابق اعمالها الخيرية ولم تزل ساعية فيها اكثر الله مبرّاتها

ولو كانَ النساء كمن ذكرنا
لفُضِّلَتِ النساء على الرجالِ
فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ
ولا التذكير فخرٌ للهلالِ

قتلى الحروب

قيل انهُ في الحرب الاولى بين قرطاجنة وسرقوسة قتل . . . . . ٢٠٠٠٠ نفس وفي غيرها بذبحة واحدة . . . ١٦٠٠ نفس وسبي من النساء . . . ٥٠٠ * وحرب رومية وقرطاجنة التي دامت في المرة الاولى ٢٤ سنة والثانية ١٧ والثالثة ٤ سنين قَتَلَ فيها قائد واحد . . . . . ٣٠٠٠٠ نفس وخرب . . ٤٠٠ بلد . وخربت قرطاجنة تماماً وبقي الحريق فيها ١٧ يوماً . وفي واقعة واحدة قتل من الرومانيين . . . . ٤٠٠٠ ومن عساكر قرطاجنة . . ٦٠٠ نفس

وفي واقعة اسوس بين الاسكندر وداريوس قتل من الفرس . . . . ١١٠٠٠ وفي اربيلا بينهما قتل . . . . ٥٠٠٠ * وفي حصار اورشليم مات . . . . . . ١١٠٠٠ نفس . وانطيوخس الملك قتل من اليهود . . . . ٤٠٠٠ دفعة واحدة * وفي حروب الصليبيين قتل . . . . ١٠٠٠٠ نفس * وفي حرب قسطنطين الكبير مع ليسينيوس قتل من عسكر ليسينيوس . . . . ٢٠٠٠ نفس ومرة ثانية قتل من عسكره . . . ٣٤٠٠ ومرة ثالثة . . . . ٥٠٠ ورابعة . . . ٢٥٠٠

وكان عدد القتلى والموتى سنة ١٨٥٤ اثر حرب القرم كما يأْتي : من الفرنسويين ٩٥٦١٥ ومن الانكليز ٢٢١٨٢ ومن البيدمنت ٢١٩٤ ومن الاتراك . . . ٣٥٠٠٠ ومن الروس ٦٥٠٠٠

وحرب ايطاليا سنة ١٨٥٩ قتل فيها من الفرنسويين ١٧٧٧٥ ومن الايطاليين ٦٥٧٥ ومن النمسويين ٣٨٦٥٠ * والحرب الاهلية في اميركا سنة ١٨٦٥ قتل فيها من اهل الشمال . . . ٢٨١٠٠٠ ومن الجنوب . . . . ٣٠٠٠٠٠ * وحرب الجمهورية الجرمانية ضد مملكة الدنيمارك الصغرى مات فيها من الدنيمركيين ٢٢٥٦ ومن البروسيين ١٠٤٨ * وحرب سادوا بين بروسيا

والنمسا مات فيها من البروسيين ١٠٨٧٧ ومن النمسا مع الاسرى ٨٤٠٤١ وخسر الايطاليون في كستوزا وليسا ٢٥٠٠ * ومات في حرب مكسيكو باميركا وفي حروب غيرها ٦٥٠٠٠

وحرب سنة ١٨٦٠ بين المسيحيين والمسلمين والدروز بسورية قتل فيها من المسيحيين نحو ما يأتي

التاريخ		عدد القتلى
في ٢٩ و ٣٠ ايار (مايو) و ٣١	كان حريق قرى المتن وجوار بيروت	٠٤٠٠
١ حزيران (جون)	المذبحة عند ابواب صيدا ونهب وحرق جزين وما جاورها من القرى	١٨٠٠
١١-١٢ "	خراب حاصبيا وراشيا وما جاورهما من القرى	٢٥٠٠
١٨-٢١ "	حرق زحلة وقتل اهالي قرى بعلبك	٠٧٥٠
٢١ و٢٢ "	خراب دير القمر وبيت الدين وقتل الملتجئين اليهما	٢٢٢١
من ١-١٥ تموز (يوليو)	حوادث دمشق وما جاورها من القرى	٨٥٠٠

والحروب الحديثة هلك فيها الوف من البشر فسنة ١٨٧١ بين فرنسا وبروسيا قتل ٢١٥٠٠٠ * وسنة ١٨٧٨ بين تركيا وروسيا قتل ٢٢٥٠٠٠ وسنة ١٨٧٩ بين انكلترا والترنسفال والزولوس قتل ٤٠٠٠٠ * وبقية حروب الانكليز نكتفي بذكر تاريخها لضيق المقام ففي سنة ١٨٦٥ انتشبت الحرب بين انكلترا واهالي زيلندا الجديدة وسنة ١٨٦٧ بينها وبين بلاد الحبش وسنة ١٨٧٥ بينها وبين مملكة اشنتي بافريقية. وسنة ١٨٨١ بينها وبين افغانستان. وسنة ١٨٨٢ بينها وبين العصاة في مصر ولم تزل الحرب بينها وبين السودان

الصناعة

قال الصفا: ان شئت ان تعرف جيد الجلد من رديئهِ فاقطع قطعة صغيرة منهُ وانقعها في الخل فاذا كان جيداً حسن الدبغ يبقى في الخل اشهراً بدون ان يلم بهِ ادنى تغيير الَّا ان لونهُ يسودُّ قليلاً واذا لم يكن كذلك فلا يكون متقن الدبغ جيد المادة

قصر الاسفنج

افضل طريقةٍ لذلك على ما اهتدى اليهِ بعض اهل البحث في جرمانيا ان يمزُج بعض قطرات من محلول البروم المركَّز — على نسبة ١ من البروم الى ٣٠ من الماء — في قنينة من الماء المقطر ويوضع الاسفنج في المزيج المذكور فلا يمضي عليهِ ساعاتٌ قلائل حتى يخلع اللون الاسمر ويميل الى البياض ثم يعاد عليهِ العمل مرةً اخرى فيتمّ قصرهُ على ما ينبغي . واذا اريد تحسين لونهِ بعد ذلك يُغسَل مراراً متوالية بمحلول الحامض الكبريتوس ثم بالماء

حبر لاعلام الثياب

يُحَلُّ ٦ غرامات من كربونات الصودا ومثلها من الصمغ في ٤٥ غراماً من الماء ويُشبَع بها المحلّ المراد اعلامهُ ثم يكتب عليهِ بمحلول مركب من ٤ غرامات من ثاني كلوريد البلاتين في ٦٤

غراماً من الماء المقطر وبعد ان تجف الكتابة يُمَرُّ على كل سطر ريشة تغمس في محلول مركب من ٤ غرامات من اول كلوريد القصدير في ٦٤ غراماً من الماء المقطر فتكتسي الكتابة لوناً ارجوانياً جميلاً ثابتاً لا يزول بالصابون

جلاء التنك (الصفيح)

يجلى التنك حتى يصير في منظر الفضة بان يُفرَك بخرقةٍ تُغمس في الحامض الخليك (الاساتيك) المخفف

تنظيف المرائي والبلور

تُسحَق قطعةٌ من النيل سحقاً ناعماً ويؤخذ من مسحوقها على خرقةٍ مبلولة بالماء وتُفرَك بها المرائي والآنية البلورية فتعود الى رونقها الاول

ملح

المهدي والنبي

قال ابو الطيب الربذي . أخذ رجل ادَّعى النبوَّة ايام المهدي فادخل عليهِ . فقال لهُ أأنت نبي . قال نعم . قال والى من بُعِثتَ . قال أوَ تركتموني اذهب الى احدٍ . ساعة بُعِثت وضعتموني في الحبس . فضحك منهُ المهدي وخلى سبيلهُ

المأمون والنبي

أُتي المأمون برجلٍ قد ادَّعى النبوَّة · فقال لهُ ألك علامة . قال نعم علامتي اني اعلم ما في نفسك · قال قرَّبت عليَّ ما في نفسي قال لهُ في نفسك اني كذَّاب . قال صدقت وامر بهِ الى الحبس فاقام فيهِ اياماً · ثم اخرجهُ وقال لهُ هل أُوحي اليك بشيءٍ · قال لا · قال ولِمَ · قال لان الملائكة لا تدخل الحبس . فضحك المأمون واطلقهُ

هرون الرشيد والنبي

ادَّعى رجل النبوَّة في عهد هرون الرشيد فأُتي بهِ اليهِ . وكان جالساً في مجلس الرشيد قاضي بغداد ومشايخها · فقال لهُ الرشيد أنبيٌّ انت · قال نعم · قال الى مَن بُعثت · قال الى الناس اجمع . قال الرشيد نريد منك ان تصنع لنا معجزةً دليلاً على نبوَّتك . قال لهُ اقترح ما شئت . قال الرشيد وقد اشار الى غلمانٍ مُرْد بجانبهِ . اريد ان تصيّر لي هؤلاء المُرْد شيوخاً بلحى . فقال ما هذا حقٌّ فان الله لا يرضى بهِ لان هؤلاء المُرْد لا بد من ان يصيروا شيوخاً . ولكن اذا شاء امير المؤمنين اصيّر لهُ هؤلاء الشيوخ مرداً بدون لحىً · واخرج موسى من جيبهِ وتقدَّم نحو

القاضي . فصاح القاضي اشهد انك نبيٌّ وقد آمنت بك فضحك الرشيد واطلقهُ

ابن الغني وابن الفقير

مما يحكى ان ابن رجلٍ غنيٍّ كان جالسًا عند قبر ابيهِ ومعهُ ابن رجلٍ فقير . فبينما كانا يتكلمان قال ابن الغني مفتخرًا ان تابوت ابي من حجر وهو منقوش ومزيَّن بابهى واحسن رونق لما عليهِ من الرخام المرصَّع بالفيروز والياقوت . وماذا ينفع قبر ابيك المبني بلبنتين والمسقوف باقل من خشبتين والمرشوش عليهِ من التراب قبضةً او قبضتين . فاجابهُ ابن الفقير على الفور قائلاً لهُ . اسكت يا قليل الحيلة والتدبير . فانهُ بينما يختلج ابوك ليقوم من تحت كل هذه الحجار الثقيلة التي ذكرتها يكون ابي قام وفاز بالمنَّة وسكن احسن موضع في الجنة . فخجل ابن الغني من هذا الجواب وانصرفا

حفظ السر عند بعض النساء

قيل ان رجلاً وجد في حقلهِ جرة فيها ذهب فركض فرحًا ليخبر امرأتهُ بذلك غير انهُ قال في نفسهِ ان النساء لا يحفظنَ السر فان اخبرت امرأتي تفشيهِ فيسمع الملك ويأخذها فانها لهُ نظامًا فصمم على ان يجرب امرأتهُ قبل ان يسلمها السر فلما اتى البيت قال لها انهُ عازم على ان يخبرها خبرًا سريًا وسألها اذا كانت تقدر ان

تكتمهُ فقالتِ لهُ كيف لا فحرصها على كتمهِ كل التحريص وقال لها يصادفني كل يوم امر غريب فانني ابيض كل صباح بيضة فتعجبت فقال لها لا تخبري احداً فوعدتهُ بكتم السر ثم خرج وقبل ان يبعد عشرين خطوة عن البيت شعرت بثقل الخبر وانها اذا لم تفرغهُ يثقل عليها ويضرها فصعدت على السطح ورأت جارة على سطح بالقرب من سطحها فاومت اليها ان تقترب منها فاقتربت فقالت لها يا اختي عديني بانكِ تكتمين ما اقولهُ لكِ فوعدتها فقالت لها ان زوجي يبيض كل يوم عشر بيضات وقد رأيتها فتعجبت كل التعجب ووعدتها ثانية بكتم السر وبعد ان نزلت المرأة الاولى صعدت امرأة على السطح المجاور ففعلت المرأة الثانية كما فعلت الاولى غير انها قالت انهُ يبيض عشرين بيضة وليس عشر بيضات وهكذا شاع الخبر حتى وصل عدد البيضات الى المائة فعرف زوج المرأة الاولى ان اخبارهُ امرأتهُ عن الكنز يكون سبباً لفقدانهِ فكتم الامر عنها

الادب خير نسب

روي عن بعض الامراء انهُ امر صاحب حرسهِ ان يطوف ليلاً فمن وجدهُ بعد العشاء ضرب عنقهُ . فطاف ليلة فوجد ثلثة

فتيان يتمايلون عليهم آثار الشراب فاحاط بهم وقال لهم من انتم حتى خالفتم امر الامير وخرجتم في مثل هذا الوقت فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب لهُ ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيهِ بالرغم وهي صاغرةٌ يأخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتلهِ وقال لعلهُ من اقارب الامير · ثمَّ قال للآخر من انت فقال

انا ابن الذي لا ينزل الدهر قدرهُ وان نزلت يوماً فسوف تعودُ
ترى الناس افواجاً الى ضوءِ نارهِ فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ

فامسك عن قتلهِ وقال لعلهُ من اشراف العرب · ثمَّ قال للثالث من انت فقال

انا ابن الذي خاض الصفوف بعزمهِ وقوَّمها بالسيف حتى استقلَّتِ
ركاباهُ لا تنفكُّ رجلاهُ منهما اذا الخيل في يوم الكريهة ولَّتِ

فامسك عنهُ وقال لعلهُ من فرسان العرب العظامِ . فلما اصبح رفع امرهم الى الامير فاحضرهم وكشف عن امرهم وحالهم فاذا الاول ابن حجام والثاني ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الامير من فصاحتهم وقال لجلسائهِ علموا اولادكم الادب فلولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم انشد

كن ابن من شئت واكتسب ادباً يغنيك مضمونهُ عن النسبِ

ان الفتى من يقول ها انا ذا ليس الفتى من يقول كان ابي

اعمار الحيوان

تختلف اعمار الحيوانات باختلاف نموها . والمبدأُ المشهور في ذلك ان عمر الحيّ ثمانية اضعاف مدّة نموهِ فسريع النمو سريع الزوال وما يبلغ الكمال سريعاً ينقص كذلك وبناءً على هذا المبدإِ لا يستحيل ان يبلغ عمر الانسان مئتي سنة . فهنري جنكين احد سكان بريتشرد في انكلترا مات ابن مئة وتسع وستين سنة . والحيوانات الجمّاء تعمر اكثر من القرناء والجريئة تحيا اكثر من الجبانة والمائيَّة والبريَّة تعيش اكثر من الهوائيَّة غير ان الرخمة والنسر والببغاء والغراب تعيش قدر ما يمكن ان يعيش الانسان . وما عُرِف واشتهر ان النسر الذهبي يعمر مئتي سنة والسلحفاة مئتين وعشرين والفيل اكثر من مئة سنة وان الضفادع البريَّة والمائيَّة اطول حياةً من سائر الحيوانات التي تعدلها حجماً فبعضهم راقب ضفدعة ستّاً وثلاثين سنة ولم يظهر لهُ شيءٌ فيها من علامات الكبر . وان الفرس يعيش في الغالب ثلاثين سنة ولم يعلم ان فرساً بلغ الستين وان معدل عمر الغنم خمس عشرة سنة ومعدل عمر الكلب نحو عشرين سنة

تقاريظ اللطائف

اقتبلنا عدة تقاريظ للطائف منها ما ادرجتهُ الجرائد الغرَّاء ومنها ما اتانا من علماء وافاضل دابهم تنشيط المشروعات الادبيَّة والعلمية فاحببنا تزيين لطائفنا بما تكرَّموا بهِ علينا مع اسداء الثناء على فضلهم .

قال جناب العالم الفاضل امين افندي شُمَيِّل في جريدتهِ الحقوق البهيَّة ما نصهُ

﴿ اللطائف ﴾

هي مجلَّةٌ شهرية ناسج بردتها الادبيَّة . ومحرّر آثارها التاريخيَّة . حضرة غزير المواد العلميَّة . والملح الدرّيَّة . شاهين افندي مكاريوس وقد جاءت كاسمها حاوية من كل فاكهةٍ زوجين . ومزينّة كل لطيفة منها بنوادر المصريين . فاجتناه زهور رباها . والتعلل بثمار جناها . اشهى ما يلذُّ محبي الغرائب التهذيبيَّة . وتصبو اليهِ طلاَّب الفوائد الاثريَّة . ولذلك نحثُّ العموم على الاشتراك بها فانها احد انيس . واسلم جليس . وهي تطبع بمطبعة المقتطف وتعطى لمشتركيهِ بجائزة خفيفة اي عشرة فرنكات ولغيرهم ١٢ فرنكًا سنويًا

وجاء في المقتطف الاغرّ

﴿ اللطائف ﴾

مجلَّة شهرية تشتمل على ما راق من المقالات الادبيَّة والحوادث التاريخية والملح والنوادر والفكاهات والروايات والفوائد العلميَّة والصناعيَّة انشأها جناب الفاضل شاهين افندي مكاريوس مدير مطبعة المقتطف وجعل كلَّ جزء منها اربعة ابواب باب للقصص والنوادر الادبيَّة وباب للتاريخ والترجمات

وباب للروايات وباب للفوائد العلمية والصناعيَّة. وكل باب ست عشرة صفحة اعدادها مستقلَّة عن اعداد بقيَّة الابواب حتى يسهل جمع كل باب وحدهُ في آخر السنة فيكون من مجموع الاجزاء الشهريَّة الاثني عشر اربعة كتب مستقلَّة وجعل قيمة الاشتراك السنوي في هذه المجلَّة ١٠ فرنكات للمشتركين في المقتطف و١٢ فرنكًا لغيرهم وفي الجزء الاول الذي صدر منها الآن قصة امير المؤمنين عمر بن الخطاب مع العجوز وملخص فصل من الطبعة الثانية التي تطبع الآن في مطبعة المقتطف من كتاب سر النجاح (يحتوي ذكر كثيرين من عصاميي العرب مثل المتنبي وابي العتاهية وابي تمام والزجَّاج وابي حنيفة وغيرهم من المشاهير وهو من الاضافات الكثيرة التي اضفناها الى كتاب سر النجاح لتتم بهِ الفائدة). وقصة معاوية مع عبد الله بن الزبيري وقصص أُخرى من نوعها. هذا في الباب الاوَّل وفي الباب الثاني ترجمة محمد علي باشا عزيز مصر الكبير وترجمة ولدهِ ابرهيم باشا بطلها الشهير . وفي الثالث رواية "در الصَّدَف في غرائب الصُّدَف" الشهيرة تأْليف المرحوم فرنسيس فتح الله مرَّاش الحلبي وفي الرابع نبذ مختلفة علميَّة وعمليَّة فعسى ان يقبل محبو المعارف على الاشتراك في هذه المجلَّة النفيسة فان فيها من كل فاكهةٍ زوجين . ومن اراد الاشتراك فيها فليطلبها من ادارة المقتطف في مصر أو من وكلائهِ في الجهات

وقالت جريدة الاتحاد المصري البهية في العدد ٤٠٤ من سنتها السادسة

تصفحنا بهذا الصباح الوضاح الجزء الاول من اللطائف الفيحاء منمقة بقلم مؤلفها وناسج بردها حضرة الاديب الاريب شاهين افندي مكاريوس فالفيناها الطف من النسيم اذا سرى بل ابهج

من الصبح بعد السرى فنحث كل من لهُ ولع بمطالعة الحوادث التاريخية والنكت الادبية والمقالات النثرية الشائقة والاشعار البديعة الرائقة ان يبادر لمقتناة هذه الدرة الثمينة بل الجوهرة اليتيمة وهي تظهر في هلال كل شهر ظهور البدر في منتصف الشهر . اما قيمة الاشتراك بها فهي عشرة فرنكات فنتمنى لحضرة صاحبها النجاح والخير والفلاح

وقال في الوطن الاغر في العدد ٤٦١ من سنته الثامنة

اتحفنا حضرة اللوذعي النجيب والالمعي الاريب شاهين افندي مكاريوس مدير مطبعة المقتطف بالعدد الاول من اللطائف وهي مجلَّة شهرية تشتمل على الآداب الرائقة والفكاهات الفائقة وثمن الاشتراك فيها في السنة ثلاثة عشر فرنكاً وتصدر اثني عشر مرة في السنة

وقالت الجنة الفيحاء في العدد ١٥٣٣ من سنتها السادسة عشرة

﴿ اللطائف ﴾

هي مجلَّة شهرية تشتمل على كل ما راق من المقالات الادبية والحوادث التاريخية والملح والنوادر والفكاهات والروايات

والفوائد العلمية والصناعية لجناب مؤلفها الاديب الذكي شاهين افندي مكاريوس تصدر في القاهرة شقيقةً للمقتطف الاغرّ وقد أَجلنا في فصولها مطارف النظر فوجدنا في كل باب من ابوابها ما يشهد بغزارة فائدتها وحسن اشتمالها وهي مع كل ذلك قريبة المنال بخسة الثمن اذ جعل بدل الاشتراك فيها عشرة فرنكات لمشتركي المقتطف وثلاثة عشر فرنكًا لغيرهم ومأمولنا في ذوي المطالعة ان يأْخذوا بيد مؤلفها مقبلين على الاشتراك فيها مسرعين الى اجتناء اثمارها الدانية القطوف

وقال في لسان الحال الاغر في العدد ٨٥٨ من سنته الثامنة

اللطائف

هي مجلّة شهرية تشتمل على كل ما راق من المقالات الادبية والحوادث التاريخية والملح والنوادر والفكاهات والروايات والفوائد العلمية والصناعية مطبوعة بمطبعة المقتطف في القاهرة لجناب مؤلفها الاديب شاهين افندي مكاريوس . وقد جاءت طبق المسمّى لفظًا ومعنًى فنشكر لمؤلفها ونسأَل لها رواجًا

وورد مثل ذلك في ثمرات الفنون البهية فاكتفينا بالالماع اليها

اللطيفات

زنوبيا ملكة تدمر

لحضرة السيدة مريم مكاريوس

هي ملكة تدمر المشهورة بفعالها وجمالها فقد شهد المؤرخون انها ضاهت سميرميس الاشورية فعالاً وكليوبتره المصرية جمالاً ولا غرو اذ لا يبعد انها ابنة امير عربي من امراء العراق وان اسمها العربي زينب فحرَّفهُ الرومان · تبوأت تخت الملك سنة ٢٧٢ للمسيح بعد وفاة زوجها المعروف في التاريخ باسم اودناتوس ولعلَّهُ أُذينة الغسَّاني . وكان زوجها رجل حرب وبأْس حارب سابور ملك العجم فقهرهُ وقهر الغوث والصقالبة ولذلك جعلهُ غليينس(1) قيصر رومية زميلاً لهُ في المملكة فكان يلقب باوغسطس

(1) قال في التاريخ القديم ان غليينس هذا كان ضعيفاً وكلاً استبدَّ بالامبراطورية بعد موت ابيهِ فقام عليهِ الاعداء من كل جهة ولم يتمكن من ضبط المملكة فنازعهُ كثيرون فيها وبعد موت غليينس سنة ٢٦٨ ب · م قام مرقس اوريليوس كلوديوس وكان من نسب خامل الذكر فارتقى لفضلهِ الى قيادة الجيش ثم ارتقى الى الامبراطورية ولما ملك سار الى ميلان وافتتحها

ولمّا استوت على عرش الملك وانفردت بزمام الاحكام واشتدَّ ساعدها ورسخت في البلاد وطأَتها شادت في عاصمتها المباني الفخيمة الباهية وغرست في ضواحيها الرياض الزاهية حتى صارت مدينة تدمر في ايامها جنةً من جنَّات الدنيا كعروس البستها يد الجمال كل جمال في وسط قفر متسع هو المعروف ببادية الشام . واصبحت محورًا لصناعة الشرق ومركزًا لتجارتهِ وحوضًا يصبُّ فيهِ كل ما كان عزيزًا وثمينًا فيأْتيها القيروان بالجواهر من بلاد فارس والذهب من الهند والبضائع من صور ويتقاطر اليها التجار من كل قطرٍ وتسير اليها الركبان من الشرق والغرب

وسلكت زنوبيا سبيل الفضل والعلم وحفظت اللغات وجمعت في رحب صدرها حكمة اليونان وعلوم الرومان وآداب

وقتل اوريليوس واستحيا تبعتهُ وكان عادلاً مستقيمًا سالكًا بالانصاف . قيل ان امرأَة اشتكت اليهِ وبيَّنت لهُ انهُ اغتصب املاكها لما كان قائدًا فاقرَّ لها بحقها وردَّ عليها مالها ولما ملك كلوديوس عُني بتهذيب العسكر اذ كان سلفهُ قد غفل عنهُ ولما تمكَّن من ضبطهم سار فيهم لمقاتلة الالمانيين الذين كانوا يغزون شمالي ايطاليا فهزمهم وطردهم ثم حمل على الغوثيين وقهرهم في ميسيا واكثر فيهم القتل ومات كلوديوس عقيب ذلك حتف انفهِ سنة ٢٧٠ ب ٠ م

السوريين . وبلغ اليها صيت لونجينوس الفيلسوف البياني الشهير الحمصي مولدًا الاثينوي مقامًا فارسلت في طلبهِ الى تدمر فأَتاها وجعلت تدرس عليهِ فلسفة اليونان وآدابهم واقامتهُ مربيًّا لابنيها ومعلمًا لهما ووزيرها الاكبر في مملكتها والَّفت بمساعدتهِ تاريخًا للشرق واتقنت اللاتينية واليونانية ولغات مصر وسورية . وتجنَّبت كل ما من شأنهِ التثقيل على العقل واشغال الفكر من الملاهي الفارغة والاعمال التي طالما اضرَّت بعقول النساء وحجبت عنهنَّ انوار الفضيلة الحقيقيَّة ولازمت مجالس اهل الفضل والحكمة والادب . وكانت مع علمها وذكائها وجمالها ذات بأس في الحرب والصيد وعلى جانب عظيم من النشاط والهمَّة والاقدام تسير دائمًا في مقدمة جنودها ولا تسلّم لقوادها وحدهم النظر في تجهيز المهمات والاسلحة والزاد والملبوسات لجيشها بل تنظر بعينها الى كل ذلك وتزور بنفسها المخازن والمهمات والزاد فكانت مثالاً حسنًا لرجال دولتها ونساء مملكتها . ولا ريب انها كانت عادلةً في رعيتها حريصة على خيرهم وراحتهم ويدلنا على ذلك محبة الاهلين لها وانقيادهم اليها كل الانقياد . الَّا انها لم تكتفِ بما نالت من السؤدد والعظمة والابهَّة

في مملكتها بل جمحت الى المغازي والفتوحات وطمعت في ضم سورية ومصر وآسيا الصغرى من املاك رومية الى املاكها ولعلّها قصدت اعادة المملكة السلوقية واحياءها في الشرق باغراء وزيرها لونجينوس لها على ذلك . فلما رأى اورليانوس قيصر رومية (١) ان زنوبيا قد انتحلت لنفسها ما حق لهُ دون سواهُ وانها كانت تدعو اولادها قياصرة وان تدمر قد نمت وارتقت حتى اوشكت ان تفوق اعظم بلدان مملكتهِ تقدمًا وغنًى خامرهُ الخوف والحسد. فارسل اليها سفيرًا يشترط عليها شروطًا فرفضتها لثقلها وجاهرت بالعصيان

(١) عقيب موت كلوديوس المذكور آنفًا عُيّن لوقيوس اورليانوس خليفةً لهُ سنة ٢٧٠ ب . م . وكان هذا ابن فلّاح أليري انخرط في سلك الجندية واخذ يرتقي في معرج المعالي والرتب الى ان اصبح من اشد القواد واكملهم حذاقةً فارجع المملكة الى مجدها وعظمتها السابقة . ولما ملك شرع يقاتل الغوثيين الذين كانوا قد استثاروا اخوتهم وهم كثيرو العدد وقدموا وعبروا الدانوب فشبت لظى الحرب وحمي وطيسها واستمر القتال نهارًا كاملًا بدون نتيجة بينة لاحدى الفئتين فرأى اورليانوس ان لا فائدة من هذه الحرب لانهُ اذا غلب الغوثيين يستنجدون اخوتهم ويعودون لمحاربته فصالحهم على شرط ان يتخلى لهم عن ولاية داسيا فيمتنعوا عن مهاجمة المملكة فرضوا بذلك وانصرفوا وبعد ذلك تهيأ لمحاربة زنوبيا صاحبة هذه الترجمة

فتجهز اورليانوس للمسير عليها في الحال ولم تتربَّص زنوبيا في تدمر حتى يقدم عليها بل وافتهُ بجنودها الى سورية وقاتلتهُ في انطاكية فدارت الدائرة عليها وانهزمت بجيشها . ثم جرت بينها وبينهُ معركة ثانية في نواحي حمص فانهزمت فيها ايضاً ورجعت الى تدمر مدينتها العظيمة وتحصنت فيها . وأبى اورليانوس الاَّ افتتاح تدمر فجدَّ في اثر زنوبيا وحاصر عاصمتها زماناً طويلاً لشدَّة منعتها بالحصون والقلاع . ولما نفد القوت منها واشتدَّ الجوع في اهلها ويئست زنوبيا من نجدة الفرس لها وايقنت انهُ لا بدَّ من التسليم للرومانيين افلتت من المدينة وهربت على جمل فارهٍ وجدَّت في المسير الى الفرات فتأثَّرها فرسان رومية وادركوها وعادوا بها الى تدمر واوقفوها امام اورليانوس . قيل انهُ سألها عن غايتها في مقاومتها لهُ فقالت اني لم احسب غلبينس اهلاً ان يكون امبراطوراً فاحتقرتهُ وانفت من طاعتهِ واما انت فاني اطيعك لانك قد اظهرت نفسك امبراطوراً حريًّا ان تُود وتطاع فابقى عليها وعفا عنها لحسن جوابها ولكنَّها لم تتخلَّص من تبعة ما فعلت حتى القت اللوم كلهُ على لونجينوس وزيرها وخافت ان تلقى الموت كما لقيهُ لونجينوس . فان اورليانوس

أَمر بضرب عنقهِ فقابل الموت بقلبٍ لم يخامرهُ خوف فضربت عنقهُ

ثم ان اورليانوس اقام حراسًا على تدمر من عسكرهِ وقفل راجعًا الى مركز مملكتهِ مصحوبًا باسيرتهِ العظيمة زنوبيا سنة ٢٧٤ للمسيح ولما اقترب من رومية خرج الاهلون ليقابلوهُ حسب عادتهم في مقابلة المنتصرين فساق امامهُ كل ما كان قد أَتى بهِ من جميع البلدان التي فتحها وسارت زنوبيا ماشية وراء الجميع لابسة حلاها وجواهرها ومقيدة بسلاسل من الذهب . وكان الرومان ينظرون اليها ويتعجبون من جلالها وجمالها حالة كونها اسيرةً ذليلة . ثم أَفرز لها اورليانوس قصرًا عظيمًا ورتَّب لها مالًا تعيش بهِ مدة حياتها . فاتمَّت باقي حياتها مع ابنيها مشتغلة بالعلم والادب عن سواهما قانعة بالسكينة غير طامعة في متاع العالم حتى اتاها داعي المنون ففارقت دنياها بعد ما شهد لها التاريخ انها كانت فريدة عصرها وزينة دهرها

بلغ عدد سكان بريطانيا العظمى ٣٦٧٠٧٤١٨ نفسًا منهم ٢٧٨٧٠٥٨٦ في انكلتره وولس و٣٢٩٤٣٠٩٣ في اسكتلندا و٤٨٨٧٤٣٩ في ارلنده

الصناعة

الحبر الاسود

طريقة اولى * انقع اربعة اجزاء وزنًا من العفص او ١٠ اجزاء من قشر الرمان في خمسين جزءًا ماء وضع فوق ذلك قليلاً من الزاج والصمغ العربي فلك حبر اسود جيد

طريقة ثانية * جزء عفص وجزءين خشب بقم وجزء صمغ عربي وثلاثة ارباع الجزء زاجًا في ٨٠ جزءًا ماء اغلها على النار وصفها فلك حبر جيد

الحبر البنفسجي * خذ جزءين من بنفسجي انيلين واسمهُ عند العامة روح الدودي بنفسجي في مئة جزء ماء واضف الى ذلك ١٥ جزءًا ماء من الصمغ العربي المسحوق فلك حبر من احسن واجود الاحبار واذا اردت تثبيتهُ فضع فيهِ قليلاً من مسحوق الشب الابيض واذا شئت عملهُ حبر كوبيا فلا تضع فيهِ مسحوق الشب بل قليلاً من السكر فيطبع جيدًا . واذا رغا الصمغ فضع فيهِ قليلاً جدًّا من السبيرتو فتختفي الرغوة وتحسن رائحة الحبر

الحبر الاخضر والاحمر والاصفر

يصنع كالوصفة السابقة من الانيلين المطلوب

حبر احمر بسيط الاستعمال * أذب قليلاً من الصمغ العربي في ماء وضع فوقها روح الدودي الاعتيادي فلك حبر احمر جيد

للاستعمال ويعمل محاضرة ويثبت بالشب الابيض ويطبع بالكوبيا اذا وضعت فيهِ قليلاً من السكر

حبر سرّي * امزج نيترات الكوبلت اوكلوريد الكوبلت اوكلوريد النحاس اوعصير البصل بقليل من الصمغ العربي او السكر يحصل حبر يكتب بهِ ولا يُرى الاَّ اذا احمي القرطاس المكتوب بهِ عليهِ فعصير ماء السكر الاعتيادي اذا أُحمي على النار ظهر كماء الذهب

حفظ الحبر من العفن * اضف الى الحبر قليلاً من مدقوق كبش القرنفل او قليلاً من زيت القرنفل مخلوطين بقليل من الخل القوي قبلما يضافان الى الحبر فيحفظ من العفن

الاسد

قال في الآيات البيّنات : الاسد هو اقوى السباع واهولها واشجعها على ان شجاعتهُ ليست شيئًا بالنسبة الى قدرتهِ . طول الكبير منهُ ثماني اقدام وطول ذنبهِ نحو اربعٍ وعلوُّهُ نحو خمس . ولهُ عفرةٌ كثيفة تطول وتجثل على مرور السنين وشعر سائر بدنهِ قصيرٌ ناعمٌ وحجم اللبوءَة ثلاثة ارباع حجم الاسد ولا عفرة لها . وصورة الاسد هائلة تنبئُ بالشجاعة والعظمة فعفرتهُ عظيمة رهيبة ومقلتاهُ تتوقّدان كالنار وزئيرهُ كهزيم الرعد

ومن غريب طباعهِ انهُ لا يهجم على حيوان علنًا الاَّ اذا الجاهُ

الجوع الشديد . فيكمن في غابةٍ حتى يمرَّ بهِ حيوان فيفترسهُ بغتةً ويثب اليهِ من امد عشرين قدمًا فلا يخطئهُ وان اخطاهُ رجع الى مكمنهِ الى ان يمرَّ بهِ غيرهُ . واحبُّ المكامن اليهِ ما قرب من عين او نهر لان الحيوان يلجأُ الى الماء ليروي الظمأَ فيفترسهُ من حيث لا يدري

ومن اغرب اموره انهُ يزيد جبنًا على قدر قربهِ من مساكن الناس فيهولهُ صوت اضعف الرجال ويهرب امام اجبن النساء والصبيان

ومن طبعهِ انهُ لا ياكل فريستهُ في الحال بل يلعب بها كما يلعب السنور بالفارة . ومن اعجب طباعهِ انهُ يخاف صياح الانسان اين كان . قال احد الصيادين "رميت يومًا لبوَّةً فلم أُصبها فاسرعت اليَّ بزئير كالهزيم فصحت عليها اشد صيحة فوقفت في مكانها بكل دهشٍ وحيرة وسرتُ شجاعَ اللسان جبان الفؤاد"

اقصر انسان واطول انسان

معدَّل قامة الانسان نحو متر و ٦١ سنتيمترًا واقصر انسان قزم ذكرهُ برتش وبيفون طولهُ ٤٣ سنتيمترًا واطول انسان جبار ذكرهُ سبي طولهُ متران و ٨٣ سنتيمترًا

بعض عوائد الفرس

قال في سياحة المعارف ما نصهُ

كان الفرس يربون اولادهم تربيةً عامة يؤهلونهم بها للشجاعة والفهم ومتى تمَّ عمر الولد ١٧ سنة سلموهُ لارباب المعارف ليحسنوا تربيتهُ بالتعليمات والآداب خصوصًا ما يجب بالوطن وكان لا يتمكن احد منهم من وظيفةٍ قبل تغذيهِ بمعارف هذه المدرسة وكذلك اولاد ملوكهم ايضًا كانوا يستفيدون بحسن التربية والمعارف والآداب

وكان من قوانينهم المعاقبة على الرذائل والخيانة والحث على العدل وبغض البطالة والكذب وتشريف الزراعة حتى ان الامير منهم كان ياكل مع الحراثين مرةً في كل سنة وكان الكذب عارًا كبيرًا عندهم

وكانوا يعاقبون اصحاب الجنايات بعقوباتٍ خشنة فكانوا يسلخون عصاة امر الدولة وهم احياء او يقطعون بدن العاصي نصفين ويفقأُون عيني من يخشون منهُ فتنةً في الدولة واما قطع الآذان والانوف والايدي فهو من مسرات ملوكهم المتقدمين والمتأخرين ومن جُلِد بامر الملك لا بد لهُ من ان يأتي ويسجد

امامهُ على ركبتيهِ ويثني عليهِ خيرًا حيث انهُ تذكرهُ والقى البال منهُ

ومن عادة ملوكهم ان ياكلوا على صوت المغاني والآلات ورقص الراقصات وكانت ولاة الاقاليم على عهد ملوك الفرثيين او البرثة تنام تحت الموائد الملوكية ليتلقوا مع غاية الاحترام والتعظيم ما يفضل من الطعام ويرمى لهم وكانت الرعايا تحيّي ملوكها بالسجود ويلقبونهم باخي الشمس والقمر

ملح منسوبة لابي نواس

هجا ابو نواس رجلًا من العظماء ثم اتى بعد ذلك راغبًا في صحبتهِ فقال لهُ الرجل باي وجهٍ جئتني فقال لهُ ابو نواس بالوجه الذي القى بهِ ربي فان ذنوبي اليهِ اكثر من ذنوبي اليك فاعجبهُ هذا الجواب منهُ وعاد الى عادتهِ معهُ

وذهب ابونواس مع رجل بخيل ليستاجر لهُ دارًا السكن فلما وقف ببابها اتى فقيرٌ الى البخيل وطلب منهُ حسنة فقال فتح الله لك امضِ في طريقك وبعد برهة اتى سائل آخر فقال لهُ كالاول ثم اتاهُ الثالث فصرفهُ والتفت الى ابي نواس وقال لهُ ما اكثر السؤّال في

هذه الدار فقال له ابو نواس وانت يا صاحبي ما دمت حافظاً هذه الكلمة لا تبالي ان كثروا او قلوا فخجل الرجل وعاد راجعاً

وعد ابو نواس رجلاً انهُ في الغد يحضر الى بيتهِ لقضاء حاجة فبقي الرجل في انتظارهِ الى الغروب فلم يحضر ولما كان اليوم الثاني رآه في الطريق فقال له اني لم ارَ اكذب منك فكانك قاضي المنافقين فقال له ابو نواس نعم فهل لك من دعوى تعرضها عليَّ فضحك الرجل وانصرف

قيل ان هارون الرشيد جلس يوماً عند زوجتهِ زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليداً بخلاف اخيهِ المأمون فانهُ كان فطناً لبيباً بارعاً في النظم والنثر وكان الخليفة يميل اليهِ لشدة فصاحتهِ فمدحهُ عندها فاغتاظت منهُ لكونهِ لم يمدح ولدها الامين فقال لها انهُ بليد لا يعرف النظم ولا النثر فقالت لا بل ولدي اقوى جراءة واشد فكرة ومعرفة في النظم والنثر من اخيهِ وان شاء الله تعالى في غد تسمع كلامهُ وتطلع على شعرهِ قال فلما مضى النهار ارسلت دعت ولدها الامين واخبرتهُ بالقصة التي وقعت بينها وبين ابيهِ والزمتهُ بنظم الشعر وان يعمل ابياتاً يعرضها على ابي نواس فاجابها الى ذلك واعتزل في محل خالٍ من الناس وقدح فكرتهُ الكاسدة وقريحتهُ الباردة حتى عمل ابياتاً ياتي ذكرها ثم انهُ اتى الى امهِ واخبرها ففرحت وارسلت الى ابي نواس وقالت له اسمع ما قالهُ ولدي الامين فقد صار ماهراً في الشعر بارعاً فقال له ابي نواس اسمعني ما قلت فانشد يقول

نحن بنو العباسِ نجلس على الكراسي

فقال ابي نواس انتم اهل لذلك وانتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فانشد يقول

نقاتل الاعادي بالسيف والمزراقِ

فقال لهُ ابي نواس اتلفت ما قلت وغيرت القافية واغتاظ منهُ الامين وامر بسجنهِ فسجن اياماً فتفقدهُ الخليفة فقيل هو في السجن حبسهُ الامين لكونهِ عاب شعرهُ فاحضرهُ واحضر الامين وسأَلهُ عن السبب فاخبرهُ كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا انهُ راى في شعرك خللاً ما عابهُ فقال لهُ انا انظم غيرهُ واقولهُ قدامك حتى تنظر نظمي ونباهتي فقال افعل ما بدالك قال فمضى الى محلهِ واعتزل عن الناس ولم يبقِ احداً عندهُ وقدح فكرتهُ الكاسدة حتى نظم ابياتاً واتى الى والدهِ وحضرت والدتهُ زبيدة وكذلك ابو نواس فقال لهم اسمعوا شعري فقال ابو نواس تكلم بما قلت فانشد يقول

يا قاعدة في الاربعِ ما مثلكِ في الابلدِ
شبهتكِ بكنافةٍ مبسوسة بالخردلِ
والسمنُ فوقكِ سائحٌ مثل الحصان الابلقِ

فلما سمع ابو نواس هذا الكلام قام يجري فقال لهُ الخليفة الى اين فقال الى السجن يا سيدي فانهُ لابد ان يأمر عليَّ بهِ فضحك الخليفة وتحققت والدتهُ زبيدة بلادتهُ فسكتت

اللص والمرق

حكي عن رجل دخل ليتناول الطعام في منزل المسافرين وعند ما فرغ من الاكل رأَى دجاجة في صحن على المائدة فصعب

عليهِ تركها فتناولها خفيةً ووضعها في جيبهِ فرأى ذلك صاحب المكان فتركهُ ولما خرج تناول اناء مرق اللحم الموضوع على النار واقترب منهُ وصبهُ في جيبهِ فصرخ الرجل متوجعًا ما هذا قال لهُ لا تضطرب هذا مرق الدجاجة

النباهة

طلب رجل الى خادمتهِ خبزًا فاتتهُ برغيف بيدها فقال لها اذا طلبتُ اليكِ مرة ثانية خبزًا او شيئًا آخر فضعيهِ في صحن وأْتيني بهِ ففي المساء طلب اليها حذاءهُ فوضعتهُ في صحن وقدمتهُ لهُ

ضرر الكذب

سُئِل ذات يوم الفيلسوف اريستو الشهير ما هي يا ترى منفعة الكذابين . فقال عدم تصديق الناس اياهم في شيءٍ ولو صدقوا

جهل باقل

مما يحكى عن باقل انهُ اشترى ظبيًا باحد عشر درهمًا فعارضهُ على منكبيهِ وامسكهُ بيديهِ من الوراء . ولما كان في بعض الطريق التقى برجلٍ فقال لهُ بكم اشتريت هذا الظبي فاشار باصابعهِ العشر ومدَّ لسانهُ كنايةً عن الاحد عشر فافلت الظبي ولحق الصحراء

(الحكم على ذابح الكلاب)

نقلت المحروسة الغراء عن مكاتبها بشبين الكوم ما نصهُ

قضت عليَّ اشغالي الخصوصية بالتغيب بضعة ايام عن هذه المدينة وبرجوعي اليها بلغني ان بعض الجزارين المدعو (ابو العلا الجاهل) ذبح كلاباً وباعها بصفة كونها من لحوم الضأن وتفصيل ذلك ان ابا العلا المذكور اختلس كلباً لبعضهم فذبحهُ واخذ يبيعهُ سرًّا ثم اتفق ان دخل احد الاشخاص الى المحل الذي ذبح الكلب فيهِ فوجد الرأس والجلد فكرَّ راجعاً واخبر جهة الاقتضاء بما رآهُ فالقت القبض عليهِ وباستنطاقهِ قال ان بعض نساء البلد اوصينهُ بهذا اللحم علاجاً للسمن ثم ظهر بالتحقيق ان ادعاءهُ مكذوب فيهِ وانهُ سبق لهُ ارتكاب هذا الاثم مراراً فحكم عليهِ بان يطاف بهِ فيما داخل البندر مغلول اليدين وان يربط في عنقهِ كلب صغير وعلى رأسهِ قطعة من لحم الكلاب وتبعث في اثرهِ الصبيان ينادون باعلى اصواتهم:

(ابو العلا داخل البندر بكلابهِ)

وقد تم ذلك على هذا النحو من العقاب العادل ثم أُعيد الى السجن وسأُخبركم بما يتم في شأنهِ

كتاب دليل المحتاج للطب الباطني والعلاج

سبق في المقتطف ذكر هذا الكتاب الطافح بالفوائد تأليف العالم الفاضل صاحب السعادة الدكتور سالم باشا سالم الشهير طبيب الحضرة الخديوية الفخيمة. وقد صدر منهُ مثال في هذه الاثناء مشتمل على مقدمة وفصلين في الامراض التسمُّمية فأُرسل الى الاطباء في مصر والشام وسائر جهات المشرق فكل من اراد الاطلاع على هذا المثال فليطلبهُ من ادارة المقتطف في مصر

الفلاح

وافتنا جريدة الفلاح البهيَّة لصاحب امتيازها الفاضل عزتلو سليم بك حموي وهي نشرة سياسية ادبية علمية وقيمة اشتراكها السنوي في القطر المصري ٤٥ فرنكاً فنحث الجمهور على الاقبال عليها ونتمنى لها تمام التوفيق والنجاح

اننا نشكر لفضل اصحاب الجرائد الغراء التي تكرمت بتقريظ اللطائف وهي الاهرام والمحروسة والشفاء والاعلام وكان بودنا ان نزين لطائفنا بما تكرموا بهِ الاَّ ان ضيق المقام منع من نشرها مع غيرها من التقاريظ. ولدينا عدة كتب للتقريظ اهدانا اياها اصحابها الافاضل وسنوسع لتقريظها محلاً رحباً في العدد الآتي ان شاء الله

فريدريك ملك بروسيا والفلاَّح

امتطى فريدريك ملك بروسيا جوادهُ يومًا وخرج للتنزه فرأى فلاَّحًا يحرث الارض وهو مسرور كل السرور بعملهِ يترنم مبتهجًا ويحرث مجتهدًا فوقف بهِ الملك وقال "ايها الشيخ أَراك مسرورًا باذل الجهد في العمل فهل هذه الارض التي تتعب فيها كل هذا التعب لك". فقال الفلاَّح ولم يعلم ان الذي كان يخاطبهُ الملك "لا يامولاي انما اعمل بالاجرة فلست من الفلاحين الاغنياء". قال وكم لك من الاجرة على هذا العمل". قال خمسة غروش كل يوم". قال الملك "تلك اجرة قليلة فهل تكفيك ايها الشيخ المسكين" قال "نعم تكفيني وتزيد على ما احتاج اليهِ". قال "كيف تكفيك وتزيد". قال الفلاَّح وهو يتبسم "انفق منها غرشًا وربعًا عليَّ وعلى امرأتي وادفع منها غرشًا وربعًا ايفاءً لبعض دين قديم عليَّ واقرض منها غرشًا وربعًا وانفق منها غرشًا وربعًا في سبيل الله". قال الملك "ذلك سرٌّ لايمكنني الاطلاع عليهِ". قال الفلاّح انا ابينهُ لك" وهو ان لي في البيت شريكين شيخين كانا يعتنيان بي حين كنت صغيرًا وضعيفًا ومحتاجًا وهما الآن شيخان ضعيفان فابتهج بأَن أعتني

بهما ايفاءً للدين الذي لهما عليَّ فاوفيهما كل يوم غرشًا وربعًا نفقةً عليهما. وانفق غرشًا وربعًا على اولادٍ لي في المدرسة وهذا هو القرض الذي اقرضهُ لانهم متى كبروا وعاشوا الى ان اعجز انا ووالدتهم عن العمل يوفونا ذلك الدين بعنايتهم بنا. وانفق غرشًا وربعًا على اختين لي لا تقدران على العمل وهذا ما انفقهُ في سبيل الله فالباقي من اجرتي وهو غرش وربع انفقهُ عليَّ وعلى امرأتي. ولا ريب في ان ما انفقهُ على اختيَّ انما انفقهُ في سبيل الله لانهما محتاجتان ولا سبيل لهما الى التوصل الى ما تحتاجان اليهِ". فقال الملك "احسنت أيها الرجل فاصغِ اليَّ الآن فاني اريد ان احاجيك فهل رأيتني قط". قال "لا". قال الملك "انك ستراني في خمس دقائق خمسين مرَّة وتحمل في هميانك خمسين صورةً من صوري" قال الفلَّاح مدهوشًا "تلك احجيَّة لا استطيع حلها". قال الملك "انا احلها لك" ومدَّ يدهُ واعطاهُ خمسين ليرة كان على كلٍّ منها صورة الملك وقال لهُ هذه النقود ليراتٌ جاءَت من عند ربي وانا خادمهُ امرني ان اعطيك اياها فشاءَك السلام (اي خاطرك) قال هذا وانصرف وترك الفلَّاح مبتهجًا كل الابتهاج"

ذكر الفضل

روى خادم امير المومنين المأمون بن هارون الرشيد قال · طلبني امير المومنين ليلةً وقد مضى من الليل ثلثهُ . فقال لي خذ معك فلاناً وفلاناً وسمّاهما لي احدهما عليّ بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعاً لما اقول لك فانهُ بلغني ان شيخاً يحضر ليلاً الى آثار البرامكة وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم ثمَّ ينصرف . فامضِ انت وعليّ ودينار حتى تردوا تلك الخرابات واستتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وانشد ابياتاً فاتوني بهِ . قال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعهُ بساطٌ وكرسيّ حديد واذا شيخ قد جاء ولهُ جمال وعليهِ مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيت السيف جندل جعفراً   ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسّفي   عليهم وقلت الآن لاتنفع الدنيا

مع ابياتٍ اطالها . فلما فرغ قبضنا عليهِ وقلنا لهُ اجب امير المومنين ففزع فزعاً شديداً . وقال دعوني حتى اوصي بوصيةٍ فاني لا أُوقن بعدها بحياة ثمَّ تقدَّم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقةً وكتب فيها وصيَّةً وسلَّمها الى غلامهِ

ثمَّ سرنا بهِ فلما مثل بين يدي امير المومنين . قال حين رآهُ من انت وبمَ استوجبت منك البرامكة ما تفعلهُ في خرائب دورهم . قال الخادم ونحن نستمع فقال يا امير المومنين انَّ للبرامكة ايادي خضرة عندي

أفتاذن لي ان احدثك بحالي معهم . قال قل . فقال يا امير المومنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع ما على راسي ورؤوس اهلي وبيتي الذي ولدت فيهِ اشاروا عليَّ بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأةً وصبياً وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت اعددتها لاستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلاً عن البرامكة فاذا انا بمسجدٍ مزخرف وفي جانبهِ شيخ باحسن زيٍّ وزينة وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين ايديهم وانا اقدم رجلاً وأُوخر اخرى والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت واذا يحيى جالسٌ على دكة لهُ وسط بستان فسلَّمنا وهو يعدّنا مائةً وواحداً وبين يديهِ عشرة من ولدهِ واذا بأمرد نبت العذار في خديهِ قد اقبل من بعض المقاصير وبين يديهِ مائة خادم متمنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر وقد قُرِن بهِ مثلهُ من العنبر السلطاني فوضعوهُ بين يدي الغلام وجلس الى جنب يحيى ثمَّ قال للقاضي تكلم وزوّج ابنتي عائشة من ابن اخي هذا

فخطب القاضي خطبة الزواج وزوَّجهُ وشهد اولائك الجماعة واقبلوا نحونا ينثرون علينا بنادق المسك والعنبر فالت[illegible]ت والله يا امير

المومنين ملأ كمي ونظرت واذا نحن في المكان ما بين يحيي والمشائخ وولده والغلام مائة واثنا عشر واذا بمائة واثنا عشر خادماً قد اقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية الف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرايت القاضي والمشائخ يضعون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت اباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي لا اجسر على اخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وجعلت أتلفّت الى ورائي مخافة ان امنع من الذهاب . فبينما انا كذلك الى ان وصلت الى صحن الدار ويحيى يلاحظني . فقال للخادم ائتني بهذا الرجل فاتاني . فقال مالي اراك تتلفّت يميناً وشمالاً فقصصت عليه قصتي . فقال للخادم ائتني بولدي موسى فاتاهُ بهِ . فقال له يا بنيّ هذا رجلٌ غريب فخذهُ اليك واحفظهُ بنفسك وبنعمتك فقبض موسى ولدهُ على يدي وادخلني الى دارٍ من دورهِ فاكرمني غاية الاكرام وأقمت عندهُ يومي وليلتي في ألذّ عيش وأتم سرور . فلما اصبح دعا باخيهِ والعباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المومنين فاقبضهُ اليك واكرمهُ ففعل ذلك واكرمني غاية الاكرام ثمّ لما كان من الغد تسلمني اخوهُ احمد ثمّ لم ازل في ايدي القوم يتداولوني على مدة عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم أم في الاحياء . فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعهُ جماعة من الخدم فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام . فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة انّا لله وانّا اليهِ راجعون . فرفع الستر الاول ثمّ الثاني ثمّ الثالث ثمّ الرابع فلما رفع الخادم الستر

الاخير . قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها اليّ فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني بهِ . فلما رفع الستر الاخير رأيت حجرةً كالشمس حسنا ونورًا واستقبلني منها رائحة الندّ والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل اليّ مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا امير المومنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنةً لايعلم الناس أمن البرامكة انا أم رجل غريب فلما جاءتهم البليَّة ونزل بهم يا امير المومنين من الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخارج ما لايفي دخلها بهِ فلما تحامل عليَّ الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صنعهم اليَّ وابكي على احسانهم

فقال المامون عليَّ بعمرو بن مسعدة . فلما اتى قال لهُ أتعرف هذا الرجل . قال يا امير المومنين هو بعض صنائع البرامكة . قال كم الزمتهُ في ضيعتهِ . قال كذا وكذا. فقال لهُ ردَّ اليهِ كل ما اخذتهُ منهُ في مدتهِ وافرغها لهُ ليكونا لهُ ولعقبهِ من بعدهِ قال فعلا نحيب الرجل. فلما رأى المامون كثرة بكائهِ . قال لهُ يا هذا قد احسنَّا اليك فما يبكيك قال يا امير المومنين وهذا ايضاً من صنيع البرامكة لو لم آتِ خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري الى امير المومنين ففعل بي ما فعل فمن اين كنت اصل الى امير المومنين . قال ابرهيم بن ميمون فرأيت المامون وقد دمعت عيناهُ وظهر عليهِ حزنهُ وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابكِ وإياهم فاشكر ولهم فاوفِ ولاحسانهم فاذكر

متفرقات

يولد في مدينة لندن كل سنة نحو ١٢٥٠٠٠ ويموت نحو ٨٠٠٠٠ ومعدل الزيادة السنوي فيها نحو ٥٦٠٠٠ ويهاجر اليها كل سنة نحو ١١٠٠٠ نفس وقيل ان مبلغ ما تداولتهُ المملكة فكتوريا وعائلتها من سنة جلوسها الى سنة ١٨٨٤ بلغ ٢٧٠٠٠٠٠ جنيه افرنجي (ليرة انكليزية)

بعض الافاضل ومصائبهم

ان اوميروس الشاعر اليوناني المشهور كان ضريرًا وفاقد البصر والدس مانوسيوس العلامة المحقق ألقي في السجن لعجزهِ عن دفع اجرة نقل كتبهِ من البندقية الى رومية. ولويس كاموانس الشاعر الفرنساوي لما كُسِرَت سفينتهُ حمل ديوانهُ الشعري بيدهِ وسبح الى الشاطئ تاركًا كل شيء ما خلا ديوانهُ ولكنهُ لم يجد من يحسن اليهِ بقطعة طعام فهلك جوعًا وبعد موتهِ حملوا عظامهُ ودفنوها بالاحترام نادمين على قسوتهم عليهِ. وتوركونوتاسو الشاعر الايطالي سجن في بيمارستان المجانين ظلمًا سبع سنين لاتهامهِ بالكفر في مؤلفاتهِ. وجلبلاس الشهير برواياتهِ بينما كان الناس يتسلون بكتاباتهِ كان يتضور جوعًا. وكلمبوس مكتشف اميركا

عاش فقيرًا مضطهدًا منكدًا . وغليليو مات ظلمًا شهيد الحق بكلامهِ وهو القائل بدورة الارض . وابو العلا المعري كان ضريرًا وملتون الشاعر الانكليزي كان ضريرًا . وسقراط الفيلسوف مات مسمومًا والمتنبي مات قتيلًا

قرد غريب

جاء في لسان الحال عن الليفانت هرلد ان رجلًا من علماء الاميركان اجهد نفسهُ في تعليم بعض القردة فن الموسيقى فاتى بقرد ودربهُ على ضرب الآلة المعروفة بالبيانو . وبعد ان القى عليهِ ٤٨ درسًا حفظ الحانًا كان يرددها بتروٍّ غريب واتقان عجيب واعجب من ذلك ان وضعهُ الطبيعي يسهل لهُ استعمال يديهِ ورجليهِ معًا فكان يضرب الحانًا مزدوجة دون ان يساعدهُ مساعد قالت وعما قليل يقوم القرد مقام المطربين في محاشد اللهو والطرب

غرام النساء بالروايات

كتبت احدى السيدات الى جريدة هربر الشهريَّة تقول ان الاطباء انذروني بقرب وفاتي وبأني لا اعيش حتى تنتهي الرواية التي تدرجها الآن في جريدتك . فارجوك ان تكرم عليَّ بنسخة الخط لكي اقرأها واعرف نهاية القصة قبل موتي فاموت مرتاحة البال . هذا واننا نذكر هذه القصة لا لندرتها بل لنحث مترجمي القصص وكتابها على اختيار انفعها موضوعًا واعفها لفظًا واشرفها غاية لان تعلق الناس ولا سيما النساء بالروايات شديد جدًّا فلا يحسن ان يقدم لهم الَّا ما يهذب ذوقهم ويرفع شأنهم

هدايا وتقاريظ

النقش في الحجر

الجزء الاوَّل

هو كتابٌ اهداهُ الينا فخر علمائنا وذخر ادبائنا العلاَّمة الشهير الدكتور كرنيليوس ڤان ديك صاحب المآثر العديدة الحميدة والتآليف الكثيرة المفيدة فانهُ اطال الله بقاءهُ "لما وجد جنَّات المعارف التي سبقت يداهُ فغرست اكثرها في الشام قد اينعت وازهرت وديار العلم قد كثرت والطلاب قد طلبتها وتقاطرت رأى على كثرة اشغالهِ وكبر سنّهِ ان يفي لهم حاجةً خاف ان تكون في سبيل الطلاَّب حاجزًا عن احراز العلوم وانتشار المعارف فتحوَّل عن تأليف الكتب السامية واشتغل في تأليف كتاب حوى مبادئ العلوم والفنون ليكون مرقاةً للطلبة الاصاغر الى طلب العلوم في المدارس العالية وسمَّاهُ "النقش في الحجر" مراعاةً للمثل القائل العلم في الصغر كالنقش في الحجر. وقد صدر الآن الجزء الاول من اجزاء هذا الكتاب العميم الفوائد وهو مقدّمة لما يليهِ من الاجزاء ويشتمل على مواضيع تمهيديَّة لكل العلوم الطبيعية والعقلية. ففيهِ كلامٌ على الحواس والسبب والمسبَّب والنواميس الطبيعية وخصائص الماء والثقل والوزن والجاذبية والجرم والغاز والضباب والصقيع ونحوها وفيهِ كلام على الفرق بين الجماد والحي والهيولى وغير الهيولى على اسلوب يقرّب من اذهان الاصاغر ما يعسر افهامهُ في غير هذا الكتاب للرجال الاكابر. ولا غرو فحسبنا في وصف هذا الكتاب ان نقول انهُ تأليف رجل

قد حوى في صدرهِ اكثر العلوم وجارى تقدم المعارف طول زمانهِ وقضى العمر في اختبار طرق الدرس والتدريس وألّف من الكتب عددًا عديدًا وعرف ما يلزم لاعانة المعلم والتسهيل على الطالب وما يعاب اثباتهُ وما يجب اسقاطهُ الى غير ذلك مما قلما يجتمع في غيرهِ

فنصيحتنا لابناء الشرق عمومًا ان لا تخلو مكتبةٌ لاحدهم من هذا الكتاب النادر المثال الرخيص الثمن ونصيحتنا لارباب المدارس خصوصًا ان يعولوا عليهِ في مدارسهم اذا راموا تحقيق فوائدها وغرس مبادئِ العلوم المقررة في عقول التلامذة وتربيتهم على البحث عن الامور من وجهها العلمي

ولما كان هذا الكتاب قد رُوعي فيهِ حال الطلبة ودرجة عقلهم ومدة تعليمهم طبقًا للائحة الجديدة التي نظمها حضرة العالمين الفاضلين سعادة عبد الرحمن باشا رشدي ناظر المعارف المصرية وسعادة يعقوب باشا ارتين وكيلهِ فياحبذا لو ان سعادتهما يجعلان اعتماد المدارس المصرية عليهِ فانهُ خير ما يفي بطلبهما وارخص ما يحصلان عليهِ

ولا بدّ للمدارس من الاعتماد على هذا الكتاب او على ما كان مثلهُ سواء استعد التلامذة فيها للدخول الى مدارس اعلى منها او دخلوا اشغال العلم بعد خروجهم منها توًّا . لانهم اذا دخلوا المدارس العالية فهذا الكتاب لازم ليسهّل عليهم تحصيل اشتات العلوم واذا دخلوا العالم كانوا مثقفين عقلاً قادرين على مطالعة الكتب والجرائد العلمية وفهم ما يجدُّ من الآراء والاكتشافات في زمانهم. فان اعظم سبب لترقي الافرنج وسرعة تقدمهم هو في اعتقادنا درس خاصتهم وعامتهم لمبادئ العلوم والفنون فاذا رمنا مجاراتهم والفوز بالسبق في ميادين الحياة فلنستعد كما استعدوا ولنتعلم (وقد توفرت لنا الوسائط) كما تعلموا"

شرح قانون التجارة المصري

قد انتهى من مطبعة المقتطف طبع هذا الكتاب النفيس تأليف حضرة الفاضل عزتلو عبد العزيز بك كحيل وكيل النائب العمومي عن الحضرة الخديوية بمحكمة استئناف مصر الاهليَّة بمساعدة جناب عزتلو يوسف بك وهبة رئيس قلم ترجمة نظارة الحقَّانيَّة بمصر وقد شرح فيهِ قانون التجارة شرحًا جميلاً مستوفى ما يهم التجار والمحامين وارباب المحاكم الوقوف عليهِ. وقد جاء مجلَّدًا كبيرًا بحرفٍ واضح وطبع وورق جيدين . يباع في مكتب ادارة المقتطف وعند كبار الكتبيين في مصر ويطلب من وكالة المقتطف في بيروت

الالفاظ العربيَّة والفلسفة اللغويَّة

رسالةٌ وضعها حديثًا الكاتب الاديب العصامي جرجي افندي زيدان وهي تتضمن بعض الملاحظات على اللغة العربية وعلم اللغة وجعلها تقدمة احترام لخير من تهدَى اليهِ الكتب بل القلوب "حليف الانسانية وعماد البرّ استاذنا الخطير العلاَّمة الفيلسوف الدكتور كرنيليوس ڤان ديك الافخم" وهذه الرسالة تشتمل على خمس قضايا ونتيجة

(١) ان الالفاظ المتقاربة لفظًا ومعنًى هي تنوعات لفظٍ واحد

(٢) ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها

(٣) ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية تحاكي اصواتًا طبيعية

(٤) ان جميع الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظٍ واحد او بضعة الفاظ

(٥) ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهٍ في الصور الذهنية

(النتيجة) ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصول محصورة عداً احادية المقطع معظمها ماخوذٌ من محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها من الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً

فنثني على اجتهاد حضرة مؤلفها وعلو همتهِ ونتمنى ان يكثر امثالهُ في البلاد الشرقية لتعم الفائدة

رواية انسان الغاب

قد اعتنى بتعريب هذه الرواية الشاب النجيب الذكي روفائيل افندي زاكي كوهن وجعلها تقدمة لحضرة والدهِ الفاضل الغيور الحاخام زاكي كوهن رئيس المدرسة الاسرائيلية ومؤسسها في بيروت وهي من الروايات اللطيفة الجديرة بالقراءة والاقتناء فنثني على معرّبها الهمام

لائحة المدارس الارثوذكسية بدمشق

ظهرت لائحة مدارس الروم الارثوذكسية في دمشق الشام للسنة الثالثة عشرة بوكالة جناب الاديبين الفاضلين الياس عبده بك قدسي وميخائيل افندي كليله عن ثلاث سنوات ابتداؤُها شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٢ وانتهاؤُها شهر آب (اغسطس) سنة ١٨٨٥ فكانت الايرادات ١٠ بارات و١٤٠١٤٦ غرش والمصارفات ١٤٨٨٤٢ ½ وكان عدد التلامذة ٣٢٣ والتلميذات ١٢٥ اما دروس الصبيان في هذه المدارس فالعربية والتركية واليونانية والافرنسية و يبتدئون بها من القراءة والخط الى الصرف والنحو والبيان والعروض والانشاء والمنطق والجغرافيا والحساب ومسك الدفاتر والجبر والهندسة والفلسفة الطبيعية

ودروس البنات العربية والافرنسية ومبادي الصرف والنحو والانشاء والجغرافيا والحساب وشغل اليد . اما التعليم المسيحي فمفروض على كل تلميذ وتلميذة

فنثني جزيل الثناء على المحسنين القائمين باعباء هذه المدارس المفيدة ونتمنى لها تمام التوفيق والنجاح

جمعية بزوغ شمس الاحسان الارثوذكسية بزحلة (لبنان)

لقد أُنشئت هذه الجمعية لاحسن قصد وأنفع غاية ولها عدة سنين توزّع ما تجمعهُ من المحسنين ومن اعضائها على الفقراء والمحتاجين وتطبع في كل سنة لائحة باسماء اعضائها مع دِخلها وخرجها وفي هذه السنة أُتحفنا بلائحة تشير الى كل ما تقدم وقد تبرع الذكي المهذب اديب افندي هاشم كاتب الجمعية باعانة طبعها فنثني على همة نيافة رئيسها وحضرة عمدتها واعضائها الكرام ومن ساعدهم في عملهم المبرور ونسأل المولى ان يجازيهم جزاء الخير وخير الجزاء

جمعيَّة شمس البر

ورد علينا رسالة من بيروت عنوانها " اعمال جمعيَّة شمس البر من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٦ مع بعض خطب " وقد تصفَّحناها فوجدنا فيها مقدّمة في تاريخ جمعيَّة لندن المركزية وتاريخ جمعيَّة شمس البر في بيروت مع قوانينها العموميَّة والخصوصيَّة وملخص اعمالها في السنين الاربع المذكورة في العنوان واسماء الاطباء الذين تبرعوا بالتطبيب فيها واسماء اعضائها وخطبة للعلاَّمة الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات موضوعها ادوار حياة الانسان الخ وقد سبق طبعها في السنة التاسعة من المقتطف وخطبة لجناب حنا افندي دخيل استاذ اللغة الفرنسوية في " المدرسة الاميركانية " موضوعها البراهين على وجود الله وفي الختام دخل الجمعيَّة وخرجها

اما هذه الجمعيَّة فهي من اقدم الجمعيَّات الادبيَّة في سوريَّة ان لم نقل اقدم جمعيَّة ثبتت الى هذا العهد فيها وقد جمعت شبَّانًا من زهرة شبان سوريَّة وافضل ابنائها تشهد لهم اعمالهم ومؤلفاتهم بالسبق والفضل سواء كان في سوريَّة او في غيرها . وغاية الجمعيَّة من انبل الغايات ومساعيها من احسن المساعي . زادها الله نماء وارتقاء واجزل لاعضائها الكرام اجرًا وثوابًا

على اننا قد رأينا انهُ فات الادباء الذين انشأوا الرسالة المذكورة امر لا يصحُّ التغاضي عنهُ في تاريخ هذه الجمعيَّة الجليلة ولعلَّهُ لم يتصل اليهم خبرهُ فاحببنا اثباتهُ هنا لانهُ تاريخ انشاء الجمعيَّة المذكورة فنقول . ان اوَّل من سعى في انشاء هذه الجمعيَّة هو حضرة فارس افندي نمر احد منشئي المقتطف والفقير اليهِ تعالى مؤلف اللطائف . واوَّل جلسة لها كانت في بيت الفاضلة المرحومة كاترين(١) ابنة الياس الخوري وام فارس افندي نمر والذين حضروا الجلسة الاولى عدا المذكورَين آنفًا هم الدكتوران ابرهيم وفضل الله عوض عربيلي واخوهما خليل افندي عربيلي وهم الآن في الولايات المتحدة باميركا والاب الخوري جرجس الشاغوري ونخله افندي قلفاط صاحب سلسلة الفكاهات الغراء وسليم افندي جاويش وذلك في اوائل سنة ١٨٧٠ . ولمَّا كنا يومئذٍ في بدء الصبا وكنا لقلَّة عددنا وضيق ذات يدنا لا نستطيع الانفاق على اعداد لوازم الاجتماع تبرَّعت المرحومة كاترين الخوري المذكورة بغرفة خاصة بالاجتماع

(١) وُلدت هذه الفاضلة في حاصبيا مدينة وادي التيم بسورية سنة ١٨٣٥ وقد اشتهرت بين معارفها بالعقل والاجتهاد و بذل نفسها لتربية اولادها وتعليمهم . اتت بيروت ام ثلثة يتامى بعيد الحادثة التي حدثت بين النصارى والدروز في سورية سنة ١٨٦٠ . وما زالت تعاني المشقات وتحمل الاسفار والاخطار رغبة في تعليم اولادها حتى علمتهم وهذبتهم في احسن مدارس البلاد . ولشدَّة ما عانت من الاتعاب في حياتها اصابها داء عياء اثناء سفرها بحرًا بين يافا و بورت سعيد فقضي عليها سنة ١٨٨٣ رحمها الله رحمةً واسعة

مع ما يلزم من المقاعد والورق والنور ونحوها وبقينا نجتمع في بيت تلك الفاضلة اكثر من سنتين متواليتين وهي تمدنا بارشادها وتهدينا بنصائحها حتى اضطرّت الى ترك بيروت والسفر الى القدس وفي تلك الاثناء كان حضرة مستر منترموط قد تبرّع بالمحل المشار اليهِ في الرسالة . فهذا بدء تاريخ الجمعيَّة وهو ناطق بفضل امرأة من بنات الشرق الفاضلات فالامل ان لا يغفل اثباتهُ عند العود الى طبع تاريخ هذه الجمعيَّة ليكون التاريخ اتمّ والفائدة أعمّ

كتاب سرّ النجاح

هذا كتاب يهمّ كلَّ من يهمهُ صالحهُ في هذا العالم فان القصد منهُ هو ارشاد كل انسان الى ما بهِ نجاحهُ ونقدمهُ بين اقرانهِ وذلك باظهار اسباب التقدُّم والنجاح وذكر الوسائط والطرق التي نجح بها الذين اشتهروا وتقدَّموا في الارض، ولذلك كثر الطلب على هذا الكتاب لشدَّة افتقار الناس اليهِ وكثرت ترجماتهُ من لغتهِ الاصلية الى كل اللغات المشهورة وطُبع فيها مرارًا عديدة لا سيما وقد شهد بلزومهِ وبنفعهِ كل من يوثق بشهادتهِ من الذين قرأُوهُ. فقد شهد لهُ جلالة ملك ايطاليا "انهُ من اكبر الوسائط لترقي اهل مملكتهِ" وقال فيهِ الفيلسوف الدكتور ڤان ديك "انهُ من انفع الكتب التي يحتاج اليها كل فردٍ من افراد هذه البلاد وغيرها" واجمعت الجرائد الدينيَّة والعلميَّة والادبيَّة والسياسيَّة على انهُ من انفع الكتب التي وُضعت لتهذيب البشر وحثهم على طلب المعالي والاتّصاف بمكارم الاخلاق

والذي ترجم هذا الكتاب الى العربيَّة هو حضرة العالم يعقوب افندي صروف احد منشئَي المقتطف الفاضلين وطُبع قبل الآن طبعتين الَّا انهُ تبيَّن لحضرة منشئَي المقتطف بعد ذلك ان فائدة هذا الكتاب لا تتمّ الَّا اذا زيد

عليهِ ما يجعلهُ نافعًا لاهل الشرق كنفعهِ لاهل الغرب . ولذلك نقحاهُ وزادا عليهِ اكثر من ثلثهِ من الامثال والحكم والشواهد وترجمات كثيرين من عظماء المشرق وفضلائهِ والذين اشتهروا فيهِ من المتقدمين والمحدثين مثل جنكيز خان وتيمورلنك وابرهيم باشا والامام السيّد محمد القصبي ومحمود باشا الفلكي والعلاَّمة بطرس البستاني والفيلسوف الدكتور كرنيليوس ڤان ديك وكثيرين آخرين . وقد اضافا اليهِ فهرسًا جمعا اكثر ما ورد فيهِ من الاعلام وضبطا الاعلام الافرنجيَّة منها بذكر التهجئة الافرنجيَّة معها وعلَّقا على كلٍّ منها شرحًا وجيزًا بحيث تزول منها الغرابة ويألفها الذوق على اسهل سبيل . فجاء الكتاب بذلك تحفةً من تحف هذه الايام وفريدة من فرائد هذا الزمان لا يستغني عنها قارئٌ من قرَّاء العربيَّة كبيرًا كان او صغيرًا عالمًا او غير عالم

وقد نجز طبع هذا الكتاب حديثًا في مطبعة المقتطف بمدينة القاهرة المحميَّة وهو يحتوي نحو ثلثماية وثلاثين صفحة كهذه الصفحة حرفًا وقطعًا وقد جُلِّد تجليدًا حسنًا ويباع في مكتبة ادارة المقتطف وغيرها من مكتبات المحروسة النسخة باربعة فرنكات او خمسة عشر غرشًا ميريًا . وكلُّ من اراد من خارج مصر القاهرة مشترى هذا الكتاب المفيد اللذيذ فليتكرم بارسال القيمة المذكورة مع ثلثة ارباع الفرنك اجرة البوسطة فيرسل اليهِ الكتاب في البوسطة حالاً بغاية الضبط . ولكنهُ لا يُرسَل الاَّ للذي يُرسِل ١٨ غرشًا (اي الثمن واجرة البوسطة) مقدمًا

لدينا مقالات ورسائل وتقاريظ منعنا ضيق المقام من نشرها وموعدنا في ادراجها الاجزاء الآتية ان شاء الله

المرأة الكريمة

حكي أنَّ عبد الله بن عبَّاس كان من اكابر الاجواد الكرام فنزل منزلاً وكان منصرفًا من الشام الى الحجاز . فطلب من غلمانهِ طعامًا فلم يجدوا . فقال لوكيلهِ اذهب في هذه البرّيَّة فلعلَّك تجد راعيًا او حيًّا فيهِ لبنٌ او طعامٌ . فمضى بالغلمان فوقعوا على عجوزٍ في حيٍّ . فقالوا لها أعندكِ طعامٌ نبتاعهُ . قالت اما طعام البيعة فلا ولكن عندي ما بهِ حاجةٌ لي ولابنائي . قالوا فأين بنوكِ . قالت في رعيٍ لهم وهذا اوان اوبتهم . قالوا فما أعددتِ لكِ ولهم . قالت خُبزَةً تحت ملَّتها . قالوا وما هو غير ذلك . قالت لاشيء . قالوا فجودي لنا بشطرها . فقالت اما الشطرُ فلا اجود بهِ واما الكل فخذوهُ . فقالوا لها تمنعين النصف وتجودين بالكل . فقالت نعم لان اعطاء الشطر نقيصةٌ واعطاء الكل كمالٌ وفضيلة . فانا امنع ما يضعني وامنح ما يرفعني . فأخذوها ولم تسألهم من هم ولا من اين جاؤُا . فلما جاؤُا الى عبد الله وأخبروهُ بخبرها عجب من ذلك . ثم قال لهم احملوها اليَّ الساعة فرجعوا اليها وقالوا لها انطلقي معنا الى صاحبنا فانهُ يريدك فقالت ومن صاحبكم قالوا عبد الله بن عباس قالت

وابيكم هذا هو الشرف العالي وذروتهُ الرفيعة وماذا يريد مني قالوا مكافأتك وبرّك فقالت أوّاه والله لو كان ما فعلت معروفاً ما أخذت لهُ بدلاً فكيف وهو شيء يجب على الخلق ان يشارك فيهِ بعضهم بعضاً فلم يزالوا بها حتى أخذوها اليهِ فلما وصلت سلّمت عليهِ فردّ عليها السلام وقرب مجلسها ثم قال لها ممن انتِ قالت من بني كلب قال فكيف حالك قالت اسهر اليسير واهجع اكثر الليل وأرى قرّة العين في شيء فلم يكُ من الدنيا شيء الّا وقد وجدتهُ قال فما ادّخرتِ لبنيكِ اذا حضروا قالت أدّخر لهم ما قالهُ حاتم طي حيث قال

ولقد أبيتُ على الطوى وأظلّهُ حتى أنالَ بهِ كريمَ المأكلِ

فازداد عبد الله منها تعجباً . ثم قال لها لو جاء بنوكِ وهم جياع ما كنتِ تصنعين . قالت : يا هذا لقد عظمت عندك هذه الخبزة حتى اكثرت فيها مقالك . وأشغلت بها بالك . ألهُ عن هذا فانهُ يفسد النفس ويؤثر في الخسّة . فقال عبد الله أحضروا لي اولادها فأحضروهم فلما دنوا منهُ رأوا أمهم وسلّموا . فأدناهم اليهِ وقال : اني لم اطلبكم وأمكم لمكروهٍ وانما أُحب ان أُصلح من شأنكم وألمّ شعثكم . فقالوا ان هذا قلّ ان يكون الّا عن سؤالٍ

او مكافأةٍ لفعل قديم . قال ليس شيء من ذلك ولكن جاورتكم في هذه الليلة فأَحببتُ ان اضع بعض مالي فيكم . قالوا يا هذا نحن في خفضِ عيشٍ وكفافٍ من الرزق فوجّهة نحو من يستحقهُ . وان أردت النوال مبتدأً من غير سؤَال فتقدَّم فمعروفك مشكور وبرُّك مقبول . فقال نعم هو كذلك . وأَمرلهم بعشرة آلاف درهم وعشرين ناقة . فقالت العجوز لاولادها ليَقُل كلٌّ واحدٍ منكم شيئًا من الشِّعرِ وانا أَتبعكم في شيءٍ منهُ . فقال الاكبر

شهدتُ عليكَ بطيبِ الكلامِ — وطيبِ الفعالِ وطيبِ الخبَرْ

وقال الأَوسط

تبرَّعتَ بالجودِ قبلَ السؤَالِ — فعالُ عظيمٍ كريمِ الخطَرْ

وقال الأَصغر

وحقٌّ لمن كانَ ذا فعلهُ — بأَن يسترقَّ رقابَ البشَرْ

وقالت العجوز

فعمركَ الله من ماجدٍ — وَوُقّيتَ كلَّ الرَّدى والحذَرْ

طُلِب رجل حديثًا للمبارزة فقال لمن طلبهُ متى اردتُ الموت فانا قادر ان اقتل نفسي

ملح

بقلم جناب عبد الله افندي يوسف جاويش وغيره

قيل ان رجلين بقيا عشرين سنة مزوجين ولم يرزقهما الله اولادًا وكان لقب احدهما ابا يوسف ولقب الآخر ابا حنا فشرع احدهما في بناء بيت واذ كان البناؤون شارعين في بناء السلم اتى ابو يوسف وقال لابي حنا يا صاح هذا السلم غير مستقيم دع البنائين يصلحونهُ لانهُ ربما صعد عليهِ حنا فوقع فقال لهُ لاتخف فانهُ عند ما تعثر رجلهُ يركض يوسف حالاً فيعضدهُ

جواب الحكيم

سأل قوم الفيلسوف ديوجينس في اي محل تريد ان تدفن بعد موتك فقال على وجه الارض فقالوا أفلا تخاف ان تاكلك الطيور والوحوش فقال ضعوا بجانبي عصًا لكي اطردها بها قالوا لهُ انك تفقد الاحساس ولا تعرف بمجيئها فقال اذا كنت لا احس فماذا اخسر اذا اكلتني

جواب لطيف

قابل نابوليون الاول ذات يوم اميرة في بلاطهِ واذ كان يحتقر السيدات اللواتي لا يقدرنَ ان يقمنَ بحق واجباتهنَّ سألها قائلاً هل تعرفين الخياطة فاجابتهُ على الفور هل من ثياب ممزقة لسيدي الملك يريد ان ارقعها لهُ

حسن التخلص

رأى بعضهم اعرابيًا ياكل فاكهة جهارًا في شهر رمضان فقال لهُ ويحك لِمَ تفعل هكذا ألاَ تعلم انهُ لايجوز فاجابهُ رُح يا شيخ أما سمعت قولهُ تعالى كلوا من ثمرهِ اذا اثمر فخفت ان اموت قبل ان افطر فاموت عاصيًا

بسالة جندي

حكي عن شاب كان متجندا في العسكرية وآب الى وطنهِ سالمًا مفتخرًا بنصراتهِ فسألهُ من حولهُ عن الغزوات التي فاز بها فاجابهُ اني قطعت ذراع عدوٍ بيدي وحدي فسألهُ بعض السامعين أما كنت فعلت حسنًا او قطعت عنقهُ فاجابهُ الجندي ضاحكًا قد فعلت ذلك وهو مقطوع الراس . انتهى

العتابي

لقي العتابي الشاعر ابا نواس يومًا فقال لهُ أما تستحي من الله بقولك

واخفت اهل الشرك حتى انهُ   لتخافك النطف التي لم تخلقِ

فقال لهُ ابو نواس ايضًا أما استحيت من الله بقولك

ما زلت في غمرات الموت مطرحًا   يضيق عني وسيع الراي من حيلِ
فلم تزل دائبًا تسعى بلطفك لي   حتى اختلست حياتي من يدي اجلي

اجابهُ العتابي سبحان من جعل في فيك لكل سؤال جواب فقال ابو نواس تبًا لمن جعل في فيك لكل سؤال زلة

السائل وعبيد الله بن عباس

من جود عبيد الله بن عباس انهُ اتاهُ سائل وهو لا يعرفهُ فقال لهُ صدّق فاني نبئت ان عبيد الله بن عباس اعطى سائلاً الف درهم فاعتذر اليهِ . فقال لهُ واين انا من عبيد الله قال اين انت منهُ في الحسب ام في كثرة المال قال فيهما . قال اما الحسب في الرجل فمروءتهُ وفعلهُ واذا شئت فعلت واذا فعلت كنت حسيبًا . فاعطاهُ الفي درهم واعتذر اليهِ من ضيق الحال . فقال لهُ السائل ان لم تكن عبيد الله بن عباس فانت خيرٌ منهُ وان كنت هو فانت اليوم خيرٌ منك امس . فاعطاهُ الفًا أخرى . فقال السائل هذه هزّة كريمٍ

حسيب والله لقد نقرت حبة قلبي فافرغتها في قلبك فما اخطأت الاّ باعتراض الشد من جوانحي

حسن الجواب

التقت فتاة صغيرة برجل سمين فقالت لهُ هل لك ان تدلني على المعبد فقال لها وما تريدين منهُ فقالت اريد ان اصلي فيهِ فقال انك تضيعين الوقت سدًى . انظري ما اسمنني وما اجود صحتي مع اني لم ادخل المعبد قط . فقالت الفتاة اني لا اتعجب من ذلك يا خواجا لان ابي عندهُ خنزير اسمن منك وهذا الخنزير لم يدخل المعبد قط

الذكاء

سأَل رجل ولدًا مَنْ قَبل الله فقال لهُ عدَّ لي من الواحد الى العشرة فاجيبك فابتدأَ الرجل ان يعد فقال لهُ الولد مهلاً قل لي ماذا قبل الواحد قال لا شيء وهو الاول فقال الولد متى قلت لي ما قبل الواحد اقول لك من قبل الله

حسن اسلوب النصح

قيل انهُ كان لابي حنيفة رضي الله عنهُ جار إِسكاف بالكوفة يعمل نهارهُ أَجمع فاذا جنهُ الليل رجع الى منزلِهِ بلحم وسمك فيطبخ اللحم ويشوي السمك فاذا دبَّ فيهِ السكر أَنشد

أَضاعوني وأَي فتىً أَضاعوا ليومِ كريهةٍ وسداد ثغرِ

ولا يزال يشرب ويردّد البيت الى ان يغلبهُ السكر وينام وكان الامام ابو حنيفة يصلّي الليل كلهُ ويسمع حديثهُ وانشادهُ ففقد صوتهُ بعض الليالي فسأَل عنهُ فقيل أَخذهُ العسس منذ ثلاثة ايام وهو محبوس فصلَّى الامام الفجر وركب بغلتهُ ومشى واستأْذن على الامير فقال آئذنوا لهُ واقبلوا بهِ راكبًا حتى يطأَ البساط فلمَّا دخل على الامير أَجلسهُ مكانهُ وقال ما حاجة الامام فقال لي جار إِسكاف أَخذهُ العسس منذ ثلاثة ايام فتأْمر بتخليتهِ فقال نعم وكل من أُخذ تلك الليلة الى يومنا هذا . ثم أَمر بتخليتهِ وتخليتهم اجمعين فركب الامام وتبعهُ جارهُ الاسكاف فلمَّا وصل الى دارهِ قال لهُ الامام أَترانا أَضعناك قال لا بل حُفِظت ورُوعِيت جزاكَ اللهُ خيرًا عن صحبة الجوار ورعايتهِ ولله عليَّ ان لا أَشرب بعدها خمرًا فتاب من يومهِ ولم يعُدْ الى ما كان عليهِ

المخترعات الاميركية

كان عدد الاختراعات التي اجازتها الحكومة الاميركية في السنة الماضية ٢٤٢٣٣ اختراعًا وفي السنة التي قبلها ٢٠٤٢٢ اختراعًا فما اصدق ما قيل ان الذي معهُ يعطى ويزاد

تقاريظ وهدايا

ورد لنا التقريظ الآتي من الشاعر المطبوع عبد الله افندي فريج فقلدنا به جيد اللطائف

ألا حبَّذا من روضةٍ راقَ حسنها ... بظلٍّ عميمٍ في ذرى المجدِ وارفِ
بها قد تدانت يانعاتٌ قطوفها ... فطابت مجانيها لاهل المعارفِ
فللعلمِ فيها كم تجلَّت معالمٌ ... وللفضلِ فيها كم تليدٍ وطارفِ
تسامت معانيها بدورًا طوالعًا ... فجرّت على الاقرانِ ذيلَ المطارفِ
ولما لاربابِ النُهى رقَّ طبعها ... فناداهم التاريخُ عن صوتِ هاتفِ
ألا أبشروا بالحظِّ مع نائل الصفا ... شموس البها لاحت بنور اللطائفِ
١٨٨٦ ... ١٣٠٣

وقال جناب الشاعر الاديب حبيب افندي غزالة

هذي رياضٌ بالبدائع ازهرت ... ودنتْ ثمارُ علومها للجاني
جمعت فكاهات الحديث فاصبحت ... من كل فاكهةٍ بها زوجانِ
عَذُبت مواردها وطابَ نميرُها ... وجلت برقتها صدى الاذهانِ
وتلا الهزارُ على منابر حسنها ... آيات نظمٍ من بديع معانِ
هي آية الفتح التي قد قلدَت ... جيد النهى بقلائد العقيانِ
للهِ درُّ محرّرٍ ببيانهِ ... سحَرَ العقول وسادَ بالعرفانِ
لا زال يهدينا اللطائف جمَّةً ... ما غرَّدت وِرقٌ على اغصانِ

وقال في الاهرام الاغرّ بالعدد ٢٥٢٧

تلقينا العدد الاول من مجلَّة اللطائف فالفيناها كاسمها جامعة احسن النكات الادبية مما يروق لاهل العصر حاوية ما اشتهر به حضرة موءلفها

شاهين افندي مكاريوس مدير جريدة المقتطف الاغر من حسن الذوق وسلامة الطبع فنتمنى لها مزيد التوفيق واتم النجاح

وقال في الرائد التونسي الزاهر

اهدانا جناب الاديب البارع مدير جريدة المقتطف الغراء مجلتهُ الشهرية التي وسمها باللطائف ولما امعنا فيها النظر الفيناها اسمًا وافق مسماهُ مزهرة الرياض مترعة الحياض وحاويةً من فوائد الصناعة ونتائج الزراعة والنوادر الادبية والظرائف الفكاهية والطرائف التاريخية والمباحث العلمية من كل ما يروق الناظر ويبهج النفس والخاطر فنقدم لمنشئها الفاضل مزيد الثناء داعين لها بالتقدم في مدارج الاشتهار والارتقاء

وقالت جريدة الاعلام البهية في العدد ١٢٩

اتحفنا جناب المتفنن البارع شاهين افندي مكاريوس مدير المقتطف الاغر بغرر من لطائفهِ البهية وآدابهِ العبقرية فتصفحناها فوجدناها شاهدة لمنشئها بكمال اللطائف هامية بغيوث النفائس والظرائف وهي مجلَّة ادبية شهرية قيمة اشتراكها ١٢ فرنكًا في السنة

شرح قانون اصول المحاكمات الجزائية الموقت

لجناب يورغاكي افندي وطلعت افندي من معاوني باش مدعي عمومي محكمة التمييز الموقرة. وقد ترجمهُ الى العربية مصطفى افندي رشيد الرفاعي كاتب تحريرات رسومات بيروت حالاً بمناظرة حضرة الاستاذ الشرعي جندي زاده فضيلتلو الشيخ سعيد افندي معاون مدعي عمومي لواء بيروت

يسرنا ويسرُّ كل من يحب تقدم وطنهِ واعلاء شأنهِ ان نرى ادباء سورية مقبلين على التأليف والتصنيف والشرح والترجمة ومطابعها متسابقة الى طبع الكتب الكثيرة في العلوم القضائية والطبيعية والتاريخية والروايات

والفكاهات. وقد سارت بيروت الحديثة في خطة بيروت القديمة وستكون مهدًا للعلوم والمعارف ان شاء الله. وهذا الكتاب الجديد يعلم نفعهُ كل من طالع قوانين العدلية الجديدة وعلم ان الدولة العلية قد نقحتها بعد نشرها واضافت اليها بعض المواد واقرّت محكمة التمييز التي هي اعلى محكمة عند الدولة العلية قرارات عديدة بشان تطبيق الاحكام القانونية مما يعدُّ تفسيرًا للقوانين المذكورة فيجب جمعهُ واضافتهُ اليها. وقد تحرّى واضعا هذا الشرح هذه الغاية واعتمدا ايضًا على شرّاح القوانين الاوربية فوقع شرحهما موقع القبول وطبع باللغة التركية وترجم الى العربية وقد صدر منهُ الجزء الاوّل مطبوعًا بنفقة الاديب نخله افندي قلفاط في المطبعة الادبية. وقد ذكرت فيهِ المواد مادةً مادةً بحرف كبير والحقت كل مادة منها بالشرح الوافي بالحرف الصغير

قصة فيروزشاه

ان الكاتب الاديب نخله افندي قلفاط قد تحرّى جمع هذه القصة وتحريرها وطبعها ورصّعها بالاشعار النفيسة وقد نجز طبعها الآن في اربعة مجلدات في كلٍّ منها نحو ٣٠٠ صفحة بقطع كبير. وهي بديعة الاسلوب تسلي القارئ وتوسع دائرة اختبارهِ

تباع في مكتب ادارة سلسلة الفكاهات وفي وكالة المقتطف في بيروت. وتطلب من ادارة المقتطف في مصر

تاريخ بطرس الاكبر

قد تم بحولهِ تعالى طبع هذا الكتاب منسوقًا بقلم جناب الاديب نخلة افندي قلفاط فجمع بين تنسيق الحوادث وذكر اسبابها وهو يتضمن اولاً جغرافية روسيا وتاريخها القديم حتى بطرس الاكبر امبراطورها الاول ومن ثمَّ ذكر

ما كان لهذا الامبراطور من الاعمال العظيمة والحروب الكثيرة وما صادفهُ من الغرائب التي قلَّ مثالها . ومما ورد فيهِ ان هذا الملك العظيم "كان يميل الى حرّية الاديان ويرغب في دخول الاجانب بلادهُ والاختلاط باهلها (ولكنهُ لم يرضَ باقامة الجزويت فيها ولذلك اصدر امرًا عامًّا بطردهم من عموم بلاد روسيا وذلك في نيسان (ابريل) سنة ١٧١٧ (١) والسبب انهُ لمَّا رآهم كثيري الدسائس السياسية والمداخلات الفضولية خاف منهم على الاخلال بالمملكة بخلاف الكبوشيين الذين كان يرغب فيهم ولا يتضرر منهم لالتفاتهم الى خدمة الكنيسة فقط وتركهم كل ما هو خارج عن الدين وعدم مداخلتهم في ما لا يعنيهم" ☆ يطلب من ادارة المقتطف في مصر ومن مكتب سلسلة الفكاهات في بيروت

كتاب مرشد العيال في تربية الاطفال

هو كتاب مفيدٌ جدًّا للبيوت والعيال ألَّفهُ جناب صديقنا الفاضل الدكتور سليم جلخ وطبعهُ في المطبعة الادبيَّة ببيروت وقد ورد لنا منهُ عدة نسخ فمن شاءهُ فليطلبهُ من ادارة المقتطف في مصر

رسالة في اليمين

على مقتضى قوانين المحاكم الاهلية المصرية

هي رسالة مسهبة في بابها فيها شرح وافٍ عن اليمين المفروضة على القضاة واعضاء قلم النائب العمومي وموظفي المحاكم والشهود واهل الخبرة وعن اليمين

(١) اللطائف ☆ وقد طرد الجزويت اي اليسوعيون من فرنسا سنة ١٥٩٤ وسنة ١٧٦٤ وسنة ١٨٤٥ وسنة ١٨٨٠ ومن اسبانيا وسيسيليا سنة ١٧٦٧ ومن مالطه وبرما سنة ١٧٦٨ وطردوا من بلدان أُخرى في اوقات مختلفة والغى البابا اكليمنضس الرابع عشر رهبنتهم الغاء مؤبدًا سنة ١٧٧٣

الحاسمة للنزاع والمتممة لثبوت الدعوى . انشاها جناب القانوني الفاضل عزتلو عبد العزيز بك نحيل وكيل النائب العمومي بمحكمة الاستئناف الاهلية. طبعت في مطبعة المقتطف وثمنها خمسة غروش ميرية

تاريخ اسكندر الكبير

لقد تُرجم هذا الكتاب من اللغة اليونانية الى العربية وطبع قبلاً في المطبعة الوطنية ثم نقح وطُبع ثانيةً في بيروت في مطبعة صديقنا الفاضل خليل افندي سركيس المعروفة بالمطبعة الادبيّة ويباع فيها النسخة بفرنك

سمير الجلاس في بديع الجناس

قد نظم هذا الديوان الشاعر المجيد عبد الله افندي فريج والتزم فيهِ الجناس التام وقد شهد لهُ جمهور من العظماء والعلماء كصاحب السعادة مصطفى باشا صبحي والاستاذ الفاضل الامام السيد محمد القصبي وغيرهما وقرظوهُ باطيب التقاريظ ☆ تمَّ طبعهُ في مطبعة المقتطف . وثمنهُ اربعة غروش ميرية ويطلب من ادارة المقتطف بمصر

ما تفعلهُ اليوم تلقاهُ غداً

هذه رواية ادبية تاريخية ألَّفها جناب الاديب حبيب افندي بنوت وضمنها كثيرًا من الحكم والاقوال السديدة متوخيًا نصرة الآداب والفضيلة وعين مواقعها في البلاد الشرقية كتدمر وبعلبك ومصر فذكر لمعًا كثيرة من تاريخها وطرفًا من احوالها وعاداتها جامعًا بذلك الى لذَّة الفكاهة لذَّة الفائدة التاريخية باسلوب من الانشاء سهل المأخذ قريب المنال. وهي تطلب من ادارة المقتطف وثمنها ثلاثة فرنكات

عدد الخيول

احصى الاستاذ ليونارد الجرماني الخيول في بعض الممالك فكان عددها كما يلي

في روسيا	٢١٥٧٠٠٠٠
في الولايات المتحدة	٠٩٥٠٤٠٠٠
في جمهورية ارجنتين	٠٤٠٠٠٠٠٠
في بلاد النمسا	٠٣٥٠٠٠٠٠
في فرنسا	٠٢٨٨٢٨٥٠
في جرمانيا	٠٢٣٥٢٣٢١
في اوراغواي	٠١٠٠٠٠٠٠
في كندا	٠٢٦٢٤٠٠٠
في اسبانيا	٠٠٦٨٠٣٧٣
في اسوج ونروج	٠٠٦٥٥٤٥٦
في ايطاليا	٠٠٦١٥٤٥٧
في الدنيمرك	٠٠٣١٦٥٧٠
في استراليا	٠٠٣٠٤٠٠٠
في بلجكا	٠٠٢٨٣١٦٣
في هولندا	٠٠٢٥٠٠٠٠
في سويسرا	٠٠١٠٥٠٠٠
في بلاد اليونان	٠٠١٠٠٠٠٠
في البرتوغال	٠٠٠٨٨٩٠٠

وفي اسبانيا ٢٣١٩٤٨٦ بغلاً وفي ايطاليا ٢٩٠٣٨٦٨ بغلاً ايضاً وفي البرتوغال ٥٠٢٩٠ بغلاً و ١٢٧٩٥٠ حماراً

اصابة الحدس

قد كان ابن جميع الاسرائيلي من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وحظي في ايامهِ وكان رفيع المنزلة نافذ الامر ومما نقل عنهُ من حذقهِ انهُ كان جالساً في دكان وقد مرَّت عليهِ جنازة فلمَّا نظر اليها صاح يا أَهل الميت ان صاحبكم لم يمت ولا يحل ان تدفنوهُ حيًّا فقال بعضهم لبعض هذا الذي يقولهُ لا يضرنا ويتعين ان نمتحنهُ فان كان حيًّا فهو المراد وان لم يكن حيًّا فما يتغيَّر علينا شيءٌ فاستدعوهُ اليهم وقالوا بيّن لنا ما قلتَ فأَمرهم بالعود الى البيت وان ينزعوا اكفانهُ فلما فرغوا من ذلك أَدخلهُ الحمَّام وسكب عليهِ الماءَ الحارَّ وأَحمى بدنهُ ونطلهُ فظهر فيهِ أَدنى حس وتحرَّك حركة خفيفة فقال ابشروا بعافيتهِ ثم تمَّ علاجهُ الى ان افاق وصاح فكان ذلك مبدأَ اشتهارهِ بشدة الحذق والعلم ثم انهُ سئل بعد ذلك ومن أَين علمتَ ان في ذلك الميت بقية روح وهو في الاكفان محمول . فقال نظرت الى قدميهِ فوجدتهما قائمتين وأَقدام الموتى منبسطة فحدست انهُ حيٌّ وكان حدسي صائبًا

الطعام من جوف الارض

ان في الجزيرة الكبيرة المسمَّاة زيلندا الجديدة بركانًا اي جبل نار يخرج منهُ طين لزج كالعجين المصنوع من الدقيق الجيد . واهالي تلك الجزيرة يأكلونهُ ويقولون ان فيهِ دسومة وحلاوة قليلة كالعجين المحلَّى وهذا من أغرب متولدات الطبيعة . واكل الطين والتراب شائع بين هنود اميركا وفي بلدان كثيرة ولكن لم نسمع ان احدًا رأَى طينًا دسمًا حلو الطعم من أَصلهِ

عش رجبًا ترَ عجبًا

أُنشئَت دار للقطط التي لا صاحب لها في مدينة سن فرنسيسكو باميركا لكي يعتنى بها فيها كما يعتنى بالمرضى والعاجزين . وعُقِدَت جمعيَّة في مدينة أُخرى لحماية الذبان ومنع الناس من معاملتها بالقساوة

الملوك في معالجة الجروح

اصدر ملك السرب امرًا ملكيًّا يجبر الاطباء فيهِ ان يقتصروا على استعمال المواد المانعة للفساد كالسليماني واليودوفرم في معالجة الجروح في كل مستشفيات مملكتهِ اذ قد ثبت علميًا وعمليًّا انها انفع طرق العلاج

الغاء الوشم في اليابان

ممَّا يشهد بتقدُّم مملكة يابان وتيقظها اهتمامها بالامور الكبيرة

والصغيرة ايضاً فانها تنشئ المدارس العالية والمعامل الوسيعة وترسل نخبة شبانها الى اوربا واميركا لكي يتقنوا العلوم والفنون فيها ثم تعيدهم الى وطنهم وتنيط بهم رئاسة المدارس والاعمال: وتهتمُّ ايضاً باصغر الامور فانها قد أصدرت حكماً بالامس تمنع بهِ رعاياها من استعمال الوشم المعروف بالدق

فقيد كريم

ورد تلغراف من بيروت الى ادارة المقتطف في الحادية والثلاثين من اوغسطس ينعي اليها كريم قومهِ النسيب الفاضل يوحنَّا ابكاريوس الارمني الاصل السوري المولد والدار والوفاة. توفَّاهُ الله اثر داءٍ عضال وكان برًّا كريماً وشهماً مقداماً تعلَّق على التجارة في القطر المصري وهو شاب فاصاب منها حظًّا وافرًا ثم عاد الى سورية وخدم فيها الدولة الانكليزية فاهدت اليهِ جلالة ملكة انكلترا ساعة ذهبية ثمينة . وخدم المعارف بكتابهِ قطف الزهور في تاريخ الدهور وقاموسهِ الانكليزي والعربي وغيرهما من الكتب التي الَّفها. نسأل الله ان يعزّي آلهُ عن فقدهِ ويوليهم صبرًا جميلاً

تاثير السهر في البشر

خُلِق النهار للعمل والليل للراحة ولكن من الناس مَنْ لا يعبأُ براحة جسدهِ امَّا طمعًا بزيادة الاكتساب من الاعمال او حرصًا على الانهماك بالملاهي او لغير ذلك من الاسباب فلا يلبث ان يقع في مرضٍ يضطره الى ترك العمل واجتناب الملاهي والمسرات فضلًا عن الخسائر المالية التي يتكبدها اجرةً للاطباء وثمنًا للعلاجات . وقد يزيد حرص البعض على السهر اتباعًا لقول القائل "ومَن طلب العلى سهر الليالي" حتى اذا بادرهم النعاس ابتدروهُ بالمنبهات كالشاي والتبغ وما اشبه فيكسبون ساعة ليخسروا ساعات . ولكن مهما كانت خسارة هؤُلاء فانها طفيفة بالنسبة الى الذين يحيون لياليهم بالملاهي والالعاب الباطلة كلعب الورق والطاولة وما اشبه فان من شأْن هذه الالعاب ان تلهي اللاعبين بها حتى لا يشعروا الَّا وقد مضت حصَّة من الوقت . بل قد يصبحون لاعبين وهم لا يدرون فيقضون نهارهم يتثاءَبون ويتمطون واذا تركوا اللعب قبل الصباح وناموا شيئًا من الليل لا يرتاحون في نومهم لما ياخذهم من التفكر في الالعاب

التي تركوها بل قد يشغلهم التفكر بها نيامًا كما اشغلهم قيامًا فيتقلبون على فراش الأرق والكدر . هذا فضلاً عن ان الانوار المستخدمة ليلاً لا بد من ان تضرَّ بالبصر وشاهد ذلك قريب فان أكثر الناس من طلبة العلم في بلادنا امست ابصارهم خاسرة وصاروا مضطرين الى لبس العوينات وهم في شرخ الشباب

ومن جملة اضرار السهر ان الانسان اذا سهر طويلاً جاع غالبًا ثم اذا أكل ونام لم يسلم من سوء الهضم ومن الاحلام المخيفة التي تبدل راحة المنام بالتعب . والسهر الطويل يجعل الانسان جبانًا عديم الحماسة منهوك القوى وقد يبليه بالجنون والضجر والصداع والهزال . والاغماء الذي يصيب بعض النساء ينتج احيانًا من كثرة السهر . ومَنْ شاء الجري بموجب قوانين الصحة فعليه بحفظ القواعد الآتية وهي

اولاً . على النساء ان ينمنَ اكثر من الرجال ولو قليلاً والمرضعات منهنَّ يلزم لهنَّ نوم اكثر

ثانيًا . الانسان يحتاج ان ينام في الصيف اكثر ممَّا في الشتاء

ثالثًا . لا يجوز النوم عقيب الاكل ولا بدَّ من تاخيرهِ عن الاكل ولو ساعة او ساعتين . واصحاب الاعمال العقلية

محتاجون الى النوم اكثر من غيرهم

رابعًا . نوم سبع ساعات او ثمانٍ يكفي الانسان بوجه الاجمال على ان الاطفال يلزمهم اكثر من ذلك كثيرًا والشيوخ ربما اكتفوا باقل

الارتقاء

ان الخَلَف يرثون معارف السَّلَف ويزيدون بها معارفهم فكل جيل من الناس يزيد علمًا وتقدمًا عن الجيل الذي سلفهُ ولا مشاحةَّ في ذلك فان المتقدمين لم يتَّصلوا الى شيءٍ من مكتشفات المتأَخرين ومخترعاتهم ولا تهيَّأَت لهم الوسائط ولا تيسَّرت لهم الاعمال كما تيسَّرت للمتأَخّرين فما كانوا يعملونهُ بكثرة الرجال وبذل النفوس والاموال يعملهُ المتأَخرون اليوم بالنفر القليل على اسهل سبيل ولو شاء المتأَخّرون لنقلوا اعظم المباني دفعة واحدة بالبخار ولم يخشوا ضيرًا ولم يتجشَّموا مشقَّةً . وقد حققت افعالهم امانيَّ المتقدمين فصاروا يغوصون الى لجج البحار ويأُوبون غانمين ويقتحمون النيران ويعودون سالمين ويطيرون

لا على بساط الريح الموهوم بل بقوة الغاز ويأخذون بناصية الطبيعة لقضاء الحاجات والارتقاء في سلّم الكمالات . وكيفما وجّهنا النظر رأينا آثار التقدم مقبلاً وجرثوم الارتقاء نامياً فلا يمرُّ علينا اسبوع الّا سمعنا باكتشاف عجيب او اختراع غريب حتى صارت اسماء ما كُشِف وما اختُرِع تستغرق مجلدات ضخمة ولا يستوفي عددها الّا القواميس المطوّلة . ولو حاولنا ان نعدّد ما جدّ اسمهُ عندنا حديثاً لعددنا منهُ الوفا ولم نأتِ عليهِ كلهِ . فالعالم سائر على قدم النجاح والتقدُّم عامٌّ والارتقاء اكيد لا ينكرهُ ذو الذوق السليم

هذا وانَّ مَنْ يتأمَّل في اسباب التقدم في معارف البشر واحوالهم يجد انها الكدُّ والجدُّ فان الباري عقد الارتقاء بناصية الجدّ في الامور والمثابرة على الاشغال وعلو الهمة في الاعمال . فمن جدَّ وَجَدَ كما جدَّ برنارد بالسي الخزّاف فاكتشف دهان الصيني واثرى وخلّد لنفسهِ ذكرًا حميدًا على ممرّ الايام . وكما جدَّ دزرائيلي وكلادستون فرقيا اسمى المناصب . وجاء في التاريخ ان رجل فرنسا تييرس لم يصلح للجندية لقصر قامتهِ فآلى على نفسهِ ألَّا ينثني عن عزمهِ حتى يجعل لنفسهِ شأناً فصار كما اشتهى رئيساً

لجمهورية فرنسا وحكماً يحل صعاب القضايا ومشكلات الامور تُسند الاقوال اليهِ ويُثنى مدى الاعوام عليهِ . وكان اندرو جنسن خياطاً فصار رئيساً لجمهورية اميركا بجدّهِ وكان كارفيلد حطاباً كما لا يخفى فصار اوَّل رجل لفرط اجتهادهِ وحسن آدابهِ وكان افلاطون بائع زيت فصار اشهر الفلاسفة وكان كوبرنيكوس ابن خباز فكشف بطول الجدّ واعمال الفكر ثبوت الشمس ودوران الارض حولها وكان كبلر ابن خاناتي فقضى عمرهُ على رصد الكواكب حتى اكتشف نواميسهُ المشهورة فشاد للعلم ركناً لا يقوَّض وصرحاً لا يُنقَض

ومع ان باب التقدم الجدُّ والكدُّ فكثيرون يزعمون ان النجاح حظٌّ كأنَّ الباري يبطل السنَّة التي جعل التقدُّم منوطاً بها فتراهم يشكون الفقر ويتعلَّلون بقلَّة العمل والشغل كانهم لا يعلمون ان ارض الله واسعة الفضاء فيها الرزق مبسوطٌ لكل من يشمّر عن ساعد الجدّ

وما طلب المعيشة بالتمنّي ولكن القِ دلوكَ في الدلاءِ
تجيء بملئها طوراً وطوراً تجيء بحمأةٍ وقليلُ ماءِ

فالارتقاء مقدورٌ لكل فردٍ من افراد البشر اذا استعمل له

الشروط المناسبة وواظب على تحصيلهِ مهما كان عملهُ

ومن الاقوال المأثورة ان ما يعملهُ انسان يستطيع على عملهِ كل انسان ويوافق ذلك اقدام نابوليون بونابارت فانهُ اراد ان يحذف لفظ المستحيل من الوجود قائلاً انهُ لا يوجد الاَّ في قاموس المجانين اذ لا مستحيل على اهل الجدّ والاقدام . فقل لمن اثقلت ظهرهُ الهموم وتكاثفت في وجههِ المصاعب كالغيوم لا تيأسنَّ فكل مَنْ جدَّ وجد وكل مَنْ صبر ظفر

لا تقل قد ذهبت اربابهُ　　كلُّ مَن سارَ على الدرب وَصَلْ

وصف اهل الصناعات للبلاغة

احسن الامثلة على ان مدار افكار الانسان وتصوراتهِ يكون معظمهُ على مهنتهِ وعشرتهِ ما حكاهُ الجاحظ قال . اجتمع قومٌ من اهل الصناعات فتواصفوا البلاغة فقال الصائغ خير الكلام ما حميتهُ بكير الفكر وسبكتهُ بمشاعلِ النظر وخلصتهُ من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز في معنًى وجيز

وقال الحداد أَحسن الكلام ما نصبت عليهِ منفخة الرويَّة واشعلت فيهِ نار البصيرة ثم اخرجتهُ من فحم الافحام ورققتهُ

بمغطيس الافهام

وقال النجار ألطف الكلام ما كرم نجر معناهُ فنحتهُ بقدوم التقدير ونشرتهُ بمنشار التدبير فصار بابًا لبيت البيان وعارضةً لسقف اللسان

وقال النجَّاد احسن الكلام ما لطفت رفارف الفاظهِ وحسنت مطارح معانيهِ فتنزَّهت في زرابي محاسنهِ عيون الناظرين وأصاخت لنمارق بهجاتهِ آذان السامعين

وقال العطار اطيب الكلام نظامًا ما عجن عنبر الفاظهِ بمسك معانيهِ ففاح نسيم نسقهِ وسطعت رائحة عبقهِ فتعطرت بهِ الرواة وتعلقت بهِ السراة

وقال الجوهري املح الكلام ما ثقبتهُ الفكرة ونظمتهُ الفطنة ووصل جواهر معانيهِ في سموط الفاظهِ فاحتملتهُ نحور الرواة

وقال الماتح آثر الكلام ما علقت رزم الفاظهِ ثم أَرسلتهُ في قليب الفطن فامتحت سقاء الشبهات واستنبطت فيهِ معنىً يروي من ظماءِ المشكلات

وقال الخياط البلاغة قميص فجربانهُ البيان وجيبهُ المعرفة وكماهُ الوجازة وتخاريصهُ الافهام ودروزهُ الحلاوة ولابسهُ جسد

اللفظ في روح المعنى

وقال الصبّاغ أنقى الكلام ما لم تبيض بهجة ايجازهِ ولم يكشف صبغة الفاظهِ وقد صقلتهُ يد الروية من كؤد الاشكال فراع كواعب الآداب والف عذارى الالباب

وقال الصيرفي اجود الكلام ما نقدتهُ يد البصيرة وجلتهُ عين الروية ووزنهُ معيار الفصاحة فلا نظر يزيفهُ ولا سماع يبهرجهُ

وقال البزّاز احسن الكلام ما صدق رقم الفاظهِ وحسن نشر معانيهِ فلم يستعجم عند نشر ولم يستبهم في طي

وقال الحائك احسن الكلام ما اتصلت لحمة الفاظهِ بسدى معانيهِ فخرج مفوّفاً منيراً وموشّى محبراً

وقال الرائض خير الكلام ما لم يخرج من حد التخليع الى منزلة التقريب الاّ بعد الرياضة . وكان كالمهر الذي اطمع اول رياضتهِ في تمام ثقافتهِ

وقال الجمّال البليغ من اخذ بخطام كلامهِ فاناخهُ في منزل المعنى ثم جعل الاختصار لهُ عقالاً والايجاز لهُ مجالاً فلم يندّ عن الاذهان ولم يشذّ عن الآذان

وقال المخنث احسن الكلام ما تكسرت اطرافهُ وتثنَّت اعطافهُ وكان لفظهُ حلة ومعناهُ حلية

وقال الخمَّار ابلغ الكلام ما طبختهُ مراجل العلم وضمتهُ دنان الحكمة وصفَّاهُ راووق الفهم فتمشت في المفاصل عذوبتهُ وفي الافكار رقتهُ وفي العقول حدتهُ

وقال الفقَّاعيُّ اطيب الكلام ما دوَّخت الفاظهُ غباوة الشك ورفعت رقتهُ فظاظة الجهل فطاب حساءُ نظمهِ وعذب مص جرعهِ

وقال الطبيب خير الكلام ما اذا باشر دواءُ بيانهِ سقم الشبهة استطلقت طبيعة الغباوة فشفي من سوءِ الفهم التفهم واورث صحَّة التوهم

وقال الكحَّال كما ان الرمد قذى الابصار فهذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجلُ رمص الغفلة ببرود اليقظة . قال ثم اجمعوا ان ابلغ الكلام ما اذا اشرقت شمسهُ انكسف لبسهُ واذا صدقت انواؤُهُ اخضرَّت احماؤُهُ

امثال وحِكَم

كلٌّ يحصد ما زرع ويجزى بما صنع . ثمرة العلوم العمل بالمعلوم . نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف . البخيل حارس نعمتهُ وخازن لورثتهِ . اذا ذهبَ الحياء حلَّ الوباء علم لا ينفع كدواء لا ينجع . أَيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم انت فيهِ لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدري ما حالهُ ولا تعرف من أَهلهُ . عظ المسيء بحسن أَفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك . قيل لافلاطون ما الشيء الذي لا يحسن ان يقال وان كان حقًّا قال مدح الانسان نفسهُ . أَربعة تؤَدي الى اربعة الصمت الى السلامة والبرُّ الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة . الحزم أَسدُّ الآراء والغفلة أَضرُّ الاعداء . مَن كبرت همتهُ كثرت قيمتهُ . من ساء خلقهُ ضاق رزقهُ . من صدق في مقالهِ زاد في جمالهِ . من هان عليهِ المال توجهت اليهِ الآمال . شرُّ الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم . من حفر حفيرًا لاخيهِ كان حتفهُ فيه

والفضلُ يعرفُ اهلهُ الفضلاء

دولتلو رياض باشا والدكتور ڤان ديك

شرّف رجل مصر حضرة صاحب الدولة والاعتبار رياض باشا الشهير ادارة المقتطف يومًا فدار الحديث على الاقطاب الذين سطعت شموسهم في سماء العلم وفاح نشر علمهم وفضلهم فعطّر ارجاء المشرق وممّن ذكر بينهم العلّامة الشهير الفيلسوف الدكتور كرنيليوس فان ديك محيي المعارف في ديار الشام خصوصًا وناشر العلم في ديار الشرق عمومًا فجعل بعض معارفهِ يصف بحر علمهِ وسموّ فهمهِ وآخر طول باعهِ وسعة اطلاعهِ وآخر كثرة مؤلّفاتهِ وعجيب ثباتهِ وآخر كرم اخلاقهِ وحسن صفاتهِ وآخر آثار برّهِ ومآثر احسانهِ الى غير ذلك ممّا هو مشهور عنهُ ومأثور . فقال ذو الدولة رياض باشا يباهي البعض بما تحويهِ صدورهم من دقائق العلوم وشوارد المعارف التي يفوقون بها سواهم ويتغافلون عمّا يجب عليهم من الخدمة والسعي لترقية اوطانهم وانارة اذهان بني نوعهم وتعزيز الآداب والفضائل في قومهم فليس لمثل هؤلاء منزلة رفيعة في اعتباري

ولا دلائل قاطعة على وجوب الاعتراف بفضلهم . وانا فلم يسعدني الحظ بلقاء الرجل ولكني لمَّا ارى امامي تاليفهُ العديدة قصد تعليم اولاد البلاد واحادث الذين اقتبسوا العلم والادب والتهذيب عنهُ فاجدهم من خيار الرجال وتبلغني اخبار آثارهِ الحميدة ومآثرهِ العديدة من كل فجٍ ولا يكلمني احدٌ عنهُ الَّا بالثناء على اخلاقهِ والاطراء بمحاسن صفاتهِ اقول قول من عرفهُ بنفسهِ ان الرَّجُل نزل الشرق كنزًا للفضائل والفواضل وبحرًا للعوارف والمعارف فحقَّ لهُ الثناء وحقَّ علينا الوفاء والولاء

لقاء صديق

انسنا بلقاء جناب صديقنا الفاضل الالمعي عزتلو افندم الدكتور الياس بك مطر مفتش المكاتب العالية العمومي واستاذ حفظ الصحة بالمدارس السلطانية في الاستانة العلية ولم يقم في القاهرة الَّا يومين وكان قد صرف نحو ثلاثة اشهر في القطر السوري بين اهلهِ ومعارفهِ وهو من الرجال النجباء الذين يُفتخَر بهم ومصنفاتهُ ومؤلفاتهُ وترجماتهُ العديدة تشهد لهُ بالفضل والذكاء

حاصبيا ومرج عيون

قد وردت الينا الرسائل العديدة من اصدقائنا في القطر السوري تتضمن خبر الاحتفال العظيم الذي كان لغبطة السيد جراسيموس بطريرك الروم الارثوذكس الجزيل الاحترام اثناء تجولهِ في جهات حاصبيا ومرج عيون فلم تكن ترى الاَّ متيمنًا بطالعهِ او مصغيًا الى ارشاداتهِ او داعيًا اياهُ الى وليمةٍ او ملتمسًا منهُ بركةً . ومن الذين حلَّت ركابهُ في دارهم ضيفًا جليلاً نيافة المطران ميصائيل في حاصبيا وحضرات اصحاب الرفعة فارس افندي غبريل وابن شقيقتهِ اسعد افندي صهيون وفارس افندي وابرهيم افندي الاميوني ويوسف افندي وابرهيم افندي وحبيب افندي لطيف واسكندر افندي مطر واسعد افندي قطيط . وقد حفل بلقاء غبطتهِ سعادة الامراء الشهابيين الكرام وحضرة عزتلو قايمقام وفضيلة نائب قضاء تلك الناحية واهاليها . وقد حرَّكت بعضهم الحمية وجادت فيهم القريحة فوقفوا امام غبطتهِ خاطبين متأهلين مترحبين ومن الذين تقدَّموا للخطابة سعادة الالمعي الامير نجيب بك الفارس الشهابي فقدم لغبطة البطريرك

خطبة بالغة حد الاعجاز بالمقصود منها فقبلها غبطتهُ بمزيد الشكر والاعتبار واثنى على الذوات الآدبين وودعهم مادحاً شاكراً

اما في مرج عيون فلم يقلّ الاحتفال عما في حاصبيا فان اهالي تلك الناحية خرجوا للقاء غبطتهِ جماهير يصحبهم شبان ابل السقي الموصوفون بالهمَّة والنخوة فقابلوهُ في سوق الخان مع نيافة المطارنة وحاشيتهِ الكريمة وانزلوهم على الرحب والسعة في بيت جناب رفعتلو الياس افندي ابي سمره حيث تناولوا الطعام واثنى غبطتهُ على الياس افندي واهل بلدتهِ وخصوصاً على الاب الجليل الخوري جرجس المحترم خال الياس افندي ابي سمره

وامَّا في الجديدة مركز الحكومة فقوبل بالاحتفال اللائق من جناب الهمام عزتلو رشيد افندي اباظه القايمقام وفضيلة نائب القضاء والاهالي يتقدمهم الكهنة بالملابس الكنائسية مترغمين حتى دخلوا الكنيسة وتليت الصلوات والادعية ... وبعد الصلاة نزل ضيفاً كريماً على الحسيب النسيب رفعتلو عيد افندي غلميه وتناول عندهُ الطعام وكذلك عند الوجيه رفعتلو سعيد افندي عزام ورفعتلو يعقوب افندي نده. وهناك تقدمت الخطب الرائقة البليغة من حضرات يعقوب افندي المشار اليهِ والدكتور اسعد

افندي رحال وغيرهم وكرم اهل الجديدة مشهور فلا حاجة لزيادة الشرح وذكر الانوار والزينة والنشائد وحسن الاستقبال والوداع وشكر غبطتهِ للجميع. سواءٌ كان في حاصبيا او في مرج عيون

ثم زار مجدل شمس فالتقاهُ اهلها بالترحاب وشرف منازل الافندية نقولا وجرجي الحداد وابرهيم ابو جمرة وخُطِبَت لديهِ خطبة رائقة من حضرة الشيخ صالح احد مشايخ الدروز المعتبرين فسرَّ بها وامر بحفظها وعند رجوعهِ شيعتهُ الجماهير الغفيرة متشكرين من زيارتهِ طالبين خالص ادعيتهِ

ومما يسرُّنا ويسرُّ كل محب لوطنهِ اننا نرى الفرق الواضح بين حالة حاصبيا وجهاتها منذ ثلاثين سنة وحالتها الآن فقد زارها في تلك الايام احد البطاركة المتنيحين فلم يظهر شيءٌ مما ظهر في هذه المرة بل لم يكن احد ليحلم بمثل هذه الاحتفالات المختلفة بين تأهيل ودعوة والتماس وخطابة وغير ذلك مما هو دليل قاطع على تقدُّم تلك الديار وارتقاء اهلها بحيث قد قام بينهم الخطباء والبلغاء والكتبة . فنحمد الله على ذلك ونرجو لهم دوام الارتقاء والفلاح

خطبة بالغة حد الاعجاز بالمقصود منها فقبلها غبطتهُ بمزيد الشكر والاعتبار واثنى على الذوات الآدبين وودعهم مادحاً شاكراً

اما في مرج عيون فلم يقلّ الاحتفال عما في حاصبيا فان اهالي تلك الناحية خرجوا للقاء غبطتهِ جماهير يصحبهم شبان ابل السقي الموصوفون بالهمّة والنخوة فقابلوهُ في سوق الخان مع نيافة المطارنة وحاشيتهِ الكريمة وانزلوهم على الرحب والسعة في بيت جناب رفعتلو الياس افندي ابي سمره حيث تناولوا الطعام واثنى غبطتهُ على الياس افندي واهل بلدتهِ وخصوصاً على الاب الجليل الخوري جرجس المحترم خال الياس افندي ابي سمره

وامّا في الجديدة مركز الحكومة فقوبل بالاحتفال اللائق من جناب الهمام عزتلو رشيد افندي اباظه القايمقام وفضيلة نائب القضاء والاهالي يتقدمهم الكهنة بالملابس الكنائسية مترنمين حتى دخلوا الكنيسة وتليت الصلوات والادعية ... وبعد الصلاة نزل ضيفاً كريماً على الحسيب النسيب رفعتلو عيد افندي غلميه وتناول عندهُ الطعام وكذلك عند الوجيه رفعتلو سعيد افندي عزام ورفعتلو يعقوب افندي نده. وهناك تقدمت الخطب الرائقة البليغة من حضرات يعقوب افندي المشار اليهِ والدكتور اسعد

افندي رحال وغيرهم وكرم اهل الجديدة مشهور فلا حاجة لزيادة الشرح وذكر الانوار والزينة والنشائد وحسن الاستقبال والوداع وشكر غبطتهِ للجميع. سواءٌ كان في حاصبيا او في مرج عيون

ثم زار مجدل شمس فالتقاهُ اهلها بالترحاب وشرف منازل الافندية نقولا وجرجي الحداد وابرهيم ابو جمرة وخُطِبَت لديهِ خطبة رائقة من حضرة الشيخ صالح احد مشايخ الدروز المعتبرين فسرَّ بها وامر بحفظها وعند رجوعهِ شيعتهُ الجماهير الغفيرة متشكرين من زيارتهِ طالبين خالص ادعيتهِ

ومما يسرُّنا ويسرُّ كل محب لوطنهِ اننا نرى الفرق الواضح بين حالة حاصبيا وجهاتها منذ ثلاثين سنة وحالتها الآن فقد زارها في تلك الايام احد البطاركة المتنيحين فلم يظهر شيءٌ مما ظهر في هذه المرة بل لم يكن احد ليحلم بمثل هذه الاحتفالات المختلفة بين تأْهيل ودعوة والتماس وخطابة وغير ذلك مما هو دليل قاطع على تقدُّم تلك الديار وارتقاء اهلها بحيث قد قام بينهم الخطباء والبلغاء والكتبة . فنحمد الله على ذلك ونرجو لهم دوام الارتقاء والفلاح

هدايا وتقاريظ

دروس الجغرافيا

تاليف محمود افندي رشاد احد مفتشي نظارة المعارف العمومية

هذا هو الجزء الاول من دروس في الجغرافية الّفها حضرة محمود افندي رشاد لتدرّس في المكاتب الاهليّة · وهو يبحث عن مبادىء علم الجغرافيا وافريقية وولاياتها ورؤوسها وجبالها وصحاريها وخلجانها وبحيراتها وانهارها الى غير ذلك . وقد رتّب ترتيباً جميلاً موافقاً لحال صغار الطلبة وأُلف تاليفاً بديع بعبارة بسيطة واشارة واضحة ومأخذ سهل . فنثني على حضرة المؤلِّف ونتمنى ان تعم فوائد المؤلَّف

غرائب الزمان

تاليف سليم افندي يوسف عطا الله

هذه رواية ادبيّة الموضوع غرامية الاسلوب اهداها حضرة مؤلفها لصاحب العزّة الفاضل يوسف بك سابا وكيل عموم البوسطة المصريّة فجاءت بذلك ترفل في حلتين باهيتين حلّة وشّيت بالفوائد والعبَر وحلّة دلّت على ما يكون للرئيس في نفس مرؤوسهِ من الاكرام والاعتبار اذا سلك الجدَد فأمن العثار

رواية ادوارد واميليا

تاليف عزيز افندي الزند

هي رواية " غرامية في البداية والنهاية الاّ انها ادبيّة في الموضوع والغاية " اهداها حضرة مؤلفها لصاحب العزة يوسف بك سابا ويقال فيها ما يقال في سابقتها . وكلتا الروايتان على غايةٍ من حسن العبارة وبلاغة التركيب وغرابة الحوادث فلمؤلفيهما طيّب الثناء

اللطيفات

مدام نكر

الشهرة لم توقف على الرجال ولا حُرِم منها النساء . والشهيرات قلائل ولكن لو اقرَّ الرجال كلهم بفضل نسائهم لكنَّ كثيرات جدًّا . ولهذا ترى ان المرأة قلَّما تشتهر وهي زوجة ولا يبزغ نجمها في سماء المجد الَّا وهي ايّم او ارملة كأنَّ الزوج ستار يحجب نور زوجتهِ عن التأنُّق وعرفها عن الانتشار . اما مدام نكر هذه التي نحن في سيرتها فأَوقعها الله برجلٍ يعرف فضلها ويشهرهُ ولهذا لم تحرَم شيئًا من شهرتها . وهي ابنة رجلٍ فقير الحال من خدَمة الدين اشتهرت في حداثتها بجمالها وآدابها ورآها المؤرّخ كبن الانكليزي الشهير وكان سائحًا في اوربا فراعهُ جمالها وذكاؤُها ووقعت منهُ موقعًا حسنًا وعزم على الاقتران بها . ثم رجع الى بلادهِ وكاشف اباهُ بذلك فلم يسلّم لهُ بل تهدَّدهُ بطردهِ من بيتهِ وحرمانهِ من ميراثهِ ان فعل . فوقع كبن بين شرَّين عصيان الهوى وعقوق الوالدَين فاختار اصغرهما وهو الاوَّل

وبقيت محبة هذه الفتاة في فؤادهِ ثم استحالت مع الايام الى الاكرام والاعتبار

وبعد قليل مات ابوها ولم يخلف لها ما لاً تعيش بهِ فانتقلت الى مدينة جنيفا وجعلت تعلّم وتعيش من اجرة التعليم . وهناك رآها المسيو نكر وكان كاتباً في احد البنوك فأحبّها وعزم ان يقترن بها حينما تصطلح اموره ُ. ولم يمضِ عليهِ سنون كثيرة حتى صار من كبار الاغنياء فتزوَّج بها سنة ١٧٦٤ واتخذها معينة لهُ ومشيرة. وأحبَّها حباً مفرطاً وهي كانت اهلاً لمحبتهِ واعتبارهِ لانها جعلت غرضها من الحياة ارضاءهُ

ودخلت باريس وعمرها ٢٥ سنة وهي غير معتادة على المعيشة في المدن الكبيرة ولا متربية تربية تؤهلها للدخول بين اهل الجاه والمجد . وكان بباريس حينئذٍ اشهر فلاسفة فرنسا وكتّابها فسوَّلت لها نفسها ان تجعل لزوجها مقاماً بين علماء الارض مثل مقامهِ بين اغنيائها . ففتحت بيتها لهؤلاء الفلاسفة وجعلتهُ نادياً لهم وكانت ترحب بهم وتجول معهم في الحديث وتحاول ان تقتادهم الى التديُّن والتقوى . ولم يكن زوجها لسناً فاعتمد عليها في مقابلة زوارهِ وضيوفهِ وكان اذا دعا بعضهم الى

بيتهِ يقول لهُ هلمَّ نتمتع بحديث مدام نكر . واعتزل الاشغال التجاريَّة كلها وأناط بزوجتهِ تدبير منزلهِ واموالهِ فكانت تحلُّ وتربط وتبيع وتشتري . وقد بيَّنت ابنتها مدام ده ستايل الكاتبة الشهيرة سبب ذلك بقولها لما رأى ابي ان امي فقيرة لا مال معها ورآها شاعرة بذلك خاف ان تستصغر نفسها فسلمها كل اموالهِ وخوَّلها التصرُّف المطلق فيها لكي تشعر من نفسها ان المال لها فتعتزُّ وتخلص من صغر النفس

وذهب كبن المؤرخ المتقدم ذكرهُ الى باريس فدعاهُ زوجها الى بيتهِ وأَحسن ضيافتهُ وترحَّبت هي بهِ واخبرتهُ ان دخل زوجها السنوي لا يقلُّ عن عشرين الف دينار

ثمَّ عيِّن المسيو نكر وزيرًا لمالية فرنسا ومديرًا لها وللنافعة فأَصلح شؤُون الماليَّة واهتمَّ باصلاح السجون والمستشفيات وكان الفضل الاوَّل في ذلك لزوجتهِ لانها كانت تتعهَّد السجون بنفسها وتتفقَّد كل احوالها وتدبّر الطرق المناسبة لاصلاحها . وأَنشأَت بيمارستانًا في باريس فسمّي باسمها الى هذا اليوم . واقام زوجها في هذا المنصب الرفيع خمس سنوات وكانت هي المدبّرة لاموره المسهلة لصعابهِ . واقرَّ زوجها بفضلها وكان يفتخر بها ويعدد فضائلها

فلامهُ البعض على ذلك ولكنهم اخطأُوا في لومهم خطأً مبينًا لانهُ اذا حقَّ للانسان ان يفتخر بآبائهِ وجدودهِ وبعلمهِ وأدبهِ كما فعل عمرو بن كلثوم والسموءَل بن عادياء وابو العلاء المعري في قصائدهم الفخرية حقَّ لهُ ايضًا ان يفتخر بآل بيتهِ ولا سيما بزوجتهِ اذا كانت ممَّن يُفتخَر بهِ كمدام نكر هذه التي كانت مرشدةً لزوجها ومدبّرةً لامورهِ وزهرةً يتضوَّع عرفها في بيتهِ

ولكنَّ المناصب محفوفة بالمتاعب ومن رقى العلى استهدف لوقع اسهم الردى فلم يمضِ على المسيو نكر خمس سنوات في هذا المنصب حتى كثر حسَّادهُ وخيف عليهِ من عدوانهم فعزم على الاستعفاء وحثَّتهُ عليهِ زوجتهُ حتى استعفى وتنحَّى عن الاشغال السياسيَّة . فاسف محبُّو فرنسا على استعفائهِ ولامها البعض منهم لانها حثَّتهُ على الاستعفاء ولكنَّ عذرها واضح وحجتها دامغة ألا وهي انها خافت عليهِ من العدوان وماذا تنفع المناصب والحياة في خطر . والى ذلك أشارت في كتاب كتبتهُ الى كبن المؤرّخ حيث قالت انني رغَّبتهُ في هذا المنصب ولكنني لم اتأمَّل في عواقبهِ فاضطررتُ في الآخِر ان ارغبهُ في تركهِ وقد اسفت فرنسا كلها على استعفائهِ ونحن ايضًا آسفون جدًّا لاضطرارنا الى ترك هذا

المنصب ولا سيَّما لاننا نخاف ان لا تجري اموره في مجراها بعد ان تركناه

اما مسيو نكر فلم يترك الاشتغال بعد تركهِ للمنصب المذكور بل اكبَّ على تأليف كتاب جاء من أبدع الكتب فبيع منهُ في اسبوع واحد ثمانون الف نسخة

والَّفت مدام نكر كتاباً في الطلاق اودعتهُ آيات البلاغة وطبعتهُ سنة ١٧٩٤ وتوفيت في تلك السنة بعد ان اصابها مرض عصبي مؤلم فحزن زوجها عليها حزناً مفرطاً وأروى ضريحها بالعبرات وحقَّ لهُ الحزن والبكاء عليها لانها رفعت لواء عزّهِ وانارت سبيل حياتهِ بذكاء عقلها وسموّ آدابها

ابيات بديعة المعاني

من بديع المعاني قول الالوسي في قلم

ومثقَّفٍ يُغني ويُفني دائماً | في طوريَ الميعادِ والايعادِ
وهبت لهُ الآجامُ حين نشا بها | كرمَ السيولِ وهيْبةَ الآسادِ

ومثلهُ قول الوزير المغربي في طنبور

وطنبورٍ مليحِ الشكلِ يحكي | بنغمتهِ الفصيحةِ عندليبا

رَوَى لما ذوى نغمًا فصاحًا حواها في تقلبهِ قضيبا
كذا مَنْ عاشرَ العلماء طفلًا يكونُ اذا نشا شيخًا أَديبا

ومنهُ اخذ الحلّي قولهُ في عودٍ

وعودٍ بهِ عادَ السرورُ لانهُ حوى اللهوَ قدمًا وهو ريَّان ناعمُ
يقرّبُ في تغريدهِ فكأَنهُ يعيدُ لنا ما لقنتهُ الحمائمُ

وقول الارجاني

كنَّا جميعًا والدهرُ يجمعنا مثلَ حروفِ الجمعِ ملتصقه
واليومَ جاءَ الوداعُ يجعلُنا مثلَ حروفِ الوداعِ مفترقه

وقول مجير الدين بن تميم في صيَّاد

ولُربَّ صيَّادٍ غذَتني كفهُ سمكًا يظلُّ الطرفُ فيهِ حائرا
يلقي الى قعْرِ الخليجِ بدرعهِ فيعودُ ملآنَ العيونِ خناجرا

وقولهُ

ودولابِ روضٍ كانَ من قبل أَغصنا يميسُ فلمَّا غيَّرتْها يدُ الدهرِ
تذكَّر عهدًا بالرياضِ فكلُّهُ عيونٌ على ايامِ عهدِ الصبا تجري

وقولهُ في الشقيق

أُشبهُ منهُ ما تفتحهُ الصَّبا بجامِ عقيقٍ في قرارتهِ مسكُ

وقولهُ

انظرْ الى الفانوسِ تلقَ متيمًا ذُرفت على فقدِ الحبيبِ دموعهُ
يبدو تلهبُ قلبهِ لنحولهِ وتُعدُّ من تحتِ القميصِ ضلوعهُ

اضرار التدخين

لجناب اسكندر افندي قزمان

قف وقفة المتفكّر المتفكّنِ ... بالحيّ وارثِ لحال كلّ مدخّنِ
وابكِ بدمعٍ عندمٍ زمناً مضى ... والتبغُ فيهِ منك لم يتمكنِ
داءٌ دفينٌ في الحشا مذ ما نشا ... مهما تحاولْ قلعهُ لا ينثني
وباءٌ عميمٌ طاف كلَّ الارض لم ... يرفق بطفلٍ او بشيخٍ منحنِ
تأثيرهُ سيّان في مصر وفي السـ ... ـودان حتى في بلاد الارمنِ
عجزت ملوك الارض عن اخراجهِ ... من بلدةٍ او نزعهِ من موطنِ
كلٌّ يقول بسمّهِ متفنناً ... في ذمّهِ وبتركهِ لا يعتني
حتّى الطبيبُ تراهُ ينهى عليلهُ ... عن شربهِ لكنْ يقول لهُ اسقني
ولذا العليل يقول دعني اشرب الـ ... ـيومَ وبعد أعفّ عند تمكني
فغدا المحال اليوم عندي الغولَ والـ ... ـعنقاءَ مع خلٍّ وردع مدخنِ
ولذا اختصصت بهذهِ الاقوال من ... لحشيشةِ الدخان لمّا يفتنِ
فعساهُ يسلم من نكال ابي الضلا ... لِ بذا المقالِ ومن محال الالسنِ
يا مدمنين التبغ عهدي انكم ... لا تحنقون وذاك عين تيقني
فانا العذيرُ لكم ولستُ عذولكم ... وكذا سهام اميركم لم تخطني
فبذي القرابة استميح سماحكم ... واقول عن إذن الطبيب المحسنِ
يا حاسبَ التدخين امراً هيّناً ... اسمعْ هديت النصحَ من متمرّنِ
بالتبغِ لا تبغِ غياب الهمّ عن ... قلبٍ ينكّلهُ الدخان فينضني
والعقلَ يُصبح خاملاً ومعطّلاً ... عن كلّ رأيٍ ثاقبٍ مستحسنِ
نفثٌ سعالٌ رعشةٌ لهثٌ هزا ... لٌ نكهةٌ كبخار قبرٍ منتنِ
وتأكُلُ الاسنان من نخاتهِ ... وبصبغهِ تطلى بلونٍ أدكنِ
حلأُ الشفاهِ من ارتشاف رحيقهِ ... نُفـثُ الاظافرِ واختضاب البُرثنِ

ولكمَ اضاعَ من المتاع بناره وعبيرُهُ كم عابَ جوَّ المسكنِ
واذا خلا يومًا وعزَّ وجودهُ جُنَّ الاسير وهولهُ لم يؤْمنِ
ولكم تُسوّلُ للمدخن نفسهُ فيرى التسوُّلَ ليس بالامر الدني
وتحوُّفُ الاكياس هدْرًا إنَّما يكفي لعضل العاقل المتفطنِ
هذا قليلٌ من كثيرٍ مدرجٍ في باطن الصحف لدى المتمعنِ
فعلامَ ترغبُ في بلاءٍ مبرمٍ وتفضل العيشَ الدنيَّ على الهني
كم من صحيحٍ قد مَحَت امعاؤُهُ بمذاقهِ مَزْحًا ولكن قد مُني
فاحذر تعاصيني فاني مخلصٌ الله يعلمُ والثقاتُ بانني
واهرب اذا أحمدت رائي واتَّبع نصحي بعزمٍ ثابتٍ لا ينثني
واهنأ بعيشٍ ليس فيهِ دُخنة وانا أمرءٌ شاني ككلّ مدخّنِ

حل اللغز المدرج في الجزء السادس من اللطائف

لجناب الشيخ محمد افندي علي الببلاوي بالمكتبة الخديوية

وافتني مجلَّة اللطائف البهيَّة فأخذت اجول في رياضها جولان الطالب المستفيد واذا بلغزٍ من نظم الاديب عبد الله افندي فريج فجعلتُ اسرح النظر في سماء بلاغتهِ استجلاء لحقيقتهِ فاهتديتُ الى حلّ مشكلاتهِ وكشف معضلاتهِ وها هو كما ترون

ألا يا اديبَ العصرِ يا ذا العوارفِ ويا علمًا فردًا بباب المعارفِ
تبدَّى لنا بدرُ اللطائف معلنًا بلغزٍ لكم يجلوهُ لفظ "اللطائفِ"
اذا ما اخذتَ اللامَ منهُ فطائفٌ يذلّلُ بالتسيارِ صعبَ التنائفِ
وجملُهُ خمسٌ وستونَ كُرّرَت وذلكَ إصلاحٌ فلستَ مخالفي
فهذا وقاكَ اللهُ لغزكَ واضحٌ كعذري في التقصيرِ يا خيرَ عارفِ

وورد حلهُ نثرًا من جناب جرجس افندي حنا معاون بوسطة بركة السبع وجناب الياس افندي الخوري من بيروت وسليم افندي شاهين من مصر

عتاب الاصدقاء

رأينا في العدد ٢٩ من النشرة الاسبوعيَّة الغراء ردًّا موجهًا الينا والى غيرنا تحت اسم مترجمها وهذا عنوانهُ ونصُّهُ

جواب

اخواني واصدقائي الافاضل الكرام في سورية ومصر (كذا)

اثني عليكم ثناءً جميلاً على ما اعددتموهُ من الردود (صدقت صدقت) على المعتدين (يا مسكين) ولكن لا ارى من فائدة من الرد على الشتائم (يا للآداب) سواءٌ وُجهت اليَّ ام الى غيري كاساتذة الكلية الافاضل (أجل. أجل) . اما ما كتبتهُ في منشا الحياة فهو تأْليف (واي تأْليف) لم يسبقني احد اليهِ في العربية (لله درُّك) ولم اترجمهُ عن جريدة اجنبية (زهِ . زهِ) واما القول بأن ذلك المنشأ قطبنا الارض فلا يبعد انهُ قال بهِ كثيرون قبلي (العفو افندم) لكنني لم اقف على كلام في ذلك لاحد (يا فريد الزمان! ونابغة حوران!) على ان كل من علم الراي السديمي ووقف على اقوال اكابر الفلكيين والجيولوجيين (مثل الجناب) وكان عندهُ قليل من الدراية (الله . الله) يندر ان لا يخطر ذلك ببالهِ (نعم . نعم) وقد علمتم ان المعتدين اعداءٌ فلا تهتموا بمثالبهم بعد ذلك (سمعًا وطاعةً) ابرهيم حوراني

اما قولنا ان الردَّ في الجواب موجَّهٌ الينا فسببهُ يظهر من مراجعة الجزء الخامس من اللطائف حيث بعث الينا بعض الادباء معرّضًا بعتب صديقٍ لهُ علينا لعدم ادراجنا ردَّهُ على مأجور النشرة الاسبوعيَّة فاجبناهُ بما يدل على اننا نأبى فتح باب لمثل مناقشة جناب المأجور المذكور حيث يخرج عن دائرة التأدب والاعتدال الى ما يُذَمُّ مبداهُ وتستهجن عقباهُ .

واما قولنا ان الرد موجَّهٌ ايضًا الى غيرنا فلانَّ المقتطف الأَغرّ لما كانت ابوابهُ مفتوحة لمجاوبة السائلين عن القضايا العلميَّة والصناعيَّة فيما لا يخرج عن دائرة بحثهِ اجاب على سؤَالٍ ورد عليهِ من بيروت جوابًا يوافق الحق ويطابق الواقع كما ترى في ما يلي منقولاً عن الوجه ٦٩٩ من السنة العاشرة من المقتطف

سؤَال من بيروت . ج . ز . عثرت على مقالةٍ عنوانها (منشأُ الحياة الاوَّل على الارض) لحضرة ابرهيم افندي الحوراني وقد تلاها في الندوة السورية لترقية العلوم ونشرها في عدد ٢٨ من النشرة الاسبوعية الغراء وذهب فيها مذهبًا جديدًا وهو ان منشأ الحياة الاوَّل على الارض كان في القطبين واقام عليهِ ادلة استنبطها من (مباحث اكابر الفلكيين وافاضل الجيولوجيين) فارجوكم ان تخبروني ما رايكم فيها

ج . اما (المذهب الجديد) المذكور فهو راي رجل اميركي يسمى هلتن سكر بنر اذاعهُ في كتابٍ صغير لهُ عنوانهُ (اين ابتدأَت الحياة على الارض) وذلك منذ زمان قصير . والظاهر ان حوراني افندي قرأَ خلاصة ذلك الراي (مع ما ذكر عن لزوم برد القطبين قبل غيرهما من اجزاء الارض) في جريدة من الجرائد الانكليزية او الاميركية فترجمها عنها بكلام يوهم القارئ انهُ هو مستنبط الراي وما قيل فيهِ . واما الادلة التي اقامها على اثبات هذا المذهب او ترجيحهِ فاكثرها لا يفيد ذلك بل لا علاقة لهُ بهِ والصحيح منها مذكور في الكتب الابتدائية في علم الجيولوجيا . فاذا اردتم الوقوف على هذا الراي والادلة التي أُقيمت عليهِ فعليكم بالكتاب الاصلي المذكور حيث تجدون الراي مفصلاً والادلة واضحة المعاني ظاهرة العلاقة بهِ فتحكمون فيها بحسب ما يبدو لكم

فلأَجل ذلك صدر الجواب العالي الشان قاضيًا باننا . اولاً معتدون . وثانيًا ثالبون قد شتمنا جنابهُ الرفيع واساتذة الكلية الافاضل . وثالثًا "اعداء"

نقول انهُ ان كان هذا الجواب المؤَدب الذي يشفُّ عن لطف اخلاق كاتبهِ وعجيب ورعهِ مختصًا بهِ وحدهُ معربًا عمَّا حواهُ صدرهُ (لا صدر غيرهِ) من الدعة والاتضاع والآداب الرائعة فليسَ لهُ عندنا كلام لانَّ الكلامَ يذهب ضياعًا مع انسانٍ قد عرفنا سرَّهُ وجهرهُ قبل ان عرف غيرنا اسمهُ او كحلت عينهُ برسمهِ وخبرنا ما ينوي وما يُظهر من اخلاقهِ وافعالهِ قبل ان يختبر غيرنا ظواهر احوالهِ . ولطالما بلغنا تنديدهُ بنا وبصاحبَي المقتطف الفاضلين فأَعرناهُ اذنًا صمَّاء بل طالما رأينا نفثاتهِ في اعداد النشرة الاسبوعية مضمَّنة مورَّاة فلم نكترث بها عملاً بما عمل بهِ حضرة منشئ المقتطف من قول الشاعر

واصبر على كيدِ الحسودِ فان صبرَكَ قاتلهُ
كالنارِ تأْكلُ نفسها ان لم تجد ما تأْكلهُ

على أنَّ مجاهرتهُ في هذا الجواب خلافاً لما هو معتاد. ومخالفتهُ لمنهج النشرة الاسبوعيَّة وغايتها كل المخالفة اذ غايتها العظمى على ما نعهد تمكين رُبُط المحبَّة والاتحاد بين ابناء طائفتها لا تسميتهم "اعداء ثالبين" وهم "اخوة محبُّون". وتحرُّشهُ للانتصار "لاساتذة الكلية الافاضل" جاعلاً نفسهُ في مصافِهِم على حين لم يكن للمدرسة الكليَّة اولاساتذتها ادنى دخل حقيقيٍ او وهميٍ في ما اختلقهُ من الدعاوي الكاذبة. وعلمنا ان حضرة مدير النشرة الفاضل لا يؤْذِن بادراج شيء فيها مغايرٌ لارادتهِ الَّا اذا فاتهُ الانتباه اليهِ كتضمينات المترجم ونفثاتهِ الخفيَّة وتورياتهِ الذميمة: كل ذلك يدلُّ على ان كاتب الجواب قد أمِنَ مذمَّة رؤَسائهِ وانكارهم عليهِ ما ادَّعى كذبًا واقترف انتقامًا

وسواءٌ صحَّ ذلك او لم يصحّ فالنشرة قد عرَّضت نفسها بادراج ذلك الجواب لعتاب الاصدقاء والادباء ولا يسعها الانكار انها قد خرجت بهِ عن موضوعها وخالفت الغاية التي لاجلها يتبرَّع محبو الخير بانفاق الدراهم عليها. وعندنا ان المقتطف الاغرّ كان أولى منا بانكار ذلك على النشرة الاسبوعية لانهُ مخصَّص في الرد ولكنهُ أبى جريًا على خطتهِ المعهودة من عدم تعرضهِ لغير العلميات واقتصارهِ على اظهار الحقيقة في المناظرات وهو لا يرى لزومًا الى غير ما ذكر في ما نحن بصددهِ. فترتب علينا بعد ذلك ان نسأل اصحاب النشرة الافاضل

. اولاً انكم ربيتم في مهد العلوم والمعارف وتيسَّر لكم ان تعلموا نهج المناقشات على انواعها وتطلعوا على اصطلاح الجرائد واهلها. فلا ريب انكم تعلمون ما يعلمهُ كل متمدن مهذب من ان الجرائد لا تنتقد كتابًا او مقالةً الَّا اذا كان لها قيمة عندها. ولذلك يَعدُّ صاحب الكتاب او المقالة انتقاد الجرائد تشريفًا لهُ وعناية بشأْنهِ سواءٌ كان الانتقاد معهُ او عليهِ. والذي لا تنتقد تأْليفهُ يحسب ذلك احتقارًا لهُ واستخفافًا بشأْنهِ. فكيف سامحكم الله تعلمون

ذلك وتسمحون لمأجوركم ان يصفنا نحن وغيرنا بالمعتدين لاننا لم نرد فتح باب للرد عليهِ ولأن غيرنا اظهر الحقيقة في شأن دعواهُ او انتقد رسالةً علمية لبعض اساتذة الكلية . فان كان مأجوركم لا يعلم معنى الانتقاد في الجرائد أفما كان الأجدر ان يُعلِّمهُ وان يمنع من ان يقول ما قال في جريدتكم الصادرة تحت اسمكم

ثانيًا كلُّ تهمةٍ لا يقام دليلها معها تغاير روح المحبة والاخاء . وحضرتكم قد سمحتم لمأجوركم ان يذيع في جريدتكم اننا ثالبون شتّامون دون ان ياتي بادنى شاهدٍ على صدق تهمتهِ هذه . بل سمحتم لهُ ان يتظاهر امام الناس بانهُ ينتصر علينا لاساتذة الكلية مدعيًا اننا شتمناهم وهي دعوى كذبها أظهر من ان يبيَّن . فهل تعدون ادراج جوابهِ صوابًا

ثالثًا سخرتم جريدتكم لهُ فنادى فيها اننا "اعداء" في معرض يدلُّ على انكم انتم تعدوننا كذلك . فكيف هذا ومكاتبة الصداقة والوداد مستمرَّة بيننا وتحاريركم تشفُّ عن الحب الاخوي وتمام المصافاة . بل كيف يسوغ ذلك ولو لم يكن بيننا وبينكم مودَّة ومراسلة . ألسنا متعاهدين معكم على الحب الذي لاحبَّ فوقهُ والاخاء الذي لا اخاء اشرف منهُ فان تروا منّا موضع عتب فلم لا تعاتبون وان تروا فينا خلَّة فلم لا تنبهون . أيصحُّ لجريدتكم المنشأة لتوطيد اركان المحبة وشدّ ربط الاخاء ان تسمّي الاخوة اعداء

هذا ما نبسطهُ امام الذين يهمُّهم الالتفات اليهِ منكم وانتم فيهِ مخيَّرون . على أن كل ما يفعلهُ الانسان فيهِ يطالب وان فرطت منهُ بادرة فانهُ ليؤاخذ عليها

ثم ان صاحب الرسالة لما كان لايزال مصرًّا على دعواهُ من انهُ هو مستنبط الراي في "منشإ الحياة على الارض" وكان المقتطف الأغرّ يأبى اظهار فساد دعواهُ الأمسأولاً منهُ فقد عزمنا على اظهار ذلك في العدد التالي ليظهر الصحيح من الفاسد ويتبيَّن الصادق من المنافق

لغزٌ

لجناب الشاعر الاديب عبد الله افندي فريج

يا اديبًا فاضلاً   للمعاني قد وَعى
ايُّ طيرٍ طائرٍ   وهوَ انسانٌ معا
بل وعامٌ جمَّلاً   في حسابٍ أُودِعا
من حروفٍ خمسةٍ   اصلُوها اربعا
ان نزعتَ اثنينِ من   اصلهِ مستقطعا
فهوَ سلطانٌ علاَ   عرشَ مجدٍ ارفعا
رأْسهُ في بلدةٍ   ذيلهُ حُوتٌ سَعَى
قُلْ فسبحانَ الذي   خلقَهُ قد أبدَعا

استعفاء الدكتور ورتبات

بلغنا خبر ساءنا كما انهُ ساء كلَّ وطني ألَا وهو استعفاء العلاَّمة الفاضل الدكتور ورتبات من التعليم في المدرسة الكلية الطبية في بيروت . فقد كانت الآمال معقودة بهِ انهُ يحفظ للمدرسة اسمها وفعلها بعد استعفاء رفاقهِ الاساتذة الكرام الدكتور كرنيليوس فان ديك والدكتور ادون لويس والدكتور بركستك والدكتور وليم فان ديك ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ . وهو لم يستعفِ لانهُ عجز عن التعليم ولا لانهُ اراد التنحي عن الاعمال فانهُ لم يزل مكبًا على صناعتهِ الشريفة مجتهدًا

فيها اجتهاد الابطال ولكن لاستعفائهِ سبب معروف مشهور وهو الذي الجأَ رفاقهُ الاساتذة الافاضل الى الاستعفاء من قبلهِ ولم يتأَخَّر هو الى الآن الَّا لانهُ اراد ان يكمّل تعليم الصفوف التي ابتدأَ في تعليمها

طرق التحية

يقول المصريون والسوريون واكثر المتكلمين بالعربية الآن عند التحية "كيف حالك" ويقول الفرنسويون ما معناهُ "كيف تحمل نفسك" والانكليز "كيف تفعل" والايطاليون "كيف تقف" والدنيمركيون "كيف تجد نفسك" والاسوجيون "كيف تقدر" والصينيون "كيف معدتك" "اوهل اكلت ارزّك" والبولنديون "كيف تريد ان تكون" والروسيون "كيف تحيا"

الماسونية في بلاد مصر

ان الماسونية على ازدياد في كل الدنيا وكل يوم نطالع في الجرائد الاجنبية عن تشييد محافلهم وزيادة عددهم ووفرة احسانهم وقد ذكرنا طرفًا من ذلك فيما مضى من اعداد اللطائف

وقد اسسوا محفلاً جديدًا في مدينة طنطا بمصر سموهُ محفل الكمال ودخل فيهِ عدد ليس بقليل من نخبة اهالي تلك المدينة وما يجاورها

وقد تأسس في الاسبوعين الاخيرين ايضًا محفل جديد في مصر سُمّي محفل الثبات اعضاؤهُ وموظفوهُ من خيار الناس وسيتم تدشينهُ في الاسبوع القادم ان شاء الله وحينئذٍ نذكر ما نعلم عنهُ باكثر بيان وفق الله كل المشروعات الخيرية

احتقار الافرنج للنساء

ان الفلاحين الساكنين في الاقسام العليا من جبال الالب باوربا يعيشون عيشة الامراء ولكنهم ينيطون اصعب اعمال الزراعة بنسائهم فلا يندر عندهم ان يقرن الرجل امرأتهُ وحمارًا ويفلح عليهما . وكثيرًا ما يستعملون نساءهم كالامتعة فيعير الرجل منهم امرأتهُ لجارهِ لتفلح لهُ او ليفلح عليها . ذكر ذلك الدكتور اللاهوتي الون فوستر في كتابهِ المعنون بالسكلوبيذيا الجديدة . ولا يخفى ان المتعلمين المتهذبين من الافرنج يجلُّون قدر المرأة ويساوونها بانفسهم في التعليم والتهذيب ويفضلونها عليهم في

التكريم ولكنهم لم يفعلوا ذلك الاَّ من عهد حديث. ألا ترى ان امثالهم مفعمة بما يدلُّ على احتقارهم للنساء. قال المثل الجرماني النساء الصالحات اثنتان الواحدة ماتت والثانية لم تولد حتى الآن. وقال المثل الاسباني النساء والرياح والدهر سريعة التقلُّب. وامثال ذلك كثيرة في لغاتهم

مصاب اليم

تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنَّها سهام المنايا حائماتٌ ووقَّعُ

فوَّقت المنون سهامها فاصابت الشاب الذكي فردريك شمّيل نجل العلاَّمة الفاضل امين افندي شُمّيل فقصفتهُ غصناً رطيباً لم يبلغ العشرين وكانت قد اغتالت اخاهُ قبلُ باياممٍ في المدرسة اليسوعيَّة ببيروت فكان لوقع هذين السهمين رنَّة وانين في قلوب الاصدقاء والمحبين. عزَّى الله والديهما وآلهما عن فقدهما وانالهم صبراً جميلاً

ولَسْنا بأَحْيا منهما غير اننا الى أَجَلٍ نُدعَى لهُ فنجيبُ

ولا يصدر جرنال الحقوق هذا الاسبوع بسبب هذه الفاجعة

وتوفي السلطان مراد بداء النقطة وخلفهُ ابنهُ السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية فتبوَّأ تخت السلطنة سنة ١٤٤٨ مسيحية الموافقة لسنة ٨٥٢ هجرية . وخاف ان يثور بهِ الانكشارية ويشقوا عصا الطاعة كما فعلوا حين تبوَّأ العرش في زمان ابيهِ فاستمالهم بالمال واجزل لهم المواهب والاحسان فجعلوا ذلك فريضة على كل سلطان جديدٍ اذا أدَّاها عن طيب نفسٍ لزموا السكينة والهدوَّ والَّا هاجوا وماجوا وأقلقوا راحة العباد . وازداد الانكشارية في زمان محمد الثاني كبرًا وعتوًّا ولا سيَّما لان جلَّ اعتمادهِ كان عليهم في حصار القسطنطينية وفتحها وقتل قسطنطين الرومي امبراطورها وقلب مملكتين وتدويخ اثنتي عشرة ولاية وفتح اكثر من مئتي مدينة حصينة وغير ذلك مما اشتهر بهِ وفاق سائر الاقران حتى عدَّهُ الاتراك اعظم سلطان

ولمَّا توفي حاول وزيرهُ محمد باشا القرماني ان ينصب ابنهُ الصغير عوضًا عنهُ لان ابنهُ الكبير بيازيد الثاني كان غائبًا في اماسيا . فأحسَّ الانكشارية بذلك فأتوا القسطنطينية وقتلوا الوزير المذكور واقاموا ابنهُ اسحق باشا في منصب الوزارة . وقدم بيازيد الثاني باربعة آلاف فارس الى القسطنطينية ليتقلَّد سيف

عثمان فيها ويتبوَّأَ تخت السلطنة بعد ابيهِ فخرج الانكشاريَّة في القوارب حتى ضاق بهم البوسفور وأَوقفوا السلطان في طريقهِ بين اسكودار والسراية وطلبوا اليهِ خلع وزيرهِ مصطفى باشا وردَّهُ الى اسيا لانهُ كان عدوًّا لاسحق باشا الذي قلَّدوهُ منصب الوزارة . فخاف السلطان شرَّهم ولم يجترئ ان يخالف طلبهم فخلع وزيرهُ وردَّهُ الى اسيا مخذولاً مهانًا . ولما وَصَل الى السراية مرَّ الانكشاريَّة في الازقَّة والشوارع فنهبوا الدكاكين وقتلوا جماعةً من النصارى ثم ازدحموا على ابواب السراية افواجًا يطلبون الصفح عمَّا جنوهُ ويعِدون بالخضوع والاذعان لاوامر السلطان اذا زيدت لهم المرتَّبات فأَجابهم السلطان الى ذلك خوفًا منهم وزاد لهم مرتَّباتهم حذرًا من غدرهم وبقي كل ايامهِ قلقًا لا يأْمن على نفسهِ ولا على مالهِ . وعلم الانكشاريَّة بذلك فكانوا يزيدون مطالبهم ومطامعهم يومًا فيومًا حتى اجبروهُ مرَّةً حين منعهم عن سلب مدينة بروسه ان يدفع لكلٍّ منهم ما كان يصيبهُ من السَّلَب لو وقعت تلك المدينة الغنيَّة في يدهم . وبعد ذلك ببضع سنين جاهروا بالعصيان وقاموا على السلطان فخلعوهُ من منصبهِ واقاموا ابنهُ سليمًا عوضًا عنهُ سنة ١٤٦٧ م الموافقة لسنة ٨٧٢ هـ

هذا هو السلطان سليم فاتح مصر وسوريَّة المشهور ببأسهِ في الحرب وبراعتهِ في الشعر والأدب . واتَّفق بينما كان يوماً غائباً عن القسطنطنية في بعض حملاتهِ ان الانكشاريَّة اثاروا فتنةً ونهبوا دار الصدر الاعظم فبلغهُ خبرُ فتنتهم فرجع من مدينة كوماخ حيث كان واخمد الفتنة بقوتهِ وسطونهِ وعاقب الذين اذنبوا فيها وقتل الذين كانوا السبَب في اثارتها واقام على الانكشاريَّة رؤَساء يراقبون حركاتهم ويضبطون اعمالهم بخلاف ما نالوهُ من العزِّ والاكرام في ايام ابنهِ السلطان سليمان

فان السلطان سليمان كان شديد الغرام بالحرب والكفاح فأثار ثلث عشرة حرباً من الحروب الكبيرة التي تولَّاها بنفسهِ فهو الذي حاصر جزيرة رودس حصارها الشهير وفتحها بعد مشاق يعجز عن وصفها القلم واللسان . وهو الذي حارب النمسا حتى بلغت جيوشهُ الى فينَّا واقامت عليها الحصار . وهو الذي كادت اوربَّا تقع في قبضة يدهِ وكانت هيبتهُ ممتدَّة الى ابعد الاقطار وصولتهُ مشهورة في جميع الامصار . وهو الذي وسَّع نطاق المملكة العثمانيَّة حتى عمَّت جانباً متسعاً من اوربَّا واسيَّا وافريقية وجزائر البحر فصار يلقَّب بسلطان البرَّين وخاقان البحرَين .

وكان يعلم ان الانكشارية هم عماد قوّتهِ وقوام عزّهِ وفخر مملكتهِ ونخبة جندهِ ولذلك اهال نعمهُ وعطاياهُ عليهم كالسيول الهامرة وأعلى منزلتهم واكثر امتيازاتهم وأباح لهم كثيرًا من المحظورات واغضى عن سيئاتهم ولو كان في الاغضاء نقض امرهِ وشقُّ عصا طاعتهِ . فلما ذاق الانكشارية لذّة الراحة والتنعُّم ورأَوا ما بلغوا اليهِ من الكرامة ورفعة الشان زادوا عتوًّا وتغطرسًا وخمدت حميتهم فيهم وزالت شجاعتهم عنهم وصاروا رعبًا لسلاطينهم بعد ما كانوا رعبًا لاعدائهم . فمن ثمّ مالت شمس مجدهم نحو الزوال وهوى نجم عزّهم نحو المغيب والاضمحلال

وجعلوا دأبهم التعرُّض للسلطان عند تنصُّبهِ ومنازعتهُ في اعمالهِ فلما قام السلطان مراد الثالث ابن السلطان سليم الثاني وكان ابوهُ سكيرًا شرّيب خمر اراد ان يطهّر المملكة من تلك الخلّة الذميمة فأصدر نهيًا للمسلمين عن المسكر عملاً بالشريعة الغرّاء فساء ذلك الانكشاريةَّ فهاجوا وقاوموا النهي واضطرُّوا السلطان الى الغائهِ فألغاهُ تسكينًا لهيجانهم . وقام في ايامهِ يهوديٌّ حاذقٌ فاخترع اختراعًا بهِ تسلُّك النقود فيصير القرش الواحد قرشين فاستحسنت الخزينة هذا الاختراع وجرت عليهِ حبًا

بالاقتصاد . فكره الانكشارية ذلك ولما ارادت الحكومة ان تدفع لهم رواتبهم من تلك النقود الجديدة الخفيفة ثاروا جميعاً عصبةً واحدةً وهجموا على قصر السلطان فلم ينجُ من فتكهم الَّا بعد ما طرح امامهم رأس وزيره ورأس وزير المالية معاً وامتنع عن سك النقود الجديدة

وصار الهيجان بعد ذلك عادةً مألوفةً عند الانكشارية كلما جدَّ في البلاد جديدٌ او حاول أُولو الامر والاحكام ابطال خلّةٍ ذميمة كما فعلوا حين أُدخِل الدخان الى القسطنطينية في زمان السلطان احمد الاوَّل القانوني سنة ١٦٠٥ فان شيخ الاسلام نهى عن شربهِ بحجة ان العلماء اقرُّوا على انهُ من المسكرات المنهيّ عنها وانهُ احبولةٌ من حبائل ابليس الاربع وعمودٌ من اعمدة قبَّة الرذيلة الاربعة وهي القهوة والخمرة والدخان والافيون. فلمَّا علم الانكشاريَّة بصدور نهي شيخ الاسلام عن التدخين أَبوا الطاعة لنهيهِ وجاهروا بمخالفتهِ وجعلوا يعلمون الشعب ان الدخان نبت لا ينجّس وان تدخينهُ لا يُعدُّ من المنكرات خلافاً لقول شيخ الاسلام ثم قلبوا مراجلهم وحاصروا قصر السلطان حتى ابطل النهي وأَباح لهم التدخين

وعند وفاة السلطان احمد المذكور اوصى بالحكم لاخيهِ مصطفى لان ابنهُ عثمان كان لا يزال قاصرًا وكان مصطفى ضعيف الراي واهي العزيمة قد قضى العمر بالتخنُّث والترف فلم يحسن القيام باعباء المملكة فأنزلوهُ عن الملك وحجروا عليهِ وملكوا عثمان بن احمد الاوَّل مكانهُ سنة ١٦١٨ مسيحيَّة . وكانت الانكشاريَّة تميل الى اخيهِ محمد فلما اراد (السلطان عثمان) الخروج لمحاربة بولونيا قتل اخاهُ ووضع جثتهُ في جامع السلطان احمد بمرأى من جميع الناس واضمر السوء للانكشارية قاصدًا ابادتهم وكان يكرههم كرهًا شديدًا ووزيرهُ يوغر صدرهُ عليهم . فأمر بتنظيم عسكرٍ جديدٍ في اسيًّا وتعليمهم فنون الحرب فهاج الانكشارية وماجوا عند سماعهم ذلك الخبر فجعلوا يقرعون طبولهم ويصفون مراجلهم امام مقامهم لجمع من غاب من رفاقهم وكانت قلوب الرعيَّة قد انحرفت عن السلطان لطلبهِ التزوُّج باربعٍ من بنات الاعيان خلافًا لعادة السلاطين . فلما رأى السلطان مجاهرة الانكشارية وفساد قلوب الرعيَّة ذُعِر وسُقِط في يدهِ فأشاع انهُ ذاهب للحج وانهُ لم يأمر بجمع الجنود في اسيًّا الَّا لتحافظ عليهِ في طريق الحج وأمر بالتأهُّب لذلك . وكانت هذه الاشاعة بمشورة مربّيهِ ووزيرهِ

فساءت هذه الاشاعة شيخ الاسلام وتحزَّب لهُ حزب من الاعيان ليصدُّوا السلطان عن الذهاب الى الحج فافتوا بان السلطان غير مطالب بالحج . فغضب السلطان غضبًا شديدًا واستخفَّ بمعارضة شيخ الاسلام وانصاره وامر بان تضرب لهُ الخيام في اسكودار . فجعل شيخ الاسلام وانصارهُ يغرون الانكشارية والجنود الصباهيَّة بالتمرُّد والعدوان قائلين ان السلطان لا يقصد من التظاهر بالحج الَّا الذهاب الى سوريَّة حيث يحشد الجنود ليفني وجاقكم من الوجود . فتألَّب الانكشارية والصباهيَّة وقلبوا مراجلهم وجاهروا بالعصيان في ساحة آت ميدان . فلما بلغ السلطان ذلك قال للعلماء ما سبب هذه المجاهرة قالوا ان سببها هو سفرك للحج في مكة واذعانك لمشورة مربّيك ووزيرك في كل اعمالك

وفي اليوم التالي وهو التاسع عشر من أيَّار (ماي) سنة ١٦٢٢ مسيحية تجمع الانكشارية والصباهية في الازقة والشوارع وساحة جامع السلطان محمد الثاني وارسلوا في طلب العلماء للمشاورة فابى العلماء قائلين اننا لا نجتمع معكم في الازقَّة والشوارع بلا ترتيب ولا نظام ولكن اذا شئتم المفاوضة فوافونا الى ساحة آت

ميدان . فجاءوا الى هناك فوجدوا شيخ الاسلام وجماعة من المشايخ بانتظارهم فاراهم الجنود ورقة فيها اسماء ستة اشخاص يطلبون قتلهم ومن جملتهم مربي السلطان ووزيرهُ والصدر الاعظم. وبعدما تفاوضوا مليًّا ذهب شيخ الاسلام مع جماعتهِ الى سراية السلطان وعرضوا عليهِ مطالب الانكشارية فسخط السلطان عليهم ووبخهم بالكلام توبيخًا شديدًا وامر ان يحفظوا في حديقة السراية ضمانةً

وكان جماعة من الانكشارية وعصاة الجنود ينتظرون خروج شيخ الاسلام وجماعتهِ من سراية السلطان وهم يضجُّون ويصرخون . فلما ابطأَ خروجهم وملُّوا الانتظار هجموا على السراية فكسروا الابواب والمنافذ وهم يلعنون السلطان ويشتمون انصارهُ بكل شفةٍ ولسان ويقتلون من يقف في طريقهم . ونادى بعضهم قائلاً عليكم بخلاص السلطان مصطفى (عم السلطان عثمان كما سبق) واستخلاصهِ من رق العبودية لنقيمهُ سلطانًا علينا وسرى الصوت من واحدٍ الى آخر حتى عمَّ النداء . فقصدوا المكان الذي كان السلطان مصطفى محبوسًا فيهِ وراموا دخولهُ من ناحية الحديقة فلم يجدوا لهُ بابًا فرصفوا الحطب عودًا على

عودٍ بجانب الحائط وصعدوا الى اعلى القبَّة وكانت مزججَّة كقبب الحمامات فكسروا الزجاج ونقبوا السقف وتدلُّوا بالحبال الى داخل محل الحريم الذي فيهِ السلطان مصطفى وجعلوا يفتّشون عنهُ في غرف المحل حتى وجدوهُ ملقى على فراشٍ بالٍ وبجانبهِ خادمان اخرسان ومملوك · فصاحوا صيحة السرور وهجموا عليهِ فظنهم يريدون قتلهُ فمدَّ عنقهُ طائعاً · فوقعوا على قدميهِ يقبّلونهما ويقولون قم يا سلطاننا فان جنودك تنتظر خروجك وحملوهُ وانزلوهُ الى الحديقة واركبوهُ جواد شيخ الاسلام وساروا بهِ الى جامعهم

ولمَّا رأى شيخ الاسلام ورفاقهُ العلماء ما كان من امر الانكشارية ندموا على ما فرط منهم لعلمهم ان السلطان مصطفى لا يصلح لتولّي الاحكام لضعف عقلهِ ووهن عزيمتهِ فاشاروا على السلطان عثمان ان يختبئ في دار الحريم من وجه الثائرين ويسلّمهم مربّيهُ والصدر الاعظم لعلهُ يخمد هياجهم بقتلهما · فعلم السلطان ان الموت قد صار على بابهِ فالتجأ الى دار الحريم وسلمهم مربّيهُ والصدر الاعظم فمزَّقهما الجنود كلَّ ممزَّق واحدقوا بالسراية وهم يصرخون فليعش سلطاننا مصطفى . ثم خرج اليهم العلماء وقالوا

انكم قد نلتم أربكم فما الذي تبتغونهُ بعد ذلك . قالوا أنَّا لا نريد سلطانًا علينا غير السلطان مصطفى . فقال العلماء اسمعوا ايها الاخوان والانصار ان السلطان عثمان يقريكم السلام ويتعهَّد لكم باجراء كل ما تطلبون فارجعوا عن غيّكم هذا والَّا جلبتم على الأُمَّة العار والدمار . قالوا اننا لا نريد غير السلطان مصطفى سلطانًا علينا وانتم ملزمون بقبول ما اردناهُ لكم . فقال شيخ الاسلام والعلماء ما دام السلطان عثمان على عرش السلطنة فطاعتهُ فرض علينا جميعًا . فهاج الانكشارية غيظًا وهجموا على شيخ الاسلام ورفقائهِ العلماء يريدون قتلهم ولكن منع بعضهم بعضًا من ذلك . ثم صعد المؤذّنون الى المآذن يخبرون الناس بارتقاء السلطان مصطفى الى عرش السلطنة وأَخذوهُ في موكبٍ حافل مع عبدَيهِ ومملوكهِ الى والدتهِ فلما رأَتهُ ضمَّتهُ الى صدرها وشكرت الله على نجاتهِ من يد السلطان عثمان ووالدتهِ . وخاف الجند ان يكون السلطان عثمان قد عبَر الى اسكودار ليرجع بفرقةٍ من الانكشارية الذين هناك ويهجم بهم على السراية ليلًا ويمنع تنصُّب السلطان مصطفى فلذلك أتوا بهِ وبامهِ الى الجامع وحرسوهما ذلك الليل كلَّهُ

اما السلطان عثمان فصبر حتى خيَّم الظلام ثم انحدر الى شاطئ البحر حيث كان جماعة من حرَّاس الحديقة ينتظرونهُ في زورقٍ ليعبروا بهِ الى اسكودار . وقبل ان يصل الى الشاطئ علا صياح العصاة خارج اسوار الحديقة فظنَّ الحرَّاس ان العصاة ادركوهم فتركوا الزورق وهربوا ولما وصل السلطان عثمان لم يجد فيهِ احدًا ليرفع المرساة ويجذّف بهِ الى اسكودار . فعاد الى مكانهِ وبينما هو عائد قابلهُ حسين باشا الصدر الاعظم السابق وحدَّثهُ بطريقة ينجو بها من شرّ اولئك الطغام . فاتفقا على ان يمرَّا من باب السراية السرّي ويختبئا في محلٍّ مرتفع في جامع الامير بقرب ثكنة (قشلة) الانكشارية املاً بان يستجلباهم اليهما ويستعينا بهم على دفع هذه البليَّة . فسار السلطان وحسين باشا يتبعهُ حاملاً اكياسًا من الذهب ليستميل الانكشاريَّة بها . فلما وصلا الى الجامع احضرا آغا الانكشارية وكان يميل الى السلطان عثمان وينفر ممَّا يفعل جندهُ ولكنهُ يخاف ان يتظاهر بذلك . فلما مثل بين يدَي السلطان قال لهُ خُذْ هذه الاموال واعطِ كل جندي خمسين ذهبًا ونيشانًا من الجوخ الاحمر وعدهم بزيادة رواتبهم على شرط ان يصدُّوا السلطان مصطفى عن

فذهب الآغا ليلاً وكلَّم بعض القوَّاد في ذلك فوافقوهُ على مطلوبهِ . ولما أصبح الصباح اجتمع الانكشارية في ساحة ثكنتهم وصعد الآغا على درجٍ ليخاطبهم وكان بعض القوَّاد قد خافوا فأباحوا للجنود بما اسرَّهُ لهم ليلاً . فصبروا عليهِ حتى ذكر اسم السلطان عثمان ثم صاحوا بهِ قائلين انزل يا خائن ومنعوهُ عن الكلام ودفعهُ احدهم فألقاهُ عن الدرج الى الارض فهجموا عليهِ بسيوفهم وقطعوهُ تقطيعاً . فلما رأى احد خلاَّنهِ الخلَّص ما كان من امرهِ اسرع الى الجامع حيث كان السلطان عثمان مختبئاً واخبرهُ بما جرى وخرجت فرق من الانكشارية الى حيث كانت والدة السلطان مصطفى وشكوا اليها بلادة ابنها واحجامهُ عن تولّي زمام السلطنة وقالوا لها عيّني من تشائين صدراً اعظم ليتولّى ذلك عن ولدكِ فيصون المملكة . فقالت هل فيكم من يعرف القراءة والكتابة . فقال لها احد الانكشارية اني اقرأُ واكتب فجعلتهُ وزيراً وسمَّت داوود باشا صدراً اعظم والمملوك الذي كان يخدم ولدها في سجنهِ امير ياخور السلطان . ولما فرغت من تسمية هؤلاء الثلثة تفرَّق الانكشارية للقتل والسلب والنهب وفوَّضوا

الاحكام الى الصدر الاعظم وكبير الانكشارية لان السلطان مصطفى كان مختبئاً عن عيون الأنام لا يتعاطى مهمّة من المهامّ

وبعد ما تمّ للانكشارية ما ارادوا جعلوا يبحثون عن السلطان عثمان حتى اهتدوا اليهِ فوجدوهُ مختبئاً في مطبخ خربٍ متصلٍ بالجامع مستترًا بحصيرةٍ بالية لابسًا ثيابًا رثّة وعلى رأسهِ طربوش عوضاً عن العمامة . فلما رأوهُ على تلك الحال رقّ لهُ احدهم فنزع عمامتهُ عن رأسهِ والبسهُ ايّاها واما الباقون فجرُّوهُ الى صحن الجامع وقد اوسعوهُ شتماً واهانةً ببرذون قد اضنتهُ القروح فأركبوهُ عليهِ بلا جُلٍّ . وتعجَّب حسين باشا الصدر الامين من وقاحة الانكشارية وسوء ادبهم وعظم قباحتهم نتبع السلطان راغبًا في مشاركتهِ في الويلات فلما رآهُ الانكشارية يتبعهم ضربوهُ فأطاحوا رأسهُ عن جثتهِ وطرحوهُ بين اقدام البرذون الذي كان السلطان راكبًا عليهِ

وساروا بالسلطان وبجانبهِ جندي لئيم قبيح الخصال يقرص فخذهُ قرصاً مؤلماً ويوسعهُ شتماً وذماً والسلطان يتأوَّه ويتألم ويقول لهُ ألم تكن بالامس يا هذا عبدًا مطيعاً فما الذي بدا لك مني حتى خلعتَ العذار ورُمت شتمي وتعذيبي وما زالوا على

تلك الحال حتى وصلوا الى جامعهم وكان السلطان مصطفى قد حضر اليهِ مع الجنود فجروا على السلطان عثمان في غرفةٍ هناك واحاطوا بالجامع وهم يضجون ويجلبون ويدعون للسلطان مصطفى بالنصر ويلعنون السلطان عثمان ويدعون عليهِ بالذل والقهر حتى نفثوا ما في صدورهم من الغل والحنق وخمد ما فيهم من العنف والبطَر فرقَّت قلوب بعضٍ منهم للسلطان عثمان ورثوا لسوء حالهِ واضطراب بالهِ على حين لم يلحقهم منهُ أذًى ولا اخذوهُ بجريرةٍ . ولمَّا اذَّن المؤذنون ليدعوا الناس الى صلاة الظهر ظنُّوا ان ذلك علامة على قتلهِ فتوجَّه جماعةٌ منهم الى الثُّكن ليقتلوا الاعيان الذين كانوا ينهونهم عن ارتكاب تلك المنكرات ونادى آخرون المحافظين على السلطان عثمان وقالوا اياكم ان تمدُّوا اليهِ يداً فانَّا نريد خلعهُ وتنصيب السلطان مصطفى علينا ولكننا نطلب حفظ حياتهِ . فلما سمع داود باشا المار ذكرهُ كلامهم مع المحافظين دخل الحجرة التي كان السلطان عثمان فيها ودفعهُ بيدهِ نحو الشبَّاك وقال للصارخين انظروهُ بعيونكم فانهُ لا يزال حيًّا فلمَّا أنس السلطان بالرفق من الجند سكن روعهُ وعاش املهُ فحاول استمالتهم اليهِ برقَّة الكلام وتطييب النفوس فوقف

امام الشبّاك وخاطبهم قائلاً ماذا تريدون يا جنودي ان تفعلوا بسلطانكم ومن الذي يتولّى اموركم ويقوم باعباء مملكتكم بعدي . ثم القى العمامة عن راسهِ وعيناهُ تذرفان بالدموع وقال لهم بصوت منخفض سامحوني ان كنت قد اغظتكم وانظروا الى سوء حالي فبالامس كنت سلطانًا عليكم واليوم اقف بينكم عريانًا ذليلاً مهانًا فاعتبروا واشفقوا فالدهر دولاب وربما انقلب بكم غدًا واناخ بثقلهِ عليكم فتحتاجون الى من يرحمكم ويرثي لحالكم

فلما سمع داود باشا منهُ هذا الكلام خاف ان تميل اليهِ قلوب الانكشارية لانهُ رأى امارات الشفقة والحنو تلوح على وجوه الكثيرين منهم فحاول منعهُ عن الكلام وهجم عليهِ مرارًا يريد سدّ فمهِ بيدهِ ثم القى حبلاً حول عنقهِ واراد خنقهُ . فامسك السلطان الحبل بيديهِ وشدّهُ فانحلّت عقدتهُ وسلم من الموت . ثم نادى رؤساء العساكر الجلّاد الذي امرهُ الوزير بخنقهِ وقالوا لهُ اذا قتلتَ السلطان فدمك على رأسك لان جماعةً منّا لا يسلّمون بقتلهِ . وكانت والدة السلطان مصطفى جالسةً في جهة مقابلة للمكان الذي كان السلطان عثمان فيهِ فلما رأت تمنُّع الجنود عن قتلهِ وخيبة داود باشا صاحت فيهم باعلى صوتها

قائلةً اذا نجا السلطان عثمان من يدكم فيا ويلكم انهُ يبيدكم عن آخركم ولا يبقي على احدٍ منكم فلا تغترُّوا بكلامهِ . وحينئذٍ الحَّ داود باشا على الجلَّاد ان يزرد السلطان فهجم بعضٌ من القوَّاد ومنعوهُ من ذلك . فالتفت السلطان الى داود باشا وقال لهُ ايَّ ذنبٍ جنيتُ عليكَ حتى انك ترغب في قتلي هذه الرغبة . أَهذا جزاءُ احساني اليك . أَلا تذكر اني انتشلتك من وهدة الموت مرتين عند ما كان الصدر الاعظم يريد قتلك أَولم أُرجعك رغمًا عن اهل الديوان جميعًا الى المنصب الذي خلعوك منهُ فما الذي يثير في صدرك هذا الحقد الشديد عليَّ . ثم التفت الى حارس الحجرة وقال لهُ افتح لي الشباك لاخاطب عسكري وخدمي ففتح لهُ الشباك الذي يطلُّ على ثكنة الانكشارية فخاطبهم قائلاً يا رؤساء جنودي وحامية مملكتي الذين اشتدَّ بهم ازري منذ صغري ان كنت قد اخطأْتُ وانقدت سهوًا او لحداثتي الى مشورة غيري وعملتُ اعمالاً تتشكَّون منها فلماذا تذلونني هذا الاذلال وتهينون السلطنة هذه الاهانة فان كنتم لا تريدون ان اكون سلطانًا عليكم فاني اتنازل عن السلطنة عن طيب نفس فلا تلحقوا العار بدولة آل عثمان

فهاجت عواطف الجنود من كلامهِ الذي يرقُّ لهُ الجلمود ورفعوا اصواتهم با لبكاء قائلين فليُعْفَ عنهُ فليُعفَ عنهُ انقلوهُ من مكانهِ هذا الى السراية . فلما سمعت والدة السلطان مصطفى ضجيجهم خرجت الى رواق هناك فوجدت ابنها يبكي وفرائصهُ ترتعد من الخوف ارتعاداً شديداً فطيَّبت نفسهُ وسكَّنت روعهُ وقالت لهُ ان ذلك لا يليق بالسلطان امام جنودهِ فتجلَّد يا ابني ليعرف انصارك انك كفؤٌ للسلطنة والاَّ دارت الدائرة عليك وعلى والدتك . وما زالت تشجعهُ بمثل هذا الكلام حتى سكنت مخاوفهُ . فخرجت من عندهِ ولكن لم تبعد عنهُ حتى وقع مغشياً عليهِ فنبَّههُ الذين حولهُ بالمنبّهات فافاق وكان كلما سمع ضجيج الناس خارجاً يضطرب ويثور كالمجنون متوهماً ان انصار السلطان عثمان قد كسروا الابواب وهجموا عليهِ طالبين قتلهُ . وكان يطلب الفرار من النوافذ التي حولهُ فكسَّر زجاج الشبابيك وحاول اقتلاع حديدها فتجرح كفَّاهُ من الزجاج وكان بجانبهِ جاريتان زنجيتان تردَّانهِ عن ثورانهِ وتحثانهِ على الصبر والجلد وكان العساكر المحافظون عليهِ ينظرون اليهِ ويقولون أَيليق بالعقلاء تسليم زمام السلطنة لرجل مثل هذا العيّ الضعيف

الرأي الجبان القلب . فعادت والدتهُ ولما رأت منهُ ذلك ضمتهُ الى صدرها وجعلت تقوّي قلبهُ بالكلام قائلةً ما هذا الذي اراهُ منك يا ولدي مما لا يعهد من اسدٍ نظيرك فانظر اليَّ فانني مطمئنة البال ثابتة الجنان وانا امرأة فهل تخاف انت وتظهر الجبن امام قومك وانصارك

وحينئذٍ انقسم الجنود قسمين قسماً يميل الى السلطان عثمان وقسماً الى السلطان مصطفى ووالدتهِ . فحاوَل داود باشا مرةً أُخرى خنق السلطان عثمان والقى الحبل على عنقهِ فلم يمكنهُ الحفَظة من ذلك . ثم اختطف السلطانَ عثمانَ انصارهُ وساروا بهِ الى ثكنتهم واما انصار السلطان مصطفي فوضعوهُ في مركبة مع جاريتيهِ وساروا بهِ الى السراية . وبقي داود باشا يدبّر الحيل ويكيد المكايد ليشتت شمل انصار السلطان عثمان ويبعدهم عن الثكنة فيتمكَّن من قتلهِ . ولذلك اشاع بينهم انهُ يوجد في منزل كبيرهم الذي قتلوهُ كنوز وخزائن اموال مخبَّأة في مخابئَ عندهُ فجاز عليهم كذبهُ فخرجوا من ثكنتهم مسرعين طالبين المنزل المذكور قصد استلاب الاموال . ولما وصلوا اليهِ وجدوا على ابوابهِ اثني عشر خفيراً بالسلاح الكامل فطلبوا الدخول فردوهم

واقتتلوا قتالاً شديداً كان الفوز فيهِ للخفراء فرجع الهاجمون بالخيبة وقضوا ليلتهم يطوفون في الشوارع يسكرون ويفحشون ويقتلون ويسلبون . فلما علم داود باشا بنجاح مكيدتهِ خرج في موكب كبير وامامهُ الانوار والمشاعيل وقال اننا نريد نقل السلطان عثمان الى حبس يليق بالسلاطين فنقلوهُ من الثكنة الى حبس في اطراف المدينة وقفلوا الابواب عليهِ واقاموا الحفظة والسجانين ورجعوا على ضوء المشاعيل . فشاع بين الجموع حينئذٍ ان السلطان عثمان محفوظ في ذلك الحبس حتى اذا لم يصلح السلطان مصطفى للحكم تولَّى مكانهُ والاَّ بقي حياً في حبسهِ

وكان داود باشا ووالدة السلطان مصطفى على يقين من ضعف السلطان مصطفى وعجزهِ عن القيام بمهام السلطنة فايقنا انهُ اذا بقي السلطان عثمان حياً عادَ الى عرش السلطنة واماتهما اشنع ميتة لانهما كانا الدَّاعدائهِ المحرّضين على قتلهِ . فلمَّا تفرَّقت الجماهير وخلا الجو لداود باشا ذهب خفيةً الى الحبس الذي فيهِ السلطان عثمان واخذ بيدهِ بنداً من الحرير وذهب برفقتهِ جماعة من الانكشارية المقتدرين . فدخلوا على السلطان وهمَّ داود باشا وثلاثة منهم ان يلقوا البند على عنقهِ وكان عمر

السلطان عثمان نحو ثماني عشرة سنة وكان قوي البدن عظيم الاقتدار فصارعهم زمانًا حتى اعياهُ التعب فالقوهُ على الارض وجلس داود باشا على صدرهِ واثنان على ذراعيهِ وادخل الرابع البند في عنقهِ ولكن لم يتمكَّن من زردهِ حتى تكاثروا عليهِ وقبضوا يديهِ ورجليهِ فلم يعد يستطيع حراكًا فصرخ صرخةً عظيمةً يستغيث وما من مغيث لان حفظة السجن كانوا موافقين على قتلهِ وانصارهُ كانوا بعيدين. فخنقوهُ واخرج داود باشا سكينهُ وصلم اذنهُ ولفها بمنديل من الحرير واخذها الى والدة السلطان مصطفى تاكيدًا لقتلهِ السلطان عثمان

ثم نصَّبوا السلطان مصطفى بلا منازع ولكنهُ لم يتبوَّإِ العرش حتى ندم الجنود الصباهيَّة على مشاركتهم الجنود الانكشارية في خلع السلطان عثمان فاجتمعوا بعد تنصيب السلطان مصطفى بيومين عند قصر داود باشا وهو يومئذٍ الصدر الاعظم والسلطان ووالدتهُ عندهُ وقالوا لهُ لماذا قتلت السلطان عثمان وقد امنَّاك على حياتهِ فقال اني قتلتهُ بامر السلطان مصطفى. فانصرفوا ثم عادوا فاجتمعوا في الجامع الذي اختبأَ فيهِ السلطان عثمان وكتبوا الى السلطان مصطفى يسأَلونهُ عمَّا اذا كان هو الذي امر بقتل ابن

اخيهِ السلطان عثمان فاجابهم اني لم آمر بذلك قط وقد كذب داود باشا بقولهِ اني امرتهُ بهِ فاذا كان قتلَهُ ابن اخي لايزالون احياءَ فاقتلوهم. فلمّا رأَوا جواب السلطان اسرعوا فامسكوا داود باشا ورفاقهُ وحكموا عليهِ بالقتل بامر الديوان وساقوهُ الى مكان القتل. فابرز داود باشا امراً من السلطان مصطفى بقتل السلطان عثمان فلم يلتفتوا اليهِ ولكن لمَّا همَّ الجلَّاد بضرب عنقهِ اختطفهُ الانكشاريَّة الى جامعهم ولقَّبوهُ بالصدر الاعظم . غيران الديوان اعاد حكمهُ عليهِ فساقوهُ هو ورفاقهُ الى الغرفة التي خنقوا السلطان عثمان فيها وسقوهم هناك كِاس الحمام ومزَّقوهم كل ممزَّق بضرب الحسام . ثم هجموا على كل الذين اشتركوا في مقتل السلطان عثمان وقتلوهم حتى ملأُوا الشوارع بدمائهم

فهذا طَرَفٌ ممَّا صار اليهِ الانكشاريَّة لمَّا فسد امرهم وزاد عتوُّهم. وما بقي من تاريخهم فحوادث فظيعة وافعال قبيحة من شق عصا الطاعة وخلع ونصب وقتل وسلب وما شاكل ذلك مدَّة مئتي سنة ولم يعودوا يراعون شرطاً من الشروط المفروضة عليهم ولا يعترفون بغير الاسم من نظامهم واحكامهم . وقد سبق انهُ لم يكن يباح لهم الزواج ولا الاقامة خارج المعسكر الَّا بشروط

فنبذوا تلك الشروط ظهرياً وجعلوا يتزوَّجون ويقيمون في البيوت مع عيالهم . ومعلوم ان التقيُّد بعيال واطفال يزيد النفقات ويميل بالانسان الى حب السكينة وملازمة الديار واستبدال حال الكرّ والفرّ بحال الهدو والقرار فلذلك تعاطوا التجارة والصناعة واهملوا الحرب والقتال فنبت صوارمهم وصدئت بنادقهم ولم يبقَ لهم من علامات التجنُّد الاَّ اقتضاء رواتبهم بل لم يقتنعوا برواتبهم فكانوا يطالبون برواتب اطفالهم لان ابن الانكشاري كان يُعَدُّ انكشارياً وهو في المهد فيقبض المال من السلطان وهو طفل رضيع . وتجاوزوا الحدود وعصوا الشرائع واتوا المنكرات غير مطالبين ولم يؤدُّوا خزينة السلطان مالاً ولم يبالوا باوامر الحكومة

ولمَّا كانوا متمتّعين بما لم يتمتع بهِ غيرهم من النِعَم والامتيازات كان الانتظام في سلكهم منية للنفوس ومطمحاً للابصار . ولذلك كان الناس يردون عليهم افواجاً افواجاً ويبذلون لهم الاموال الطائلة ليضمُّوهم اليهم ويَسِموا وسم الانكشارية على اذرعهم . فانضمَّ اليهم على هذا المنوال كثيرون من النصارى واليهود وزمَرٌ من الاوباش والصعاليك والذين فترت هممهم وتولاَّهم شيطان

الكسل فمالوا الى سلب الناس واغتنام اموالهم غنيمةً باردة فكان غيرهم يسعى لهم وهم قاعدون ويجني بتعبهِ معاشهم وهم بالملذَّات لاهون

ولا يخفى ان الجيش الذي تفسد اخلاقهُ هذا الفساد وتكسد فيهِ بضاعة النظام والاقدام هذا الكساد وتتباين عناصر شملهِ هذا التباين وتُستبدَل غاية الجنديَّة فيهِ بغاية البطالة والتموُّل لا يصلح لما يقصد منهُ من تشييد اركان الدولة وحفظ سلامة الامَّة ولا توازي فوائدهُ شيئًا من مضارّهِ ومفاسدهِ . وهذه كانت احوال الانكشاريَّة في اواخر امرهم فانهم لم يعودوا يحسنون نظامًا ولا يرغبون في حرب وكفاح ولا يطيقون التمرُّن على الحركات واستعمال السلاح بل ان اكثرهم لم يَعُدْ يعرف كيف يحشو بندقيتهُ فكان يضع الرصاص فيها قبل البارود والواقفون منهم في الساقة يطلقون على الذين في المقدّمة فيعاونون العدوَّ عليهم . واذا عارضهم قوَّادهم وحاولوا صدَّهم عن ذلك قالوا ان رصاص الانكشاريَّة يميّز العدوّ من الصديق فلا يخطئُ . واذا ارادوا سلَّ سيوفهم يقطعون ازمَّة خيولهم واذا راموا قطع رؤُوس الاعداء يقطعون رؤُوس الخيل فيسقطون واياها مجندلين

ولطالما اثاروا الحروب والفتن على اعدائهم الصباهيةَّ الذي سبقت الاشارة اليهم . وطافوا في الازقَّة والشوارع يوسعون الاهالي ضربًا وشتمًا ويسلبون ما يلقونهُ من الامتعة والنفائس ويرتكبون انواع المنكرات والمناهي . وكثيرًا ما كانوا اذا ارادوا مشترى بارودة جديدة يجربونها باطلاق رصاصها على نصرانيٍّ او نصرانيَّة مارَّةً بهم . فيسفكون دم العباد هدرًا ويسبون النساء والعذارى بلا معارضة ويبيعونهنَّ في المزاد وذووهنَّ لا يجترئون على منازعتهم ولا يستطيعون مقاومتهم . واذا قدمت سفينة الى الاستانة مشحونةً حطبًا او فحمًا هرولوا اليها مسرعين ونشروا وسامهم عليها علامةً على انها دخلت في حماهم فصار حقُّ بيعها وقبض الثمن مفوَّضًا اليهم يستلمون منهُ ما شاؤُوا ويتكرَّمون بالباقي على اصحابها . وكان ما يرد السوق من خضر ونحوها تحت تصرُّفهم يبيعونهُ بما يشاؤُون من الثمن ويدفعون لاصحابهِ ما تجود بهِ النفس

وكانوا يجتمعون كل يومٍ ويسيرون في موكبٍ عظيم لاستلام علائفهم يتقدَّمهم قائدهم وفي يدهِ مغرفة طولها ذراعان وهم يتبعونهُ حاملين مراجلهم العظيمة على اعمدة ويسير معهم

جمهور من المحافظين بايديهم سياط ضخمة متينة وهم يصرخون بالتركيَّة "صاغ اول" (اي ظهرك او احذر) فاذا اتفق ان بعض السابلة غفل عن ندائهم لشاغلٍ من الشواغل ضربهُ القائد بمغرفتهِ الطويلة فالقاهُ على الارض واوسعهُ المحافظون ضربًا بالسياط حتى تكاد روحهُ تبلغ التراقي عبرةً لغيرهِ وتأديبًا لهُ على ذلك الوِزْر العظيم . وكان الحمَّال منهم اذا رأى مع رجل رزمة او بقجةً استخلصها منهُ رغمًا عنهُ ليحملها لهُ واجبرهُ على ان يدفع لهُ الاجرة سلفًا وربما بلغت الاجرة ثمن الرزمة · وبعد قبض الاجرة يردُّها اليهِ او يحملها ويعود فيأْخذ الاجرة المعتادة على حملها· وعلى مثل ذلك كان اذا بنى رجل بيتًا واتاهُ بنجارين يطرد النجَّار الانكشاريُّ اولئك النجارين من البيت ويتمُّهُ هو على ما يشاءُ وحينما يشاءُ . وقس على ما ذكر اشياء أُخرى كثيرة لم تذكر والذي زاد الانكشاريَّة تماديًا في هذا التعدّي والطغيان علمهم ان يد الحكومة قاصرة عنهم فلا ينالهم منها عقاب ومعرفتهم بضعفها واستيلاء الخلل والفساد على الموظفين في دواوينها ومحاكمها الذين كانوا جميعًا في قبضة يدهم حتى الولاة والوزراء والسلطان نفسهُ لم يكونوا الَّا آلات في يدهم يديرونهم كيف

شاؤوا لقضاء اغراضهم . والعلماء كانوا يعمون او يتعامون عن سيئاتهم فينصرونهم ويدافعون عنهم ويخففون على الشعب نير ظلمهم وجورهم بقولهم انهم عماد الامّة والدين والجنود الذين اختارهم الرسول فلا يأتون منكرًا ولا يرتكبون خطأً . ولهذا فسد حال الامّة ونشبت فيها مخالب البوار والدمار وكادت احوال المملكة تتضعضع وقوّتها تضمحلّ لو لم ينتبه السلاطين من سنة غفلتهم ويعملون التدابير لقطع دابر الانكشاريّة واستئصال شافتهم

واستمرّت الحال على ما تقدّم من تمرُّد الانكشاريّة واقلاقهم السلطنة حتى تبوّأ السلطان سليم الثالث تخت الملك سنة ١٧٨٩ ميلاديّة الموافقة لسنة ١٢٠٣ هجريّة وذاق من قتال الروس في زمان الامبراطورة كاترينا امرّ كاسٍ ذاقها سلطان من سلاطين آل عثمان . ولمّا ماتت الامبراطورة كاترينا وقام بونابرت زالت الشدّة عن السلطنة العثمانيّة واتاها الفَرَج لان بونابرت كان صديقًا للدولة اكثر ايامهِ ولم يبادِها بعدوان الاّ حين هجم على ديار مصر والشام . فلمّا أُفرج عن السلطان سليم الثالث اراد اصلاح حال العساكر وتعليمهم الحرب على الطريقة الافرنجيّة املاً بنقض اركان الانكشارية واستئصال شافتهم .

فنظَّم عسكرًا سمَّاهُ النظام الجديد والبسهُ شبه لباس عسكر الافرنج وعلَّمهُ ومرَّنهُ على نسقٍ يشبه نسقَ تعليمهم وتمرينهم . فصار منهم فرقة تحسن اطلاق المدافع التي تجرُّها الخيول فلمَّا رأى الانكشاريَّة منهم ذلك لعبت فيهم نار الغيرة فقاموا عليهم واخرجوهم من الاستانة

فاستصحب حسين باشا عددًا منهم في بوارجهِ حين ذهب الى عكاء ليمدَّ احمد باشا الجزَّار في محاربتهِ لعسكر بونابرت . فلمَّا اتت البوارج عكاء حارب العسكر الجديد محاربةً اعجب بها الاعداء والانصار وبدا فضلهم على الانكشاريَّة الذين انخذلوا في الناصرة وابي قير انخذالاً عظيماً . ولذلك اصرَّ السلطان على ارجاع النظام الجديد وزيادة عدد عساكرهِ . وكان آغا الانكشاريَّة غائبًا حينئذٍ عن الاستانة فجعل رجال الدولة يوزّعون المال على كبار الانكشاريَّة لكي لا يثوروا ولا يبدوا حركة فتمَّ الاتفاق بين الفريقين على ان ينظَّم في الاستانة الفا جندي فقط على النظام الجديد والباقون ينظَّمون في برّ الاناضول حيث يكونون تحت ادارة الحكَّام . فامر السلطان بتنظيم الفين من العساكر الجديدة في عاصمتهِ تحت رئاسة

مسعود آغا وسليمان آغا البروسياني . ولكن الانكشاريَّة قبضوا الاموال وجعلوا يدسُّون الدسائس بين انصارهم ويقاتلون العسكر الجديد فيرجعون خاسرين

فلما رأَى السلطان من بطش العسكر الجديد وشجاعتهِ ما رأَى اشتدَّت فيهِ الآمال وامر بجمع رجال المملكة من سن خمس وعشرين سنة ونظمهم في النظام الجديد . فلما سمع الانكشاريَّة بذلك هاجوا وقاموا في رودُستو على القاضي وهو يقرأُ لهم امر السلطان فقتلوهُ وجاهروا بالعصيان . وكان والي قرمان قد جمع نحو ستة عشر الفًا من العسكر الجديد فاتاهُ امر الباب العالي أَنْ قُمْ بهذا الجيش الى الاستانة ومتى اتيت اسكودار فاضرب عصاة رودستو الانكشارية تأْديبًا لهم . فقام والي قرمان بجيشهِ . فتأَهَّب الانكشارية لملاقاتهِ واغروا اشقياء البلاد فانضمُّوا اليهم وواقعوا والي قرمان في مواقع كثيرة فازوا فيها بصدِّهِ عن الدخول الى مدينة ادرنه فقفل راجعًا الى مدينة رسجق ولما اتاها فتح لهُ محافظها ابواب القلعة وضمَّ عسكرهُ الى جيشهِ فسار بهم قاصدًا الاستانة

فاعترضهُ الانكشارية في مسيرهِ وقاتلوهُ قتالاً متواليًا وبعد

العناء الشديد حلَّ بجنوده خارج مدينة سيلفريا واقام هناك ينتظر المدد الموعود من الاستانة الى ان مرَّ عليهِ خمسة عشر يوماً ولم يأتهِ احدٌ. وفيما هو ذات ليلة نائمٌ في خيمتهِ دخل عليهِ رجل من العصاة وقد استلَّ خنجرهُ ليقتلهُ. فلما احسَّ بهِ وثب من سريرهِ وانقضَّ عليهِ انقضاض النسر على فريستهِ وصارعهُ فصرعهُ واختطف خنجرهُ من يدهِ وطعنهُ بهِ فالقاهُ قتيلاً يختبط بدمهِ ونادى قومهُ فاخرجوهُ من خيمتهِ

ولمَّا بلغ انكشارية الاستانة ان والي قرمان قادم بعسكر النظام اثاروا الفتنة في المدينة واضرموا النيران وجعلوا يطرحونها على البيوت ليحرقوها واجتمعوا افواجاً افواجاً في القهاوي والجوامع والازقة والشوارع وجعلوا يشتمون الوزراء ويلعنون رجال الدولة الذين كانوا السبب في اقتباس النظام الجديد ويتذمرون على السلطان واتحد معهم جمهور كبير من الرعيَّة والعلماء مدَّعين ان النظام الجديد بدعة تخالف الدين وتدعو الى الكفر والفساد في البلاد. فخاف رجال الدولة سوء العاقبة وجعلوا يسعون في لأم الخرق وتسوية الامر بما يؤْمن معهُ الخطر. فأَصدروا امراً الى والي قرمان ان يعود بعسكرهِ الى ان ترد عليهِ اوامر أُخرى وقتلوا

جماعة من الذين كان الانكشارية يطلبون قتلهم . فخمد هيجان الانكشاريَّة وعادت السكينة والأَمن ولكن بعد تغلُّب امرهم على امر السلطان

وفي سنة ١٢٢١ عاد السلطان سليم فأَمر بتجديد النظام وتقوية العساكر الجديدة . وكان يحافظ على بوغاز القسطنطينيَّة من جهة البحر الاسود فرقةٌ من العساكر الغير المنظَّمة تعرف بعساكر اليمق كان السلطان قد احضرها من الاناضول تكثيرًا للعدد . فاوغر الانكشارية صدورهم على عسكر النظام الجديد والقوا النفرة بين العسكرين فاقتتلا قتالاً شديدًا دارت فيهِ الدائرة على العسكر المنظَّم ففرَّ الى الثُكَن

واما الغير المنظَّم فتحالف على ان يبطل النظام الجديد ويحافظ على عوائد البلاد القديمة فاقام عليهِ رئيسًا يسمَّى مصطفى قبقجي اوغلي وكان هذا آلة بيد القائمقام وشيخ الاسلام . فدخل المدينة بجماعتهِ وكتب الى كبير الانكشارية كتابًا يقول فيهِ " وبعدُ فنحن اولاد الحاج بكطاش وليّ الله وحاميكم اتينا لنكون معكم يدًا واحدة على صيانة عوائدكم واحكامكم وشرائع المملكة . فاناشدكم الله ان تعجّلوا بالانضمام الينا لنأْخذ بثأْركم ونقيم حقوقكم ونلاشي

النظام الجديد ونذيق الوزراء الفجّار كاس الحمام لانهم يريدون ان يبطلوا وجاقكم القديم ويقيموا النظام الجديد عوضاً عنّا وعنكم"

فلما قرأ كبير الانكشارية الكتاب حار في امرهِ لان مخالفة اليمق خروج عن طاعة السلطان وطاعة السلطان من قواعد الدين. ومخالفة اليمق موجبة لابطال وجاق الانكشارية واقامة النظام الجديد . وبعد ان تبصَّر في الامر ملياً رأى من الصواب ان يلازم منزلهُ ويطلق الحرّيَّة لقومهِ الانكشارية فيفعل كلٌّ منهم ما شاء . فانضمَّ نحو ثمانمئة منهم الى عساكر اليمق وتوجَّهوا جميعاً الى تكنة البحر ليستميلوا الجنود البحريَّة اليهم . فاغلق هؤُلاء الابواب في وجوههم . فناداهم كبيرهم بصوت جهير قائلاً ايها الجيوش البحرية المظفَّرة ويا شرَف الدولة العليَّة اعلموا انهُ عمَّا قليل لا يكون رؤَساؤُكم الَّا الكفَّار فيتسلَّطون عليكم ويغدرون بكم وبراية النبي صلعم . واني قد جئتكم بهؤُلاء المؤْمنين اصحاب العهود والذمم المحامين عن الدين الناصرين لآل عثمان السلاطين حبًّا بصيانة حقوقكم وردّ ما سلبتموهُ من الشرف والنعَم والمزايا . فبادروا الى عصبتنا ولا تتقاعدوا عن نصرتنا فاننا عصبة غرضها المحاماة عن شرف الوطن والدين . لا تقبل

بيننا سالبًا او ناهبًا ولا نجير فاسقًا او كاذبًا . فان رأينا احدًا فينا يطمع في تعدٍّ او حرام قتلناهُ وطهَّرنا عصبتنا منهُ والسلام

فلما فرغ من كلامهِ خرج اليهِ نحو مئتين منهم فساروا جميعًا نحو الطوبخانة ليستميلوا اليهم مَن فيها من حماة السلطان . فاغلق هؤلاء الابواب في وجوههم فناداهم رئيسهم ايضًا قائلاً ما بالكم يا قومنا قد اغلقتم الابواب في وجوهنا . أتظنون اننا جئناكم لننازعكم في سيادتكم العادلة . لا وقاسم الحظوظ فاننا لم نأتكم الَّا لعلمنا انكم خرجتم من صفوفنا وانكم اولاد الانكشاريَّة واخوانهم وصفوة وجاقهم المبارك فقد اقسمتُ عليكم باسم الحاج بكطاش مولاكم ومولانا ان تفتحوا لنا ابوابكم وتجدونا بابطالكم . واعلموا ان عين النبي صلعم ناظرة اليكم فان ابيتم فتح الابواب لابناء امّتهِ فانَّ لعنتهُ تحلُّ عليكم وابواب الجنَّة تُسدُّ في وجوهكم. ولمَّا قال ذلك هجم برجالهِ على الابواب ففتحها وابتدر من داخلها بالمصافحة والمعانقة كاخوة التقوا بعد طول الفراق

ثم جاء الثائرون جميعًا الى المدينة ومرُّوا في الاسواق وهي غاصَّة بالجماهير حتى وصلوا الى ساحة آت ميدان التي سبق ذكرها

وكان السلطان سليم الثالث ملازماً السرايا لا يخرج منها. فلما بلغهُ ما كان من تمرُّد اليمق والانكشاريَّة وشقّهم عصا الطاعة أَمر بجمع مراجل الانكشاريَّة من اطراف المدينة الى ساحة آت ميدان. وقد سبق ان المراجل كانت تُعتَبر عندهم اعتبار الرايات والاعلام عندنا فجاؤُا بها امتثالاً لامر السلطان وصفُّوها على شكل الدائرة واصطفت عساكرهم وقوادهم حولها. فانتهز قبقجي أُوغلي رئيس العصاة تلك الفرصة وخاطب الجنود قائلاً. قد آن لكم يا قومنا ان تقهروا اعداءكم والله معين لنا فاننا لم نقم الاَّ بامرهِ ومشيئتهِ ولا قصد لنا الآَن نقتلع من المملكة العثمانية اصول تلك العصبة الخبيثة التي تريد ان تبيد وجاق الانكشاريَّة وتجعل المسلمين كالكفار وتجلب علينا العار والبوار. فتعالوا نلاشي النظام الجديد ونعفو رسومهُ ونمحو اثرهُ ولكن لا نسيئنَّ الى جنودهِ فانهم مكرهون عليهِ اكراهاً بل نسمح لهم بالرجوع الى اوطانهم وانما ننتقم من قوَّادهم والوزراء لانهم افسدوا طهارة الايمان بقبائحهم وتحالفوا على ملاشاة الانكشاريَّة عماد الدولة وعزّ الامَّة

وكان شيخ الاسلام وقائمقام المدينة راضيَين عن الثائرين موافقَين على الثورة لما كان بينهما وبين الوزراء من المنافسة

والمضاغنة . وكان رئيس حزب الثائرين آلة بيدها كما تقدَّم لعلمهِ انهما اهل الدسيسة واعظم العاملين على الثورة فلم يكن يصدع الاَّ بما يأمران ولا يفعل الاَّ بما يلقّنان . فلمَّا علم بموافقة الانكشاريَّة لهُ وميلهم اليهِ اخرج ورقةً قد كتب فيها القائمقام وشيخ الاسلام اسماء جماعة من رجال الدولة وجعل يتلوها عليهم طالباً قتلهم . ولما فرغ من قراءتها تفرَّقوا في طلبهم فظفروا بكثيرين منهم فقتلوهم والباقون فرُّوا الى بيوت النصارى واليهود فاختبأوا فيها

ثم اجتمع العسكر على ابواب سرايا السلطان وهم يصرخون ويطلبون رأس بستاني السلطان الكبير وكان السلطان يحبهُ حبًّا عظيمًا. فلمَّا سمع البستاني صراخ العصاة وعلم مرادهم وقع على قدمي السلطان يقبلها ويطلب منهُ تسليمهُ لهم فداء عن مولاهُ . فأَبى السلطان في بادىء الامر ولكنهُ لما رأَى اصرار العصاة على طلبهم وتعالي صراخهم وهيجانهم امر الجلَّاد فقطع راسهُ والقاهُ لهم عن شرفات السور املاً بتسكين هيجانهم . فحملوا راسهُ واتوا بهِ الى رئيسهم في ساحة آت ميدان حيث كانت رؤُوس سائر القتلى وجثثهم مطروحة ليتفرَّج الناس عليها . وكان عددها سبعة عشر

راساً من رؤوس اكبر رجال الدولة واحكم وزرائها واحسنهم تدبيراً للامور واصدقهم خدمةً للامة. فلمَّا فرغوا من قتلهم بعث القائمقام يطلب جثثهم من رئيس العصاة متظاهرًا انهُ يريد دفنها بالاكرام والاحترام لان اصحابها كانوا من اعوانهم وقرنائهم

وبقي سيف العصاة يلعب في المدينة ثلثة ايام على ما يقال والسلطان يسمع بقتل انصارهِ واعوانهِ وهو لا يجسر على الخروج واما عسكر النظام فلمَّا علموا بخيانة العساكر البحريَّة والطوبجيَّة تحصنوا في ثكنهم واستعدُّوا للدفاع عنهم وعمَّن بقي امينًا من الطوبجيَّة

وبعد ما أَروى العصاة ظماءهم بدماء العباد اجتمع رؤساؤهم سرًّا مع موسى باشا القائمقام والمفتي عطا الله افندي شيخ الاسلام اللذين كانا من اعظم اصحاب الفتنة واقوى الذين بثوا تلك الدسائس كما تقدم وتشاوروا في ما يعملونهُ حينئذٍ قائلين ان قلب هذا السلطان ميَّال الى العوائد الوخيمة والاخلاق الذميمة فانقياده الى مطالبنا الآن انَّما هو لضعفهِ وعلمهِ بعجزهِ عن مقاومتنا ولكن ما ادرانا انهُ حين يخلو لهُ الجو ويبيت في أَمنٍ ونعيم بال لا ياخذنا

غيلةً ويبيدنا عن آخرنا . ذلك نصيبنا منهُ لا محالة فلا بدّ لنا من خلعهِ ونحن في قوتنا ومن غلّ يدهِ عن الاساءة الينا

ولمَّا قرَّ رأيهم على ذلك خرج قبقجي أُوغلي رئيس العصاة الى ساحة آت ميدان ونادى باعلى صوتهِ مشيرًا الى رؤُوس القتلى وقال هذه رؤُوس اعدائكم ايها الظافرون قد فزتم بها وشفيتم غليلكم منها وناضلتم عن الامة والشريعة والدين ونلتم مناكم من السلطان فاصدر امرهُ بابطال النظام الجديد وبحلّ عسكرهِ فلم يبقَ مكروه تخافونهُ. ثم خفض صوتهُ وقال . ولكن لا يخفى عليكم ان هذا السلطان هو عدوُّنا الالدُّ فلا يصفو قلبهُ لنا طول زمانهِ وتظاهرهُ الآن بصداقتنا وموافقتهُ على مطالبنا ليسا الاَّ لانهُ يخشى بأْسنا ويخاف صولتنا . وما ادرانا اننا اذا اغمدنا سيوفنا الآن يبقى مترصدًا لنا طول الايام حتى يرى منا ضعفًا او تراخيًا او تغافلاً فيفتك بنا ونحن عاجزون وتدور الدائرة علينا فنندم ولات ساعة مندم . فسلامتنا انمَّا هي بخلعهِ عن عرش السلطنة ولكن ذلك غير منوط بنا بل بالشريعة فلنستفتِ من شيخ الاسلام فاذا افتى بخلعهِ جاء الامن من الله مع النصر والعون والاَّ فامرنا لله وهو حسبنا ونعم الوكيل

وكان الشعب ناصرًا للعصاة اعتقادًا منهُ ان النظام الجديد مناقض للدين موجب للشرك بالله والكفر باليقين . فلمَّا سمعوا كلام رئيس العصاة استحسنوهُ واقرُّوا على العمل بهِ . فارسل الى شيخ الاسلام يستفتيهِ قائلًا ما قولكم دام فضلكم في سلطان يخالف القرآن الشريف أيجوز بقاؤُهُ على عرش السلطنة . فاجابهُ شيخ الاسلام على هذا السؤَال العام . كلَّا . وكان شيخ الاسلام يريد ان يكون السؤَال عامًّا ليبقى لهُ مجال في الابهام . ثم جعل يتأَسف على ما اصاب الأُمَّة من المصائب واهريق من دماءِ العباد قائلًا ايها السلطان المغرور بتعليم سالفي حتى نسيَ انهُ امير المؤْمنين وان الله ينصرهُ على الكافرين فاراد ان يشبّه المسلمين بالكفَّار وتغاضى عن الاتكال على الله والله يبدّد في لحظة ما لا تبددهُ العُدَد ولا يقهرهُ العدد . كيف يجوز لك بعد ما اغضبتَ ربّكَ بعملِكَ ان تكون اميرًا للمومنين ومحاميًا عن الدين ولم يبقَ للجنود المحافظة على كرسيك ثقةٌ فيك وتضعضعت احوال المملكة من مساويك . فانا آسف على ما نالك وارثي لحالك فقد كنت في منصبٍ تشرِّف بهِ المملكة لو راعيت شرف الايمان وصيانة الاسلام قبل سواهما

فلمَّا اتم رئيس العصاة قراءة هذه الفتوى قال لهم قد علمتم ان الفتوى توجب خلع السلطان فهل لكم من أَرب بالخضوع لهُ والانقياد اليهِ فصرخ الجنود كلَّا اننا لا نريد ان يكون سلطانًا علينا فلينزَّل فلينزَّل وليحيَ السلطان مصطفى سلطاننا . ثم بعثوا شيخ الاسلام الى السلطان ليقنعهُ بالتنازل بلا مقاومة . فدخل عليهِ متذللاً مطأطئ الرأْس متوجعًا كئيبًا حتى بلغ العرش فركع امامهُ وقال قد اتيت يامولاي لابلغكَ امرًا يسوءُك كما ساءَني ولكني ارجو منك قبولهُ والتسليم الى امر الله فان ذلك خيرٌ من اضرام نيران العدوان وزيادة الشعب هياجًا على هياج لئلَّا يهاجموا السرايا ومن فيها . وربما بلغ مسامعكم الشريفة ان الانكشارية قد نادوا باسم ابن عمكم مصطفى سلطانًا عليهم فلم يَعُد في المقاومة جدوى ولم يبقَ اليها من سبيل

فلما سمع السلطان هذا الكلام تجلَّد وتصبَّر ولم يفتح لاعدائهِ بابًا للشماتة ولم يظهر على نفسهِ كآبةً فتنازل عن كرسي السلطنة بلا تردُّد ولا معارضة . وخرج من السرايا بعد ان تولى زمام السلطنة فيها ثماني عشرة سنة قاصدًا الاعتزال في مكانٍ منفرد فالتقى بابن عمهِ السلطان مصطفى قادمًا ليتبوأَ عرش السلطنة

مكانهُ فقال لهُ اعلم يا اخي اني نُزّلت عن العرش الذي انت ذاهب اليهِ لاني اردت ان انظّم مملكتي تنظيماً يتكفل بتقوية الامّة وصيانة الدين واصلاح حال عسكر المسلمين الذي جهلَ تعاليمهُ واهمل قوانينهُ وتمرّد على سلطانهِ وقتل احسن رجالهِ واعوانهِ ثم طلب اليهِ التنازل عن عرشهِ ونادى باسمك سلطاناً عوضاً عني. فها انا ذاهب الى محل عزلتي عن طيب نفس مني راضياً بالانفراد والوحدة فكن حكيماً في ما تأمر بهِ متبصراً في عواقب ما تفعلهُ حازماً في ما تجريهِ ثم تركهُ وذهب الى محل عزلتهِ حيث كان السلطان مصطفى قبلهُ فوجد هناك محموداً اخا السلطان مصطفى وعلامة النباهة والرقة والوداد تلوح على وجههِ. فلما رأَى السلطان سليم مقبلاً عليهِ قام لهُ على الاقدام وطفق يقبّل يديهِ ويذرف العبرات حتى هاجت عواطف السلطان سليم مما رأَى منهُ فبكى بكاء الثكلى وجعل همهُ تهذيبهُ وتثقيفهُ. فكانا مدّة اقامتهما معاً يتحادثان في التدابير المشيّدة لاركان الامّة والدولة

هذا ما كان من امر السلطان سليم واما السلطان مصطفى فلما صار بمرأَى من العساكر الثائرين حيّوهُ ودعوا لهُ بالنصر واجلسوهُ على تخت السلطنة سنة ١٢٢٢ هجرية الموافقة لسنة ١٨٠٧ ميلاديّة

واطلقوا المدافع علامةً على جلوسهِ ونادى المنادون باسمهِ. ثم تقدم شيخ الاسلام والقائمقام الى الجموع الواقفين في ساحة آت ميدان واخبراهم ان السلطان مصطفى قد وعد بالغاء النظام الجديد وارجاع العوائد القديمة خلافاً لما كان السلطان سليم يتمنَّاهُ ويتوق اليهِ. فلما سمعوا ذلك تفرقوا الى اماكنهم. واما عسكر النظام فلما بلغهم ما كان من عزل السلطان سليم والغاء نظامهم حلَّ الرعب فيهم ففرُّوا من اماكنهم وتفرقوا ايدي سَبَا تاركين البلاد للاعداء ميداناً يعيثون فيهِ فتقدم جيش الروس الى الفلاخ والبغدان بعد ان كان يهاب لقاء عسكر النظام

واما السلطان مصطفى فسلَّم مهام السلطنة لشيخ الاسلام والقائمقام فتقاسما بينهما الاحكام. الَّا ان القائمقام لم يقف عند حدٍّ في ارتكاب الفظائع والمنكرات فسخط السلطان عليهِ فعزلهُ واقام طيَّار باشا مكانهُ. فوقعت المنافسة بين شيخ الاسلام وبين القائمقام الجديد لانهُ كان يطلب ان يكون مستقلاً في الاحكام وشيخ الاسلام يطلب ان يكون رئيساً لهُ فيها. واشتدَّت المنافسة بينهما حتى افضت الى النفور واستعفاء القائمقام وتركهِ الاحكام لشيخ الاسلام يتلاعب بها كيف شاء معتضداً بكبير اليمق وجماعتهِ

ولمّا خلا لهُ الجوّ ردَّ موسى باشا القائمقام القديم الى منصبهِ في الاستانة بعد عزل السلطان لهُ وسخطهِ عليهِ

واما طيَّار باشا فبارح الاستانة واتى روسجق حيث كان مصطفى البيرقدار واليًا وقد رقَّاهُ الصدر الاعظم الى رتبة الوزارة لما ابدى من الشجاعة والاقدام في حرب الروس . وكان البيرقدار من انصار السلطان سليم الحافظين لعهدهِ المقيمين على ولائهِ ولذلك اضمر الشر لعساكر اليمق ومن حالفهم. فلما اتاهُ طيَّار باشا معاديًا لشيخ الاسلام واعوانهِ كما قدمنا اخبرهُ بوجود عصبة للسلطان سليم في الاستانة وأَنَّ السلطان سليم والسلطان محمود في خطر لانهُ كان محجوزًا عليهما في مكان قرب السرايا . فاتفقا سرًّا على ان يشرعا في تدبير ما يلزم لاخذ الثار وانقاذ المملكة من اولئك الفجَّار . فارسلا رجلاً سديد الرأي حازم التدبير الى مدينة ادرنة ليقابل الصدر الاعظم فيها ويفشي اليهِ بسرهما ويعظم لهُ المواعيد ليحث العساكر على مساعدتهما في عزل شيخ الاسلام وكبير اليمق ولكن اوصياهُ ان لا يذكر للصدر اسم السلطان سليم ولا ما ينويانهِ من ردّ المُلك اليهِ

فلما مثل الرسول بين يدي الصدر الاعظم سلَّمهُ كتاب

البيرقدار ورفيقهِ القائمقام ففضَّهُ وقرأهُ ثم جعل يلوم عساكر اليمق ويذمّ ما احدثوهُ في الاستانة من الاضطراب والقلق وارسل الى البيرقدار فاعلمهُ بالذين يوافقونهُ على رأيهِ ويكرهون اعمال اليمق فلما اطَّلع البيرقدار على جواب الصدر الاعظم قام بجنودهِ من روسجق واتى ادرنه فقلق لقدومهِ مَنْ كان فيها من الوزراء والانكشاريَّة لانهم لم يعلموا لهُ سبباً فبعث البيرقدار يطمنهم ويسكّن بلبالهم قائلاً اني اتيت لنجدتكم وقضاء مرامكم. ونزل بجيشهِ خارج المدينة وارسل الى رؤَساء عساكرهم قائلاً ان الصلح بيننا وبين الروس قد تمَّ فلم يبقَ حاجة الى بقائكم هنا فقوموا الى الاستانة وانا اسير في اثركم لنؤَدب عسكر اليمق ونستأْصل شافتهم. ولزيادة اطمئنانهم وعدهم سرًّا بارسال فرقةٍ من قومهِ الى القلاع التي بيد اليمق على بوغاز القسطنطينيَّة ليقتلوا كبيرهم ويريحوا العباد من شرهِ وشر الذين كانوا يتلاعبون بهِ لقضاء اغراضهم

ثم انهُ ارسل رجلاً من قومهِ يسمَّى الحاج علي آغا في نفر من الفرسان وامرهُ ان يقتل كبير اليمق حال وصولهِ الى القلاع ويتولى المحافظة عليها مكانهُ وسلمهُ امرًا من الصدر الاعظم بذلك. فسار علي آغا في جماعتهِ حتى قربوا من المحل المقصود فكمنوا

خارجهُ حتى جنَّ الظلام . ثم تنكَّر مع اربعة من قومهِ وطرقوا بيت كبير اليمق فقرعوا الباب قائلين عندنا امرٌ ذو شان نريد ابلاغهُ الى مولانا في الحال . فلما سمع الخدم كلامهم فتحوا الباب فدخلوا دفعةً وسدوا افواه الخدم والقوهم في الارض موثقين . ثم جعلوا يطوفون في البيت حتى اهتدوا الى الغرفة التي كان قبقجي اوغلي راقدًا فيها مع اهل بيتهِ . فجذبهُ علي آغا بيدهِ فاستيقظ مذعورًا وقال مَنْ انتم وكيف اجترأْتم ان تدخلوا منزلي وماذا تطلبون مني . قال نطلب قبض روحك من بين جنبيك يا عدوّ الله والصالحين . فقال امهلوني حتى اصلي فرضي . قال أَوَيهل الخاسر ان الوفاة خيرٌ لك من الصلاة ثم طعنهُ في عنقهِ فوقع على الارض قتيلاً يخبط بدمهِ . فقطع راسهُ ووضعهُ في كيس وارسلهُ في الحال الى البيرقدار عالمًا انهُ ينتظرهُ انتظار الصابر على النار ثم قال لقومهِ اختبئوا في بيوت هذه الضواحي لنرى ما يكون من عساكر اليمق في الغد . ولمَّا اصبح الصباح دخل المكان الذي فيهِ عسكر اليمق وجعل يتلو عليهم امر الوزير بانهُ صار كبيرهم عوضًا عن قبقجي اوغلي . فلما سمع رؤَساؤُهم ذلك تعجبوا ولم يكن لهم في الرفض حيلة فهمُّوا بتقديم الطاعة واذا صوت بكاءٍ وعويل

قد علا بينهم وحوَّلهم اليه عمَّا كانوا عازمين عليهِ. وذلك ان جماعة المقتول انتبهوا من رقادهم فوجدوا جثة كبيرهم مضرَّجة بالدماء مقطوعة الراس فصاحوا واعولوا والبسوا نساءهُ واولادهُ اثواب الحداد وساروا بهم الى محل العساكر ليشكوا اليهم امرهم ويطلبوا منهم الأَخذ بثارهم. وكان بينهم رجل يقال لهُ سليمان آغا فنادى العساكر بصوتٍ جهيرٍ قائلاً حذارِ حذارِ ايها الابطال من خداع هذا الماكر الغدَّار فانتم عالمون ان فقيدنا كان مغمورًا باحسان السلطان حائزًا عندهُ اسمى مكان محبوبًا مكرمًا نافذ الكلمة مقرَّبًا فكيف يجوز عليكم ان السلطان يأْمر بعزلهِ بلا سبب ويرضى بقتلهِ بلا ذنب. اعلموا انكم اذا تأَخرتم عن اخذ ثاركم وقعتم في شراك منصوبة لكم وكان ذلك وبالاً عليكم فتندمون اذ لا ينفع الندم. دونكم القاتل فاقتلوهُ واخمدوا النار قبل ان يعلو سعيرها فلا تقووا عليها

وكان يتكلَّم ويحرّض الجنود ونساء القتيل يعولنَ ويستغثنَ واطفالهنَّ يبكون ويستجيرون حتى غلبت على الجنود الشفقة وثارت فيهم الحميَّة فاسرعوا الى سلاحهم. ولمَّا رأى الحاج علي منهم ذلك فرَّ على جوادهِ الى حيث كان قومهُ مختبئين وقد

حصنوا البيوت التي اختبأوا فيها تحسبًا للعواقب. فتاثرهُ الجنود وهجموا عليهِ وعلى جماعتهِ مرارًا فلم ينالوا منهم منالاً. وبعد ما ملُّوا من الهجوم والقتال وقتل كثيرون اضرموا النيران في المنازل القريبة من البيوت التي تحصَّن اعداؤُهم فيها. فلمَّا دنت النار منهم خرجوا من حصونهم والتجأُوا الى برج قديم بجانبهم وتمنَّعوا فيهِ فتبعهم الجنود ووجَّهوا عليهم البنادق والمدافع واحدقوا بالبرج من كل جانبٍ طالبين هلاكهم

واما البيرقدار فلما طرح الرسول رأْس اليمق امامهُ وتحقق نجاح مسعاهُ قام بجنودهِ في الحال وجدَّ في اثر الصدر الاعظم. وقبل وصول الصدر الى الاستانة بعث غالب افندي مشير الخارجية الى السلطان ليخبرهُ ان الجنود الآتية معهُ قد اتفقت مع جنود البيرقدار على انقاذ السلطان سليم وردّهِ الى عرش السلطنة واستخلاص المملكة من ايدي البغاة الظالمين الذين اهانوا بمظالمهم شرف الامَّة والدين. ويشير عليهِ تخلصًا من المهالك ان يقبل ثلثة امور فيبقى في منصبهِ ويرجع الجيش عن نيتهِ

اما الامور الثلثة فهي اولاً الغاء عسكر اليمق وثانيًا عزل عطا الله افندي شيخ الاسلام وثالثًا العفو عمَّا اتفق الجيش عليهِ وما

فعلوهُ . وكان السلطان قد سمع بقتل قبقجي اوغلي كبير اليمق وغضب غضباً عظيماً وجمع اليهِ كبار رجالهِ يستشيرهم في الاعمال والتدابير اللازمة دفعاً للشر واخماداً للفتنة . فلمَّا ابلغهُ مشير الخارجيَّة مطالب الجيش وجد قبولها أَولى من رفضها وانفاذها اسلم عاقبةً من التردُّد فيها فقبلها واصدر امرهُ بالعفو عن قتلَة كبير اليمق وبذلك نجا الحاج علي وقومهُ وارتفع حصار عسكر اليمق عنهم

وفي ذلك النهار وصل جيش الصدر الاعظم والبيرقدار وحلَّ خارج الاستانة . فخرج السلطان في موكبٍ حافل لاستقبال الراية النبوية وتودَّد للبيرقدار وبالغ في التلطُّف اليهِ . ثم امرهُ ان يرجع بعساكرهِ الى حيث كان فامتثل البيرقدار امرهُ ظاهراً واضمر استخلاص السلطان سليم وردَّهُ الى العرش باطناً . وبعد انقضاء الاحتفال خرج السلطان مصطفى للنزهة فانتهز البيرقدار فرصة لهوهِ وكاشف الصدر الاعظم بقصدهِ وطلب منهُ ان يعينهُ على اتمامهِ . فانكر الصدر عليهِ ذلك وسعى في ردّهِ عنهُ مبيّناً لهُ سوء عواقبهِ . فغضب البيرقدار غضباً شديداً وامر بسجن الصدر ودخل المدينة بجيشهِ من ساعتهِ متظاهراً انهُ يريد ارجاع الراية الى

مكانها في السرايا فلما صار مقابلها قفل الحرَّاس في وجههِ الابواب وقال لهُ الحاجب من داخل ان الابواب لا تفتح لكم الَّا بامر من السلطان مصطفى. فاجابهُ البيرقدار قائلاً أَما علمت يا عبد السوء ان السلطان مصطفى لم يبقَ لهُ امرٌ ولا نهيٌ وانما الامر والنهي لسلطاننا المعظم السلطان سليم. وبلغ مسامع السلطان مصطفى ما في نيَّة البيرقدار فرجع الى السرايا مسرعًا ودخلها من جهة البحر حيث لم يرسل البيرقدا جندًا لصدّهِ. وامر الحاجب ان يلاطف العسكر بالكلام ويماطلهم هنيهةً من الزمان حتى يحضر السلطان سليم بنفسهِ لمقابلهتم. فتوقف البيرقدار حينئذٍ عن كسر الابواب. وفي الحال امر السلطان مصطفى بقتل السلطان سليم واحضار جثتهِ اليهِ. فذهب الجلَّادون ولما وصلوا الى منزلهِ قرعوا الباب ففتح لهم الخدَّام لانهم لم يكونوا يعلمون شيئًا مَّما جرى. وكان السلطان سليم يصلّي فلما رآهم مقبلين عليهِ والشريلوح على وجوههم قال لهم امهلوني حتى اقضي فرضي فابوا وطرحوهُ على الارض فنهض وصارعهم زمانًا حتى خارت قواهُ فتغلبوا عليهِ وخنقوهُ وعادوا بجثتهِ الى السلطان مصطفى وطرحوها امامهُ فتفرَّس فيها هنيهةً وارسل جنودًا ليقتلوا اخاهُ محمودًا

ثم امر فطرحوا جثة السلطان سليم من نافذة الى حيث كان البيرقدار ورجالهُ. فلما رآها البيرقدار ارتعدت فرائصهُ ورفع يديهِ نحو السماء منذعراً وقال اوَّاه ايها السلطان العظيم العاقل الحكيم الذي تفرَّد بحسن السجايا وحميد المزايا ايُّ ذنبٍ جنيتَ حتى عجلتُ ساعة مماتك. أَهذا جزاء احسانك وافضالك في حياتك. ثم انطرح عليهِ وضمَّهُ اليهِ وطفق يقبل يديهِ وقدميهِ ويذرف العبرات ويصعّد الزفرات والجنود حولهُ ينظرون عابسين ويعودون آسفين

وبينما كان البيرقدار وجنودهُ لاهين بالبكاء والرثاء كان القبودان باشي واسمهُ السيد علي يتبصَّر في ما يلزم اجراؤُهُ من التدابير فصبر حتى هدأَ روع البيرقدار قليلاً ثم تقدَّم اليهِ وانهضهُ عن جثة السلطان سليم قائلاً حتى متى تبكي كالنساء والاطفال والسلطان سليم يطلب منا الاخذ بالثار لا البكاء والعويل. فدع عنكَ ما انت فيهِ وتعال نسعى في خلاص السلطان محمود ومَن بقي من جماعة السلطان سليم فانتبه البيرقدار من غفلة الاسى وهجم بجنودهِ على الابواب فكسرها وقال لهم دونكم والسلطان مصطفى فامسكوهُ واسرعوا الى نجاة السلطان محمود لئلاَّ يقتلوهُ

فتفرَّق الجنود مسرعين في نواحي السرايا يطلبون القبض على السلطان مصطفى وتخليص السلطان محمود خوفاً من ان يقتلوهُ فلا يبقى بعدهُ وارث لتخت السلطنة من آل عثمان · ففتشوا عن الثاني زماناً طويلاً فلم يجدوهُ وكادوا يقنطون من خلاصهِ لو لم يرهُ بعضهم على سطوح السرايا

وتحرير الخبر انهُ لما وصل رُسل السلطان مصطفى الى محل السلطان محمود وارادوا القبض عليهِ علم بمرادهم فمرَّ من امامهم فطعنهُ بعضهم بخنجرٍ فعلق بيدهِ . واما هو فنجا وصعد الى اعلى سطوح السرايا والخنجر بيدهِ فرآهُ جنود البيرقدار وعرفوهُ فوضعوا لهُ سلماً فنزل عليهِ الى صحن الدار حيث كان البيرقدار ففرح البيرقدار بخلاصهِ فرحاً عظيماً ووقع على قدميهِ يقبلهما ويدعو لهُ بالعز والنصر فانهضهُ السلطان محمود الثاني ثم دخل بهِ الى القاعة وجلس على كرسي السلطنة سنة ١٢٢٣ هجريَّة الموافقة لسنة ١٨٠٨ مسيحيَّة . وامر فقبضوا على السلطان مصطفى وحبسوهُ في المكان الذي كان هو محبوساً فيهِ ثم رقى البيرقدار الى رتبة الصدارة وسلَّم اليهِ زمام الاحكام

ولما رسخت قدم البيرقدار في الصدارة جعل همهُ الانتقام من

اعدائهِ قتلاً ونفياً فقتل كبار عسكر اليمق ووضع مئة واربعاً وسبعين
سريَّة من سراري السلطان مصطفى في اعدالٍ والقاهنَّ في البحر
فاختنقن جميعاً . ويقال ان السلطانَ محموداً قتل بيدهِ سبع عشرة
سريَّة ايضاً من سراري اخيهِ لانهن تآمرنَ على قتلهِ وهو نائم

وقد تقدَّم ان السلطان محموداً تهذَّب على يد ابن عمهِ السلطان
سليم فأُشرب قلبهُ حبَّ النظام الجديد وبغض الانكشاريَّة .
وكان الصدر الاعظم يوافقهُ على ذلك قلباً وقالباً فهمَّ باصلاح
الجيش وارجاع النظام الجديد . ودفعاً للمكروه شاور كبار الدولة
واصحاب الكلمة في ذلك وأَبان لهم لزوم وجود جيش يذب عن
المملكة ويصون حقوقها وينفذ اوامر السلطان فوافقوهُ جميعاً على
ذلك وافتى لهُ شيخ الاسلام بمناسبتهِ . فامر بارجاع الانكشاريَّة
الى نظامهم القديم واجبارهم على مراعاتهِ تمام المراعاة وابطال الرواتب
عمَّن لاحق لهُ فيها منهم واكراه المتزوجين منهم على ترك حوانيتهم
وتجارتهم والرجوع الى ثكنهم حيث يتعلمون فنون الحرب والقتال
طبقاً لمقتضى قوانينهم

فما لبثت هذه الاوامر ان صدرت حتى هاج الانكشاريَّة
وشدُّوا ازرهم بالعلماء الذين كانوا لتعصّبهم وتنطُّعهم في الدين

يحسبون كل ترتيب جديد شركًا بالله وكفرًا بدينهِ ولو كانت منافعهُ ظاهرة للعيان ظهور الصبح لذي عينين . فاكثروا على الصدر من الطعن والملام وكانوا يسلقون عرضهُ بالسنة الفحش والبذاء ويعلّقون الاوراق في الازقة والاسواق ذمًّا بهِ وثلبًا لعرضهِ . وكتبوا على باب دارهِ قد قرب موت الصدر الاعظم والعلماء راضون عن ذلك كلهِ زعمًا منهم ان هذا العمل القبيح نصرٌ للدين على الكفر والكافرين

واشتدَّ الهياج وامتدَّ الشغب في المدينة وتسلَّح الانكشاريَّة وخرجوا يطلبون قتل الصدر وابادة العسكر الجديد فهاجموهم بغتةً امام دار الصدر فشتتوهم لقلَّة عددهم واحدقوا بدارهِ واحرقوها بالنار . وروى بعض المؤرخين انهُ احترق حينئذٍ وهو نائم على سريرهِ وروى آخرون انهُ التجأَ الى مكانٍ مبنيّ بالحجارة داخل دارهِ وتمنَّع فيهِ هو وسراريُّهُ وكان فيهِ من الامتعة والاسلحة والبارود والذخائر شيءٌ كثير . ثم جاءهُ العون من اسكودار كما سيجيءُ وسمع الانكشاريَّة بحريق منازلهم فشُغلوا عنهُ وشاع عندهم انهُ نجا بنفسهِ من منزلهِ متزيبًا بزيّ امرأةٍ وفرَّ الى اسكودار ليستنجد بانصارهِ فيها . ولمَّا فرغ الانكشاريَّة من الحريق والتدمير اتى بعضهم الى

بيتهِ ليسلبوا ما بقي فيهِ من الاموال والكنوز. فدخلوا المكان الذي كان مختبئًا فيهِ مع سراريهِ فاطلق عليهم الرصاص فاصاب نفرًا منهم وفرَّ الباقون مذعورين فاعلموا رؤساءهم بامرهِ فتكاثروا عليهِ وهو يرميهم بالرصاص. ولمَّا رأى ان لا سبيل لهُ الى النجاة وانهُ واقع في يد اعدائهِ لا محالة اخرج نساءهُ وسراريهُ واضرم البارود فاحترق في بيتهِ سنة ١٢٢٣ هجرية

وبلغ العسكر الجديد في اسكودار ان الانكشارية قد ثاروا على السلطان والصدر الاعظم فاسرعوا الى اغاثتهما تحت قيادة رامس باشا وقاضي باشا ثم اطلقوا النار على ثكن الانكشاريَّة ودخلوا السرايا ليحافظوا عليها مع الطوبجيَّة فهاجم الانكشارية السراية مع من ثار معهم من رعاع المدينة باغراء العلماء. فاشتبك القتال بين الفريقين يومين كاملين وكانت الحرب بينهما سجالاً حتى صارت المدينة في حال التلف ممَّا نالها من تدمير الانكشارية واحراقهم للمنازل ومن قنابل المدافع

ولمَّا رأى رجال السلطان سوء الاحوال خافوا ان يكون نصيبهُ كنصيب السلطان سليم فاشاروا عليهِ بقتل اخيهِ السلطان مصطفى ليأمن دسائسهُ ولا يبقي للثائرين مطمعًا في

تنصيب غيرهِ مكانهُ اذ تنحصر سلالة عثمان حينئذٍ فيهِ · قيل فتمنَّع السلطان محمود عن ذلك في بادئ الامر ولكنهم الحُّوا عليهِ وقال قاضي المدينة قد جاء في الحديث الشريف انهُ اذا اجتمع خليفتان فاقتلوا احدهما · فسكت السلطان . فقالوا ان السكوت جواب بالايجاب ثم أمروا كبير البستانيين ان يقتل السلطان مصطفى فقصدهُ الى مكانهِ · فلما شعر السطان مصطفى بقدومهِ علم مرادهُ فدخل الى محلٍّ قد رُصفت فيهِ فُرش كثيرة فخلع نعليهِ من رجليهِ واختبأَ بينها . فدخل البستاني مخدعهُ فلم يجدهُ فجعل يفتش عنهُ في نواحي القصر · وفيما هو مارٌّ بالغرفة التي فيها الفرش حانت منهُ نظرة فرأَى نعليهِ فيها فامر بتقليبها واذا السلطان مصطفى بينها يلهث خوفًا . فامسكوهُ وخنقوهُ

ثم خرج السلطان محمود ووقف امام الثائرين فلم يجسر احدٌ ان يمدَّ اليهِ يدًا . ولكي يسكن هيجانهم ويستجلب رضاهم امر بنفي بعضٍ من القوَّاد الذين دافعوا عنهُ واسلم غيرهم للانكشاريَّة ليفعلوا بهم ما يشاؤُون واقسم انهُ لا يجدّد عمرهُ النظام الجديد المكروه وعفا عن الانكشاريَّة ووافقهم على كل مطالبهم واطلق لهم العنان ولم يمسك عنهم منية من مناهم حتى انهُ قيَّد اسمهُ انكشاريًّا

بينهم واباح لهم البلاد والعباد يعيثون ويفسدون كجاري عادتهم. فكان ذلك احسن تدبير لهلاكهم وافعل حيلةٍ في ابادتهم وملاشاتهم.

وبيان ذلك ان السلطان محمودًا علم مما مرَّ في زمان اسلافهِ وما حدث في زمانهِ ان الانكشاريَّة لا يُقهرون ما دام العلماء ناصرين لهم والشعب مصدقًا لقول العلماء ان النظام الجديد بدعة في الدين وتشبُّهٌ بالكافرين. فرأى ان اطلاق العنان للانكشاريَّة يبيدهم لانهُ اولاً يضعف قوَّتهم ويجعل مصيرهم الى البوار كما هو شأن الفساد في اصحابهِ. وثانيًا يربي في صدور العلماء الضغائن والاحقاد عليهم لتطاولهم عليهم وادعائهم السيادة والرياسة. وثالثًا يثير عليهم بغض الشعب وحب الانتقام لما ينالهُ من مساوئهم وتعدياتهم التي لا حدَّ لها ولا عدَّ. وعلم ان تظاهرهُ بالميل الى الانكشاريَّة والتقرُّب منهم يحوّلان الاذهان عمَّا ينشئهُ ضدَّهم من النظامات الخفيَّة وما يدبّرهُ من الحيل والتدابير ويلجم السنة العلماء عنهُ فلا تطمح ابصار العامَّة اليهِ ولا يستسهلون مقاومتهُ

وكذا كان فان الانكشاريَّة كانوا ايام الحرب يشتغلون بالقتال عن الشهوات والمنكرات فيقتل منهم الجمُّ الغفير

وفي ايام السلم يغوصون في بحار الملذات والملاهي والمناهي فيضعفون ويتفانون شيئاً فشيئاً . واغضبوا الشعب بمظالمهم والعلماء بكبرهم وتغرطسهم حتى أنَّت الامّة من جورهم واسودَّت الاحقاد عليهم . وكان عند السلطان عدد من الطوبجيَّة الذين تعلموا اطلاق المدافع على الطريقة الافرنجيَّة منذ مدَّة طويلة ولكنهم كانوا قلالاً غير ماهرين في صناعتهم يسخر الانكشارية بهم ويزدرون بحالهم ولذلك نشأت الاحقاد والضغائن بين الفريقين. وفي تلك الاثناء ثار الاروام فكانت ثورتهم حجةً للسلطان على تعليم الطوبجيَّة وتمرينهم على الاصول العسكرية وزياده عددهم بلا ممانعة . فزادهم حتى بلغوا في القسطنطينية وحدها اربعة عشر الفاً سنة ١٨٢٦ مسيحيَّة . واعتنى بتعليمهم وتمرينهم حتى برعوا في فنون الحرب وتفننوا في ابواب القتال وكانوا خاضعين للسلطان خضوعاً تاماً ويكرهون الانكشارية كرهاً شديداً لما قدمنا وكان السلطان لا يألو جهداً عن اضرام نيران الكره والبغضاء بينهما.

ولما حدثت ثورة اليونان المذكورة آنفاً بعث محمد علي باشا عزيز مصر ابنهُ ابرهيم باشا بجيش من عسكر مصر المنظم النظام الجديد فالتقى العسكر المصري بعسكر الدولة في المورة واتفقا على

محاربة الاروام فاشتهر فضل النظام الجديد وامتازت العساكر المصرية امتيازًا ظاهرًا · فقال السلطان محمود قد آن لي ان اقطع دابر الانكشارية واحلّ عصبتهم العتيَّة وانقذ البلاد من شرّهم واريح العباد من ضرّهم فقد صارت كاس اثمهم دهاقًا واثقلوا عاتق الامَّة ظلمًا وارهاقًا ولكم صبرت عليهم وتحملتُ مساويهم فلأجعلنهم عبرةً من الغبر واعفو منهم الرسم والاثر . وكان قد اشغل جماعة من الايمَّة في مراجعة نصوص القرآن وشروحه لعلَّهُ يجد مسوّغًا للنظام الجديد فيتخذهُ سندًا . فأتوهُ بنص يجيز للمؤمنين التزيي بزيّ الكفار والتعوُّد بعوائدهم والتسلح بسلاحهم للدفاع عن دينهم ومالهم

وفي سنة ١٢٤١ هجرية لما تمَّت لهُ التدابير خطَّ امرًا بتعليم الانكشارية صناعة الحرب على الطراز الجديد وسلَّم الامر للصدر الاعظم محمد سليم باشا وقال لهُ اجمع كبراء الدولة ووجوه الامة واعيان العلماء الى مجلس في بيت شيخ الاسلام واتلُ عليهم امرنا الشاهاني . ففعل الصدر الاعظم حسب امر مولاهُ . ولما اجتمع مجلس وجوه الدولة واعيان الامَّة وعلماؤُها طفق الصدر الاعظم يصف لهم سوء حال الانكشارية وما اتصلوا اليهِ من جهل

صناعتهم وتهاملهم عن خدمة البلاد وخرقهم حرمة الشرائع والاحكام. ثم تلا عليهم امر السلطان وهذه صورتهُ

انهُ منذ وجدت الدولة العثمانية لم تفتر غيرة سلطان من سلاطين آل عثمان عن اتمام الامر الالهي بمحاربة الاعداء. ولاهتمام اولئك السلاطين العظام باذكاء نيران النخوة والحمية في قلوب المسلمين وتقدمهم لهم في الجهاد على اعداء الدين بزغت شمس شجاعتهم في الاقطار وانتشرت صولتهم على الامصار وكانت جيوش الاعداء تولّي من امامهم الادبار وتترك لهم السلب والاموال غنيمةً باردةً وتقنع بالنجاة والفرار فلذلك حق لابطالنا الفخار ووجب على اعدائنا الذل والعار

وقد كان اشدّ جنودنا بأساً الانكشارية الذين عُيّنوا ليكونوا شرفاً للامة وحماةً للدين. والتواريخ تشهد ان الفتوحات كانت تجيء على يدهم والظفر كان معقوداً بهممهم وكانوا لا يسيرون الاّ محفوفين بالفوز والنصر حتى ذلّ لهم الاعداء وهابهم الاقارب والاباعد من دول الافرنج. ولكن كان ذلك وهم يقنعون برواتبهم ويجتمعون على كلمة قوّادهم ويمتثلون الاوامر ويخضعون لقوانينهم

اما من منذ مئة سنة او اكثر فدخل بينهم المفسدون فافسدوا اخلاقهم وعلموهم التمرُّد والعصيان على السنَّة والسلطان فتهافتوا على المعاصي وتورَّطوا في الآثام وصاروا يقبضون رواتبهم ويتقاعدون عن الحرب والجهاد . وتملكت فيهم العوائد الذميمة والاخلاق الوخيمة فلم يستحرموا بيع اوراق معاشهم لاناس ليسوا اهلاً للعسكرية ولا يصلحون لصيانة المملكة . وعلى توالي الازمان تكاثر هؤُلاء الانذال في الخدمة وقلَّ كرام الرجال فصار الانكشاريَّة قوماً من الجبناء ولم يبقَ بينهم شجعان ولا ابطال وكثرت بينهم الجواسيس وامسوا مصدرًا للحركات والفتن وزال بأْسهم وخمدت نار حميَّتهم . فلمَّا رأَى اعداؤُنا ضعف عسكرنا ووهن عزيمتهِ طمعوا فينا وحملتهم الجراَة على محاربتنا والتعدي علينا في مملكتنا

فيا آل محمَّد ويا رجال دولة عثمان الدائمة بعون الله الى آخر الزمان ويا ايها القوَّاد على اختلاف مراتبهم ويا ايها المؤْمنون المحامون عن الدين والوطن والراغبون في المجد والعلى . تعالوا نتحد يدًا بيدٍ على اصلاح هذا الخلل العظيم والخراب العميم نقيم امامنا سورًا لا يثغر ولا يهدم من الجنود المنظمة والعساكر المعلَّمة

التي لا يخطئ رصاصها الغرض ولا يرتد وجهها عن المخترعات الحربيّة الافرنجية . فاننا لا نسلم من البوادر ولا نأمن تلك الاختراعات الاَّ بتعليم الصناعة الحربيّة وتمرين الجنود عليها حتى نعرفها كما يعرفها اعداؤنا . وقد اصدرنا امرنا بانشاء عساكر جديدة خاضعة لقوانين ونظام بالهام من الله تعالى قضاء للغرض الديني الواجب علينا وتوطيدًا لدعائم مملكتنا واسترجاعًا لما فقده الاسلام من الشرف والهيبة التي ارهب بها قلوب العالمين . انتهى

فلمَّا فرغ الصدر من تلاوة الامر الشاهاني لم تبدُ من الحضور معارضة في امر من الامور وكان فيهم شيخ طاعن في السنّ فقال ان الانكشاريَّة أمسوا كالعجائز اللواتي هرمنَ ولم يزلنَ يفتخرنَ بما كان لهنَّ من الحسن والجمال في صباهنَّ . وقال آخر ان الانكشاريَّة لا يعتبرون العلماء في ايامنا هذه مع ان العلماء كانوا يحامون عنهم ويساعدونهم . وقال آخر انهم طالما جلبوا العار على الدولة بتعديهم حدود الشريعة وتمرُّدهم على اوامر السلطان ومخالفتهم لاحكامهِ . واجمع رأْي الحاضرين على وجوب اصلاح هذا الداء ووقاية المملكة من البلاء

فاشاروا بان ينتخب رجال من كل فرقةٍ من الانكشاريَّة وينظّموا عسكرًا جديدًا يسمَّى جند الرسول المظفَّرين وان يُلبسوا لباسًا مخصوصًا ويعلموا الحرب على الطراز الافرنجيّ. واشترطوا ان يتخلَّل تعليمهم صلوات في اوقاتٍ معيَّنة حذرًا من تأثير العوائد الكفريَّة فيهم تأثيرًا رديئًا. وعيَّنوا لهم الرواتب ووضعوا النظامات بتدقيقٍ وتفصيلٍ. وحكم شيخ الاسلام ان ذلك كلهُ موافق للقرآن وتعهَّد اعضاء المجلس بانفاذهِ. ثم عرضوهُ على قواد الجنود فقبلوهُ وتعهدوا باجرائهِ وختموا على تعهدهم

ولمَّا انفضَّ المجلس نكث بعض المتعهدين بعهودهم وتواطأوا سرًّا مع الانكشاريَّة حتى اذا شرعت الدولة في اجراء النظام الجديد واخرجت العساكر اول مرَّة للتعليم فطنوا الى ما وراءهُ من اذلالهم واخضاعهم فاظهروا الانقباض وعدم الرضى ولم يمضِ اسبوعان حتى جاهروا بالعصيان. فقلبوا المراجل وصفُّوها كجاري عادتهم وتوارد عليهم رفقاؤُهم وانصارهم من رعاع الناس واجتمعوا اليهم من اطراف المدينة. وكانت الدراويش البكطاشيَّة تتقدم جماهيرهم وتحرضهم على المقاومة وتطعن على محمد علي باشا عزيز مصر لانهُ قتل المماليك وعلَّم المسلمين النظام

الافرنجي وتلعن كلَّ من اتبعهُ معهُ او اشار بهِ عليهِ. وساروا بهم الى بيت كبير الانكشاريَّة لانهُ كان قد وافق على امر السلطان فارادوا اقتلهُ ففرَّ من وجههم فنهبوا بيتهُ. ثم هجموا على بيت الصدر الاعظم وعلى رجال محمد علي باشا في الاستانة وعلى كل من كان راضيًا عن النظام الجديد وهم ينادون في الازقة والشوارع اليوم يقتل العلماء ورجال الدولة وكل الذين ينادون بالنظام الجديد. وشرعوا في نهب البيوت واحراقها وسلب العباد فوقعت المدينة في قبضة يدهم

اما الصدر الاعظم ففرَّ الى السرايا واخبر السلطان بما كان من تمرّد الانكشارية وهجومهم على المنازل. فاستدعى السلطان كل جنودهِ الطوبجيَّة الى السرايا وبعث برسولٍ الى الانكشاريَّة يامرهم باطّراح السلاح والرجوع الى السكينة والهدو فرفضوا الامر وهزأوا بالرسول. فجمع السلطان العلماء واخبرهم بواقعة الحال وقال لهم ما قولكم في الانكشاريَّة بعد هذا. قالوا انهم اعداء الدين. فبات السلطان تلك الليلة حيث بات منذ ثماني عشرة سنة محصورًا من الانكشاريَّة والعصاةُ يضجُّون ويصيحون حتى علا صياحهم وتمَّ الاضطراب ودنوا من ابواب السرايا وهم

يوعدون ويرعدون

وفي الصباح التالي الواقع في ١٦ حزيران (يونيو) سنة ١٨٢٦ مسيحية كان جمهور غفير من الشعب قد اجتمع مع الطوبجيَّة على باب السرايا فامر السلطان فاخرجوا راية النبي وانبثَّ المنادون في المدينة يدعون المسلمين الى الانضمام تحت الراية النبويَّة فجعل الورعون يتقاطرن افواجًا افواجًا الى ابواب السرايا حيث توزَّع عليهم الاسلحة. وارسل الانكشاريَّة رسلهم الى كل انحاء المدينة يدعون اخوانهم واعوانهم للاجتماع حول مراجلهم. ثم أُخرجت الراية النبويَّة فسلمها السلطان لشيخ الاسلام وعاد الى محلٍّ في السرايا يطلّ على اعوانهِ. وسار شيخ الاسلام والصدر الاعظم في مقدمتهم حتى اتوا ساحة آت ميدان ودخلوا جامع احمد فصلّوا فيهِ ودعوا للسلطان ثم نشر شيخ الاسلام راية النبي فتحاشدت حولها الرجال الوفا. وتقدم الصدر الاعظم بالجيوش نحو الانكشاريَّة وجعل يدفعهم القهقرى رويدًا رويدًا حتى بلغوا تلاًّ يشرف على معسكرهم قرب جامع السلطان محمود

وحينئذٍ ثارت فرقة من الطوبجيَّة واقتحمت ساحة آت ميدان بمقاومةٍ يسيرة ولم يمضِ الاَّ اليسير حتى احاطت جنود

السلطان بتلك الساحة من كل ناحية ونصبت مدافعها على كل مرتفع يشرف عليها وفي كل منفذ اليها. ثم ارسل رسولاً ثانياً الى الانكشارية يدعوهم الى الطاعة والتسليم فاستخفوا بالمرسل وقتلوا الرسول . وللحال شرعت الطوبجيَّة في اطلاق مدافعها المئة على فسحة آت ميدان وثكنة الانكشارية فانهالت عليها الكرات من كل صوب فنفر الانكشارية من ملجاهم وهجموا على العساكر المظفَّرة هجوماً عنيفاً فدفعتهم دفعةً هائلة وذبحت منهم جمًّا غفيرًا وفرَّ من سلم الى الثكنة وتمنَّعوا فيها. فحوَّل الجنود المدافع كلها نحوها وصبُّوا عليها نارًا دائمة حتى لعبت بها النيران . فيئس الانكشارية من الفوز وصاحوا مستجيرين مسترحمين فلم يلقوا الاَّ اذنًا صماء لا تسمع استراحامًا ولا تجود بعفوٍ كما كانوا يصمُّون آذانهم عن اصوات الالوف من الشيوخ والاطفال والعذارى الذين كانوا يسترحمونهم ويستجيرون بهم فلا يجيرونهم!

وما زالت البنادق والمدافع تصبُّ نارها عليهم حتى سقطت جدران الثكنة على من سلم من الذبح والنار فاهلكتهم ولم تبقِ احدًا ممَّن ظلم عباد الله وعصى السلطان وليَّ نعمتهِ . فَسُحقوا سحقًا وامست عصبتهم هباءً منثورًا. وقد روى المؤرخون ان الذين

هلكوا منهم في تلك المعركة لا ينقص عددهم عن عشرة الاف نسمة

ثم استدعى السلطان العلماء واكابر الدولة وجعل يبسط امامهم اثواب السلاطين الاربعة الذين قتلهم الانكشارية بتمرُّدهم ودسائسهم وقال لهم ما هي فدية هولاء السلاطين الاربعة ·

فاجاب العلماء ان فدية كل سلطان خمسة وعشرون الف نفس فقال ان الذين هلكوا من الانكشارية اقلُّ من الذين لا يزالون متفرقين في اطراف المدينة والولايات فلا نتقاعد عنهم

وفي اليوم التالي اصدر امرًا بابطال عصبة الانكشارية واصطلاحاتها والغاء اسمها وهدم تكنها حتى لا يبقى لها اثر في الوجود وتفرّق المنادون في المدينة واطراف المملكة ينادون بذلك الامر وهذه صورتهُ

انهُ بمقتضى حكم الكتاب والسنّة ولاصلاح حال الامة وصيانة الدولة والدين قد الغينا فرق الانكشارية الغاءً مؤبدًا وابطلناها ابطالًا تامًّا . وباتفاق العلماء والعامة قد عينّا عوضًا عنها عسكرًا مظفرًا من المؤمنين . وامرنا هذا واجب الطاعة نافذ الحكم من الآن فصاعدًا لتتعاطى أمَّة محمد واهل الاعراض اشغالهم مطمئنين ويرتعوا في بحبوحة الرغد آمنين · انتهى

ولما سمع الانكشارية بما حلَّ برفاقهم الثائرين وبالامر الذي صدر عليهم استولى الرعب عليهم فتفرَّقوا في كل صقع وناد وتشتتوا في اطراف البلاد وكانت الحكومة تتعقبهم وتقبض على كل من تعثر بهِ منهم فتعاقبهُ اما قتلاً بالسيف او الخنق او السجن او النفي حسب حالتهِ ودرجة ذنبهِ حتى امتلأَت مياه البوسفور من جثث القتلى وهلك منهم اكثر من ثلاثين الف نسمة . فاضمحلَّ الانكشارية ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة كما هو جزاء اهل البغي والفساد. وقد ارَّخ بعضهم انقراضهم بقولهِ "غزاي اكبر" وهي تساوي ١٢٤١ السنة الهجرية التي تقلَّصَ ظلُّ الانكشارية فيها

هذا واللبيب اذا نظر في تاريخ الانكشارية نظر الناقد البصير يرى فيهِ ما يراهُ في تاريخ سواهم من ان البغي وخيم العاقبة والتقدُّم المستحدث مكروه ولا سيَّما عند المتعصبين المتنطّعين في الدين توهماً انهُ يضرُّ بالمعتقد ولو كان اعظم ناصر للدين فيقاومونهُ لوهمهم وينازعون اربابهُ لجهلهم ولكن لا يلبثون ان يرجعوا خاسرين ويغلبهم الحق إن الحقَّ اقوى الغالبين

انتهى

عبرة العِبَر في حبّ هيرُو ولِينْدَر

زعم قدماءُ اليونان ان الزهرة الاهةٌ تجلَّت صورة الحسن فيها وتكامل الجمال في ذاتها ولذلك جعلوها الاهة الجمال وامَّ اله الحب وشادوا لها الهياكل الفخيمة واقاموا لعبادتها المعابد العديدة وعينوا لها المواسم والاعياد يحجون فيها الى هياكلها من اقاصي البلاد. وكان لها من جملة تلك الهياكل هيكل على ضفَّة الدردنيل بجانب بلدة سستوس قد انقطعت للكهانة فيهِ فتاةٌ هيفاءُ القد وردَّية الخد نجلاءُ العين مشرقة الجبين يصدق عليها وصف بعض الادباءِ المحدثين حيث قال في وصف ظبيةٍ ذات تيه ودلال. كانها حورية من حور الجنان غافلت رضوان فانسلَّت من الجنَّة وهبطت الى مساكن البشر. ما تأملتُ طلالتها الاَّ قلت حسن الزهرة أُفرغ في قالب البشرية فجاءَت طلالتها كطلالتها واقطاعها كاقطاعها من طلعة تخجل بدر التمام وتستتر الشمس دونها بلثام. وهيبة تخمد امامها العواصف وقارًا ويسكن البحر المزبد اعتبارًا وجبين اوضح من الصبح اذا تبلَّج. وحاجبين كالقسي ترمي من تحتهما العينان النجلاويان قلوب العاشقين بسهام الابصار.

وانفٍ بدت عليهِ العظمة ولعبت بهِ بواعث التيه والدلال وثغر كالاقحوان يبتسم عن درّ ومرجان وخدين استعار الورد منهما حمرتهُ وصبغ الشقيق بهما حلتهُ وعنقٍ كالبلّور صفاءً ومنحوت المرمر ملاسةً واستدارةً تخفي الظباء دونها اعناقها. ووجه تلوح عليهِ لوائح الفكرة وقد تركت عليهِ الشجون آثار الانكسار والوداعة

انسيةٌ في مثال الجنّ تحسبها شمسًا بدت بين تشريقٍ وتغميمِ
شقّت لها الشمس ثوبًا من محاسنها فالوجه للشمس والعينان للريمِ

وكانت عادة اهل تلك الايام أَنهم متى اقبل الربيع في كل عام ولبست الارض سندسها وجلت الطبيعة عرائسها وافترّت ثغور الازهار ابتسامًا وتغنت الاطيار وجدًا وهيامًا يقيمون للزهرة الاعياد والافراح ويتقاطر العشاق الى هياكلها من كل الآفاق هذا ليشكو لها ما يقاسي من تجافي حبيبهِ وبعادهِ ويضرع عساها ان تمنّ عليهِ بقربهِ ورضاهُ. وذاك ليقدم لها الهدايا والتقدمات على ما نال من التوفيق في حبهِ من رضى الحبيب وقربهِ. وآخر لم يذق طعم الغرام فخاف ان تحلّ عليهِ نوائبهُ فجاءَ يتلطف لها لعلّها تشفع لهُ عند ابنها اله العشق فلا يبليهِ بعذاب الحب واهوالهِ ولا يجعل نصيبهُ من الحب السقام والتقلُّب على نار الغرام

وكان من جملة الذين لم يذوقوا الحب فتى كالبدر وجهاً والغصن قداً واعتدالاً لم يتمَّ من العمر ثماني عشرة سنة واسمهُ ليندر فجاء الى هيكل الزهرة في سستوس املاً بان تصونهُ من الحب وتدفع عنهُ سهام الغرام. فدخل باب الهيكل مكللاً باكليل من الآس واخترق جمهور الناس منكسر الطرف مطرق الراس حياءً واحتشاماً حتى بلغ المحراب فسجد امام المذبح وقدَّم تقدمتهُ عشَّ يمامٍ وقارورة طيب واستغرق في الصلاة زماناً وهو يكثر من الاستغفار والاسترحام والدعاء لتخفيف نار الغرام. ثم رفع راسهُ واذا فتاة لا مثيل لها في الحسن والجمال قد مدَّت يدها لتتناول تقدمتهُ بطَرْف منكسر ووجهٍ تتوالى عليهِ حمرة الخجل وصفرة الوجل. فلما وقعت عينهُ عليها خُيِّل لهُ ان الزهرة قد تجلَّت عليهِ في صورة البشر فاشتغل قلبهُ بجمالها وتغيَّرت احوالهُ من مشاهدة جلالها وقام لا يدري أَفي اليقظة هو ام في المنام وانتقل زاحفاً ماشياً الى ما وراء عمود يحجبهُ عن عيون الناظرين ولبث فيهِ بقيَّة يومهِ ينظر اليها ويتأمل في بديع جمالها وهو يقول انها تضاهي الزهرة في الجمال ولكنها تفوقها في الحشمة والاعتدال . والزهرة تتصورها الاوهام ولا تدركها الحواس واما هي فقد حارت في حسنها اوهامي

وسحرت بها حواسي . انظر ياقلبُ ما اجمل طلعتها وما اكمل حشمتها كيف تخجل عند لقاء الفتيان وتنخفض منها العينان وتحمرُّ الوجنتان ويفترُّ ثغرها البسَّام تحت ذلك النقاب الطويل وترفل في رداء لا يليق الاَّ بالآلهة ممَّن سواها . فليت فمي قبَّل يدها حين تناولتْ تقدمتي وليت اذني شنِّفت بسماع لفظ من الفاظها كما كُحِلت عيني ببديع جمالها . تبارك خالق حسنها ما اقربها من قلبي وما ابعدها عن حبي . أَهذا جزائي يا امَّ الحب اني جئت لاتَّقي سهام الغرام فكنت اوَّل من كوتهُ نار الهيام . على اني اجد من الم هذه النار لذَّةً ومن عذابها عذوبةً

فان تشأْ فقُل عذابٌ يعذبُ   او ضربانٌ في الهوى او ضَرَبُ
او نعمةٌ او نقمةٌ او أَرَبُ   تأْنسُ النفسُ بهِ وتعطبُ
قد حِرتُ بين عكسهِ والطردِ

وما زالت عيناهُ تتبعانها وقلبهُ يحدثهُ بحبها وجمالها حتى مالت الشمس الى المغيب وانصرف الجمع من الهيكل فبقيت الكاهنة وحدها تصلّي بجانب المذبح صلاة الغروب وقد انطلق لسانها بالحمد والتسبيح واكثرت من التضرُّع والخشوع . فقال ليندر روحي فداها اني اقتحم المحراب لعلي احظى بنظرة من عينيها فخرج من مخبإهِ واقبل يسترق الخطى حتى صار بجانبها

وهي لا تشعر بهِ . وبينما هي تميل بوجهها الى جهتهِ رأتهُ واقفاً كالاله ابلُّون في حسنهِ وقدّهِ والنار تتّقد على صفحة خدّهِ فأجفلت واضطربت ولكن لم تغضب وصدّت عنهُ ولكن لم تنفر منهُ وصمتت ولم تتكلم ولكن لم تنههُ عن الكلام فنظر اليها طويلاً وقد ارتبط لسانهُ في فمهِ واشتدَّ خفوق قلبهِ حتى كاد يصوت ولو كان لهُ لسان لنطق واشتكى . ثم دار وتولَّى وفي عينيهِ العبرات وفي قلبها الحسرات

وصبَرَ في اليوم التالي حتى جاء الوقت المعهود فوافاها وهي راكعة تصلّي ولما وقعت عينهُ على عينها علم فؤادهُ بما في فؤادها فباح لها بحبهِ ووجدهِ واراد ان يشكو لها ما يقاسي من عذاب الغرام لعلها ترثي لحالهِ وترقُّ لبلواهُ . فزجرتهُ قائلةً اقصر عن هذا الكلام فمثلي لا يخاطَب بالحب والغرام ومنعتهُ من الشكوى تارةً باللطف وتارةً بالوعيد وتارةً بالتهويل بالصراخ والاستغاثة وتارةً بالتخويف من العقاب والعار . فقال ان ذا لا يشفي غليلاً ولا يُرجع محباً عن حبيبهِ فقد سمعت العشّاق يقولون ان وعيد الحبيب وعود وتهويلهُ تشجيع وزجرهُ دلال وعقابهُ رفقٌ وعذابهُ عذوبةٌ ورفضهُ قبولٌ وصدُّهُ اقبال ودمعهُ جذلٌ وسرور فحقيقة

حالهِ ضدُّ ظواهرهِ اذ اعظم ما يخاف منهُ اعزُّ ما يرغب فيهِ

فلما رأت الكاهنة ثباتهُ في الحب وصبرهُ على الصدود مالت الى محاورتهِ فقالت ناشدتك الاله ايها الغلام إلاَّ تركتني وشأني ورجعت الى اوطانك وزرعت حبك في قلوب خلاَّنك حيث يعيش وينمو ويثمر لك اللذَّات والمسرَّاتِ فما لك والحب من تخيب دونها آمالك ولا تقرُّ بها عينك ومَنْ يحول بينك وبينها مهالك لا يستطيع امثالك اقتحامها ومخاطر يعجز الانس والجنُّ عن ركوبها

قال وما هي المهالك التي تحول دون غرامي وايُّ المخاطر تصغر همتي دون ركوبهِ . فلا تحسبي اني اطعت داعي الهوى وبي للحياة اعتبار او على الابتعاد عنكِ اصطبار فالحَزْن سهلٌ في سبيل حبكِ والبحار سواقٍ بجانب بحر هواكِ

وهل يرتاعُ من خوضِ السواقي فتىً قد خاضَ في البحرِ الكبيرِ

قالت اتجهل اني نذرتُ للزهرة جسمي وروحي وضحيت حياتي لخدمتها فكيف تطلب مني ان احنث في نذوري واخلف وعودي وانت تعلم أنفة الزهرة وغيرتها وسخطها ونقمتها ممَّن يكفر بنعمتها او يأبى خدمتها . فقال ان كان من هذا خوفكِ فطيبي نفساً وقرّي

عيناً لانَّ الزهرة هي الهة الجمال وام الحبِّ وربَّة الدلال فلاجل حفظ كرامتها لا تحمّل نفساً فوق طاقتها ولا تقبل من الناس ان ينقطعوا عن الحب والزواج الى عبادتها ولا تكلّف العباد ما لم تستطع هي احتماله . واعلمي ان الملا يشهد بانك تضاهين الزهرة حسناً وجمالاً فهل تبتغين ان تفوقيها فضلاً وكمالاً . فاحذري انتِ من اضرام نار غيرتها لئلاَّ تحلَّ عليكِ نقمتها فان حقدها لا يزول وانت بشرٌ لاتستطيعين منافسة الآلهة

فقالت ان والديَّ صارمان اجبراني على ان انذر العزوبة طول عمري فنذرتها وقد سبق السيف العَذَل وهما لا يوافقان على ان ارجع عن نذري . قال وكيف يجوز لهما اكراهكِ على ما لم يفعلاهُ طوعاً ولا كرهاً وبايّ عدلٍ تخصُّ السعادة بهما دون ابنتهما فان كان ابوكِ سعيداً مع امكِ فمن الحماقة ان يمنعكِ عن ان تتشبهي بهما وتملأي قلب آخر سعادةً وسروراً

فقالت ما لك يا ليندْر ولهذا الكلام الذي لا يجديكِ نفعاً فانتهِ عن غيكَ ولا تعلق آمالك على ما بهِ هلاكك فابي قد تجاوز سنّ الحبّ والغرام ولم يعد يرثي لاهل الوجد والهيام ولكنَّ عينهُ ساهرةٌ على الدوام . ومن خوفهِ عليَّ اسكنني برجاً منفرداً بين

شواهق الصخور على شاطئ البحر لا يصل اليهِ انسان ولا يزوره الاَّ البوم والعقبان . ووكَّل حراستي الى عجوز من عبيدهِ الامناء الذين لا يحولون معهُ عن عهدِ الولاء . قال ان كانت العجوز هي الحارس فانا قد صرتُ داخل البرج قالت ولكن بيننا البحر قال اخوضهُ — قالت واذا راك الناس . قال استتر بسواد الليل فأتيكِ تحت جنح الظلام . قالت ومن الذي يقودك اليَّ في الظلام بين الامواج وصخور البحر العجاج . قال قلبي الذي انتِ فيهِ قالت وما تفعل اذا ثارت عليك العواصف قال اقتحمها . قالت وكيف تأمن العثار بالصخور وتنجو من الاعاصير والصواعق قال انها تحنُّ على العاشق وان أمت أمت مجبور الفؤاد فهذا سبيل اخي الهوى والحَيْنُ لا يأتي بغير حينهِ

فمدَّت لهُ يدها فتصافحا وتعانقا على مذبح الهة الجمال ولا تسل عن احاديث المحبين ونواياهما ووعودهما وشكواهما . وما زالاَ مستغرقين في الحديث حتى اشتدَّ الظلام واقبلت العجوز تقول لهيرو قد ادركنا الظلام فقومي من صلاتكِ واسرعي بنا لندرك البرج على نور الشفق فاجفلا عند سماع صوتها وانسلَّ ليندر متواريًا في ظلمات الهيكل حتى اتى الباب ولم تشعر بهِ العجوز

فوجد رفاقهُ مستعدين للرجوع فرجع معهم وقلبهُ يتلهَّب والدمع يجول في مقلتيهِ. ورجعت هيرو مع العجوز وهي تتنهَّد وتتلفَّت حتى دخلت البرج. ولما وصل ليندر ورفاقهُ الى الشاطئ تفرَّق رفاقهُ الى منازلهم يخبرون اهلهم بما شاهدوا من محاسن العيد وما نالهم من افراحهِ وبقي ليندر على صخرة هناك غائصاً في الافكار ينظر تارةً الى البحر كأنهُ يقدّر عرضهُ ويتفحَّص صخورهُ وطوراً الى البرّ ليرى اين البرج المقصود فلا يرى برجاً ولا برّاً لاحتجابهما بالظلام عن الابصار

ولما انتصف الليل ثارت الريح وجاءت بالسحاب فغشَّى وجه السماء واخفى نجومها واشتدَّ بهيرو القلق لتنازع الخوف والرجاء في صدرها — الخوف من ان يهلك البحر حبيبها والرجاء بان تراهُ قربها اذ خان ميعاد حضورهِ اليها كما تعاهدا. فالتفتت الى العجوز وقلبها يخفق خوفاً وقالت لها بصوتٍ يلين الفوائد أرى يا خالة ان الريح قد ثارت والعواصف اشتدَّت ولست ادري ما الذي يهيج مخاوفي فكأن هاجساً يقول لي ان مسكيناً من اهل الحب والغرام قد انكسر بهِ قاربهُ وتقاذفتهُ الامواج واوشكت ان تحطمهُ الصخور ولا أتصوَّر لوعة زوجتهِ وهي تحيي

ليلها بالارق والقلق ومرارة نفسها حين تراهُ صباحاً مقذوفاً على الشاطىء ميتاً او محطماً بجانب الصخور الاَّ شعرت كأَن مرارتي تنفطر وقلبي يقطر دماً . وانتِ تعلمين ان الزهرة الهة الجمال تطلب منا ان نرثي للعاشقين ونرفق بحالهم فهلاَّ فعلتِ ارادتها فاوقدتِ مشعالاً على رأس البرج لعلَّهُ يكون هادياً للمساكين المتيمين فينجي نفساً من الموت وقلباً من الحزن والعذاب . فتسرُّ الآلهة بصنيعنا وربما جازانا اله الحب عليهِ خيراً عاجلاً او آجلاً . فقالت العجوز ما تقولين وبمَ يجازينا الهِ الحب خيراً فتنهَّدت الصبيَّة وقالت اني اذا قلتُ ان اله الحب يجازينا خيراً لم اقصد انهُ يصنع لنا مثل صنيعنا فافكاري اسمى من ذلك وانتِ يا عجوز الخير تشاركينني فيها فقلبكِ رقيق ونفسكِ عزيزة ابيَّة وقدمكِ تسعى الى الخير لكي لا تفوتكِ لذَّة الاحسان ولا يبقى لاله الحب او لغيرهِ من الآلهة باب للعتاب والملام

قالوا واذا سكن الحبُّ في قلب امرأةٍ ودالت دولتهُ خلفهُ حبُّ اكتساب المدح من الناس وامتلاك ثنائهم واعتبارهم وهذا الحب دون الاوَّل شفقة ولكنهُ ليس دونهُ تصديقاً فيسهل امتلاكهُ بالتلطف والتملق كالاوَّل . ولذلك جاءَت كلمات هيرو في محلها فان العجوز لما سمعت مدحها ارادت ان تؤَيد قولها

بالفعل وتثبت لنفسها ما ليس فيها فاوقدت المشعال في الحال واسرعت بهِ الى رأس البرج فوضعتهُ بين شرفاتهِ حيث زادتهُ الرياح اضطرامًا وانارةً وعادت مفتخرةً بما صنعت. فقالت لها الصبيَّة لو تعلمينَ ما يختلج في صدري من الحب لكِ والشكر على احسانكِ فلا حرج ان نشر العشَّاق عرف الثناء عليكِ في الآفاق فكل متيَّم اضلَّهُ النوءُ والعاصف عن حبيبهِ ثم اهتدى بناركِ احبكِ وشكر لحسن صنيعكِ. فطربت العجوز بما سمعت وجعلت تحيي بتلك الاقوال ما فيها من ميت الاماني والآمال ولله درِ الأمل اذا عاد اعاد خريف العمر ربيعًا يانعًا وظلام الحياة نهارًا لامعًا وليس في العباد اشقى ممَّن خاب املهُ وولى وانطفأ مصباح رجائهِ فانهُ يجد لذَّة العيش عذابًا وبهجة الشباب اتعابًا وافراح الحياة اتراحًا واوصابًا

ولم يطل الزمان على الصبيَّة والعجوز حتى سمعتا صوت مستغيث فوق عجيج الامواج وحنين الرياح فقالت العجوز أما هذا صوت شابّ يستغيث. قالت الصبية وقد عرفتهُ ما تقولين. فقالت العجوز لم اقل الاَّ الصواب فانظري من هذه النافذة اما ترينهُ في نور المشعال على قيد عشرين خطوةً من الشاطئ. انظري كيف

يركب الامواج وكيف يطفر كالايل بين الصخور متجهًا الى هذا البرج . انظري كيف يتسلق الصخور المحيطة بنا كأنهُ مجذوبٌ بجاذبٍ الينا ليطلب . . . فقاطعتها هيرو في كلامها وهي ترتجف قائلةً ليطلب المعونة . فانتِ ياخالة قد خلصتِ حياتهُ فلا يطاوعكِ قلبكِ الآن الاَّ ان تكملي معروفك وتنجيهِ من الموت . فقالت العجوز لا عاش مَن يمدُّ للمعروف يدًا ثم يردُّها قبل تكميلهِ وقامت وهي تقول اقسمت بالهِ العشق ان اردهُ الى قرينتهِ صحيحًا سالمًا (والفتاة تقول لتستجب الآلهة قولكِ) ونزلت العجوز مسرعةً حتى وصلت اليهِ فمدَّت لهُ يدها واقتادتهُ الى حجرة الكاهنة . فدخلها ليندر وهو يلهث تعبًا وقد استطار فؤادهُ فرحًا فمدَّ لحبيبتهِ يدهُ اذ تلعثم لسانهُ عن الكلام كما تلعثم لسانها فتصافحا وخفوق قلبيهما يترجم عن اشواقهما

وحسبت العجوز ان الشاب نزيلها وانها مطالبة بمؤانستهِ وملاطفتهِ فجالستهُ وجلست بجانبهِ وهي تارةً ترقُّ لهُ وترثي لحالهِ وطورًا تصف حسنهِ وبديع جمالهِ وتلقي عليهِ في اثناء ذلك المسألة وراء المسألة قائلةً مَن انت . وما اسمك . وما بلدكُ . ومن اين اتيت . والى اين تذهب . وكم عمرك . ألم تبلغ العشرين . وهل

بلغتها. ومَن ابواك. وهل هما حيَّان. وهل انت غني. وهل انت محبٌّ عاشق. فتململ ليندر مللاً وتنهَّد شجيً وقال نعم اني متيمٌ في الحب. قالت وهل التي تحبها تحبك فاطرق براسهِ الى الارض فقالت لهُ الصبيَّة ما بالك قد سكتَّ. قال ان كانت لاتحبني . . . قالت تكون من اكفر خلق الله نعمةً واقساهم قلباً. قالت العجوز انها ليست كذلك فانت تهوى فتاةً مثلك لم يعرف قلبها حب غيرك ومنها يستعير البدر وجههُ والريم عينهُ وعنقهُ والورد حمرتهُ والغصن قدَّهُ. فنظر ليندر الى حبيبتهِ بطَرْف خفيٍّ ولسان حالهِ يقول للعجوز صدقتِ صدقتِ

ثم قالت وهل انت مقترن بها. قال ان كان الاقتران هو اقتران القلوب في الوجد واتحادهما على الحب فقد تمَّ اقتراني بها. فقالت الصبيَّة اذاً هي امرأتك. فقالت العجوز أما فهمتِ معنى ما يقول فاقترانهما لم يتمَّ بعد ولكن قل لي هل تحالفتما على الحب وتواعدتما بالاقتران منذ زمان. قال امس على مذبح الزهرة الهة الجمال. فقالت أتمزح ام تجدُّ ألا تدري انك جالسٌ في حضرة كاهنة الزهرة نفسها (فاحمرَّت هيرو خجلاً) فان لم تكن هي قد استمالت اليك قلب عروسك فلا امل لك بالاقتران بها (فغطَّت

هيرو وجهها بقناعها) واذا اصاب ظني فانت قد كذبت في كلامك لان تغطّي الكاهنة بقناعها يشهد بانها تكذِب مقالك. فقالت هيرو بصوتٍ مضطرب انهُ قد تكلّم بالصدق. قالت العجوز وكيف ذلك أيمكن ان يكونا قد تعاهدا على الحب والزواج على مذبح الزهرة وانا قضيت نهاري بالامس امامهُ ولم اشعر بشيء من ذلك. فقالت هيرو ان الناس لا يدرون شيئًا من ذلك. قالت العجوز أَكان اقترانهما بالخفاء. قالت وما ضرّنا اذا جهل الناس ما علم الآلهة بهِ ورضوا عنهُ فقد سمع الآلهة بالامس دعاءنا واقسامنا وتعهدي بان اكون سعادة حياتهِ وتعهدهُ بان يكون سعادة حياتي. فقالت العجوز أَحياتكِ انتِ فيا للفضيحة ويا للعار. قالت الفتاة وما في ذلك من العار وانتِ تعلمينَ ان أَبي قد جنى عليَّ فاودعني في هذا السجن بعيدًا عن الناس أُفني فيهِ ايامي بالنوح والاحزان وليس لي مسلٍّ ولا انيس. وما هو ذنبي سوى اني امتنعتُ عن التزوج بمن لم احبهُ ومن يريد ابي تزويجي بهِ رغمًا عني ولو تزوجتُ بهِ لكانت عيشتي نغصًا وحياتي مماتًا. فان كانت الحياة لدينا احبَّ من الممات أَنعيش عيشةً امرَّ من الموت ام نعيش العيشة التي نجد فيها السرور والحبور ونحمد الآلهة عليها. وان

كان لا بدَّ للمرأة من الخضوع لارادة رجلٍ أفمن العدل ان يختار لها غيرها ذلك الرجل ام تختارهُ هي لنفسها لتجد الخضوع يسيرًا والانقياد لارادتهِ سرورًا وهل تعصى الابنة والديها اذا لم تضحي لمرضاتهما كل حياتها واميال قلبها ألا يكون الخضوع لوالديها الاَّ بذلك. فارجوكِ يا عجوز الخير — وكرم اخلاقكِ لا يخيب رجائي — ان تعينيني على التمسك باهداب الفضيلة طول ايامي فاني إن عشتُ في ظلال من تميل اليهِ نفسي ويحبهُ قلبي اقسم لكِ بالآلهة اني اعترف طول الدهر انكِ انتِ التي اعنتني حتى حفظتُ نفسي في طريق الفضيلة وسلكت سبيل السلام والطهارة والعفاف وفزت بالنعيم والسعادة. والسعادة يا خالة تطلب الستر عن العيون فالقي عليها ستر الكتمان وانا وحبيبي ندعو الى اله الحب وامهِ الاهة الجمال والبهاء ان يجزياكِ عنا جزاء الخير وخير الجزاء

قال الراوي ولا اعلم ما كان جواب العجوز على ذلك والذي اعلمهُ انها جعلت توقد المشعال وتضعهُ على شرفات البرج كل ليلة حتى صارت تلك العادة ملكة فيها وكان لِيَنْدَر يزور زوجتهُ تحت جنح الظلام ويبارحها قبل ان يشق الفجر جيوب الافق حتى تقضت ليالي الصيف وجاءت ليالي الشتاء

التي تعذُب لقلوب الاحباب اذا كان شملهم مجتمعًا وتعذّبها اذا كان شملهم مفترقًا. وهمَّ ليندر بمفارقة زوجتهِ ذات يوم فعانقتهُ والحزن قد ملأ فؤَادها وافاضت العبرات وصعَّدت الزفرات. فقال لها ليندر ما لكِ ياقرَّة العين تتنهدين وتبكين. قولي ولا تخفي عني. وما زال بها حتى اجابتهُ والعبرات تخنقها انت تعلم حبي لك واشتياقي اليك فلا تعجب من حزني وتنهدي لاضطراري ان اطلب منك الامتناع عن المجيء اليَّ حتى ينقضي الشتاء وتزول عواصفهُ ومخاوفهُ ويفتح الربيع سبل الوصال للاحباب فتاتيني سالمًا ويأْمن قلبي القلق والاضطراب. فقم بحرس الله وعجّل في الذهاب فاني اخاف انك اذا أَطلت الاقامة عندي تحوَّلتُ عن عزمي ورجعتُ فيما طلبتُ فعرَّضتك للمهالك وندمت حين لا تجدي الندامة. فتمنَّع ليندر وقاومها زمانًا ولكنها الحَّت عليهِ وتظاهرت بالاغتياظ منهُ لتردده عن قبول طلبها حتى اطاعها كرهًا ووعدها بالصبر على نار فراقها اضطرارًا فتعانقا طويلاً ثم ودعتهُ وودعها وهو يقول الصبر على نار حبكِ اولى من الصبر على نار غضبكِ. ثم خرج ووقفت هي في الشباك تنظر اليهِ وتقول متأسفةً آه ما انكد حظي اكذا يطاوعني على الفراق ولا يصرُّ رغمًا عني على دوام المجيء

ولمَّا امسى المساء تطلَّع ليندر من بيتهِ واذا المشعل يتَّقد على شرفات البرج فظن ان هيرو اوقدتهُ اطلاقًا لهُ من سجنهِ او لغرض آخر من الاغراض ولم يحسب انها نسيت ان توصي العجوز بعدم ايقادهِ او انها اوصتها ولكنها غفلت فاوقدتهُ على سبيل العادة. فاسرع من ساعتهِ الى شاطئ البحر وحاول عبورهُ فوجد الرياح تعصف والامواج تتقلَّب والغيوم متكاثفة والسماء مكفهرَّة فقال لا بدَّ من الوصول الى هيرو ولو ذقت غصَّة المنون وهمَّ بخوض البحر وللحال انطفأَ المشعل فقال ما انكد حظي انها عدلت عن قصدها وعادت الى غيها فمالي الآن الا الالتجاء من وجه العاصف الى منزل قريب من هذا النواحي. فسار في ظل صخر حتى اتى كوخ صياد فدخل اليهِ للمبيت وجلس يكتب لحبيبتهِ على ضوء السراج ما لقي من هول العاصف والامواج

وفي الصباح طوى الكتاب وسلمهُ للصياد وكان ذاهبًا الى سستوس قرب البرج وقال لهُ سلّمِ هذا الكتاب لكاهنة الزهرة التي في البرج. فاخذهُ الصياد. وكانت هيرو قلقة من الشوق متألمة من الفراق فما وقعت عينها على القارب آتيًا نحوها حتى هرولت راكضةً لاستقبالهِ ظانةً ان حبيبها آتٍ خلافًا لامرها وهي

تقول ما احسن قلبًا يعصى في الحب سواهُ فكم امرٍ خالفهُ الحب ونهيٍ تعدَّاهُ. ولما وصلت الى الشاطئ ولم تجد الاَّ الصياد انقلب فرحها ترحًا وتناولت الكتاب بقلب كئيب وفضتهُ وهي تقول أَيقدر على الكتابة ويتخلَّف عن زيارتي فيا لتعاستي. ثم قرأَتهُ احاد ومثنى وثلاث وكتبت اليهِ تقول

اتاني غريبٌ بكتابك فظننتهُ عن بعد اياك فيا خيبة ظني ويا لشدَّة وجدي. تصف لي يا ليندر ما لقيتَ من العواصف والاخطار وامواج البحر الهدَّار وما بك من الوجد والهيام ولوعة نار الغرام وتشكو مرارة الفراق وتصبو الى عذوبة التلاق وتقسم عليَّ باحب ما عندي والذّ ما ينبسط لهُ قلبي ان لا انسى اياما مضت ولذَّات تقضَّت. فقل لي ايها الحبيب كيف تبالي بالاخطار ولا تبالي بحبي وغرامي وشوقي والتياعي وكيف تصبر وقد فرغ صبري وتطيب النفس بذكر ما مضى وقد تقرَّحت عيناي من الدموع. وكنتُ اظنّ حينما حكم عقلي بوجوب انقطاع زيارتك عني ان قلبي يطاوعني على فراقك ويصبر على بعادك ولكن صدق من قال اذا جمح القلب عجز العقل عن ردهِ ولم تفدهُ النصائح. فوالحب الذي ملكك قلبي اني لولا خوف الفضيحة بين الانام

لسعيت اليك بقدمي على متن الامواج تحت جنح الظلام امَّا انت فلمَ تخاف وليس عليك في المجيء اليَّ من حرج. فتعال. لا. لا تجئْ. لاني اخاف ان يصيبك مكروه فتكون حياتي كلها عذابًا ولكن قف وانتظرني على الشاطئ فاني آتي في الظلام لاحظى بقربك ودم للتي دامت على حبك هيرو

فلما قرأ ليندر كتابها قال اتاكَ الفرج يافؤَاد من حيث لا يرجى مجيئهُ فماذا يصدُّني عن زيارة هيرو أَالغيوم أَم الامواج أَم العواصف أَم الزوابع أَم الشواهق أَم الصواعق

اذا اعتاد الفتى خوضَ المنايا فاهونُ ما يمرُّ بهِ الوحولُ

على اني اخاف ان تخاطر الحبيبة بنفسها فيغدر بها البحر ويجرعني كاس الذل والقهر. وفي المساء رأَى المشعل يتقد فاقتحم الامواج وصارع اللجج والحب يقوي ساعدهُ والشوق يحث قدمهُ حتى ابعد عن الشاطئ وتوسَّط في البحر. وذكرت هيرو وعدها لحبيبها فاسرعت من برجها وهمت بان تقذف بنفسها الى فم اللجِّ فتعلقت العجوز باذيالها وصدتها عن ذلك فقالت لها هيرو اتركيني فقد وعدت حبيبي ولن اخلف وعدي معهُ أَأخلف اول وعد وعدتهُ وهو لم يخلف قط وعدًا من وعودهِ. قالت اصبري حتى

تهجع الرياح وتهدأ الامواج فتذهبي واكرهتها على البقاء. واشتدّت العواصف وهاج البحر هيجانًا عظيمًا واطفأَت الرياح المشعل وطبقت الغيوم وجه السماء حتى تكاثفت الظلمات وتراكمت طبقات فاكثرت هيرو من البكاء والعويل خوفًا على حبيبها حتى تصرَّم الليل ولاح ذنب السرحان من خلال الغيوم فاشتد بها الغم والجزع واستولى عليها السكون والوجوم. فظنت العجوز انها ثابت الي الهدو والوقار وكان الكرى قد ثقل على جفنيها فنامت ملء عينيها. ولما استيقظت لم تجد لها اثرًا حواليها فصعدت الى اعلى البرج تستشرف سواحل البحر فرأَت شبحًا ابيض بجانب صخرة قرب غابة من القصب فنزلت اليها واذا هيرو مكبَّة على حبيبها وهو ميتٌ وهي قد فارقت الحياة فبكتهما وندبتهما واجتمع اهل سستوس من كل مَنْ ذاق الحب واختبر حال اهل الغرام فناحوا عليهما واحتفلوا بدفنهما وعادوا وهم يرددون قول من قال في مثل تلك الحال

كنّا على ظهرها والدهرُ يجمعنا والشملُ مجتمعٌ والدار والوطنُ
فمزّق الدهرُ بالتفريق الفتَنا وصار يجمعنا في بطنها الكفنُ

اختيار العشراء

اذا اخترت عشراءك من خيار القوم امكنك ان تعاشر كل طبقات الناس كمن يقطع ورقة السفر في الدرجة الاولى فانهُ يستطيع ان يسافر اينما اراد بخلاف من يعاشر الاسافل فانهُ لا يستطيع ان يترفَّع عنهم

الفضيلة المجرَّدة

الفضيلة بلا فطنة كالدرع بلا سيف فانها تحمي صاحبها ولكنها لا تمكّنهُ من حماية صاحبهِ

فوائد الضيق

اذكى العقول نبغ في اضيق الاوقات كما ان اثمن المعادن يُسْبَكُ في احمى الاكوار والمع البروق يتأَلق من اظلم الغيوم

شغل الحسود

شغل الحسود مراقبة نجاح اعدائهِ فهو يعمل اشق الاعمال واتعبها عليهِ بلا اجرة ولا جزاء

الحذر

لا يحسن بالانسان ان ينتقم من عدوهِ ولكن لا يحسن بهِ ان يتغاضى عن شرورهِ وينسى زلَّاتهِ وما احسن ما قالهُ الشاعر

من استنامَ الى الاشرار نامَ وفي قميصهِ منهمُ صلٌّ وثعبانُ

اشدُّ الناس رغبةً في الاسرار اقربهم الى افشائها فهو كالمسرفين الذين يحبون المال لكي يبذروهُ

العقل والمال

اذا استقامت الاحكام تسلَّط العقل فيها على المال وتقدَّم العقلاء على الاغنياء واذا اعوجَّت تسلَّط المال على العقل وتقدَّم الاغنياء على العقلاء

حسن التعليل

رأى ديونيسيوس الباغي حلةً من الذهب على تمثال زفس فنزعها عنهُ والبسهُ حلة من الصوف ولما قيل لهُ في ذلك قال ان حلة الذهب باردة في الشتاء وثقيلة في الصيف فلا يحسن بنا ان نكسو ابا الآلهة بها. وما احسن ما قيل اذا تسلَّط البغاة سلبوا الناس اشياءهم ثم اعقبوا السلبَ بالمَن

كم يُؤْخذ الصالح بجريرة الطالح

قال الشاعر

مَنْ يزرعِ الشر يحصد في عواقبهِ ندامةً ولحصدِ الزرع ابانُ

ولو اقتصر الامر على ذلك لقلنا بها ونعمتْ ولكن كثيرين يحصدون الندامة وهم لم يزرعوا الشر ولا ارادوهُ بل زرعهُ آباؤُهم او جيرانهم او رؤَساؤُهم. وكم من مرة يأكل الآباء الحصرم واسنان البنين تضرس. ويصلي الملوك نيران الحرب وتدور رحاها على الرعايا ويخطئ الرؤَساء في الاحكام فتقع نتائج خطاءهم على عواتق العامة

القوَّة

القوَّة كحجارة الماس تبهر مَن يراها ومَن يحملها وتكبّر الصغير وتعظم الحقير. ونوالها صعب وفقدها اصعب فهي كالسهام وقعهنَّ ونزعهنَّ اليم

ابعد الناس عن طلب حسن الجزاء مَن يحسن الى مَن لا يستحق الاحسان فانهُ يعلم ان الناس يلومونهُ على ذلك والمحسَن اليهِ لا يقابلهُ الاَّ بانكار الجميل. وهذا شأن الذين يمنحون القاب الشرف لمن لا يستحقها فانهم لا يشرفون من يمنحونهُ تلك الالقاب ولا يكسبون مدح احد فهم كاشعة الشمس ترفع الضباب عن الاودية والغدران فيحجب بهجتها ولا يزيد بارتفاعهِ شراقًا

اذا نزعتَ مخالب الليث فلا تأْمن غوائلهُ ما لم تنزع انيابهُ ايضًا. قال الشاعر

لا تقطعن ذنب الافعى وتطلقها　　ان كنت شهمًا فأتبع رأْسها الذنبا

قصد حضرة الشاب الهُمام نجيب افندي غناجة الاستانة العليَّة في هذه الاثناء لتقديم الامتحان في المكتب الطبي الشاهاني ونوال الرخصة السلطانيَّة في تعاطي صناعة الصيدلة في كل بلاد الدولة العليَّة فامتُحن ونال لحسن اجوبتهِ ومعارفهِ النظرية والعلميَّة الرخصة المشار اليها وعاد الى مصر القاهرة حيث قدَّم رخصتهُ الى مجلس الصحَّة فصدر لهُ امر نظارة الداخلية بناءً على طلب الصحَّة العموميَّة بتعاطي اعمالهِ في اجزاخانة المقتطف. فنهنئهُ على ما نال من مكافأَة اجتهادهِ وعلو همتهِ طالبين لهُ تمام النجاح والتوفيق

دائرة المعارف

حظينا في هذه الاثناء بمشاهدة صديقنا الفاضل المشهور رفعتلو نجيب افندي البستاني نجل المرحوم العلاَّمة بطرس البستاني الشهير صاحب دائرة المعارف وغيرها من التآليف المشهورة آتيًا من برّ الشام قصد النزهة في برّ مصر اياماً . وقد سرّنا ما علمناهُ من تعيينهِ عضو شرفٍ في الجمعيَّة الايطاليَّة الاسيويَّة التي يرأَسها جلالة ملك ايطاليا. وزدنا سروراً بما علمناهُ من حضرتهِ عن صدور الجزء التاسع من دائرة المعارف وانجاز جانب من الجزء العاشر وتحت ادارتهِ

هذا ونبشر القراء بان احوال الدائرة جارية الآن مجرًى حسنًا بهمة جميع اصحابها ورثة بيت البستاني الكرام . وظواهر الاحوال وعلمنا باجتهاد رفعتلو نجيب افندي وسائر اعوانهِ تبشرنا ان الدائرة ستجد من رغبة القراء فيها واقبالهم عليها ما يفتخر بهِ الوطن ويشدّد عزائم اصحابها وارباب تأليفها

الماسونيَّة

الماسونية اكبر جمعية في الدنيا وفيها خيار الناس واشهرهم ولذلك نترحَّب بجميع الاخبار الماسونية ونسارع الى نشرها قبل

غيرها. ومما يسرنا ذكره ان جماعة من ماسون القاهرة انشأُوا ناديًا في جوار حديقة الازبكية يجتمعون فيهِ قصد المطالعة والتسلية وعينوا الجانب الاكبر من دخلهِ لعمل الخير. وان محفل الاخلاص في مدينة طنطا قد تدشن باحتفال عظيم حضرهُ رئيس الماسونية الاكبر في القطر المصري ومندوبو المحافل الماسونية. وانهُ أُسّس محفل جديد في بندر دمنهور بسعي بعض الاخوان الغيورين فنتمنّى لهُ النمو. وحبَّذا لو تذكَّر جميع الماسون ان نجاحهم الاكيد لايقوم بكثرة عددهم بل بكثرة فضائلهم ومحافظتهم على عهودهم التي ارتبطوا بها عهود المحبة والاخاء وعمل الخير والسعي في احراز الفضائل

الاختناق بالدخان

يحدث غالبًا في الحرائق الهائلة ان يموت الانسان لا من حرارة النار بل من الاختناق بالدخان الكثيف الذي يتنفسهُ. وقد اشار بعضهم الآن بطريقة سهلة تقي الانسان من الاختناق في مثل هذهِ الحال وهي ان يربط على فمهِ وانفهِ منديلاً مبلولاً بالماء ويتنفس الهواء من خلالهِ فيدخل الهواء من ثقوب المنديل خاليًا من الدخان

دائرة المعارف

حظينا في هذه الاثناء بمشاهدة صديقنا الفاضل المشهور رفعتلو نجيب افندي البستاني نجل المرحوم العلاَّمة بطرس البستاني الشهير صاحب دائرة المعارف وغيرها من التآليف المشهورة آتيا من برّ الشام قصد النزهة في برّ مصر اياماً . وقد سرَّنا ما علمناهُ من تعيينهِ عضو شرفٍ في الجمعيَّة الايطاليَّة الاسيويَّة التي يرأسها جلالة ملك ايطاليا . وزدنا سروراً بما علمناهُ من حضرتهِ عن صدور الجزء التاسع من دائرة المعارف وانجاز جانب من الجزء العاشر وتحت ادارتهِ

هذا ونبشر القراء بان احوال الدائرة جارية الآن مجرًى حسناً بهمة جميع اصحابها ورثة بيت البستاني الكرام . وظواهر الاحوال وعلمنا باجتهاد رفعلتو نجيب افندي وسائر اعوانهِ تبشرنا ان الدائرة ستجد من رغبة القراء فيها واقبالهم عليها ما يفتخر بهِ الوطن ويشدّد عزائم اصحابها وارباب تأليفها

الماسونيَّة

الماسونية اكبر جمعية في الدنيا وفيها خيار الناس واشهرهم ولذلك نترحَّب بجميع الاخبار الماسونية ونسارع الى نشرها قبل

غيرها. ومما يسرنا ذكره ان جماعة من ماسون القاهرة انشأوا نادياً في جوار حديقة الازبكية يجتمعون فيهِ قصد المطالعة والتسلية وعينوا الجانب الاكبر من دخلهِ لعمل الخير. وان محفل الاخلاص في مدينة طنطا قد تدشن باحتفال عظيم حضرهُ رئيس الماسونية الاكبر في القطر المصري ومندوبو المحافل الماسونية. وانهُ أُسِّس محفل جديد في بندر دمنهور بسعي بعض الاخوان الغيورين فنتمنَّى لهُ النمو. وحبَّذا لو تذكَّر جميع الماسون ان نجاحهم الاكيد لا يقوم بكثرة عددهم بل بكثرة فضائلهم ومحافظتهم على عهودهم التي ارتبطوا بها عهود المحبة والاخاء وعمل الخير والسعي في احراز الفضائل

الاختناق بالدخان

يحدث غالبًا في الحرائق الهائلة ان يموت الانسان لا من حرارة النار بل من الاختناق بالدخان الكثيف الذي يتنفسهُ. وقد اشار بعضهم الآن بطريقة سهلة تقي الانسان من الاختناق في مثل هذهِ الحال وهي ان يربط على فمهِ وانفهِ منديلاً مبلولاً بالماء ويتنفس الهواء من خلالهِ فيدخل الهواء من ثقوب المنديل خاليًا من الدخان

شجاعة السبرطيين

كانت سنَّة السبرطيين في القتال الفوز او الموت قليلًا كان عددهم او كثيرًا. اصحَّاء كانوا او ضعفاء. يحكى انهُ لما لقي ليونداس جنود الفرس في ثرموبيلي كان اثنان من رجالهِ غائبين يشكوان الرمد الاليم فلما سمع احدهما باشتباك القتال تقلَّد سلاحهُ ونادى بعبدهِ وقال قُدني الى محل القتال فقادهُ وهو لا يبصر ولما اتى قومهُ قاتل حتى قُتِل في مقدمتهم وقتلوا هم جميعًا. واما رفيقهُ فاعياهُ الالم عن القتال فَقيد الى مدينتهِ سبرطا. ولمَّا رآهُ اهل مدينتهِ احتقروهُ واجتنبوهُ لانهُ لم يقتل مع رفاقهِ ولم يعودوا يكلمونهُ او يعاشرونهُ او يعطونهُ جذوة يشعل بها نارهُ. ودام الحال على ذلك سنةً حتى حدثت موقعة بلاتيا الشهيرة فاسرع اليها من ساعتهِ وقاتل فيها قتالًا حيَّر الانصار والاعداء وقُتِل فيها فافتدى عزَّهُ وكرامتهُ بحياتهِ

قيل ان غلامًا سبرطيًّا شكا لابيهِ قصر حسامهِ في قتال الاعداء. فقال لهُ ابوهُ اخطُ خطوةً الى الامام حتى تعيض بنفسك عمَّا قصر في حسامك فصار قولهُ مثلًا ترضعهُ الاسبرطيَّات لاولادهنَّ مع اللبن

لحام السكّر

اكتشف بعضهم لحامًا بسيطًا لالصاق الحجارة والزجاج وهو يصنع من جزءٍ من الكلس (الجير) وجزءٍ من السكر الناعم يجبلان معًا بالماءِ ويلصق بهما

دواء الفواق (الحازوقة)

قرر الدكتور هنري طوكر انهُ اذا مُزج السكّر الناعم بالخل الجيد وأُخذ من المزيج ملعقة صغيرة انقطع الفواق والاَّ فينقطع باخذ ملعقة ثانية

جواب لطيف

سأَل بعضهم احدى البنات الصغيرات لماذا يطول النهار في الصيف ويقصر في الشتاءِ فقالت لهُ ان الحرارة تمدد الاجسام والبرودة تقلصها ولذلك يطول النهار صيفًا ويقصر شتاءً

مسحوق لجلاءِ الاسنان

حمّص الخبز حتى يصير كالفحم ثم اسحقهُ جيدًا فهو من احسن المساحيق لتنظيف الاسنان واذا اضفت اليهِ قليلاً من كلورات البوتاس افاد في اوجاع الفم والحنجرة

عدد الاطباء بالنسبة الى السكان

في انكلترا نحو خمسة وثلاثين مليونًا من السكان وفيها ٢٥١٨٠

طبيبًا ففيها طبيب لكل ١٢٥٠ نفسًا وفي المانيا والنمسا ونروج طبيب لكل ١٥٠٠ نفس. وفي روسيا طبيب لكل ٦٢٢٦ نفسًا. واما فرنسا ففيها طبيب لكل ٤٠٠ نفس

الثبات

قال بعض اليونان لسقراط اودُّ الذهاب الى اولمبس ولكني اخاف ان يمنعني عجزي عن البلوغ اليهِ لطول الشقة وانا ضعيف لا صبر لي على المشقَّة. فقال لهُ سقراط اذا كنت من اهل الثبات لم يمنعك ما ذكرت من بلوغ امنيتك فامشِ كل يوم ما استطعتَ كثيرًا كان او يسيرًا فلا يطول عليك الزمان حتى تجد انك بلغت اولمبس. وقال صديق للنكلن احد رؤساء الولايات المتحدة يوم الحرب الاهليَّة في تلك الولايات. اتظن يا صاح انك تكمل هذه الحرب المخيفة قبل انقضاء زمن رياستك قال لا ادري. قال ما الذي تنويهِ اذًا قال الثبات حتى الممات. وبالثبات نال المرام

التفاخر الباطل

فاخر بعضهم شيشرون الخطيب بعلو حسبهِ فقال لهُ شيشرون نعَمْ ان قومك اشرف من قومي ولكن انا رأس قومي وانت ذنب قومك وافتخر بعضهم باسلافهِ امام احد الادباء فقال لهُ الاديب انكم كالفجل الجيدُ منكم تحت التراب

اقراص السكّر

ان هذه الاقراص عديدة الانواع ولا يمكن ان نعدَّها هنا كلها فنذكر هنا عمل اقراص الصمغ وذلك بان تؤخذ ٤ اواقي من الصمغ العربي واوقية من النشا و١٢ اوقية من السكّر الابيض وتسحق هذه الاجزاء سحقًا ناعمًا جدًّا وتخلط معًا وتعجن جيّدًا بمقدارٍ كافٍ من ماء الورد او ماء الزهر. ثم يمدّ المعجون ويقطَّع اقراصًا. وتجفَّف هذه الاقراص بوضعها على منخل مقلوب او اناء آخر وتغطيتها في محلٍّ جافٍّ دافئٍ متجدّد الهواء وتقلب مرارًا حتى تقسو وتصير قصفة. ويحترس عليها من الغبار والاقذار

المزاج الدموي والمزاج العصبي

يقال ان صاحب المزاج الدموي قوي الجسم سريع الحركة ناعم الجلد احمرهُ اسود الشعر او بنيّهُ بشوش الوجه ذكي العقل. وصاحب المزاج العصبي نحيف الجسم طلق الوجه عالي الجبهة كبير الجمجمة شديد البأس فصيح اللسان سريع الخاطر. وصاحب المزاج الصفراوي كصاحب المزاج العصبي الاَّ انهُ اقبل منهُ الى العلم واقل اقدامًا وبسالةً. وتمييز الامزجة ليس بسهل

اضاءة عين الهرّ في الظلام

ان هذا الضوء يدخل عيني الهرّ من الخارج ولا يتكوَّن فيهما. ودليلهُ انهُ لو انقطع الضوء عنهما انقطاعًا تامًّا لم تضيئا. والسبب في انهما تضيئان حال كون اكثر العيون لا تضيء هو ان الطبقة التي تستقر عليها فروع عصب البصر المعروفة بالشبكية ملوَّنة بلون اسود في اكثر الحيوانات واما في الهرّ وامثالهِ فيكون مكانها غشاءٌ من طبيعتهِ ان يعكس النور. فتظهر العينان مضيئتين بسبب ذلك. وكالهرّ غيرهُ من الحيوانات التي تضيء عيونها

الزمرُّد

اجود حجار الزمرد يؤْتى بها من بيرو باميركا. وتوجد حجار جيدة منهُ في بافاريا وسيبيريا والهند. وهو يتلو الماس في قيمتهِ فان الحجر الذي وزنهُ اربع او خمس قمحات يباع باربع او خمس ليرات انكليزية والذي وزنهُ ١٠ قمحات القمحة بليرتين وهلم جرًّا برفع قيمتهِ بازدياد حجمهِ حتى ان الحجر الذي وزنهُ ٢٤ قمحة يباع بنحو مئة ليرة انكليزية اذا كان جوهرهُ صافيًا. واصفى حجارهِ مركَّب من ٦٥ جزءًا سِلِكا و١٤ الومينا و١٣ كلوسينا و٢،٥٦ كلسًا و٣،٥ اكسيد الكروم. وهذا الاخير يلونهُ بلونهِ الاخضر الباهي

حل اللغز الوارد في الجزء العاشر من اللطائف

لحضرة عزتلو علي بك ابو الفتوح

يا من بفضل براعهِ وكمالهِ   من ذا الذي في ذا الورى لن يشهدا
سوَّدت حظَّ الكاشحين براعةً   فلذاك قد الغزتَ فيهِ اسودا

خاتمة السنة الأُولى من اللطائف

اتينا بحولهِ تعالى على تمام السنة الأُولى من اللطائف شاكرين لحضرات القرَّاء ما وجدناهُ من اقبالهم واستعدادهم لعضد هذا المسعى المفيد. وانَّا لنعدُّ السنة التي مضت سنة تجربةٍ واختبار فيها عرفنا ما يحلو لذوق ابناء المشرق من المطالعات الادبيَّة والفكاهات والتواريخ والمباحث الجامعة للفائدة والطلاوة معًا. وبناءً على ذلك قد عوَّلنا على تحسين اللطائف من اوجهٍ مختلفة منها

اولاً. ان نكبّر قطعها حتى يصير طول صفحاتها وعرضها كطول صفحات المقتطف وعرضها. ونجعل صفحاتها في كل شهرٍ ثمانيًا واربعين صفحة بحيث يحصل منها في آخر السنة مجلَّد في حجم المقتطف صفحاتهُ ٥٧٦ صفحةً عدا عمَّا يتبعهُ من الملحقات. وابقينا

قيمة الاشتراك السنوي خمسين عرشاً ميرياً لجميع المشتركين تسهيلاً للاشتراك فيها

ثانيًا. ان نعيّن وقت صدورها وسط الشهر. لانهُ لما كان وقت صدورها غير معيّن في سنتها الأولى كان كثيرون من المشتركين يظنُّون انها صدرت ولم تُرسَل اليهم فيكاتبون الادارة وتلتزم الادارة ان تجاوبهم وتوضح لهم حقيقة الحال. فرأينا اجابةً لطلب الكثيرين منهم تعيين وقت صدورها كما تقدَّم

ثالثًا. ان نتوخَّى قدر الطاقة نشر ما يسهل فهمهُ وتلذُّ مطالعتهُ للخاص والعام من المقالات الادبيَّة والتاريخيَّة وسيَر مشاهير الرجال والنساء والقصص والفكاهات والملح والنوادر التي يعزُّ الوصول اليها وما يفيد او يجدُّ من الحقائق العلميَّة والصحيَّة والاعمال الصناعيَّة والحوادث التاريخيَّة حتى تكون مجلَّتنا هذه جامعة في صفحاتها لمآثر الاولين والآخرين من قديم الحوادث والاحاديث وجديدها. والله نسأل ان ياخذ بيدنا ويهدي سبيلنا لجعل جريدتنا في خدمة الادب وذويهِ بمثابة المقتطف في خدمة العلوم والزراعة والصناعة واهليها ومجلَّة الشفاء في خدمة الطب والاطبَّاء. فهو السميع المجيب واليهِ ننيب

برسكلا

ديباجة المترجم

منذ نحو ٢٦٦ سنة هاجرت طائفة من طوائف النصارى من بلاد الانكليز الى اميركا في سفينة اسمها ماي فلوَر اي زهرة أيَّار وكان فيها قائد اسمهُ مَيْلس ستَنْدِش وشاب اسمهُ يوحنا أَلْدِن وفتاة اسمها برِسْكلَّا وعليهم مدار هذه القصة وهي من منظومات لُنْفَلو الشاعر الاميركي

الفصل الاوَّل

مَيْلس ستَنْدِش

هلمَّ ايها الراغب في الوقوف على غرائب الاخبار والاطّلاع على نوادر الآثار الى غرفة في مرفإٍ بليموث باميركا الشماليَّة ترَ فيها رجلاً اسمهُ مَيْلس ستندش قصير القامة اسمر اللون قوي العضل واسع الصدر قد وخطهُ الشيب وحنَّكتهُ الحروب وهو يمشي في تلك الغرفة ذهاباً واياباً واضعاً يديهِ وراء ظهرهِ ويقف مرةً

بعد أُخرى وينظر الى اسلحتهِ المعلَّقة على الحائط وهي درع وترس وخوذة وسيف وبندقيَّة . ترَ معهُ في الغرفة شابًّا اسمهُ يوحنا ألْدِن وهو جميل المنظر ابيض الوجه اشقر الشعر ازرق العينين جالس امام مائدة يكتب المكاتيب لاهلهِ ليرسلها اليهم مع السفينة المسماة زهرة ايَّار المزمعة ان تسافر بعد يوم او يومين

قال الراوي فالتفت ميلْس ستندش الى يوحنا ألْدِن وقال لهُ انظر هذه الاسلحة التي تلمع كانها خارجة من يد الصيقل فهذا السيف من سيوف دمشق المشهورة وقد حاربت بهِ في هولندا وفعلت بهِ العجائب . وهذه الدرع انقذتني من الموت في حروب اسبانيا ولم يزل عليها اثر الرصاصة التي رماني بها احد الاسبانيين مسدِّدًا اياها نحو قلبي فلو لم تكن هذه الدرع من الفولاذ الذكر لصارت عظامي مكاحل . فقال لهُ يوحنا ألْدِن ان الله وقاك من شر الاعداء واطال حياتك لتكون سيفنا وترسنا . فلم يجبهُ على كلامهِ بل قال لهُ انظر ما اشد لمعان هذه الاسلحة وما ذلك الَّا لانني جلوتها بيدي وما احسن ما قالهُ المثل ما حكَّ ظهرك غير ظفرك ولذلك تراني اعتني باسلحتي كما تعتني انت بقلمك ودواتك . وعندي سلاح آخر وهو رجالي الاثنا عشر فكلهم بالعدَّة

الكاملة وجرايتهم تصل اليهم كل يوم بيومهِ وانا اعرف اسم كل واحد منهم كما كان يوليوس قيصر يعرف اسماء جنودهِ . ولمَّا قال ذلك تبسَّم قليلاً ثم قال وهوذا عَلَمي وهو خافق فوق سطح الكنيسة كانهُ يدعو كَفَرَة هذه البلاد الى مسالمتنا او التسليم لنا . والآن نحن مستعدُّون لهم مهما كان عددهم . قال ذلك وهو واقف امام كوَّة الغرفة وعيناه ناظرتان الى البلاد الفسيحة التي امامهُ بسهولها وجبالها وبحارها وانهارها . وكان الوقت بعد الزوال وقد طالت الظلال وهبَّت الرياح الشرقيَّة وعلى مناكبها بخار البحر الخضم . ثم عَبَس كانهُ افتكر في امر احزنهُ وسكت قليلاً ثم قال

واحسرتاه هناك مثوى وردتي الجميلة — هناك مدفن حبيبتي ورفيقة حياتي فقد دفنَّاها في ذلك الحقل وزرعنا القمح فوق قبرها كما زرعناهُ فوق قبور غيرها من الذين ماتوا من رفاقنا لئلَّا ينظرها الهنود فيعلموا اننا آخذون بالانقراض ويطمعوا فينا ويشمتوا بنا . ثم حوَّل وجههُ عن الكوَّة وعاد الى المشي في الغرفة ذهاباً واياباً

وكان على الحائط المقابل للكوَّة رف عليهِ كتب وبينها ثلاثة تمتاز عن غيرها بكبر جرمها وحسن تجليدها وهي التوراة وشروح قيصر وكتاب بريف في فن الحرب . فوقف امامها ليختار واحداً

بعد أُخرى وينظر الى اسلحتهِ المعلَّقة على الحائط وهي درع وترس
وخوذة وسيف وبندقيَّة . تر معهُ في الغرفة شاباً اسمهُ يوحنا
ألْدِن وهو جميل المنظر ابيض الوجه اشقر الشعر ازرق العينين
جالس امام مائدة يكتب المكاتيب لاهلهِ ليرسلها اليهم مع السفينة
المسماة زهرة أيَّار المزمعة ان تسافر بعد يوم او يومين

قال الراوي فالتفت ميلْس ستندش الى يوحنا ألْدِن وقال لهُ انظر
هذه الاسلحة التي تلمع كانها خارجة من يد الصيقل فهذا السيف
من سيوف دمشق المشهورة وقد حاربت بهِ في هولندا وفعلت
بهِ العجائب . وهذه الدرع انقذتني من الموت في حروب اسبانيا
ولم يزل عليها اثر الرصاصة التي رماني بها احد الاسبانيين
مسدِّداً اياها نحو قلبي فلو لم تكن هذه الدرع من الفولاذ الذكر
لصارت عظامي مكاحل . فقال لهُ يوحنا ألْدِن ان الله وقاك
من شر الاعداء واطال حياتك لتكون سيفنا وترسنا . فلم يجبهُ
على كلامهِ بل قال لهُ انظر ما اشد لمعان هذه الاسلحة وما ذلك
الاَّ لانني جلوتها بيدي وما احسن ما قالهُ المثل ما حكَّ ظهرك
غير ظفرك ولذلك تراني اعتني باسلحتي كما تعتني انت بقلمك
ودواتك . وعندي سلاح آخر وهو رجالي الاثنا عشر فكلهم بالعدَّة

الكاملة وجرايتهم تصل اليهم كل يوم بيومهِ وانا اعرف اسم كل واحد منهم كما كان يوليوس قيصر يعرف اسماء جنودهِ . ولمَّا قال ذلك تبسَّم قليلاً ثم قال وهوذا عَلَمي وهو خافق فوق سطح الكنيسة كانهُ يدعو كفرَة هذه البلاد الى مسالمتنا او التسليم لنا . والآن نحن مستعدُّون لهم مهما كان عددهم . قال ذلك وهو واقف امام كوَّة الغرفة وعيناهُ ناظرتان الى البلاد الفسيحة التي امامهُ بسهولها وجبالها وبحارها وانهارها . وكان الوقت بعد الزوال وقد طالت الظلال وهبَّت الرياح الشرقية وعلى مناكبها بخار البحر الخضر . ثم عَبَس كانهُ افتكر في امر احزنهُ وسكت قليلاً ثم قال

واحسرتاهُ هناك مثوى وردتي الجميلة — هناك مدفن حبيبتي ورفيقة حياتي فقد دفنَّاها في ذلك الحقل وزرعنا القمح فوق قبرها كما زرعناهُ فوق قبور غيرها من الذين ماتوا من رفاقنا لئلَّا ينظرها الهنود فيعلموا اننا آخذون بالانقراض ويطمعوا فينا ويشمتوا بنا . ثم حوَّل وجههُ عن الكوَّة وعاد الى المشي في الغرفة ذهاباً واياباً

وكان على الحائط المقابل للكوَّة رف عليهِ كتب وبينها ثلاثة تمتاز عن غيرها بكبر جرمها وحسن تجليدها وهي التوراة وشروح قيصر وكتاب بريف في فن الحرب . فوقف امامها ليختار واحداً

منها يتسلَّى بهِ عن همومهِ . وكأنَّهُ تردَّد بين ان يختار التوراة ويقرأ فيها عن حروب اليهود او كتاب قيصر ويقرأ فيهِ عن حروبهِ او كتاب بريف ويقرأ فيهِ عن فنون الحرب وفي الآخر استقرَّ رأيهُ على اختيار كتاب قيصر فاخذهُ بيدهِ وجلس على الكوَّة وجعل يتصفحهُ صفحةً صفحةً ويشير برأسهِ ويرفس بقدميهِ بحسب ما تؤَثر فيهِ الوقائع التي كان يقرأُ عنها . فلم يكن يُسمَع في الغرفة الاَّ رفس قدميهِ وصرير قلم يوحنا أَلْدِن الذي كان يصف لاهلهِ ما عاناهُ المهاجرون من المشقات في ذلك الشتاء ويخبرهم بفضائل الفتاة برسكلاَّ وكرم اخلاقها

الفصل الثاني

المحبَّة والصداقة

ومضت مدَّةٌ لم يُسمَع فيها في تلك الغرفة الاَّ صرير قلم الكاتب يوحنا أَلْدِن ونبضان قلب القائد مَيْلس ستندش . ثم ضرب القائدُ الكتاب بيدهِ وقال ما أَعجبَ هذا الرجل فانت كاتب وانا قائد ولكنَّ يوليوس قيصر هذا كان قائدًا وكاتبًا في وقت واحد وكان ماهرًا في قيادة الجيوش وكتابة الكتب . فقال

يوحنا ألْدِن نعم كان قابضاً على السيف والقلم وقد قرأْتُ في احد الكتب انهُ كان يملي على سبعة من الكتبة في وقت واحد وهو يكتب كتبهُ. ولكن مَيْلس ستندش لم ينتبه الى قولهِ بل قال ما اعجب هذا الرجل وما احسن ما قالهُ وهو انهُ يفضّل ان يكون الاولَ في قرية حقيرة على ان يكون الثاني في رومية العظيمة. وقد تزوَّج مرتين قبلما ناهز العشرين من عمرهِ وحارب خمس مئة حرب وفتح الف مدينة. ولكن اغتالهُ بروتُس احد اصدقائهِ وطعنهُ بخنجر فاوردهُ حتفهُ. أَتعلم يا يوحنا ما فعل في بلاد الفلمنك لمَّا كان فيها ورأَى ان ساقة جنودهِ تأَخرت وطليعتهم تقهقرت وضاق بهم المجال — اخذ ترساً من واحد من الجند ووقف في صدر جيشهِ ونادى القوَّاد كلاً باسمهِ لكي يثبتوا ويوسعوا المجال بين الجيوش ففعلوا وكان الفوز لهم. وهذا هو مذهبي فان من اراد ان يعمل شيئاً فعليهِ ان يعملهُ بنفسهِ ولا يعتمد على غيرهِ

وانما رَجلُ الدنيا وواحدُها   من لا يعوّل في الدنيا على رجلِ

ثم صمت عن الكلام وعاد الى القراءة فلم تعدْ تسمع الاَّ صرير قلم يوحنا الدن وهو يفتتح كل سطرٍ باسم برسكلاَّ ويختتمهُ باسم برسكلاَّ حتى كاد القلم يبوح بسرهِ وينادي باسمها. ولم يكد يختم

التحرير الذي كان بيدهِ حتى سمع القائد يقول لهُ لي شيءٌ مهمٌ اقولهُ لك حينما تنتهي من كتابة مكاتيبك . فطوى المكتوب الاخير والتفت الى القائد وقال لهُ قلْ ما بدا لك

فقال القائد قال الله ليس حسنًا للانسان ان يكون وحدهُ وانا طالما خطر على بالي وطالما قلت ان الحياة صارت عليَّ رزءًا ثقيلاً بعد موت زوجتي . ولا صديق يقوم مقام الزوجة ٠ وطالما افتكرت بهذه الفتاة برسكلاً فقد مات ابوها وامها في الشتاء المنصرم ولم يبقَ لها احد في الدنيا تلوذ بهِ . وكثيرًا ما رأيتُها تزور قبر والديها وتعتني بالمرضى من قومنا وقلتُ في نفسي انهُ اذا كانت الملائكة تهبط الى هذه الدنيا فقد هبط اليها ملاكان الاول صعد عنها والثاني وهو برسكلاً لهُ في قلبي المنزلة التي كانت للملاك الاول . وقد ناجيتُ النفس وعللتها حتى الآن ولكنني لم اجسر ان ابوح بهذا السرّ الى احد . فاذهب الى هذه الفتاة اليتيمة بل الجوهرة اليتيمة وقل لها ان رجلاً عرك الدهر وقلَّبهُ بطنًا على ظهر يقدّم لك يدهُ وقلبهُ لتكوني لهُ زوجةً وشريكةً . هذا هو مرادي فافرغهُ انت في اي قالب شئت والبسهُ ما تريد من اصطلاحات المحبين والعشّاق فانني رجل حرب وصدام لا رجل

بيان وكلام . فاستعمل ما تشاء من العبارات التي تختلب قلوب النساء

فوقع كلامهُ كالصاعقة على يوحنا ألدِن فوقف مبهوتاً لا يدري ماذا يقول واسودَّت الدنيا في عينيهِ فلم يعرف كيف يجيب ثم اخفى ما حلَّ بهِ من الدهشة وحاول اظهار البشاشة وطلاقة الوجه وقال لهُ ألم تقلْ الآن ان مَن اراد ان يعمل شيئاً وجب عليهِ ان يعملهُ بنفسهِ ولا يعتمد على غيرهِ

فهزَّ ميلس ستندش رأسهُ وقال ان هذا هو الحق بعينهِ ولكن يجب ان نستعملهُ بالحكمة والدراية ولا نرتكب العبث في القول والعمل . فقد قلت لك انني رجل صدام لا رجل كلام فلا يصعب عليَّ ان اهجم على امنع الحصون وادعو حاميتهُ الى الاستئمان ولكنني لا اجسر ان اقابل فتاةً واطلب منها هذا الطلب واقول لك الحق ولا اخجل انني اخاف من كلمة "لا" اذا نطقت بها الفتاة اكثر مما اخاف من ضرب السيوف وطعن الرماح . فاجبني الى طلبي وقُمْ وامضِ الى هذه الفتاة فانك قادر ان تكلمها في هذا الموضوع لان الله اعطاك طلاقة اللسان . ثم اخذ بيدهِ وقال لهُ اقسم عليك بحقّ الصداقة التي بيننا ان تبادر

الى اجابة طلبي . فقال يوحنا قد اقسمتَ عليَّ بالصداقة وهو قسمٌ عظيم فلا يمكنني ان اردَّ طلبك . قال ذلك وقد شعر من نفسهِ ان الصداقة تغلَّبت على المحبَّة فقام من ساعتهِ ومضى الى بيت برسكلاَّ

الفصل الثالث

رسالة المحبّ

خرج يوحنا الدن من بيت ميْلس ستنَدِش وكان بينهُ وبين بيت برسكلاَّ أَجمة من الاشجار فسار فيها يسمع تغريد الطيور ويراها تتعاون على بناء عشاشها ويشمُّ عبيق الازهار وينظرها تتمايل في حللها البهيَّة وكل الخلائق متهلّلة مسرورة بخضوعها لناموس المحبَّة وقيامها على ولائهِ . اما هو فكان كسفينة في عرض البحار تتقاذفها الامواج وتعبث بها الرياح والمحبَّة والصداقة في صدام وزحام . فتنفس الصعداء وجعل يتأَوَّه ويقول أَهذا جزاء المحبَّة أَلهذه الغاية احببتُ هذه الفتاة وعلَّقتُ بها آمالي واقتفيتُ خطواتها الى هذه البلاد . يا لكَ من سرٍّ كتمتهُ في ضميري فنجل عليَّ الدهر بافشائهِ ويا لكِ من نارٍ

اذابت فؤادي وما الى اطفائها من سبيل الاَّ السلوان . فوتل الحب بل فوتل القلب ما اخدعهُ ولله الامر فانهُ سبحانهُ قد رآني اتَّبعتُ هوى نفسي وعبدتُ المخلوق كما عبدتُ الخالق فأدَّبني هذا التأديب وهو بارٌّ في كل اعمالهِ . اللهمَّ صبرًا اللهمَّ صبرًا

قال ذلك وسار في تلك الأجمة يسمع خرير الماء وتغريد الطيور ويجمع الازهار البديعة التي هي مثال العفَّة والطهارة ليقدّمها لِمَن اشتهرت بها . ثم خرج من الأجمة ودنا من بيت برسكلاَّ فسمعها ترتّل التراتيل الشجيَّة من مزامير داود ففتح الباب وراها جالسة تغزل الصوف على الدولاب وكتاب المزامير في حضنها والهيبة والجلال على وجهها والمحبَّة والدعة تتلألآن في عينيها

فلمَّا وقعت عينهُ عليها ورأى قدَّها الفتَّان هاجت في فؤادهِ نيران المحبة التي اخمدها وتناوشتهُ عواصف الهوى التي اهجعها . ثم تجسَّمت امامهُ صورة الصداقة فلم يرَ من وجهها مهربًا ولا من اجابة طلب صديقهِ مناصًا . فدخل البيت وللحال نهضت برسكلاَّ ومدَّت لهُ يدها وقالت قد عرفتك حالما سمعت

خطواتك لانني كنت مفتكرة بكَ . فوقف حيران لا يدري ما
يقول ولا سيَّما لمَّا علم انها كانت تفتكر بهِ . وخطر على بالهِ ما
فعلهُ منذ ايام لمَّا اشتدَّ البرد ووقع الثلج الغزير حتى غطَّى الطرق
والمسالك وهو انهُ مضى الى بيتها ونزع الثلج من امام بابهِ فجعلت
تشكرهُ لانها افتكر بها واسرع الى معونتها . وقال في نفسهِ اواهُ لو
خاطبتها حينئذٍ وشكوتُ لها ما أُلاقيهِ من الحُبّ . اما الآن
فقد فاتت الفرصة وما الى ارجاعها من سبيل . ثم ناولها الازهار
التي جمعها وجاس بجانبها وجعلا يتكلمان عن فصل الربيع
وبهجتهِ وعن الوطن الذي فارقاهُ وزهرة ايار المزمعة على السفر
في الغد . فقالت لهُ قد اشتدَّ بي الحنين الى الوطن واقلقتني
الهواجس فلم احلم في الليل الماضي الَّا بالبلاد التي فارقناها ولم
افكّر هذا النهار الَّا فيها . نعم انني بين قوم فُطِروا على الحلم
والدعة ولم ارَ منهم الَّا اللين واللطف ولكنَّ الحنين الى الوطن
قد ذهب بصبري وشجاعتي فصرت ارى نفسي غريبة وحيدة في
هذه البلاد

فقال لها اني لا الومكِ على ذلك لان قلوب الرجال
المعتادة على تحمُّل المشقَّات والخطوب قد لانت في هذا الشتاء

فماذا يصيب قلوب النساء والمرأة اضعف من الرجل وتحتاج الى معونتهِ ولذلك قد جئتكِ الآن اعرض عليكِ الزواج بقائد جنودنا ميلس ستندش فهو رجل كريم قادر على معونتك .
قال هذا ولم يزد ولو أنَّ ميلس ستندش اتى بنفسهِ وعرض الامر على هذه الفتاة لما عرضهُ بعبارة اخصر من هذه ولا اقلّ منها طلاوةً . فشخصت اليهِ مندهشة ولم تردّ لهُ جواباً لانها لم تدرِ ما تقول ولكن كأنَّ عينيها كانتا تقولان عنها أأترك مَن احبهُ واقترن بمَن لا احبهُ

ثم اخذ يوضح ما قالهُ ويشرحهُ وقال في عرض كلامهِ ان ميلس ستندش لم يأتِ بنفسهِ ويكلمها في هذا الامر لانهُ مشغول . فابتدرتهُ بالجواب وقالت اذا كان مشغولاً عن الخطبة فما همّهُ بالزواج . ولكن هذا شان الرجل فانهُ ينظر الى النساء كما ينظر الى الامتعة التي تباع في السوق فينتقدهنَّ اشد الانتقاد ويقابل بينهنَّ ادق المقابلة الى ان يختار واحدة ترضيهِ ثم يعلن لها ارادتهُ الملكيَّة ويخاطبها او يخاطب اهلها في امر الزواج فان قالت انها لا تعرفهُ ولا تعرف اطوارهُ ولم ترَ منهُ حتى الساعة ما يجعلها تحبهُ يغتاظ و يغضب ويرشقها بسهام الملامة . فاين العدل والانصاف

أَوَليس للنساء قلوب كما للرجال فلو رأَيتُ ان هذا الرجل يحبني ويهتم بامري فلربما كنتُ احبهُ انا ايضاً واجيبهُ الى ما طلب مهما كانت اطوارهُ خشنة اما الآن وقد استهان بالمحبة وحاول الاستيلاء عليَّ على هذه الصورة فلا يمكن ان ارضى بهِ زوجاً

فما كان هذا الكلام ليثني يوحنا أَلْدِن عن عزمهِ فجعل يلحُّ عليها لتقبل طلبهُ ويصف لها بسالة مَيْلس ستندش وعلو همتهِ وكرم اخلاقهِ وعظم ورعهِ وشرف نسبهِ ولين عريكتهِ وجعل يعدد الاعمال العظيمة التي عملها الدالة على كرم اصلهِ وشدَّة بسالتهِ وعظم حنوهِ وقال انهُ ما من امرأَة في بليموث بل في انكلترا الَّا وتودُّ ان يكون زوجها مثلهُ. فلمَّا افرغ جعبة بلاغتهِ في الثناء على صديقهِ والالحاح عليها لتقبل طلبهُ التفتت اليهِ وتبسمت وقالت وصوتها يرتجف. "علامَ لا تتكلَّم لنفسك يا يوحنا"

الفصل الرابع

يوحنا أَلدِن

خرج يوحنا الدن من بيت برسكلاَّ هائماً على وجههِ كأَنَّ بهِ مساً من الجن وكانت الشمس قد توارت في الحجاب فوقف في

الفضاء يتنسم نسيم الصبا ويقول

نسيم الصبا بَرّد حشاشة مغرم   يكتّمُ نارَ الوجدِ والنارُ تُضرَمُ

وكان البحر امامهُ يضطرب ويموج كانهُ فؤاد الخائف المذعور وتتنفَّس امواجهُ الصعداء وتلطم جبين الرمال والصخور. ولكن ما كان اضطراب البحر باشد من اضطراب نفسهِ لان الحرب كانت فيهما على ساقٍ وقدم بين المحبَّة والصداقة وجيوش الفريقين تفترق وتلتحم وتكرُّ وتفرُّ الى ان دارت الدائرة على جنود الصداقة فولَّت الادبار وانتصرت المحبَّة وتكلَّلت باكاليل الفخار. فقال في نفسهِ ما ذنبي وما هي جريمتي اذا كانت الفتاة قد فضَّلتني على رفيقي . ولكنهُ سمع صوتاً آخر من داخل ضميرهِ يناديهِ ويقول قد اسأتَ الصنيع وتعدَّيت شروط الصداقة فتمَّ فيك المثل القائل ارسلتهُ لي خاطباً فتزوَّج. وما هذا الاَّ الاستسلام لمكايد ابليس اللعين والتعدّي على حقوق الديانة والفضيلة

ثم تطلَّع الى البحر فرأى زهرة ايار تتمايل على ظهرهِ وسمع اصوات النوتيَّة يطوون الحبال ويهيئون الادوات ويستعدون للسفر فوقف قليلاً يناجي نفسهُ ويقول ارى ان الله سبحانهُ يدعوني لاخرج من هذه البلاد واعود الى وطني وابتعد عن هذه الفتاة

لئلاَّ اخون الصداقة وأَتحف بالعار والازدراء حياتي باسرها ·
وخيرٌ لي ان اموت وأُدفَن في بلادي ويُدفَن معي هذا السر المكنون
من ان اقيم في هذهِ البلاد انقلَّب على جمر الغضا

والمنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنا ركوبُ الجنازهْ

قال ذلك وسار في طريقهِ نحو بيت ميَلْس ستندش
وهو موطن نيتهُ على ركوب البحر من الغد والرجوع الى بلاد
الانكليز فرارًا من المحبَّة ومن خيانة عهود الصداقة · فوجد
ميَلْس ستندش جالسًا في الغرفة يقرأُ في كتاب قيصر فلما دخل
قال لهُ قد اطلتَ الغيبة والبيت غير بعيد فقد قرأتُ في غيابك
عن عشر وقائع وعن تدمير مدينة كبيرة فاجلس وقصَّ عليَّ
كل ما دار بينك وبين برسكلاَّ من الحديث · فجلس واخذ
يقصُّ عليهِ كل ما قالهُ لها وكل ما قالتهُ هي الاَّ انهُ كان يلطّف
عبارتها لكي لا يغيظهُ ولكنهُ لما وصل الى قول برسكلاَّ وهو "لماذا
لا تتكلَّم لنفسك" نهض ميَلْس ستندش على قدميهِ ورفس
الارض رفسة هزَّت جدران الغرفة من أُسُسها وقال أَتخون
صديقك وتنكث بعهودهِ أَتخون ميَلْس ستندش الذي اطعمك
من طعامهِ وسقاك من شرابهِ وائتمنك على اسرارهِ فمَن ينجّيكَ

من يدي ومَن يمنعني من غسل عارك بدمك . اواهُ يا بروتُس الخائن واسفاه عليكِ ايتها الصداقة فقد امسيتِ اسماً بلا مسمًّى . كنتَ صديقًا لي كما كان بروتس لقيصر فدستَ الصداقة كما داسها ولم يبقَ بيني وبينك الَّا الحرب والعداوة الدائمة

قال ذلك وهمَّ بالخروج من الغرفة واذا برجل اتى اليهِ مسرعًا وقال ان الهنود تحرَّكوا بالعدوان والرجال مجتمعون ومنتظرون قدومك . فعاد وتقلَّد سيفهُ وخرج يعدو وراءهُ ولم يفه بكلمة

فقام يوحنا الدن ووقف قبالة الكوَّة يتنشَّق النسيم البارد عساهُ ان يبرّد حرَّ دماغهِ ثم رفع عينيهِ نحو السماء ورفع شكواهُ الى عالم الضمائر ومجتلي السرائر

اما ميلس ستندش فلم يزل يعدو حتى بلغ النادي فوجد الرجال مجتمعين ومنتظرين قدومهُ وكلهم كهول الَّا واحد منهم وهو شيخهم فانهُ كان طاعنًا في السن ووجد بجانبهم رجلاً من الهنود عاريًا من الثياب الى حد وسطهِ وعليهِ امارات الشراسة والشجاعة وامامهم على المائدة نسخة كبيرة من التوراة وهي من طبع هولندا وبجانبها جلد حيَّة مملوءٌ بالسهام وهو علامة الحرب .

فاقام بينهم يسمع آراءهم ومؤامراتهم فرأى انهم كلهم ميَّالون الى الحرب الاَّ الشيخ فانهُ كان يقول ان مسالمة هؤلاء الهنود خير من محاربتهم. فتقدَّم ميْلس ستندش وقال مالي اراكم تستخفُّون بالاعداء وايُّ خير ترتجون من هؤلاء الابالسة فليكن معلوماً عندكم انهُ لا يمكننا ان نخاطبهم بغير صوت البارود وهم لا يفهمون منا الاَّ كلام المدافع. فاندهش الشيخ من هذا الخطاب وقال لهُ ان الرسل والحواريين لم يكلموا الناس بالبنادق والمدافع بل بالوعظ والانذار. فلم يلتفت ميْلس ستندش الى كلامهِ بل دنا من المائدة وقال لهم اتركوا لي هذا الامر فانهُ منوط بي وحدي بحسب اتفاقنا. وما الحرب الاَّ آلة جهنميَّة ولكن ما اطيب رائحة البارود اذا اشتعل في الدفاع عن الدم والعرض. ثم افرغ جلد الحيَّة من السهام وملأهُ باروداً ورصاصاً وسلمهُ للهندي وقال لهُ هذا هو الجواب الى الذين ارسلوك فخذهُ اليهم. فحمل هذا الجلد وذهب بهِ من حيث اتى

سنأتي البقية

الفصل الخامس

في سفر زهرة ايار

لم يكد جبين الصباح يتبلَّج ويرتفع الضباب عن السهول والهضاب حتى قام ميلْس ستندش وسار هو وثمانية من رجالِهِ ليخمدوا ثورة الهنود وكان معهم دليلهم الهندي الذي صادقهم ووالاهم. وكانوا كلهم جبابرة وابطالاً مجربين فلم يخافوا ان يلاقوا جماهير الهنود بعددهم الكثير . ثم قام اهالي القرية الى اعمالهم المختلفة واضرموا النيران فعلا دخانها في الجو وساقتهُ الرياح الغربية نحو المشرق وجعلوا يتكلمون عن الطقس ومناسبة الريح لسفر زهرة ايار وعن ذهاب ميلْس ستندش والمخاطر التي تتهدَّدهُ وتتهدَّد رجالهُ والوسائل التي يجب ان تُتخَّذ لوقاية بليموث في غيابهِ

وكانت الطيور تغرّد والنساء ترتل . والشمس بازغة من لجة البحر كأنها ياقوتة حمراء على حاشية ديباجة زرقاء ونشرت اعلامها على رؤُوس الجبال وسواري السفينة فحيَّتها السفينة بطلق البارود ورددت الجبال والقيعان صوت التحية مراراً حتى سُمع صداهُ من قلوب الاهالي فخفقت افئدتهم وايقنوا بالانقطاع

عن الوطن. ثم خرجوا من بيوتهم رجالاً ونساءً واولاداً وهرعوا
الى الشاطئ ليودعوا السفينة والعبرات ملءُ عيونهم وفي مقدمتهم
يوحنا الدن فانهُ احيي ذلك الليل بالانزعاج يتقلب على جمر
الغضا ورأى ميلس ستندش لما رجع في المساء من مجلس المشورة
وسمعهُ يتكلم بالفاظ لم يفهمها ورآهُ دنا من سريرهِ ووقف قليلاً ثم
دار عنهُ وقال اني لا اوقظهُ فقد قضي الامر وماذا ينفع الكلام. ثم
اطفأ المصباح وانطرح على سريرهِ وتغطى بردائهِ الذي كان
يتغطّى بهِ وهو في ساحة الحرب ونهض عند الفجر وتقلّد بعدّة حربهِ
وجلادهِ وخرج من الغرفة ولم يفه بكلمة. وحاول يوحنا الدن
مراراً ان ينهض ويودعهُ ويستسمح منهُ ولكن غلبت عليهِ الكبرياءُ
وعقد لسانهُ عن الكلام فلم يقم لتوديعهِ مع علمهِ انهُ قد لا يعود من
هذا السفر

ثم قام بعد ذهابهِ واشترك مع اهالي القرية في حديثهم وعملهم
ومضى معهم الى شاطئ البحر فوجد رئيس السفينة بقاربهِ يأخذ
المكاتيب ويضعها في جيبهِ ويلحُّ على المسافرين ليستعجلوا خائفاً من
رجوع المد وانقلاب الريح. فوقف يوحنا الدن ووضع رجلاً على
البر ورجلاً على القارب وجعل يتكلم مع النوتية وهو عاقد النية

على السفر معهم والفرار من وجه مَنْ يحبها ولا تسمح لهُ شيمتهُ ان يجاهر بحبها. ثم التفت الى الجمع فرآها واقفة بينهم وعيناها شاخصتان اليهِ وهي غائصة في بحار الافكار وغير شاعرة بشيءٍ ممَّا يحدث حولها ولما وقعت عينهُ على عينها رآها كأنها تلومهُ على ذهابهِ وتستعطفهُ ليعدل عن قصدهِ فخفق فؤَادهُ وخارت عزيمتهُ كمن يرى الموت امامهُ فيحجم عنهُ. وللمرءِ ساعات يميل قلبهُ فيها يمنةً او يسرةً باسرع من البصر فيتوقف على هذا الميل مستقبل حياتهِ. فنظر الى السماء ورأى الغيوم البيضاء منتشرة فوق البحر فقال ارى هذه الغيوم تشير الى البحر وتحثني على السفر وارى يدًا أُخرى قابضة عليَّ تستغيث بي وتحضّني على البقاء. فسيري ايتها الغيوم واختفي من امام عينيَّ فلا اتبع لكِ شورًا ولا اسمع لكِ قولاً ولا اصدق وعدكِ ولا اخاف وعيدكِ ولا افارق هذه الديار ولا ابتعد عن الفتاة التي تحتاج الى معونتي فانا اول من وطئَ هذه الارض بقدميهِ وانا آخر من يخرج منها ان شاء الله

وكان رئيس السفينة لم يزل يرقب حركة الريح ورجوع المد ثم ودَّع الاهالي ووثب الى القارب وامر البحرية ان يجذفوا فشرعوا كلهم في التجذيف وهم فرحون برجوعهم الى الاوطان

وابتعادهم عن ارض لا كثير فيها الاَّ الصلاة والتسبيح. ولم يمضِ الاَّ قليل حتى بلغوا السفينة وعلت الضوضاءُ فيها فرفعوا المراسي ونصبوا الشراع واستسلموا للرياح فسارت السفينة بهم تمخر عباب البحر. وحينئذٍ جمع الشيخ اهالي القرية واشترك معهم في الصلاة وقاموا يرقبون السفينة الى ان انقطعت آمالهم من العود الى اوطانهم فرجعوا الى بيوتهم الاَّ يوحنا الدن فانهُ بقي على شاطىء البحر يرقب حركات الامواج وهو غائص في بحار الافكار

الفصل السادس

برسكلاَّ

بقي يوحنا الدن على شاطىء البحر يفتكر ببرسكلاَّ وكأنَّ القلوب شواهد والافكار مغنطيس تجذب الى نفسها ما تفتكر بهِ لانهُ حالما حوَّل وجههُ عن البحر ليعود الى بيتهِ رأى برسكلاَّ واقفة امامهُ فقالت هل بلغ غيظك هذا المبلغ حتى انك آليت الاَّ تكلمني وما هو ذنبي سوى انني لما رأيتُك تسعى في مصلحة غيرك لم يطاوعني قلبي الآن اطلب منك لتسعى في مصلحة نفسك. نعم انني قد تعديت بذلك شروط الحشمة واللياقة ولكن ما قلتهُ فقد

قلتهُ ولا يمكنني ردهُ ابدًا فارجو من حلمك ان تسامحني عليهِ وكم من ساعة تزيد فيها عواطف النفس وتطفح حتى ان الحركة القليلة او الكلمة اليسيرة تجعلها تفيض وتهراق والماء المهراق لا يمكن جمعهُ ثانيةً وهكذا العواطف اذا فاضت وانكشفت بها اسرار النفس. فقد اغتظتُ لما رايتك تصف ميلس ستندش وتطنب بمدحهِ وتذكر سيأتهِ كانها حسنات ودليلك على فضلهِ شجاعتهُ في الحرب والقتال كأن النساء لا يملأ عيونهنَّ الاَّ من يحارب الناس ويفتك بهم وقد نسيتَ نفسك وانت تمدح صديقك فرأيتُ نفسي مدفوعةً الى القول بما قلتُ ولو تعدَّيْتُ شروط الحشمة واللياقة فسامحني على ما فرط مني اكرامًا للصداقة التي بيننا فانها اثبت من ان تتقلقل واطهر من ان يخامرها سوء الظن

فقال لها صدّقيني انني لم اغتظ منكِ بل اغتظتُ من نفسي لانني لم اعرف ان اتصرّف بالحكمة

فقالت بلى انت مغتاظ مني لانني خاطبتك بالحرية . وانا قد اسأتُ بذلك لان المرأة شأنها ان تصمت ولا تنطق بكلمة ولا تبوح بما في فؤادها . وللرجل الحق ان يُنطقها اذا شاء . ولهذا ترى كثيرات من بنات جنسي عائشات عيشة يفضلنَّ الموت عليها

فان نفوسهنَّ تتألم في داخلهنَّ ولا يستطعنَ ان يشكينَ ضيماً فهنَّ كالانهار الجارية تحت الارض لا يراها احد ولا يكترث لها بشر

فقال لها معاذ الله ان احتقر هولاء النساء او احسبهنَّ كالانهار الجارية تحت الارض بل هنَّ عندي كالانهار الاربعة التي كانت تسقي الفردوس

فقالت لهُ الآن ظهر لي قلَّة اهتمامك بشاني فانني ابحتُ لك بمكنونات قلبي واطلعتُكَ على خفيَّات نفسي ولم اطلب منك الاَّ ان ترثي لحالي فحوَّلتَ كلامي عن غايتهِ واجبتني بالتمليق . فما عدلتَ ولا انصفتَ ولا عاملتني بحسب ما تستدعيهِ الشيمة والمروءة وانت اشرف نفساً واطيب غرساً من ان تفعل ذلك . وانا لم اطلب صداقتك الاَّ لانني واثقة ان صديقك يستفيد منك نبلاً وعزَّة نفسٍ فلا تخاطبني رعاكَ الله كما يخاطبُ الرجالُ النساء بكلام المدح والاطراء الذي يظنون انهُ غاية ما يتمناهُ النساء وطباع النساء تعافهُ وتنبو عنهُ

فوقف يوحنا الدن حيران لا يعلم كيف يجيبها . وكان يتفرَّس فيها وهي تتكلَّم وقد صبغ الحياء جبينها وتفتَّح الورد فوق ياسمين وجنتيها فلم يدرِ أفي حضرة انسيَّة هو ام في حضرة ملاك .

فلما رأت سكوتهُ وحيرتهُ ولم تدرِ ما كان يختلج في فؤادهِ زادت جرأتها فقالت

علامَ نخفي ما بنا ونتظاهر بغير ما فينا علامَ لا نتكلم الحق ونوفي الصداقة حقها . فاني اقول لك الحق وما هو بسرٍ لا اكتمهُ ولا هو مما يُستحى بهِ لاخفيهُ نعم اقول لك انني احب ان اكون معك احبُّ ان اراك واكلمك دائماً ولذلك اغتظتُ لما رأيتك تلحُّ عليَّ لاقترن بصديقك لانني افضّل صداقتك على كل المحبَّة التي يمكن لهذا الرجل ان يحبني بها مهما كانت عظيمة

قالت ذلك ومدَّت لهُ يدها فقبض عليها وللحال شعر كأَنَّ الجراح التي كانت في نفسهِ قد برئت . فقال لها انا صديقكِ الى الابد فاقبلي صداقتي الثابتة ومحبتي الوثيقة

ثم نظرا الى البحر وكانت زهرة ايار قد كادت تتوارى عن الابصار فتودعا من رؤْيتها ومشيا نحو بيتيهما وقلباهما سكرانان من خمرة الحب التي شرباها صرفاً . وبعد قليل التفتت برسكلَّا وقالت قد ذهب ميلس ستندش وراء الهنود وهذه غاية مناهُ فان رائحة البارود اطيب اليهِ من عطر العروس فقل لي ماذا قال لك لما رجعتَ اليهِ البارحة واخبرتهُ عن جوابي لهُ . فاخذ

يقصُّ عليها كل ما دار بينهما من الحديث فضحكت وقالت اني لا انسب سرعة غيظهِ الاَّ الى قلَّة عقلهِ. فوبخها على هذا الكلام توبيخًا لطيفًا ثم جعل يقصُّ عليها ما خامر نفسهُ من الكآبة وكيف كان عازمًا ان يسافر ذلك النهار في زهرة ايار وقال لها انهُ لم يعدل عن السفر الاَّ لاجلها لكي يكون لها معينًا ولما قال ذلك تغيرت اطوارها وجالت الدموع في عينيها وقالت لهُ قد غمرتني بفضلك فلك مني خالص الشكر والثناء

ومن ثمَّ اخذت المحبة تتأصل وتنمو في قلبي هذا الشاب وهذه الفتاة وما زالت تزيد تمكنًا ورسوخًا حتى تملكت على كل عواطفهما . الاَّ ان يوحنا الدن كان مضطربًا بتعديهِ حقوق الصداقة التي بينهُ وبين ميلس ستندش ولولا ذلك ما منعهُ مانع عن الاقتران ببرسكلاَّ

الفصل السابع

ذهاب ميلس ستندش

ذهب ميلس ستندش هو ورجالهُ قبل الفجر على ما تقدم ومشوا النهار كلهُ وهو صامت لا ينطق بكلمة ويكاد الغيظ يمزّق فؤَادهُ . فانهُ لم يعتد الاَّ الغلبة والظفر ولكن هذه الفتاة برسكلاَّ

ردَّتهُ بالخيبة ساخرةً بهِ وهذا الفتى يوحنا الدن الذي اتخذهُ خليلاً صفيًّا غدر بهِ ونازعهُ في محبتهِ . فسار وهو يتنفس الصعداء وكانَّ لسان حالهِ يقول

ولو حمَلَتْ شمُّ الجبال الذي بنا غداة ارتحلنا اوشكت تتصدَّعُ

ثم راجع نفسهُ وقال ما لومي الاَّ على نفسي فانهُ

اذا شاب رأْس المرءِ او قلَّ مالهُ فليسَ لهُ في حبهنَّ نصيبُ

وانا رجل بيَّض الشيب لمتهُ وخشَّنت الحروب طباعهُ فمالي ومغازلة الغيد وثوب الشباب قد تخرَّق . قد ظننت الحب زهرة طيبة فاذا هو شوكة موءْلمة فلا كان يوم احببت فيهِ هذه الفتاة ولا كانت ساعة ابحت بحبها لاحد . فليزل حبها من فؤَادي كانهُ لم يكن ولتذهب هذه الفتاة من ذاكرتي كحلم عبر وليكن غرامي في الحروب وهيامي في مبارزة الاقران . قال ذلك وجعل يسلّي نفسهُ بمشاهدة الآجام والغياض في النهار ومراقبة النجوم والكواكب في الليل

وبعد ثلثة ايام اقبل على احياء الهنود فوجد خيامًا مضروبة ونيرانًا مشبوبة والرجال مصبّغين ابدانهم بصبغة الحرب وهم جلوس حول النار يدخنون التبغ ويتجاذبون اطراف الحديث فلما وقع نظرهم على ميلس ستندش ورجالهِ ورأَوا بريق دروعهم

واسلحتهم نهضوا على اقدامهم وتقدم منهم اثنان ولاقياهُ وقدَّما لهُ الفراء علامة المسالمة وهما يكتمان العداوة في صدريهما . وكان الرجلان اخوين وكلٌّ منهما جبار في جسمهِ وبأسهِ واسم احدهما بكسوت واسم الآخر وتاوَمت وهما مسلحان بخنجرين ماضيين . فلما وصلا الى ميلس ستندش ترحبا بهِ وبرجالهِ باللغة الانكليزية التي كانا قد تعلمَّا بعض كلماتها من التجار ثم خاطباهُ بلغتهما وطلبا منهُ ان يعطيهما حرماً وسيوفاً وبنادق وباروداً وكان اشد رغبتهما في البنادق التي قالا ان البيض يطلقون نيرانها على اخوتهم الحمر (اي الهنود) فيقتلونهم بها

فقال ميلس ستندش بلسان الترجمان انهُ لا يعطيهما الاَّ التوراة. فتغيرت اطوارهما حالاً وجعلا يشمخان ويفتخران ثم تقدَّم وتاوَمَت واقعنسس تكبراً وقال

"ان وتاومت قد رأى الغضب في عيني القائد والحقدَ في قلبهِ ولكن قلب وتاوَمت لا يخاف من ذلك ولا يرتعد فانهُ لم يولد من امرأة بل ان صاعقة نزلت من السماء على شجرة سنديان فشقت جذعها وللحال خرج وتاوَمت منهُ وانتصب على قدميهِ وقال من يجسر على محاربة وتاومت الشجاع". ولما قال ذلك

استلَّ خنجرهُ من غمدهِ وكان على مقبض الخنجر صورة وجه امرأة فاشار اليهِ وقال ان في البيت خنجراً آخر وعليهِ وجه رجل وسيتزوَّج بهذه المرأة فيولد لهما ما لا يحصى من الاولاد

ثم تقدَّم بكسوت ووضع يدهُ على خنجرهِ وجعل يتهدد ميلس ستندش ويقول مخاطباً خنجرهُ اصبر قليلاً فستاكل وتشبع لحماً ودماً . أهذا هو القائد الشهير الذي ارسلهُ البيض لهلاكنا ما هذا الاَّ نصف رجل وحقهُ الجلوس مع النساء

وكان ميلس ستندش ينظر الى هذين الرجلين ويلاطفهما في الحديث ويرى الهنود متفرقين حولهُ في الآجام وقد اوتروا قسيهم وتظاهروا انهم يفتشون عن الصيد وما من غرض لهم الاَّ البطش بهِ وبرجالهِ . فلما افرغ جعبة تلطفهِ ورأى ان الكلام الطيّب لا يجدي نفعاً وانهم يزدادون جراءةً وعتوًّا كلما زاد تلطفاً وتؤدةً تحرَّك فيهِ دم اسلافهِ فقال

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضعِ السيف في موضع العلى

ثم هجم على بكسوت وخطف الخنجر من يدهِ وطعنهُ بهِ طعنةً قضت عليهِ فوقع على الارض يتمرَّغ بدمائهِ وللحال علت صيحات الهنود من كل ناحية وبادروا ستندش ورجالهُ برمي السهام فاجابهم ستندش ورجالهُ باطلاق البنادق وعلا دخان البارود حتى سدَّ

الآفاق وقصفت اصواتهُ كالرعود وحنَّت كرات الرصاص حنين القسي" فكانت ساعة تشيب الاطفال انجلت عن هرب الهنود في تلك البطاح ووقوع جبَّارهم وَتاوَمَت صريعًا على الصعيد لان رصاصة اصابت دماغهُ فاكبَّ على وجههِ وانبسطت يداهُ على الارض كأنَّهُ يقول هذه ارض آبائي فانا اتشبَّث بها في حياتي ومماتي . ووقع من الهنود كثيرون غير وتاومت وبكسوت فجمع رجال ميلس ستندش اسلابهم وقطعوا راس وتاومت وارسلوهُ الى بليموث علامةً لظفرهم . فعُلِّق على رأس الحصن الذي كانوا يتخذونهُ كنيسة وفرح كل اهل بليموث بهذا الفوز العظيم والنصر المبين الَّا برسكلَّا فانها غطَّت وجهها لما رأت رأس الهندي وشكرت الله لانها لم تتزوَّج بميلس ستندش ولكنها خافت ان يرجع من الحرب ويطلبها ثانيةً

الفصل الثامن

دولاب الغزل

مرَّت الايام والشهور وجاء فصل الخريف واقبلت مراكب التجار على مينا بليموث ومعها كثير من الاقارب والاصدقاء والحبوب والمواشي . وكان اهالي بليموث راتعين في صفاء العيش

وراحة البال كانهم آمنون حوادث الزمان وطوارق الحدثان يبنون البيوت ويغرسون الجنات ويحصدون الحقول ويصطادون الاسماك ويقتنصون الغزلان. وكان ميلس ستندش يجول في البلاد يحارب الاعداء ويقهرهم حتى ذاع اسمهُ في كل الاقطار وخاف الهنود سطوتهُ وكفوا عن العدوان او هربوا من وجههِ في عرض البلاد. الاَّ انهُ لم ينسَ ما فعلت بهِ برسكلاَّ فكانت تسوّل لهُ نفسهُ احياناً ان يقتصَّ منها ثم تقوم دواعي المروءة والشهامة فتتغلب على حب الانتقام وتلتمس لبرسكلاَّ وألدن الف عذر فتبررهما وتوقع اللوم عليهِ

وكان الدن قد قطع الاخشاب من الآجام وبنى لنفسهِ بيتاً رحباً ورفع جدرانهُ وشبَّك كواهُ ووضع فيهِ الورق المزيَّت بدل الزجاج وحفر بئراً وزرع حولها جنةً. ولم تزل آثار هذه البئر وهذه الجنَّة الى يومنا هذا. ولم يكن لهُ من معين في هذه الاعمال الاَّ آمالهُ الشديدة ان برسكلاَّ ستأتي يوماً ما وتسكن ذلك البيت وتشرب من ماء البئر وتأكل من اثمار الجنَّة وتسربلهُ باثواب البهجة والحبور طبقاً لقول الحكيم الذي قال ان المرأة الفاضلة ثمنها يفوق اللآلئ بها يثق قلب زوجها لانها تصنع لهُ خيراً لا شرًّا كل ايام

حياتها تطلبُ صوفًا وكتانًا وتشتغل بيدين راضيتين تمدُّ يديها الى المغزل وتمسك كفَّاها بالفلكة لا تخشى على بيتها من الثلج لان كل اهلهِ لابسون حللاً من نسج يديها

وكان حينما تنقضي اعمال النهار يمضي الى بيتها محمولاً على اجنحة الحب المتمثّل لهُ في صورة الصداقة ومنقادًا بزمام السرور المتصوّر في صورة الواجبات · وفي احد الايام زارها على عادتهِ وكانت الشمس قد مالت عن الزوال فجلس امامها يراقبها وهي تغزل على الدولاب فتأمَّلها طويلاً ثم قال لها انني حينما اراكِ عاكفة على المغزل ساعةً بعد اخرى بلا انقطاع اقول في نفسي ما هذه برسكلاَّ ما هذهِ الاَّ برثا الجميلة المشهورة في كتب الاخبار ملكة هلفيتيا التي تضرب بتدبيرها الامثال · فانها لم تكن تطرح المغزل من يدها · وانتِ سيأتي وقت يستغني فيهِ الناس عن المغزل ولكنَّ الامهات سيخبرنَ بناتهنَّ والبنات بناتهنَّ باجتهادكِ في الغزل ومزاولتكِ لهُ فتضرَب بتدبيركِ الامثال ويخلَّد ذلك مدى الادهار

فنهضت برسكلاَّ على قدميها وقد تهلَّل وجهها الصبوح وابتسم ثغرها الفتَّان ونزعت خصلة الغزل عن الدولاب وقالت لهُ تعال وكُن قدوة للرجال كما انا قدوة للنساء وامسك هذه

الخصلة بيديك لكي ألفَّ خيوطها على الكبَّة حتى اذا تغيَّرت الازياء واستغنى الناس عن الخيطان يخبر الآباء ابناءهم والابناء ابناءهم بتدبير يوحنا الدن ووفرة اجتهادهِ

فمدَّ لها يديهِ فوضعت الخصلة فيهما وجعلت تلفُّ الخيطان وهي توبخهُ تارةً على قلة خبرتهِ في مسك الخصل وتعنفهُ أُخرى لأنهُ لا يحرّك يديهِ معها. وكلَّما مست يدها يدهُ يشعر كأَن يدهُ مسَّت آلة كهربائية فجرى السيَّال الكهربائي في بدنهِ فارتعدت منهُ جوارحهُ وجوانحهُ

وفيما هما يتجاذبان اطراف الحديث ويرتشفان خمرة الحب اقبل على القرية رسول من الهنود وقال ان مَيلْس ستندش قد وقع قتيلاً اصابهُ سهم مسموم من سهام الهنود فقُضي عليه ودارت الدائرة على كل رجالهِ فلم يبقَ منهم احد. فنادى اهل القرية بالويل والثبور وارتفع العويل والبكاء وانتشر الخبر سريعاً وبلغ الدن وبرسكلاَّ وهما في تلك الحال فوقفت برسكلاَّ صامتة كأَنَّ صاعقةً وقعت عليها من السماء او ساحرًا من سحَرة بابل سحرها ومنعها عن الحركة. ونهضَ الدن قائمًا على قدميهِ وكأَنَّ السهم الذي اصاب مَيلْس ستندش اصاب فؤَادهُ فقطع القيود التي كان مقيدًا بها لصديقهِ. فغاص في بحر ممتزج بمرارة الاسف

وحلاوة الظفر وكأنهُ نسي الموقف الذي هو فيهِ فضمَّ برسكلا الى صدرهِ وقال لها لم يبقَ ما يمنع اقتراننا وما جمعهُ الله لا يفرقهُ بشر. فامتزجت عواطفهما كما تمتزج الجداول وطالما حنت الى هذا الامتزاج

في الزواج

بزغت اشعة الغزالة من خلال السحاب فتتوَّجت بلألائها الآكام والهضاب وقبَّلت خدود الورود فكستها حمرة الخجل وارتدَّت عن ثغور الاقاحي فبدت عليها صفرة الوجل وكانت تسير الهوينا في عنان السماء واذيالها تملأُ البسيطة بالنور والبهاء. وفي ذلك اليوم اجتمع شيخ بليموث وقاضيها مع جمهور من اهاليها ليزفوا برسكلا الى يوحنا الدن فلما انتهوا من صلاة الزيجة تراءى لهم شبح غائص في الزرد والحديد فاجفل العريس من رؤْيتهِ وارتعدت فرائص العروس وامتقع وجهها. والتفت الجمهور الى الشبح وامعنوا نظرهم فيهِ فاذا بهِ ميلس ستندش نفسهُ. فدنا من العريس وقبض على يدهِ وقال لهُ سامحني على ما فرط مني فقد اسأْت اليك لانني اسأْت الظن فيك واهنأْ بعرسك فلم تكُ تصلحُ الَّا لك ولم تكُ تصلحُ الَّا لها وانا قد اشعتُ خبر موتي لكي لا تريا مانعًا يمنع اقترانكما فليكن اقترانًا سعيدًا. ثم دنا من العروس وانحنى لها رأْسهُ حسب عوائد تلك الايام ثم هنأَهما ثانيةً وقال للعريس كان يجب ان لا انسى المثل القائل اذا اردت ان تفعل شيئًا فافعلهُ بنفسك * فاندهش الجمهور من رؤْية ميلس ستندش وفرحوا برجوعهِ بعد ان ثبت لهم موتهُ فاجتمعوا حولهُ يسأَلونهُ عمَّا جرى لهُ وكأنهم نسوا العريس والعروس. ثم زفُّوا العروس وساروا بها الى بيت زوجها بموكب عظيمٍ فعاشا عمرًا طويلاً بالهناء والحبور وكانت محبتهما تزداد سنة بعد سنة الى ان جاءَهما القدر المحتوم. انتهت

رواية تسبي وَبيْرام

او صبغ الفرصاد(١) بدم اهل الغرام

لما كانت اللطائف قد اوشكت ان تتمَّ سنتها الاولى ولم يبقَ فيها محل لرواية ذات فصول طويلة آثرنا ان ندبّج ما بقي منها بروايات مقتطفة من الميثولوجيا وهي خرافات اليونان وغيرهم من المتقدمين مبتدئين برواية تسبي وبيرام فنقول

وقعت العداوة في قديم الزمان بين رجلين من ذوي الشان والمقام في بلدٍ واحد وحيّ واحد وتعاظمت بينهما حتى اتصلت منهما الى ذويهما وفشت في الحيّ كلهِ واشتدَّ العدوان بين الجيران فكان لا يمرُّ احدهم بالآخر الاَّ حرَّق عليهِ الاسنان وابان لهُ علامات الجفاء والبغضاء. واتفق انهُ ولد للرجلين المذكورين ولدان في الحول الواحد احدهما ذكر فسمَّوهُ بيرام والآخر انثى فسمَّوها تسبي وكانا في غاية الجمال وحسن القد والاعتدال حتى صار يضرب المثل في حسنهما وجمالهما حينما بلغا سنّ الصبا ولعبت الشبيبة باعطافهما

---

(١) ثمر التوت الشامي

وكان بيرام لا يسمع من اهلهِ الاَّ ذمّ تسبي واهلها وهي لا تسمع من اهلها الاَّ ذمّ بيرام واهلهِ حتى صار كلٌّ منهما يشارك اهلهُ في اميالهِ محمولاً بكلامهم على غير سببٍ يعلمهُ . الاَّ انهما لمَّا اشرقت عليهما نضرة الشباب وتحرَّكت في قلبيهما عواطف الحب والغرام جعلا يشعران كأَن كلام اهليهما زور وبهتان وكأَن صفو عيش احدهما لا يتمُّ الاَّ بالنظر الى الآخر والتأَمُّل في محاسنهِ . فصار اذا مرَّ بها يتبسَّم لها وتتبسَّم لهُ ويودُّ لو طال وقوفها لمحادثتها وتودُّ لو طال وقوفهُ لتتمتع بالنظر الى طلعتهِ . ولم يطل بينهما الحال حتى صارا لا يجدان سلوى عن الشكوى الاَّ باستراق الالحاظ وتبادل الحب بالاشارات على حدِّ قول من قال

حواجبنا تقضي المصالح بيننا فنحنُ سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ

فكأَن ابتسامهما وتبادل الالحاظ بينهما على حين لا يتقابل اهلهما الاَّ بوجوه باسرة وحواجب مقطبة مزورَّة شعاع يسري في تلك الظلمات او انوار تخترق سحائب البغض والشحناء لتحيي قلباً اذواهُ الحب ومهجة ابلاها الغرام

وكان لهما حديقتان متلاصقتان يفصل بينهما حاجز من الحجر وكل حاجزٍ على اهل الهوى غير حصين فما اشتدَّ بهما الوجد والهيام

حتى صارا ينتظران حلول الظلام ثم ياتيان الحديقتين حيث ثقبا الحائط ثقبًا تقع منهُ العين على العين فيتمتع الحبيب بحديث حبيبهِ ويتشاكيان

وداما على تلك الحال الى ان فرغ منهما الصبر واشتدَّ بهما الغرام فقال لها بيرام يومًا انبقى ايتها الحبيبة طول الايام بين شوق ووجد وقلق وبعد واهلونا يزيدون بغضًا ونفورًا فنحن حبيبان وابوانا عدوَّان متباغضان والحب والبغض من طبعهما لا يجتمعان فتعالي نفرّ الى حيث تقرُّ منا العين باللقاء ونأمن عيون الرقباء ففي الجبل عين المحيلاء تظللها توتة قد ارسلت اغصانها الى السماء وجلَّلت افنانها جوانب الفضاء فكأَنها قد خلقت ملجأً لاهل الهوى ومأوًى لاطيار الهواء. فهل لك ان توافيني اليها قبل طلوع الفجر. قالت ان الشوق يحدو بي الى حيث يحدو بك فبكّر فاني قبل الفجر انتظرك في المكان المعهود. ولما اتفقا على ذلك انصرف كلٌّ الى بيتهِ ليعلل النفس بقرب اللقاء

امَّا تسبي فلم يطل عليها الرقاد حتى اخذتها سنة الكرى فنامت بعين ملأى الى ان مضى اكثر الليل فقامت رائقة الافكار مرتاحة البدن فاسرعت من ساعتها الى عين المحيلاء. واما بيرام

فطار النوم من عينيهِ وجعل يتقلَّب على فراش الأَرق والقلق الى ان كاد الليل يتناهى ثم غلبهُ النعاس فنام حتى اوشك عمود الصبح ان يشق جانب الشرق وينير نواحي الافق . ولما وصلت تسبي الى العين لم ترَ تحت التوتة احداً فجلست تنتظر قدوم بيرام والانتظار صعب على كل انسان فكيف بهِ على اهل الغرام في مثل هذا المكان . ولذلك لعبت برأْسها الهواجس وقلقت منها الافكار . وبينما هي على تلك الحال اذا اسد قد اشتدَّ بهِ الهياج في بطن وادٍ فجعل يزأَر زئيراً تدوي منهُ الاودية وترتعد منهُ راسيات الجبال فاجفلت تسبي وفرَّت مذعورةً فوقع نقابها عن رأْسها فاطارهُ نسيم السحر حتى حملهُ الى حيث كان الاسد . فلما رآهُ ابيض مقبلاً عليهِ ظنهُ فريسة فاذا هو قطعة من الشفوف فازداد هياجاً وزئيراً وتناولهُ بفمهِ والدم والزبد يقطران منهُ فمزَّقهُ كلَّ ممزَّق والقاهُ في بعض القيعان وعاد الى مربضهِ

ثم جاء بيرام الى العين فلم يجد حبيبتهُ فجعل يطوف تلك النواحي في طلبها والشوق يسوقهُ والخوف يقلقهُ حتى اتى بطن الوادي وهو يناديها ويحدد الابصار الى كل ناحيةٍ لعلَّ عينهُ تقع عليها . ولمَّا طال عليهِ البحث اطرق الى الارض يردّد الزفرات

ويكفكف العبرات فلاح امامهُ شبح ابيض فاسرع اليهِ ورفعهُ بيدهِ فاذا هو قد عِلِكَ علكًا حتى تمزَّق من اثر الانياب وتلوَّث بالزبد والدم من شدق الاسد فما توسمهُ حتى رأت فيهِ عينُ الحب آثار الحبيب فعلم انهُ هو النقاب الذي طالما جلل خدَّي محبوبتهِ ولثم مبسمها ودلتهُ الدلائل على انهُ دخل فم الاسد فاستطار فؤادهُ جزعًا ودار دمهُ فيهِ باردًا ووقف شعر رأسهِ منتصبًا . فصرخ واعوَل حتى رقَّت لعويلهِ الجلاميد وانَّت لانينهِ جوانب الجبال ثم جلس على صخر وجعل يحدث نفسهُ قائلاً اني كنتُ السبب في موتكِ ياتسبي وقد وفيتِ بوعدكِ وانا الذي خلفهُ النوم فاخلفت بالوعد. فليت عيني لم تذق الكرى وليتني متُّ اسًى قبل ان امتُّكِ بانياب الاسد. انكِ سبقتني الى محلّ اللقاء ثم سبقتني الى دار البقاء فانتِ تنتظرينني في فردوس النعيم كما انتظرتِني تحت التوتة في هذا الليل البهيم. فلا للحياة لذةٌ بعد بعدكِ وكل اللذة في قربكِ. فها انا ذاهب اليكِ حتى لا يفرق الحِمام قلبين قد جمعهما الحب والغرام. ولمَّا قال ذلك صعد الى ما تحت التوتة واستلَّ حسامهُ وضرب بهِ جنبهُ فخرَّ على الارض صريعًا وسال دمهُ يسقي اصول التوتة قانيًا وجميعًا

ثم لاح الصبح في الافق وقامت لتحيتهِ الاطيار فخرجت تسبي من مأواها الندى وقد سكن روعها. ولما دنت من التوتة رأَت من خلال الضباب والانداء شبحًا مضطجعًا تحتها فقالت هذا هو بيرام قد جاء واستبطاني فنام. فاسرعت اليهِ ونادتهُ باسمهِ لتوقظهُ ومدَّت يدها الى يدهِ لتنهضهُ فاذا بيرام على آخر رمق قد سال دمهُ وعلا غبار الموت وجههُ وهمت روحهُ بفراق بدنهِ وقوَّة الشبيبة تعاوقها. ففتح عينيهِ وقال أَمن دار الاحياء جئتِ ياتسبي ام من دار الاموات فقد حسبت انك سبقتني الى دار السعادة والبقاء فما الذي ردَّك الى عالم الشقاء والفناء. فها انا ميت قد سبقتكِ الى ديار الآخرة. ولما قال ذلك غشيتهُ ظلمة الموت فامسك عن الكلام وحفظ ما بهِ من الرمق لينظر الى حبيبتهِ من خلال الظلام

فقالت لهُ تسبي قد استشهدت يابيرام على حبي افلا استشهد على حبك فقلبانا لم يفترقا في الحياة فلا يفترقان في الممات. ولما قالت ذلك وقعت على سيفهِ فسال دمها يروي التوتة ممتزجًا بدمهِ ووضعت يدها على قلبهِ وفمها على فمهِ واسلمت روحها مع روحهِ متعانقين. فصاح فوقهما غراب البين الله اكبر ان سلطان

الحب سائد في الدارين فما فرَّق الدهر بينهما حتى ضمهما اليهِ التراب

قالوا وما زال دمهما يسري في اصول التوتة وعروقها حتى صبغ كل عصارها ألا تراهُ في حمرة اثمارها . فكلما مسَّت اناملك الفرصاد فقنأت بدمائهِ فاذكر دم تسبي و بيرام اللذين استشهدا على مذبح الغرام

اسباسيا زوجة بركليس

يزعم البعض ان المرأة كانت منحطة عن الرجل في كل القرون الغابرة ولم يُسمَح لها ان تساويهُ في امرٍ من الامور الاَّ في هذهِ القرون الحديثة حينما توطدت اركان التمدُّن الاوربي . ولكن الذين يطالعون تاريخ اليونان و يتفحصون امورهم جيدًا في هيئاتهم الاجتماعيَّة يظهر لهم لاول وهلة ان المرأة لم تكن عبدةً للرجل تخدمهُ في بيتهِ محجبةً عن العيون كما هي في بعض بلدان المشرق في عصرنا هذا بل كانت تسافر معهُ وتتاجر وتشاركهُ في الولائم والافراح . وكانت في عصرٍ من الاعصار تشاركهُ في الالعاب الرياضية وتباريه في ميدان النزال وتعمل اعمالاً يعجز

عنها اقوى الرجال وهذا اولاها الشجاعة والحزم وحب الوطن والمباهاة في طلب العلوم والمعارف والانتظام في سلك الشعراء والبلغاء والرياضيين والفلاسفة

وقد وصفت مدام اوِن مؤلفة كتاب سير ابطال النساء بيتًا من بيوت عظماء الاثينيين فقالت : انظر ترَ بيتًا جدرانهُ مرصَّعة بتماثيل الرجال العظام وامام بابهِ رواق رفيع العماد وعلى الباب اسجاف الارجوان وبجانبيهِ افاريز من المرمر الصقيل . وكوى البيت مشبكة كلها بقضبان النحاس على اشكال وضروب شتَّى وارضهُ مغطاة بالفسيفساء البديعة الاشكال وعليها ارائك من القرمز والارجوان اهدابها مطرزة بالذهب . وفي البيت مكتبة من الخشب الثمين مملوءة بالدروج من الرق والحلفاء

وقد جعلنا موضوع هذه المقالة اسباسيا زوجة بركليس الحاكم اليوناني الشهير فهلمَّ في الصباح الى هذا البيت ترَ اسباسيا قد نزلت من غرفتها على درج من المرمر الابيض ومشت في صحن الدار وخرجت الى الرواق الجنوبي الذي يطلُّ على بستان البيت لتستنشق نسيم الصباح مضمخًا بأريج الازهار والرياحين وخرج بركليس ومشى بجانبها وتجاذبا اطراف الحديث

في السياسة والفلسفة . وهي طويلة القامة ممشوقة القد جعدة الشعر شقراؤهُ نجلاء العينين حوراؤُهما شمّاء الانف صغيرة الاذنين حمراء الوجنتين والشفتين

تفترُّ عن لؤلؤٍ رطبٍ وعن بردٍ   وعن اقاحٍ وعن طَلْعٍ وعن حَبَبِ

ولابسة رداء ابيض على ردنيهِ ابازيم من الذهب وفوقهُ رداء قصير من الارجوان بلا اردان اذيالهُ مطرزة بالذهب . وعلى كتفيها رداء ثالث مسدول عليهما سدلاً والنسيم يعبث بهِ في ذهابها وايابها فتخالها ملاكًا ناشرًا جناحيهِ للطيران . وفي اصابعها خواتم الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة . ولم تكن اسباسيا من ربات الغنج والدلال اللواتي يباهينَ بالحلى والحلل بل من اهل الحجى الراباين مع الفلاسفة والحكماء

وكان بيتها هذا ناديًا يتقاطر اليهِ الفلاسفة ورجال السياسة كسقراط وافلاطون وغيرهما فتباحثهم في اسمى المواضيع الفلسفيَّة والسياسيَّة حتى اذا كلَّ عضب الدماغ منها ومنهم ادارت ازمَّة الحديث الى الفكاهات واللطائف تديرها عليهم صرفًا فتسكرهم بعذوبة كلامها كما اسكرتهم بسمو معانيها . وكان سقراط الحكيم يعترف بفضلها عليهِ ويشهد انها هذَّبت اخلاقهُ

وكمّلت معارفهُ . وبركليس زوجها كان ينسب اليها كل شهرتهِ في الخطابة وقال انهُ تعلَّم منها البلاغة والسياسة . وكان نساء اثينا يترددنَ على بيتها ايضاً ويتعلمنَ منها التهذيب واللياقة وكانت الفنون الجميلة كالتصوير والبناء والنقش في اوج مجدها فعضدتها اسباسيا بيمينها وسعت جهدها في رفع شأن ذويها ولم تكن هذه الفاضلة من الاثينويات ولذلك لم تحسب زوجةً شرعيَّة لبركليس لان شريعة اثينا كانت تحرم على الاثينويين اتخاذ الزوجات من الاجانب الاَّ ان جمالها المفرط وسمو عقلها وغزارة معارفها وكثرة فضائلها الجمت السن الناس عن الطعن عليها زماناً طويلاً

والحسد وقاك الله منهُ عدوٌّ الدُّ لا يبهرهُ الجمال ولا تتغلَّب عليهِ الفضائل فنفخ في آذان بعض ذويهِ فقاموا عليها واتهموها باحتقار الاثينويات وبلغت القحة منهم حتى طعنوا في عرضها واتَّهموا معها انكسغوراس الفيلسوف وفيدياس النقَّاش فقتلوا الواحد ونفوا الآخر نفياً مؤبَّداً . وحامى بركليس عنهما بكل جهدهِ فلم يستطع انقاذهما . ولما وصل الدور الى اسباسيا صار كلهُ السنة وبلاغةً فدافع عنها في مجمع اريوس باغوس وكان من افصح

اهل زمانهِ لسانًا واثبتهم جنانًا واقواهم حجةً ولما عجز لسانهُ عن نوال اربهِ دافع عنها بدموعهِ حتى قيل انهُ انقذها من الموت بالدموع. ولم يكن من ضعاف العزائمِ الذين تفيض دموعهم عند اخف النكبات ولا كان من العالقين بحبال الهوى المنقادين بزمام الشهوات. فانهُ لما فشا الوباءُ واختطف ابنهُ البكر واختهُ وكثيرين من اقاربهِ تحمَّل هذه النكبة الشديدة بصدر ارحب من البيد وصبر اغزر من البحر ولم يسكب عليهم دمعةً. ولكنهُ لما رأى الفضيلة مهانة باهانة زوجتهِ والعفة والطهارة مهتوكًا ستارها ظلمًا وعدوانًا لم يتمالك عن البكاءِ. وكذا لما اختطفت ايدي المنون ابنهُ الاصغر وحمل اكليل الزهر ليكلل بهِ جبينهُ غلبت عليهِ الشفقة الابويَّة ففاضت دموعهُ رغمًا عنهُ

وكانت ولادة اسباسيا بمليتوس سنة ٤٧٠ واقترن بها بركليس بعد ان هجر زوجتهُ الاولى وانقاد اليها اشد الانقياد حتى قال ارستوفانيس انها هي التي حملتهُ على اثارة حرب ساموس وبلوبونيسوس ولكن فلوطرخس المؤرخ الثقة نفى عنها هذه التهمة. وتوفي بركليس بالطاعون فتزوجت اسباسيا بعدهُ برجل من التجار فصار بسببها من مشاهير اثينا وخطبائها

انعام في محله

جاء في لسان الحال الاغر "ورد في رسالة برقية خصوصية انهُ وجهت من فيض العواطف الشاهانية رتبة روم اللي بكلربك على عظم زاده حضرة سعادتلو احمد باشا المؤيد احد اعيان سوريا واحسن اليهِ بالوسام المجيدي من الرتبة الثانية وباستخدام نجلهِ شفيق بك كاتباً في المابين الهمايوني وترفيع رتبة حفيدهِ رفعتلو صادق بك من ياوران الحضرة العلية السلطانية الى قول اغاسي وذلك بعد ان نال الباشا المشار اليهِ شرف المثول بحضرة سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم واقام في المابين الهمايوني ضيفاً مدَّة اربعة ايام"

وآل العظم بيت فضل في السلطنة العثمانية نشرت اعلامهُ واماجد جمعوا بين السيف والقلم والمروءة والوفاء

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظَّم الدُرَّ ثاقبُهْ

فنهنئُ هذا الشيخ الجليل وانجالهُ الكرام على ما حازوهُ من فيض العواطف السلطانية

اسباب الطعوم

الطعوم البسيطة هي الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة

والمعروف ان هذه الطعوم ذاتية اي ان بعض المواد حلوٌ لذاتهِ وبعضها مرٌّ لذاتهِ وهلمَّ جرًّا ولكن الاستاذ رمسن الكيماوي اصطنع مادة كيماوية منذ مدَّة اذا وضعت على مؤَخر اللسان شعر الانسان ان لها طعماً مرًّا واذا وُضعت على مقدمهِ شعر ان لها طعماً حلواً اي ان طعمها يتغيَّر بتغير الاعصاب التي تشعر بها وهذا يشبه ان يكون دليلاً على ان الطعم يتوقف على العصب الذي يشعر بهِ فاذا كانت المادة تؤَثر بالعصب الذي يشعر بالمرارة شعر الانسان ان طعمها مرٌّ ثم اذا اثرت بالعصب الذي يشعر بالحموضة شعر ان لها طعماً حامضاً وهلمَّ جرًّا

قِدَم الماسونية

اكتُشِفَ في ايطاليا حجرٌ عليهِ صورة الزاوية والبركار والقدَّة والفادن وعليهِ كتابة باللاتينيَّة يقال فيها ان صاحب هذا الحجر كان رئيساً عظيماً من رؤَساء الماسون. ويستدل من نسق الكتابة والمكان الذي وُجد فيهِ الحجر انهُ قديم جدًّا واقدم من العصر الذي استُعملت فيهِ اللغة الطليانية. وهذا دليل على فساد قول القائلين ان الماسونية لم توجد قبل القرن السابع عشر

الرشيد والجارية

قيل انهُ كان للرشيد جارية اسمها ماردة وكان يحبها حبًّا شديدًا وكانت هي ايضًا كذلك فاغضبها مرةً ولمَّا دام الغضب بينهما وخاصتهُ يعرفون مكانها منهُ امر جعفر البرمكي العباس بن الاحنف ان يعمل في ذلك شيئًا فعمل العباس شعرًا ودفعهُ الى ابرهيم الموصلي فلحنهُ وغنَّى بهِ بين يدي امير المومنين وهو

العاشقان كلاهما متغضبُ ... وكلاهما متوجدٌ متجنبُ
صدَّت مغاضبةً وصدَّ مغاضبًا ... وكلاهما مما يعالج متعبُ
راجع احبتك الذين هجرتهم ... ان المتيَّم قلما يتجنَّبُ
انَّ التجنُّبَ أن تطاول منكما ... دبَّ السلو لهُ فعزَّ المطلبُ

فلما سمع الرشيد بادر الى ماردة وترضاها فسأَلت عن السبب في ذلك فقيل لها الصورة التي اتفقت فامرت لكل واحد منهما بجائزة

يسهل على الانسان ان يتعلَّم من كل احد ولو من اعدائهِ ولكن يعسر عليهِ ان يعلّم احدًا ولو من اصدقائهِ

التمثيل العربي في الاوبرا الخديوية

اذا ارتقى الناس في الحضارة تاقت نفوسهم الى الكماليات فسعوا اليها جهدهم وانفقوا عليها النفقات الطائلة ولا لوم عليهم في ذلك لانهم مدفوعون اليه بغريزتهم وما هو بالامر الضارّ اذا بقي ضمن حدود اللياقة والفكاهة . ولا مشاحة ان التمثيل في المشاهد العمومية من خير الكماليات وافكهها وانفعها ولا سيما اذا لم تمازجهُ الخلاعة المعهودة في بعض انواعهِ . ولا مشاحَّة ايضاً ان الجوق العربي الذي يديرهُ الاديب المتفنن سليمان افندي قرداحي باذلٌ جهدهُ في اتقان التمثيل العربي وجعلهُ شاملاً لغايتيهِ الحميدتين الفكاهة والفائدة وبعيدًا عمَّا اوصلهُ اليهِ بعض الافرنج من السخافة والخلاعة . والذين شاهدوا الروايات التي مثَّلها هذا

الجوق ولا سيّما رواية عائدة ورواية عفة النفس ورواية تليماك ورواية الصياد لا يسعهم الاّ ان يصدقوا لما قلناهُ لا سيّما وان الجناب الخديوي اعزَّهُ الله قد شمل هذا الجوق بانظارهِ الكريمة ومكان الاوبرا الخديوية معدٌّ للتمثيل احسن اعداد والممثلين قد زاد اختبارهم هذه السنة وانضمَّ اليهم المطرب البديع الشيخ سلامة حجازي وغيرهُ من البارعين في التمثيل والممتازين في حسن الصوت وطيب الغناء

فنثني على حضرة قرداحي افندي وعلى افراد جوقهِ البارع اطيب الثناء ونتمنّى ان يروا من امراء القاهرة وذواتها احسن التفات واكبر مساعدة لتنشيط التمثيل العربي واجتناء فوائدهِ الجمَّة

رواية

درّ الصَّدَف في غرائب الصُّدَف

للمرحوم فرنسيس فتح الله مراش

الفصلُ الاول

العزلة

لا بدَّ وان يطرب الانسان احيانًا الى العزلة كما انهُ يطرب احيانًا الى الصحبة . اما الحالة الاولى فيغلب ان تتأتى عن بلبال البال وانقباض النفس . واما الحالة الثانية فهي تتأتى كثيرًا عن خلو الفكر وانبساط الروح . ولكلٍّ من الحالتين لذَّاتٌ تزيّن للخاطر ان يسترسل اليها . ومن ذلك انني كنت ذات ليلة شاعرًا بقنوط لا مزيد عليهِ . حتى انني كنت اخال ان روحي عادت تأْنف اللبوث في حيّز الجسد . وما كان لذلك سببٌ سوى دخان الويل الذي كانت مداخن السمع تقذفهُ في دماغي عن الهوب الشكوى المضرم في قلبي من بعض اصحابي اشفاقًا من الخسران

الخاص والعام الذي تكبدوهُ وتكبدتهُ هذه الديار من جراء الحرب المهولة التي انتشبت سنة ١٨٧٠ بين فرنسا وبروسيا . وما عقب ذلك من الخراب والدثار ووقوف دولاب المعاملات . وهكذا قد جنحت الى الانفراد وطلبت الخلوة في نفسي فهرعت الى البرية تحت سكوت الليل وسكينة الخلاء . ورحتُ اتخطر على سفح قويق اذ كانت سفينة هذه الدنيا تطير في محيط الفضاء امام مهبّ رياح الطبيعة باجنحة ذلك الشراع الابيض الذي كان القمر ينشرهُ عليها . وكان الرقيع صاحياً والاثير صافياً . ولم يكن كدرٌ يشوب عيون السماء . فاخذ خاطري يروق وعروة انقباضي تنفصم . وكأني بقتام مكفهرّ اخذ يتقشع عني وما زلت ان ملت الى الجلوس فتوقعت صخرةً اقسى من قلب الزمان وتبوأتها كانها عرش سلطنة وكاني سلطان . وطفقت قريحتي تترنح بنسيم الشعر لدى طلعةِ خليقةٍ لا يخامر بشاشتها وجوم . ولا صفاءها كدر . ولا سلمها حرب . اخذت عيني التفاتةً الى جهة المدينة واذا بشبحٍ يدنو من مكاني فقلت في نفسي ترى من اي الثقلين يقبل اليَّ هذا الشبح وما برحتُ مرشقاً طرفي حتى اقترب مني وزايلني الريب . واذا هو صديق لي يحييني بالسلام . فجاوبتهُ

بتحيتي وقلتُ لهُ ما شأنك ياصاحبي تسرب مثلي في هذه البيداء
لعلك كنت قلق البال نظيري . فقال لا . ولكن قد اوحى اليَّ
هذا البدر السافر ان اسرح تحت انوارهِ على هذا السفح . وها يد
الحظ قد جمعتنا هنا . فنعم الصدفة . ثم جلس جانبي وآنس
وحشتي . وبعد فترة السلام والجلوس اخذنا نتعاطى كؤوس
الحديث ونتداول اطراف الكلام . حتى افضت بنا المحادثة الى
المخابرة في وقائع الحروب الثائرة الآن ومن ذلك انتهينا الى الكلام
على احوال الانسان في هذا العالم . وما يطرأ عليهِ من الكوارث
والغير وعلى ما يقاسيهِ من تقلب افاعي الايام على رأسهِ وتلاعب
الصدف والاقدار بحياتهِ . وفي اثناء المناقشة شعرت ان
الانقباض الذي كان يضغط نفسي كاد ان يرجع فيتمكن منها .
فقلت لصاحبي كفى ناشدتك الله من احاديث الوبال . فان
عياءها جرى بكل جوارحي . وما لزمت الانفراد الليلة الاَّ املاً
بان هذا الجوّ الصافي يجلي عن قلبي صدا الكمد . فدعنا نغتنم
لذة هذا الوقت العذب عساهُ يطيب خواطرنا . والينا عن الجد
بالهزل . وعن الشجون بالمجون . فاجابني ما لنا وللهزل والمجون .
دعني اقصُّ عليك رواية قد سمعتها امس بكرة من رجل لا اعرفهُ

من ذي قبل. فانها رواية تجمع كل مايلذ الانفس ويروق الخواطر وهي وان كانت لاتخلو من بعض الاحوال التي يتعاقب عليها الانقباض والانبساط عذبة للسمع ومفيدة بما فيها من عجائب الصدف وغرائب الاتفاق وما يتقلب بهِ الدهر. واذ قال هذا لم اتمالك الآن ارى نفسي مشوقًا الى استماع روايتهِ بكل طرب. وقلتُ لهُ هاتِ ما عندك من الحديث ياسمير الخير. فتنفس الصعداء وبرقع الاصفرار وجههُ واخذت الرعدة بشفتيهِ. والجلجة بلسانهِ. وبردت يدهُ التي كانت بيدي وفاضت عرقًا باردًا فقال

الفصل الثاني

حديقة خلاص

انت تعلم ياعزيزي وقائعي في عشق سُعدى. ولك المامٌ بكل حوادثهِ. فمنها ان الرقاد قد نفر عن عيوني بارحة امس. ولم يؤالف الغمض بين اجفانها. فما زلت حليف الأرق حتى انفلق الصباح. فانحدرتُ من سريري وارتديت ثيابي عجولاً. واطلقت المسير الى حديقة خلاص ولا بدع ان العاشق المغبون يهوى الاصطباح في الحدائق والرياض. ويودُّ ان يتنفس انفاس

السحر. اذ يخال ان في ذلك تنفيساً عن كربهِ وجلاءً لصدى قلبهِ. ولما ولجتُ الحديقة. قابلتني الطبيعة بكل اطايبها وعذباتها. فان الوقت كان بهجاً. وكان الشرق يرمي عن اقواس الفجر احشاء الغلس بحراب النور. وكانت ايدي الغمام المرجحنّ تنثر فرائد الندى على ذلك البساط السندسي الذي فرشهُ الربيع على اديم الارض منقشاً بالوان تلك الزهور البديعة التي لم يقدر سليمان مع كل مجدهِ ان يصنع نظير واحدةٍ منها. اما الاغصان فكانت تزيد في رقصها على نغمات الطيور ابداعاً واغراباً كلما قبلها النسيم وصافحها طرباً. وهكذا فكنت ارى ان الطبيعة كلها ترقص امامي سروراً وحبوراً ونعم ما قالهُ الشاعر

تبسم الشرقُ عن السحرِ فاشرق البشرُ على البشرِ
وخبّر الدنيا بخفض الدجى فارتفع الصبح على الخبرِ
ومُذْ علتْ امواجُ بحر السنى غرّقنَ حتى زورق القمرِ
واعين الزهر افقنَ وقد نامت عيونُ الانجم الزهرِ
وافترّ عن برد ثنايا الندى ثغرُ شقيقٍ زينَ بالعنبرِ
والوردُ قد قام على عرشهِ يزهو بتيجانٍ من الدررِ
والطير في الافنان تترك من فنونها معبدَ في حيرِ

اما نسيم الروض فهي سرت ترثم انف الكون بالعطرِ
والنهرُ تكسوهُ دروعـاً اذا رنت عيون النرجس النضرِ
صبحٌ بهِ الاكوان اجمعها صفت فلا شيءٌ من الكدرِ

ثم اخذت اطوف ارجاء الحديقة واجوب جوانبها متاملاً بجمال الخليقة وكمالهـا المتقن وانا اسبح من قال فكانت وامر فخلقت

اما ذكر سعدى فما كان يفارقني وكلما كنت اطلب الى عرائس الطبيعة ان تزيلهُ عني كانت تزيدهُ تجنُّناً وتمكناً . وتتلو عليَّ احاديث جمالها . فالبان يحكي عن قوامها . والورد يروي عن خدّها . والنرجس عن عيونها . والاقحوان يعرّض عن ثغرها . والنسيم يشرح عن رقتها . وعبير الخزام يعرب عن نكهة انفاسها ولذلك كانت اقدامي تسرع تارةً وتبطئ أُخرى . وكانت سحنة التفكر والهجس مبرقعة وجهي وكلما كنت ارسل نظري الى شيءٍ كان يثبت عليهِ كنظر المتعجب او المنتقد

وفيما كنت على هذه الحالة اذا كهلٌ لاقاني وانا غائب عن وجودي وشارد عن شهودي . فبادرني بالسلام . واما انا فاثبتُّ بهِ نظري كمفترس ولم اردَّ عليهِ السلام الاَّ بعد بضع دقائق .

وذلك بصوتٍ عالٍ ومختصر كما يفعل كل من يكون نظيري غائب العقل حاضر الذهن . الاَّ انني استسمحت منهُ عن قصوري وغرابة حركتي فقال لي مبتسماً لا بأس عليك وبئس من يعتب عاشقاً . ثم داوم سيرهُ . فتوقفتُ عن جوابهِ وانتبه ذهني من غفلتهِ . وما تمالكتُ الاَّ اقفو اثرهُ . حتى اذا ما دنوت منهُ صدراً العجز لفت اليَّ والقى عليَّ نظرة المؤانس والقيت عليهِ نظرة المستأنس فقال مرحباً بسراج الليل وطافح الكيل . فقلت اهلاً بسؤل المنكمج ونديم المصطبح فبشَّ وقال . انَّى علمت انني نديم . فقلتُ اعلمني سنّك ووقار منظرك وحسن جوابك اما انت فكيف علمت بانني عاشق وقد احييت الليل كسراجهِ وطفح كيل غرامي مع انهُ يظهر لي انك لست من هذه الديار . فهزَّ راسهُ وهمهم ثم قال هلاَّ يؤخذ من ملء شبابك ومباكرتك الحدائقَ واكتحال عينيك باثمد السهر وغيابك عن حضورك دلالة على العشق والغرام كدلالة الدخان على النار والعبق على الطيوب . اما قال الشاعر

دلائلُ العشق لاتخفى على احدٍ كحامل المسك لايخلو من العبقِ

وحقّهُ ما لحظت انت ايضاً فانني لست من هذه الديار بل من بغداد . وما اتيت الشهباء الاَّ للسياحة . لان نصيبي من هذا

العالم وطّن نفسي على ذلك. فحسّن لي جوابُ هذا الشيخ صلة التخطر معهُ وكبّر قدرهُ لديَّ اذ تيقنتُ انهُ رجل طالما عارك الدهر وصارع الحوادث فكان بالاحوال خبيراً

وبعد سكوتٍ ما قال هل لك ان تناجيني باسرار عشقك اذا كنت اصبتُ بهِ ظناً. فترددَّتُ وجمجمت اذ قلت في نفسي ما اغناني عن ان اكاشفَ امري رجلاً لا معرفةَ لي بهِ. ولا اجل لصحبتهِ سوى ساعةٍ. وما الانتفاع بهذه المكاشفة وربما يحسبني طائشاً ويستخفُّ بعقلي اذ يستطلع اسراري ويستبضع افكاري لدي الطلب بدون ان يكون بيني وبينهُ سوابقُ ولا لواحق. واذ رأى تردُّدي وجمجمتي قال اراك جبان اللسان وشجاع القلب نظير كل كلِف. الاَّ انك مصيب بترددك عن مكاشفتي لعدم معرفتك اياي. وما سألتك ان تناجيني بنجوى هواك الاَّ للمسامرة ولا لحب الاستقصاء عمَّا لا يعنيني او لكي اتذكر ايام غرامي مذ كنتُ اسحب مطارف الشباب القشيب. وما كان يجري على رأْسي من حوادثهِ فاشرح هواك فكلنا عشاق* وفيما نحن في هذا الصدد وجدنا انفسنا على عراق النهر وهناك بقعة تردَّت بالنفل الاخضر. فقلت لصاحبي هلمَّ نجلس قليلاً على هذا الفراش النضير

تلقاء هذا الغدير. فاجاب وجلسنا واخذت طيور انظارنا تغفُّ على تلك الجامدات التي كانت تبثق روح الحيوة. اما انا فرجعت اهوي في مهاوي الهوادس والهواجس واتوغل في عباب التفكر. حتى اذا ما رآني جليسي هكذا هاويًا ومتوغلاً نهض واراد فراقي. فصحوتُ اذ ذاك وقلت لهُ اما راقتْكَ مجالستي. فقال نعم لان مَنْ يكن فكرهُ سميرهُ لا يودُّ سميرًا ومن كان قلبهُ جليسهُ لا يحب جليسًا. فامسكتُ بردنهِ واجلستهُ وقلت لهُ الحق بيدك. وما تعمدت عن انسك شرودًا. فقال ناشدتك الله قل لي ما بك ومَنْ. فلعثمت ايضًا فقال قل عسى اكون مفيدًا لك او مشيرًا ونستوفي حظ المفاكهة فعند ذلك عمدت ان اخابرهُ بما عندي وجعلت اقول

الفصل الثالث

العبرة

اعلم ياصاحِ لاجهلتَ علمًا. ان صاحبًا لي حضر عندي ذات ليلةٍ وطلب اليَّ ان اذهب لتقضية الليلة عندهُ فرجوتهُ ان يعفيني لانَّ داعي الرقاد كان الحَّ عليَّ من داعي السهاد. فابى

اعفائي وقال لا بدَّ من ذهابك معي فترى حظًّا . لان الموسيقى ستصدح الليلة عندي . ولما لم اجد ذريعة الى الفرار من طلبهِ لبَّيتهُ وذهبنا يدًا بيدٍ . وحين دخلنا الدار لم اجد احدًا سوى اهلها وكانوا في اهتمام فعلمتُ انهم يتاهبون لقدوم ضيوف كثيرة . فسالتهم لمن هذا الاستعداد الحافل فاجابوا لعروس ازمعت ان تزورنا الليلة مع قومها . وها نحن نستعد لعبرتها . فالتفتُّ الى صاحبي وقلتُ لهُ لماذا لم تخبرني بحقيقة الامر فانا لا اودُّ انتظم في سلك جمعٍ كبير ربما لا اعرف اكثرهُ كما تعهد عادتي فدعني ارجع الى بيتي واعفني من احتمالي ما سيستتب عندك من ضوضاء العادات التي يمجها ذوقي ولا ارى منها حظًّا . فقال لا بدَّ من ان تمضي هذه الليلة عندي . واظنُّ انك لا تصادفُ ما يزعج سرك

وبينما كنا نتكلم في هذا الشأن ونحن في فناء الدار . اذا الباب يُطرَق بقوَّة . فاسرع الخادم الى فتحهِ واخذ الطارقون يدخلون وكانوا نحو عشرين نفسًا بين رجال ونساء . وكانت العروس في مقدَّمهم والعريس في موَّخرهم . فقابلنا بعضنا بالسلام ودخلنا جوقًا واحدًا الى قاعة الجلوس . واخذ كلٌّ يجلس حيثما يتيسَّر لهُ بعد ما اجلسوا العروس في الصدر . وفي اثناء ذلك

حضر الضاربون بالآلات وجلسوا في محلهم . وبعد قليل من السكوت الذي كان يتخللهُ قراقع الاراجيل التي تقدمت حالاً في خلال الترحُّب شرع الضاربون يصلحون آلاتهم . اما انا فكنت انظر الى الحاضرين نظر المبهوت . لان اكثرهم لم يكن من اصحابي . واتفق جلوسي امام غادةٍ بديعة الجمال . وجنب رجل كامل السن فاخذ هذا الرجل يجاذبني اطراف الحديث . وكلما كنت اسرق نظرةً ممَّن امامي كان يستردُّها باستلفاتهِ عيني الى حديثهِ الذي قلما كانت تنقطع صلتهُ . حتى لم يدعْ لي فرصة للسمع ولا للنظر

وكان لباس هذا الرجل على الزي العتيق . فثوبٌ طويل تنسدل ذيولهُ على شخشير احمر ينتهي مقطباً بستٍ اصفر . وهذا الثوب ينحصر بزنار يستعرض بين الشراسيف والقص محيطاً بكل الكشح ويعلو ذلك قرطق عريض ذو اكمام تبتلع فارساً برمحهِ لشدة عرضها وانفراجها . وعمامة على راسهِ تحكي غمامةً على قمة جبل لشدة ضخمها وثقلها . وكانت علبة السعوط بيدهِ اعلق من الابرة بالمغناطيس . وهو يحشو منخريهِ منها كلَّ لحظة عين . حتى ان رائحة انفهِ كانت تهزّم روائح العود والندّ . وكادت

تخنقني اذ كنت اليها اقرب من غيري وتهيج بي العطاس على عدد الدقائق . حتى صار شغلي التنخم ومسح اعيني المغرغرة بالدموع . وكنت ارى في ثغر الغادة التي كانت امامي تبسماً يومض برقهُ كلما ارعد عطاسي وهمع دمعي . وكلما كان يفتح علبتهُ ويعرضها عليَّ لاشاركهُ بحظ التنشق كان تبسُّم الغادة يستحيل الى ضحك اذ تراني اعرض عن هذه المشاركة مستكثراً بخير الداعي اليها . وانا اتنغص واتلوّى واميل بوجهي الى الجانب الآخر محوقلاً ومسترجعاً . الاَّ ان الاستحياء كان يعارض ضحكها فتضع المنديل الابيض على ذلك الوجه الجميل الذي كان لهيب الخجل يشبُّ من ماء رونقهِ الصافي

واذ فار دماغي بحرارة النزق واخذَتْ هذه الازمة بي كل مأخذ . قمصتُ فوراً وهممت ان اخرج خارجاً . فامسك ذو العمامة بذيلي وقال اين تذهب . فقلت لهُ اروم الخروج الى صحن الدار قليلاً لأتنفس خليص الهواء . اما ترى المكان قد غص بالدخان وانقد بحرارة الانفاس . فقال نعم ارى ذلك وها انا رفيقك بالخروج لنتمشى برهةً تحت السماء . ونهض بعمامتهِ نهوض الجمل بحملهِ الثقيل . اما انا فمرقت كالسهم . وزلقتُ الى الخارج قائلاً

في نفسي يا للمصيبة بدون ان يشعر بحركة اقدامي · اما سميري فهرول اليَّ بشخشيره وذيوله الطوال ليرهقني فقلب ثلث ارجيلات باطراف قرطقه ولارتياعه ودهشته عثر بذيله ووقع شطحًا فانكسر غليونهُ تحتهُ وطارت البودقة على عجوز كانت هناك · فقام الصياح والضجيج في القاعة وتقاطرت النساء والرجال يتزاحمون ليلتقطوا بايديهم جمرات الاراجيل ما خلا العروس التي أُغمي عليها · وصار كلٌّ يمنع الآخر ليفعل هو حتى اكلت النار نصف البساط وحرقت اناملهم · واما العجوز فكانت تولول على ثوبها الجديد وتصيح تعالوا اليَّ فقد احترقتُ الحقوني خلصوني · اما صاحبي ذو العمامة فارجعهُ الخجل الى محله بعد ان تنفض وتعمم · واما انا فكنت انظر من خلال الشباك الى هذه الحادثة واقهقه · واما الغادة التي كانت قبالتي فقد صبغت وجهها صفرة الوجل واطرقت خجلاً فما حسن لدي وجل الشمس ولا اطراق النرجس ولما سكنت الضوضاء وعاد كلٌّ الى محله وافاقت العروس من اغمائها ورجع العازفون يعزفون جاء المضيف اليَّ وقال ارجوك ان تدخل وا خجلي منك · فقلت لهُ لا ادخل ما لم تقل لي من هذا الغليظ الذي صارت رشاقتهُ سببًا لهذه الوعكة والذي

ازهق روحي بقعودهِ جانبي وبحديثهِ وسعوطهِ فقال لي ان هذا الرجل هو عم العروس وابو الصبية التي تراها امامك · فشكرتهُ ودخلت القاعة حالاً فنهض الجميع لدخولي اجلالاً واكراماً · فاستعذرت منهم ونسبت الى نفسي تسبيب الخطب · ثم عمدت الى الجلوس جنب عم العروس وانا افكر جديداً في شانهِ · وشرعت اتلطف بهِ واستعذر منهُ والوم نفسي · فلما رأى مني ما لم يرهُ قبلاً انعطف اليَّ بكل حواسّهِ وصار يعتذر اليَّ ويرفع التسبيب عني اليهِ · ثم قال انكم يا تابعي زي البنطلون وان صرتم تشبهون اللقلاق اذا انتصب على قايمتهِ لا يخلو كسمكم هذا من لطفٍ في بعض الاحوال · فاني لو كنت ذا بنطلون نظيرك لما جرى ما جرى · ومع ذلك فلا اغيّر كسمي البتة · لان هيبة الرجل بعمامتهِ ووقارهُ بثوبهِ الطويل وبمقدار التخفيف عن راسهِ يخف عقلهُ · فسلمت لهُ حالاً وجعلت امدح ذكاءهُ ورزانة عقلهِ · اما هو فسرَّ بذلك للغاية وانهدلت شفتهُ السفلى من شدة تاثير السرور فعلمت للحال انهُ يحب الاطراء · وهذا شأن كل ناقص عقل · اما انا فلا احبُّ ان اطريَ انساناً ولا اضحك على انسان . الاَّ ان نظرات تلك الاعين التي هو والدها كانت تدعوني الى ان اجعل

نفسي مقبولاً لديهِ ومحبوباً منهُ واتطور بغير طوري . وحقًّا انها كانت ترنو اليَّ بطرَف طرْفها الكحيل كلما كنت اسرق نظرةً منها بعين لا يفتر عن معارضة طماحها ترفع النفس عن استبداء الهوى . وهذا حال كل من ينفر عن الذل

وما زلنا هكذا حتى عطس انف الصباح وتمخض الشمل عن البراح . فانفصمت عروة الاجتماع . وذهب كلٌّ يعدو الى بيتهِ . اما عم العروس فامسك بيدي . ورافقني تاركًا امرأتهُ وابنتهُ يذهبان وحدهما . اذ انهُ كان يتلو عليَّ قصةً طويلة اقتضت ان يرافقني لاجل تميمها وهي عن زواجهِ وترمُّلهِ في ازمير . ولما بلغنا الى محلي كلفتهُ الدخول لشرب قهوة الصباح فتمنع قليلاً ثم دخل وناولتهُ كرسيًّا فجلس امام جنينة الدار . وفعلت انا نظيرهُ بعد ان نبهت الخادم ليؤتينا القهوة . وبعد شربها وتميم حديثهِ نهض الى الذهاب والحَّ عليَّ ان ازورهُ . وهو يُظهر لي شدة ميلهِ الى صداقتي فاوعدتهُ بذلك بعد ان استعلمت منهُ عن محلهِ وهكذا انفصلنا

الفصل الرابع

الزيارة

وبعد مضي ثلاثة ايام وانا على مائدة العشاء سمعت الباب يُطرَق وبعد ان فتحهُ الخادم هرع اليَّ وقال صبيٌّ على الباب يرغب ان يكلمك فقلت لهُ ليدخل اليَّ هنا فذهب ودعاهُ فدخل واذا بيافعٍ يقول لي يرجوك والدي ان تشرفنا هذه الليلة للسهرة فتفرستهُ قليلاً ثم قلت لهُ من هو والدك فاجابني فلان واذ علمت انهُ عم العروس قلت لهُ سأتشرَّف سلم على والدك فقال لي انا انتظرك لنذهب معًا ثم جلس على كرسيٍّ كان منفرداً في مخدع المائدة فما صدَّقتُ ان نهضت عن الطعام وبعد ان غسَّلت يديَّ وعطَّرتهما نظير المتخنثين المتأنثين خرجنا من داري وسار اليافع دليلًا امامي واذ بلغنا الدار التي لم تكن تبعد عن محلي اكثر من مائتي خطوة قرع اليافع الباب فانفتح للحال ودخلنا فاستقبلني رب البيت باشًا مسرورًا وادخلني احد المخادع المفروشة وجلسنا وبعد برهةٍ دخلت امرأتهُ واسترحبت بي ثم جلست قبالتي وفيما كنا نسلّم على بعضنا ونتكلم اذا ابنتهُ تلك الغادة الحسناء دخلت تسحب اذيال التيه والدلال هضيمة الكشح ريَّا المخلخل فمدَّت اليَّ

يدَها فاعطيتها يدي للحال وتبادلنا السلام ثم جلست عن يميني
فلا اقدر ان اصفَ ما تحرَّك بهِ قلبي عند ما لمست يد هذه الغيداء
وشعرتُ بعرق بارد يفيض منها لانني استبشرتُ بشبوب حبٍّ
مشترك اما امها فقد ظهر لي انها من الرعاع وذلك من منظرها
وحديثها فان وجهها كان متجرّدًا عن كل سمة تنبئُ عما تنبئُ عنهُ
وجوه الاكابر من الوقار والشرف اللذين ترسمها على لوح المحيّا يد
التربية والتهذيب وان حديثها لم يكن سوى عبارات سافلة المعنى
واللفظ فاول عبارة فاتحتني بها كانت سؤَالها عن عشائي ثم عن
حرفتي ثم عن ملابسي. ومنها استطردتْ الى الاطناب والاسهاب
في اتقان ملابسها وملابس اولادها ولذلك تعين عليَّ الصمتُ
وهزُّ الراس . وفي اثناء حديثها كانت غلبة الرقاد المتخمر بروح
الكرمة تقلّب راس زوجها الى اربع جهات جذعهِ . وما زالت
قناة الوسن تدير رحى راسهِ حتى اندفع تيار الهجود واوقفها على
منكبيهِ بدون حراك. فجعل يتشهق في غطيطهِ فقالت لابنتها قومي
ياسعدى واجعلي على والدكِ غطاءً كيلا يبرد . فنهضت نهوض
الغصن بكثيب وتممت امر والدتها ثم رجعت ملتفتة اليَّ وقالت
نرجوك عدم المؤَاخذة . فان والدي هذه عادتهُ يحبُّ السهر ولا

يستطيعهُ (وهذه اول عبارة وجهتها سعدى اليَّ) فاجبتها يوجد
كثيرون لهم هذه العادة فلا باس عليهِ بذلك . وقلت بنفسي هذا
جُلُّ المراد . وعند ما جلستْ حيث كانت املت بوجهي اليها
وقلت الآن علمت ان اسمكِ السعيد هو سعدى . ونعم الاسم
المشتق من السعادة . فرمقتني بطرَف عينها ووجهها يتخضب
ويتضرَّج . وقالت هو اسم على غير مسماهُ . فقلت لها وما الطف
هذا التواضع الذي زينتِ بهِ اسماً فاق في مسماهُ كل الاسماء فقالت
ان بداهة جوابك وجودة سمعتك تمنعاني عن ان انسب جوابك
هذا الى اطراء او تمليق كما يفعل اكثر الشبان اذ يتكلمون مع احدى
البنات . فقلت لها معاذَ الله انا لا اتكلم الاَّ الحق ولا سيما مع عذراء
نظيركِ يشهد كلامها وحسن محاضرتها على تهذيبها وذكاء عقلها
ولما سمعت والدتها مساجلتنا لم تفهم جواب ابنتها . فطلبت منها
تفهيمها . واذ افهمتها المراد بابسط الالفاظ . قالت لها والحال ان
اباكِ لما احبني ما كان يملقني لانهُ كان يقول لي . لا يوجد اجمل
منكِ في الدنيا ولا احسن ولا الطف ولا احلى ولا اظرف ولا
ارشق . ويدكِ مرآة لكل الجميلات وما وجدتُ اذكى من
عقلكِ ولا اخفَّ من حركتكِ وكلكِ جميلة وليس فيكِ معاب

ويثبت كون كلامهِ هذا ما كان تمليقاً انهُ تزوج بي . فقاطعت سعدى حديث امها وقالت ان المحبَّ لايرى ما يراهُ المنتقد . فلا تكون عينُ المحب شاهداً عدلاً . واذ كانت سعدى تتكلم هكذا كنت اقول في نفسي لاريب ان هذه الابنة نبيهة ومن اجوبتها يظهر انها متدرّبة في المعاشرة . فهي تحكي ورداً من شوك ونرجساً من بصل . الآنَ الظنَّ بوجود اليف لها خامر ضميري واوقف حركة استعدادي وعمدتُ في نفسي ان اسبر هذا الغور في غير جلسة فاقترحت غير موضوع للحديث وجعلت اتكلم فيهِ وعيني تنتقد جميع حركات سعدى وكل اطوار وجهها . وكنت امازج حديثي بمسائل ادبية وقواعد طبيعية وكانت تفهم البعض منهُ

وما لبثنا ان انتقلنا الى الكلام على الحب وكيف يبتدئُ وكيف ينتهي . وقلت ان الحب هو زينة النفس وانهُ مزية كل ذي حسٍّ تام وهو خلة يتميز بها الانسان عن البهيمة الى ان قلت ان الانسان الذي لا يحب يكون ناقص الطبيعة فلا بدَّ لكل ذي طبيعة من ان يكون ذا الف . هنا قاطعتني سعدى وقالت هل يقتضي ان يكون الحبُّ مشتركاً دائماً بين الشخصين . فاحجمت نفسي عند هذا السؤَال وتحيرتُ في فهمهِ لانني وجدتُ فيهِ التباساً

وابهاماً فهو يحتمل ان يكون منافراً عزة نفسي ويحتمل ان يكون موافقاً اياها . فهل هو تحبيب ام تخبيب لا اعلم ولذلك اجبتها مستعيراً لسان المهذار هكذا ان الحب اما انهُ يكون قلبياً واما انهُ يكون مزاجياً . فالاول يتميز بكونهِ لا يحدث الّا مشتركاً فمتى رنَّ صوتهُ في قلب احد الشخصين استرجع صداهُ من قلب الآخر . وهكذا يجمع بين القلبين . والثاني يتميز بكونهِ لا يحدث مشتركاً فلا يستلزم وجودهُ في الآخر . لان وفاق القلوب سهل لعدم مقدرة التربية على افساد طبائعها . اما وفاق الامزجة فهو صعب لكون التربية قد افسدتها واحالتها . وجعلت كل انسان ان يتخلق بمزاج يغاير مزاج غيرهِ . فاذا كان زيد يحب فاطمة لانها جاءت وفق مزاجهِ فلا يقتضي ان يكون محبوباً منها بالمشاركة . لانهُ قد يكون غير آتٍ وفق مزاجها . ولا اريد بالمزاج هنا ما تفهمهُ الاطباء من قبيل تغلب الانسجة او احد الاخلاط بل ما تفهمهُ الحكماء من قبيل تغلُّب بعض الاخلاق التي يطبعها في الشخص سلوكهُ وتعودهُ وما يقتبسهُ من التأديب والتهذيب . وهذا الحب المزاجي لم يكن معروفاً عند الانسان القديم لعدم توغلهِ في هذا التمدن الحديث . ولذلك فاننا نرى هذا النوع من الحب يقوم

كثيرًا بين البسطاء والساذجين . كما ان النوع الآخر يتغلب قيامهُ بين المتفقهين والمتثقفين وهكذا فلا يجب ان يخال الانسان نفسهُ محبوبًا ممن يفاوضهُ بامر المحبة ما لم يستقصِ صدرهُ بآلات الاختبار والامتحان والاَّ فقد يرجع مغبونًا وهذا جوابي

ولما انهيت كلامي اطرقت بناظريها وضربت في وادي التفكر . وريثما مرَّ السكوت على شفاهنا افاق والدها من رقادهِ او بالحري من خمورهِ . واخذ يعتذر مني ويلوم عادتهُ وهو يتسعط وبعد قليل من التكلم معهُ قرع نصف الليل فوثبت حالاً وقصدت الانصراف فالحَّ عليَّ ان اقيم ايضًا فابيت وخرجت بعد ان صافحت سعدى وامها

الفصل الخامس

الهجس والأرق

واذ بلغت داري ودخلت حجرة الرقاد شعرت بزهاق عظيم خامر روحي وقنوط مكرب قبض على قلبي وذلك عند ما رأيت فراشي متاهبًا الى تسكين جوارحي الراقصة وتخميد جوانحي المتقدة واذ اجتسيت اجفاني لم اجد فيها لحركة الكرى اثرًا فما كان مني

الآن خلعت ثياب القوم ولبست ثياب النوم وصعدت على السطح اذ كان القمر يبيض وجه الدجى والنسيم تلطف شواظ الجوّ فاضجعت على وسادة اتاني بها الخادم واخذت اغوص في لجة افكاري الجديدة فانتصبت امامي صورة سعدى وشرعت تنفث في عقد ضميري سحرًا لم يخطر على بال هاروت وحقًّا ان في وجه هذه العذراء جمالاً لم اعاين نظيرهُ في وجه غيرها مع ان كلاًّ من اعضائها لم يكن منفردًا في جمالهِ وطالما رأيت نظيرهُ واحسن منهُ . الآن مجموع هذه الاعضاء في تناسب اوضاعها وحركة كلٍّ منها اقام جمالاً لم اجد اكثر منهُ فعلاً على قلبي . فكأن جميع اطوار وجهها تدير عليَّ كؤُوس الهوى . بيدَ انها لا تسمح لخمرانها ان يصحو ساعةً واحدة . ويا لحيرتي وكدري اذ كان يتردد على خاطري الظن بوجود اليفٍ لها يشغل قلبها عن غيرهِ . ولا جناح عليَّ اذا خامرني هكذا ظن لانني رأيتها تشبه بنات المدارس في تهذيبها وآدابها وصقل عقلها مع انها لم تدخل مدرسة ولا قرأت على استاذ كما اظن . فلا بد وان يكون لها محبٌّ اديب بثها شيئًا من روح الادب لقضاء لبانةٍ وارب

وبعد ان انهك عزمي هذا الهجس واوهن دماغي نزلت عن

السطح اذ اوشكت ان تنفجر ميازيب الفجر ودخلت مخدع نومي وانطرحت على الفراش صريعًا وما كان الغمض يمرُّ باجفاني الاَّ كالخائف الوجل. وما زلت حليف هذا النزاع حتى قرع الباب وكان الضحى مرتفعًا. واذ فتحهُ الخادم سمعتهُ يقول. لم يقم بعد فحدثني قلبي ان ابا سعدى هو القادم. فصحت بالخادم صيحة رنَّ لها كل خزف الرفوف وقلت لهُ كلِّف الخواجا ان يدخل. ولما دخل قابلتهُ بثياب النوم وكلفتهُ الى قاعة الجلوس فاخذ يستعذر مني لقدومهِ تبكيرًا واخذت استعذر منهُ لنومي الى الضحى وصرت اذمُّ حرَّ الليل الذي بلاني بالأَرق واقول في نفسي لا بل هذا حرُّ العشق. ثم رجعت الى مرقدي وارتديت ثيابي وعدت اليهِ في فرح وجذل. وترحبت بهِ ايَّ ترحُّب وجلست جانبهُ. فقال وايم الله ان صحبتك صارت عزيزة لديَّ فلا افارقها ابدًا وسنتزاور كل يوم

ثم اخرج علبة السعوط من جيبهِ وجعل يشمُّ ويتنخم وجعلت من نظري اليهِ اشاركهُ بالتنخُّم واضاربهُ بالعطاس حتى نفض راسي ثقل الارق. وكان ذلك منهُ فضلاً عليَّ ثم بعد ان تحادثنا ساعةً نهض الى الذهاب وهو يقول لي ارجوك ان تشرفنا في هذه

الليلة والحَّ عليَّ حتى اجبته بالايجاب . وما كان الامر ليقتضي الحاحًا . وان اشارةً كانت تكفي وربما لم يكن اليها حاجة لان العشاق قد يتغاضون عن شرف انفسهم مع انهم يدَّعون شدة الانتباه اليهِ ولذلك فطالما وجَّهوا خطواتهم الى ما يغاير اخلاقهم وينفرون عنهُ اذا كانوا خالين وكثيرون منهم يسترسلون الى الذل في العشق مع انهم لا يرضون الذل في غير امر ولو قُبروا . فكم منهم كريم وعزيز وعاقل وغني ولطيف وجد لدى الاذلاء واللؤماء والجهلاء والفقراء والثقلاء ذليلاً ولئيمًا وجهولاً وفقيرًا وثقيلاً . واذا لم يكن ذلك لدى نفس معشوقهِ فقد يكون لدى اهلهِ وجيرانهِ وهكذا فمن الواجب ان يقابل الانسان ذاتهُ مع من يتأَهب الى عشقهِ ومع اهلهِ واقاربهِ ويقارن احوالهُ باحوالهم واطوارهُ باطوارهم فاذا رأَى نسبةً ووفاقًا فليتقدم الى مأْدبة المعاشرة والاَّ فليجتنبها كيلا يرجع بصفقة المغبون اذ لا يعود يفيدهُ الندم لان الحب متى ارسل دقائق اصولهِ الى اقاصي القلب عجزت كل القوات عن اقتلاعهِ . فهل انا الآن متمسك بعروة هذه المبادي لا اعلم بيدَ اني مصمم ان لا ازور سعدى ما لم يزرني ابوها لتكون زيارتي وفاءً لا دينًا

فما صدقت ان وقع الليل وتناولت طعام العشاء الذي لم اعلم طعمهُ لشدة انشغال خاطري وهيجان شوقي . ولا بدع ان وظائف الحواس الباطنة اذا اشتدَّ انشغالها شاركتها وظائف الحواس الظاهرة لعظم ميل الظاهر الى مركز الباطن . ثم اخذت اعدو الى بيت صديقي الجديد فطرقتُ الباب بغير ترتيب كما يفعل ظرفاء اليوم . ولما فُتح لي اشعرت ان قلبي خرق صدري باشد ضربة وفرَّ من سجنهِ . ورعدةً هائلةً ارعشت جميع مفاصلي وسلاسلي لان وجه سعدى قابلني ويدها مُدَّت الى يدي . ثم دخلت وانا احاول ان اخفي ما لا يقدر على اخفائهِ بشر . فقابلني ابوها وامها بكل اكرام . الآن امها يصعب عليها تأدية الاكرام الواجب لعدم تعوُّدها عليهِ . فكان قلها ينزل عندي منزلة كثرها . واذ ولجنا مخدع الجلوس لم يكن هناك نور فاسرعت سعدى للحال واوقدت النبراس وهي تخطر كالغصن وتلتفت كالغزال فجلسنا وشرع ابوها يتحادث معي ويتنشق وجعلت امرأتهُ تعارضهُ وتقاطعهُ لتفتح الكلام على ملابسها ونظامها وترتيب بيتها واتقانهِ وما يتعلق بذلك بينما كانت سعدى توعز الى امها بالسكوت عن اشارات الحواجب والاعين تحت برقع الاحترام . وفي اثناء الحديث غاص

الرجل في سباتهِ كالعادة وما عاد يُسمع لهُ صوت . فنهضت الامرأة لتأتيهِ بغطاء . اما سعدى التي جلست جانبي فرمقتني باعينها وقالت وهي تشمُّ زنبقة في يدها هل تحب عرف الزنبق . فقلت نعم احبهُ غايةً واحبُّ لونهُ ايضاً . لان الواحد شاهد الوداد والآخر شاهد الطهر . ولكن اي الزنبقين تعنين . قالت اعني بالزهرة المحمولة لا باليد الحاملة . وابتسمت ابتسام الساخر بنفسهِ او المليح عن فهمهِ . فقلت لها انا افضّل الحاملة على المحمولة لان بياضها لا يتدنس ورونقها لا يذبل وضوعها لا يضيع . واذ اعجبني جوابها قلت في نفسي يا للعجب كيف تدري رموز الشعر وتفكُّ طلاسمهُ . وفي سياق كلامنا دخلت امها بغطاء والقتهُ على زوجها وجلست قبالتنا لتسمع الحديث فتجهل المعنى . واذ نترعتُ الى مفاتحة سعدى بكثيرٍ من المعاني الشعرية للوقوف على معارفها التفتُّ اليها وقلت لها انني احبُّ غير زهور ايضاً نظير النرجس والورد والياسمين . فقالت ووجهها يتقد بالهوب الحياء والشباب ومعاطفها تترنح بنسيم الدلال الرشيق لعلك تحب الاعين والخدود والجبين فقلت منذهلاً من جوابها نعم احب هذه الزهور ولكن ليس من كل جنة . فاجابت على الفور ليت شعري اي جنة انت تحب .

فاجبتها احب الجنة التي لا تنفتح ابوابها لغيري ورضوانها امين . فقالت وهل اذا فتحت لك هكذا جنة ابوابها تدخل امينًا ولا تدعس ازهارها بنعليك . فقلت لها وانا اجدُّ بالقول معاذ الله ليس ذلك من شيمي وما كنت لأخون جنة فتحت لي ابوابها ولن يدخلها سوايَ . فاطرقت قليلاً ثم قالت كيف هذا ودأْب الرجال التنقل وعدم الثبات فنظرتُ اليها نظرة المتعجب وقلت لماذا تتهمين الرجال بما اتصفت بهِ النساء . فاجابت لا ادري لماذا كل الرجال هم مولعون بتقريف النساء فجاوبتها وانا اذوق الكلمة قبل لفظها مخافة ان تخبث لديها . اعلمي انني لم اقصد بقولي هذا الاَّ المغايرة ولا المعايرة لانني لست ممن يهجو النساء او ينظر اليهنَّ اهوانًا . واذا كان بعض الحكماء او الادباء ذمَّ هذا الجنس فما لقنهم ذلك الاَّ احنقهم على بعضهِ . وما من الحكمة والادب ان يؤْخذ الكل بنقيصة البعض . وقد يوجد من اقوال العلماء ما يخيل ذم عموم الانثى مع ان المقصود منهم ذم البعض كما قال الشاعر

لا تأْمن الانثى زمانك كلهُ ... يومًا وان حلفت يمينًا تكذبُ

فاظنُّ ان هذا الاتيان بالكل يراد بهِ الجزء من باب المجاز المرسل (وافهمتها ما هو المجاز المرسل) هذا ولو لم تكن طبيعة الانثى ضنينة

عليها بمطلق حرية الكلام . لكانت ذمت الذكر وقدحتهُ باكثر مما ذمها وقدحها . وخصوصاً اذا كانت الانثى ذات ادب وتهذيب فلا تعود اخلاقها تأذن لها بقدح الرجال لئلا تترك لهم سبيلاً ان يخالوا تلميحاً منها او تعريضاً مستتراً في معنى الذم او التعتب . فان طبيعة الانوثة لا تنفكُ مطبوعةً على الحياء والجبن والرقة وبمقدار تربيتها بالآداب والحكمة تربو فيها هذه السجايا . ولذلك فالمرأة المتأدبة تغتني عن ذم الرجال بما تفعلهُ اخلاقها عليهم اذ لا تعود تنتبه الى نقائصهم . وهذا صحيح ومجرَّب والحياء ينشي العفاف . والجبن يلد الاناسة والليونة . والرقة تصدر الحنو . ولا ريب ان عفاف المرأة يجعل الرجل لها عبداً طائعاً ويحبها مترغماً ومنشداً . ولقدرها مكبراً ومعظماً . ولا بدع ان انسها ولينها يقيدّانهِ في سلاسل حبها فلا يجد سبيلاً الى العدوان وهكذا تسحرهُ بحنوّها فيتحصل مما ذكران الرجال الذين يحبون هكذا نساءً لا يجدون فيهنَّ ما يوجب ذمهنَّ وان النساء اللائي تقوم فيهنَّ سجايا حسن التربية لا ينظرنَ من الرجال الاَّ الحب والخضوع فلا يجدنَ عليهم علةً تستوجب الذم . اما اذا ضعضعت شواذ الاغراض نظام قواعد الانصاف فلا يعود للعقل حكم

وفي سياق خطابي هذا مع سعدى كانت علائم الحظ تلوح على وجهها فما مجت منهُ شيئاً . اما امها فاذ لم تجد للمحاورة معنا دخلاً مالت رأسها نحو زوجها واخذت تحاورهُ بنفخةٍ اعظم من غطيطهِ ولا عتبَ عليها فان طبل السمع اذا اخذ يضرب للعقل اصولاً غريبة عنهُ فلا يبقى راقصاً اذ يحنُّ الى السكون ليرقص في مرسح الاحلام

فقلت لسعدى هوذا والدتكِ قد امست صورة مصمودة امامنا . ولكنها مطبوقة الاعين . ومائلة الراس فقالت اتريد ان ترى صورة مفتوحة الاعين ومستقيمة الراس . فاجبتها اي صورة تعنين . فنهضت الى خزانة في البيت وفتحتها ثم رجعت وفي يدها كتاب فناولتني اياهُ . واذ فتحتهُ رأيتهُ محفظة لصور شمسية . فجعلت اتصفحهُ ولا ارى نفيساً حتى برزَت اليَّ صورة سعدى . فوقفت عندها واطلت شخوصي . فقالت لعل هذه الصورة متقنة التصوير . قلت كيف لا وهي صورة جمال صوَّرهُ الله باحسن اتقان . فقالت ان عينك تريك هكذا . قلت وهل عينكِ لا تريكِ هكذا انظري وقولي الحق واريني اي نقص يمازج هذا الكمال العجيب . فقالت ان هذا الرسم هو وهم عن غير حقيقة نظير رسم كرة الارض على

الخارطة فانك ترى فيها استواءً عجيبًا وخطوط طول وخطوط عرض ودوائر انقلابات مع ان كل ذلك لا يوجد في حقيقة كرة الارض وهو توهم محض . فقلت ولكن هذا التوهم الذي تشيرين اليهِ اوصلنا الى معرفة حقائق لا يمكن اخلالها وهذه الصورة التي تحسبينها وهمًا توصل الناظر اليها لمعرفة جمال ابدعهُ الله في غاية الكمال والاتقان وقلت في نفسي هي تعلم الجغرافية ايضًا وربما الحساب والموسيقى ثم لبثت اتأَمل الصورة وانا ادمدم هذا الشغل على وزن عدّ يامحبوب وتعالا

بيات اصولة صفيان

كيف لا تزري الغزالا . اعين ترمي نبالا . سحرت قلبي فقالا . يالهُ سحرًا حلالا

لازمة

ظبيةٌ في البان حلّت . ولكاس الحبّ حلّت . كلما للشعر حلّت . جنّ ليلى واستطالا

دور

طبع اللهُ هواها . في فؤادي وحماها . مذ رأى البدرُ سناها . في السما صار خيالا

دور

ان ترِدْ في الحبّ سابي . فلها سلمتُ قلبي . والهوى ان كان ذنبي . فهو عذري لا محالا

دور

ليتها تعلمُ امري . علها تقصر هجري . عيلَ يا عشاق صبري . والكرى ملَّ ومالا

وفي نهايتهِ قالت اظنُّ هذا الشغل بيات واصولهُ صفيان .

اجبتُ نعم وقلت في نفسي اصاب ظني فهل يصيب ياليت شعري

بوجود الاليف . ثم انشدت مدمدماً على نفس النغم هكذا

عذراءُ مقصورة في القلب ام ملكُ ... وذلك القلب خدرٌ جلّ ام فلكُ
واحيرتي فعيون بالحيا كُحِلَتْ ... وطلعة من سناها الليل ينهتكُ
ذي غادةٌ حشدت كل المحاسن في ... وجهٍ عليهِ عيون الغيد تشتركُ
صادت لنواحظها قلباً له ولعٌ ... بحبهِ تحت اهدابٍ هي الشركُ
واهاً على دمي المسفوك حين جرى ... بين اللواحظ والاحشاء معتركُ
ما هان الاَّ على تلك العيون دمي ... فكم رأت من دمٍ في الحب ينسفكُ
لم يبقَ لي في الهوى قوتٌ سوى ألمٍ ... يلوكهُ القلبُ لا ضرسٌ ولا حنكُ

ثم قلبت صفحةً أُخرى واذا عيني وقعت على صورة شابٍّ ما عرفتهُ قط واذ اطلت تأملي بها . قالت سعدى مالك تطيل التأمل بهذه الصورة . قلت عسى ان اعرف صاحبها . قالت أَما تعرف هذا الغلام . قلت لا . قالت وهل اعجبتك صورتهُ . قلت اراهُ فتىً نظير بقية الفتيان واذا كان يعجبكِ فهو يعجبني . قالت كيف لا يعجبني وهو استاذي . فحالما نطقت بهذه الكلمة اخذ القطوب بكل اطوار وجهي وشعرت كأَن قلبي دفع عنهُ الحب دفعة واحدة لانني ايقنت للحال ان هذا الغلام هو الاليف الذي كنت اتوهمهُ . وجعلت الوم نفسي لكلفي بها قبل ان اتكلف البحث عنها . ثم اخذت احاول بكل همي الاَّ اظهر لها حركةً تفشي ما اشعر بهِ سرًّا حذرًا ان يثبت عندها انني احببتها وغرت عليها لان ذلك يهين عزة

نفسي . وتأسيت بكون زيارتي ردًّا لزيارة ابيها لا استبداء

وبعد بعض تأمل قلت لها اذًا يتعيَّن عليَّ ان اعتبر هذا الرسم لانهُ رسم استاذكِ ويا ليتني كنت اعرفهُ ولكنني قد عرفتهُ الآن معرفة العود من الثمر فنعمَ العود ونعمَ الثمر . ولا آلوكِ نصحًا ان تثابري على اللواذ بهِ فهو يظهر لي من فراسة وجههِ وما افادكِ بهِ انهُ علَّامة لوذعي ونحرير المعي . فقالت هو احد تلاميذ مدرسة عين طورا في لبنان وقد اخبرني ان كل المعلمين قد كانوا يشهدون لهُ ببراعتهِ وشدة حذاقتهِ وبطول باعهِ على سائر التلاميذ . وقد تعلم كل العلوم العربية وجميع العلوم العقلية والعلوم الطبيعية والحسابية كافة . وايضًا الَّف في كل ذلك كتبًا حيَّرت كل المعلمين . فصار صيتهُ يرنُّ في الخافقين وباسمهِ تلهج السن الثقلين . فاجبتها نعمَ الاستاذ نعمَ الاستاذ ويا لسوء حظي لانني اجهل هكذا امامًا كبيرًا ولم اسمع باسمهِ قط فلا تعتبيني لجهلي اياهُ لان الجهلاء تجهل العلماء ولا يوجد بين الجاهل والعالم نسبة بها يتعارفان او يتصاحبان . فقالت اراك تتواضع كثيرًا . قلت لا بل اترفع كثيرًا لانني اقرُّ بما انا عليهِ ولا ادَّعي بما ليس فيَّ . ولما كان اقرار المرء بحقيقة نفسهِ يجديهِ رفعةً اكثر من انكارهِ ودعواهُ

كنت بذلك الاقرار مترفعًا لا متواضعًا . وما اخبث عزًّا يستتبُّ بغايتهِ الذل وما اطيب ذلاًّ ينجم بغايتهِ العزّ فقالت الاَّ انني لا اراك هكذا جاهلاً كما تدَّعي فقلت لها انا انسان وكل انسان عاجز عن ان يكون غير جاهل · اجابت ولكن كلُّ من جدَّ وجد · قلتُ وكل موجود بالنسبة الى المفقود هو مفقود . قال الشاعر

وقل لمن يدَّعي بالعلمِ معرفةً عرفتَ شيئًا وغابت عنكَ اشياءُ

فقالت ان كلامك هذا اراهُ يأْتي على ذوقي احلى واطيب من كلام من يوسعني اسهابًا واطنابًا عن علومهِ ومعارفهِ وبراعتهِ وحذاقتهِ مع انني متاكدة بانك من افاضل العلماء ولا اقتنع بضد ذلك ولو نطح الثرى راس الثريا · قلت انا لا اعلم نفسي الاَّ جاهلاً ولكِ الحرّية ان تحكمي عليَّ بما تشائين وريثما انهيت عباراتي افاق والدها وجعل يعتذر كالعادة وينبّهُ امرأَتهُ بصوت عالٍ وهو يستنشق السعوط وينفض زياقهُ · فاخذنا نتحادث كلنا معًا في امور لا طائل تحتها وما لبثنا ان قرعت ساعة بعد نصف الليل فنهضتُ بسرعةٍ وانا الملم ذاتي . ثم حيَّيت الجميع بسلام الوداع وخرجت اجري الى منزلي وهم يقولون لي شرّفنا في ليلة الغد . وانا

اقول في نفسي لا عدت اتشرف . فلا احبُّ شريكاً في الحب ولا ازاحم احداً فيهِ

الفصل السادس

الاشارة

واذ مضى ثلاثة ايام ولم ازرْ ابا سعدى . حضر عندي وعاتبني طويلاً والحَّ عليَّ ان ازورهُ حتى طاوعتهُ ووعدتهُ بالزيارة . وفي الغد مساءً ذهبت لزيارتهِ ايفاءً لوعدي . واذ قرعتُ الباب فتحتهُ سعدى كانها تعلم من الطارق . فوجب عليَّ ان اصافح يدها لئلا ترى مني تغيراً تعتبرهُ اكتراثاً بها كما هو دأب كل النساء . فقبضت على يدي قوياً واخذت تعاتبني لانقطاعي اربعة ايام وهي مبتسمة الثغر ومجهشة الاعين وباردة الانامل . ثم قالت اهكذا تنقطع عنا . قلتُ لولا القطع لم يوجد الوصل . ولكلٍّ منهما مواطن يقتضيها الحال . وسلي عن ذلك استاذكِ . فقالت وقد صرنا في عتبة مخدع الجلوس انا لا عدت اسألهُ عن شيءٍ فقد سهر عندنا ليلة البارحة وسالتهُ عن المجاز المرسل الذي علمتني اياهُ فما عرف منهُ شيئاً واظن انهُ لا يعلم اكثر مما علمني . ثم سلمنا وكلمنا وجلسنا

كعادتنا . اما والدها فاعتذر مني وذهب الى غير مخدع ليكتب مكاتيب البريد لانهُ يتعاطى التجارة . واما انا فطفقت اوجّه كلامي الى امها ولا انظر الى سعدى الاَّ نظرًا بسيطًا وهكذا كان كلامي معها . واذ مضى نحو ساعة ولم تنظر مني احتفالاً بها ولا بهرجة في الكلام كما كنت افعل اطرقتْ في الارض وسكتتْ وانسدل على وجهها نقاب التكدر . وفي هذه الاثناء ذهبتْ امها لتملي ارجيلتها بيدها . فالتفتتْ سعدى اليَّ وقالت ما لي اراك متغيرًا . فقلتُ لا ياسيدتي انا كما انا . فقالت لا تكذب بعلمي انك متغير ولا اعلم على مَ . قلت خذي صدقي انني لم اتغير عن عادتي . قالت انا اعلم انك لم تتغير عن عادتك التي اوجبت عليك التغير منذ تصفحك محفظة الصور . فقلتُ لم افهم ما تعنين . قالت كفاك تجاهلاً فاقسمْ لي ان صورة الغلام الذي دعوتهُ استاذي لم تخلق في قلبك تغيرًا فقلت وهل انا جاهل الى هذا الحد حتى اتغير من نظري الى فتىً هو صديقٌ لكِ قبلي ويحبكِ وتحبينهُ قبل ان تعرفي وجهي . واي حق بذلك لي ولا يوجد بيننا عقد ولا عهد ولا سابق ولا لاحق . فعارضتني وهي مُزْوَرَّةٌ حواجبها وقالت انا لا احب هذا الفتى كما تتوهم جنابك بل اكرّمهُ على قدر تعليمهِ

اياي ومودتهِ لي . فاجبتها لعلكِ تظنين ان فتاةً عذراء نظيركِ
جميلة وصحيحة تفعل عارًا اذا احبَّت فتىً اعزب يعشقها ولا يميل الاَّ
اليها . فما هذا عارًا ولا شنارًا الاَّ عند الجهلاء والخشنين فقالت
لو كنت احبهُ لكنت صرَّحت لك بذلك وما انكرت ولكنني لا
احبهُ . فاجبتها انهُ يصعب عليَّ ان اصدق ان فتاةً نظيركِ تكون
خالية الى الآن فاجابت بصوت اغنّ وهي تبتسم برقةٍ وما ادراك
انني خالية . قلت لانني لم اسمع باليفٍ لكِ سوى ذلك الاستاذ
الذي تنكرين حبهُ فقالت كيف تدعوهُ اليفًا لي وهو لا يزورنا
الاَّ مرةً كل اسبوع او كل اسبوعين قلت فلا اعلم اذًا بما انتِ
شجيةً قالت لا بل تعلم بهِ جيدًّا . واذ هممت ان اجاوبها وانا
خافق القلب ممَّا تأثرت من تلميحها سمعت خطو امها وقرقعت
ارجيلتها على الباب فلزمت السكوت حتى دخلت وجلست تشحط
شحطًا وتهيئ لي لذة الارجيلة اذا كان شاربها يهندمها ويمليها بيديهِ
فقلت لها هنيئًا لشاربها ثم التفتُّ الى سعدى وقلت لها بصوت
مهموس وهل يتردد عليكم هذا الذي تشيرين اليهِ فقالت انا لا
اشير الى احدٍ . قلت اذًا تناقضين نفسكِ قالت لا مناقضة وحسبك
تجاهلاً ولفهمك الكفاءة وقالت بصوت منخفض لا عدنا نتكلم

في هذا البحث بمسمع والدتي قلت سمعًا وطاعة . ورجعنا الى الحديث العام حتى انتهت السهرة . وعينا سعدى وعيني تتداول الهوى بافصح لسان وقد لمت نفسي لاني اسأتُ بها ظنًّا

الفصل السابع

في الاستاذ

وما زلنا نتزاور انا وابو سعدى حتى بلغ مني حبها كل مبلغ وكان حبًا مشتركًا شديد الوثاق . فتعاهدنا على الهوى وتحالفنا الا يخون احدنا الآخر . فما عادلي في هذه الدنيا حظ سواها ولا انس الَّا في لقاها حتى اذا مضتْ ليلةٌ ولم تجمعني بها . تبدَّد رقادي وشرد صبري فتعود نفسي فريسةً للحزن والكابة واحسب كل ساعة من ليلة الفراق ليلة ليلاء . اما ابوها فما كان يألو جهدًا عن زيارتي كل يوم الَّا انهُ بعد مضي ستة اشهر من صداقتنا سافر الى عين تاب لداعي تجارتِهِ وقد ترجاني ان ابقى على عادتي ولا انقطع عن زيارة بيتهِ وهكذا كنت غير منقطع لان سعدى كانت تحتم عليَّ كل ليلة بالقعود ليلة غدٍ . وقد كنت اتمنى ان اصادف ذلك النحرير المدعو استاذ سعدى حتى غنمتُ ذات ليلة حظ

الاجتماع بهِ ومنيتُ بما تمنيت واذ هو فتىً من فتيان اليوم يلبس كسم الافرنجي كما اخبرني حالما جالسني لانهُ كان لابساً خلاف الافرنجي والعربي فاوَّل عبارة نطقها طلبهُ المعذرة لرؤياي اياهُ اوَّل مرَّة على غير كسمهِ فكان نظير متفرنجي اليوم متفرعاً في الليل بثوب من الازرار الابيض الذي كانت بنود كيس التبغ الخرزي تتدلى من جيبهِ ومتمنطقاً بحزام نسائي ينطبق على فؤَادهِ بقفل من النحاس المفضض الذي ينكسر لرقتهِ من عطسة او قلسة وعلى منكبيهِ جبَّة تقصر عن الحزام كيلا تسترهُ من الخلف تسمَّى عند النساء بزي الزواف (اي الزحاف) وهي من الشال الرقيق الوردي او الطَّفلي وفي يمناهُ ضفيرة من خيزران تحكي برقتها خزامةُ الذي يحكي برقتهِ خصرهُ المحاكي برقتهِ كيسةُ الفارغ وما لنا ولكيسهِ الفارغ أَليس دماغهُ مفعماً من العلوم والفنون نظير انف ابي تلميذتهِ المفعم سعوطاً ونخاماً وكان عبير التموُّه والتطيُّب يفوح من كل جيوبهِ وارادنهِ حتى تأَرَّجت من نفحاتهِ كل ارجاء الدار ولا سيما لما رفع الطربوش عن رأْسهِ وظهر ذلك الشعر المجعَّد بالمكواة واللامع بالادهان العطرية

فهلاَّ يروق الانثى هكذا تانث . وهلاَّ يعجب الذكر تذكر

الانثى وقد قال خلقناهما ذكرًا وانثى اما هذا الفتى فما كان يقرُّ قرارهُ فما جلس برهةً الاَّ وشطح. وما شطح الاَّ وانبطح. وكلما جلس او شطح وبطح دبدب برجليهِ وصفر بشفتيهِ ثم يثب على اقدامهِ بخفة الزرزور ويتخطر متقمزًا كالعصفور بطيشهِ وخفتهِ فينطُّ وينفتل وينبرم وينخلع ويهزُّ اعطافهُ فترتج الياهُ كالعجزاء ثم يعود الى الجلوس متنقلاً من طرف الى آخر. وكل ثانيةٍ يمسح عرق جبينهِ الذي لم يعرق قط. وذلك بمنديل من الكتان الابيض منجرًا ومعطرًا. وكان يخال انهُ ليس من ابناء العرب لانهُ كان يشوّه الالفاظ ويمضغها عند التلفظ. وكل الاحرف الحلقية كانت تخرج من فمهِ هاءً. فهو يرخم المفخم ويفخم المرخم وينطق كالمضغوط على خيشمهِ وهو يمازج عبارتهُ العربية بالفاظ افرنجية.. اما انا فكنتُ ساكتًا ومطرقًا لدى حديثهِ مع سعدى وشدة ضوضائهِ وخلاعتهِ. وكانت امها تشخص فيهِ ايَّ شخوص ووجهها يتحرك تبعًا لكل حركة من حركاتهِ بشوشًا ومبتهجًا. واذ رآني ساكتًا وكاني لا افهم معاني كلامهِ ولا اميّز ظرافة حركاتهِ توهم انني من المغفلين او البليدين. فنصبني متن هزل ليستضحك بي سعدى وامها ويظهر لهما فضلهُ على غيرهِ بالهزل والمضامين. فكان تارةً يغمز عليَّ بعينيهِ ويرفع حاجبهُ

وتارةً يهمهم ويحمحم وطوراً يهامس ويدلع لسانهُ مشيراً اليَّ قائلاً. هاتوا المكنسة. الارض مسكونة. الغاق في الجوزة. ليلة عتمة. ليلة باردة الزمهرير في الصيف. الله الله. هو هو. يا يا. رأيت الذين لا يفهمون فذبت. هاتوا قفف. هاتوا السفاسي. لموا السقيط ضاقت يا ياسين. واذ كنت انظر بطرف عيني الى سعدى كنت اراها في غاية الكدر والجمودة خلافاً لامها التي كانت تسيل من الفرح والانبساط ولما لم تعد تصبر سعدى على مهازلة استاذها. التفتت اليَّ وقالت بصوت منخفض بينما كان هذا الزائر الخليع يهازل امها. انا اعلم يا سيدي انك لا تتدانى الى الغضب على هذا الجاهل لعدم وجود ادنى نسبةٍ بينكما. فهو في الثرى وانت في السهى ولو علم مع من يتكلم وعن من وامام من لذاب خجلاً. ولا تعتبني اذا لم اشر اليهِ بالصمت فانني اخشى ان يكون ذلك مني تنبيهاً لهُ الى معرفة قدرك فيعود ذلك تحقيراً. لان ارشاد الحصى الى معرفة الدراري انما هو تحقير لقدرها وقالت هذا البيت

الم ترَ ان السيف ينقص قدرهُ اذا قيل هذا السيف خير من العصا

فاجبتها اعلي يا سيدتي انني في غاية السرور لان لي ديدناً بدرس طبائع البشر واخلاقهم. وكيف يمتازون عن بعضهم البعض ولا

شيء يضحكني نظير النظر الى الحديثين المتوغلين في حب معاشرة النساء . فان لهم اطوارًا وحركات تضحكني الى الغاية وخصوصًا عند ما يكدُّون انفسهم الى استعطاف خواطر النساء عليهم واستلفات انظارهنَّ اليهم . وقد رأَيت من بعضهم من يطالع في كتب المجون او الحكايات والغزل او يعاشر العلماء ليلتقط من فتاتهم مضحكةً او نكتةً او غزلاً او قاعدةً من علم فيأْتي بها ويتلوها على ما يحبها ليوهمها انهُ ظريف او متكلم ٌاو شاعرٌ او عالمٌ او منجمٌ املاً بان يقع في عينيها موقعًا حسنًا يستميل اليهِ قلبها فانا اخشى ان يكون هذا الاستاذ من اولئك الحديثين لانهُ لو كان متهذبًا كما يدَّعي في المدارس لما كان هكذا قليل ادب وسفيهًا ومهذارًا ومختالاً فخورًا واظن انهُ يكذب عليكِ كثيرًا وها انا سافحصهُ امامكِ واكشف عوارهُ ثم التفت اليهِ وكلمتهُ بعبارةٍ ما في اللغة الفرنسوية فلم يفهمها وحينئذٍ سأَلتهُ بالعربية اين درست اللغة الفرنسوية فقال في مدرسة عين طورا قلت ان الذي يدرس في هذه المدرسة ينبغ بها جدًّا او اقلهُ يبرع بمعرفة قواعدها فكيف انت لا تفهم عبارة واحدة من هذه اللغة ولا تجاوب على عبارة . قال انني لم اتم في هذه المدرسة سوى شهرين لا اكثر لان والدي

لاحتياجه اياي الى شغله لم يدعني استتم علي فقلت له لله درك ودر ابيك من لبيب حاذق لانك في شهرين قد تعلمت الفرنسوية ونسيت العربية وقرأت كل العلوم والفنون والَّفت فيها كتباً كما اخبرتني السيدة سعدى . ولما سمع مني هذا الجواب اطرق الى الارض خجلاً وصار يرتجف ويضطرب ولونه تغير واصفر كالشمع وسكنت كل ضوضائه . وبطل كل هذيانه . وكاد ان يقول للجبال غطيني وللاكام قعي عليَّ . لانه لا يوجد على الشاب اصعب من خرق دعواه امام النساء وخجالته لديهنَّ مبكَّتاً ومكذَّباً

ثم غافلني وانا اخاطب سعدى وانصرف منهزماً بدون ان يودّع احداً او يودعه فقلت لسعدى ما قولكِ في هذا الاستاذ الذي انتِ تذبين عن صورته ضمن محفظةٍ فما استتميت عبارتي الاَّ وقمزت كالغزال الى الجهة الاخرى وفتحت خزانتها واخرجت الصورة من المحفظة ومزقتها ارباً ارباً وهي تقول بئس الرجل المدَّعي والغاش فما راقني طعنها به . ولما رجعت فجلست جانبي قلت لها قد اخطأتِ انتِ ايضاً لانكِ دعوته جاهلاً ومزقتِ صورته كل ممزق لانه وان ظهر لكِ مهذاراً ومشقشقاً يتعين عليكِ

توقيرهُ ومواساته اذ انهُ لم يأْلُ جهدًا عن افراغهِ في صدركِ كل ما عندهُ من لقائط العلم قليلاً كان او كثيرًا صحيحًا ام عليلاً وقد قيل من علمني حرفًا صرت لهُ عبدًا فليس من المعروف ان تباديهِ بالانكار والاهانة فما هذا من شيم الكرام واذا كانت مرتبتهُ قد انحطت لديكِ الآن اذ ظهر انهُ ابو ثمامة الكذب و باقل الفهاهة وهبنقة الحمق فلا ينبغي ان تعتبريهِ الأسموأل الصدق وقس الفصاحة واياس الذكاء لان ذلك الاثر الذي طبعهُ على لوح قلبكِ احسبهُ حسنًا مهما كان ضئيلاً اذ انهُ قد اودع فيكِ التأهب الى الانعكاف على العلم والتعلم والتفقه فكان اثرًا حميدًا يقوم مقام عين . وكم حبة صغيرة دفنت في الارض فنمت وصارة شجرًا عظيمًا وكم جدول زهيد قبل عيونًا فصار نهرًا كبيرًا فطوبى لدافن الحبة ونعمَ تارع الجدول ما لجأ ملفوح الى الظل وجرت سفينة على المياه وما ادراكِ ان الذي يعلّم ليس بافضل من الذي يغني . اقول الحق ان المعلّم خيرمن المغني لان اثر العلم لا يفنى الى الابد . واما اثر الغنى فهو حلف الفناء فالثناء يتوجب على الاول قبل الثاني وما احسن ما قيل

اذا علم الانسانُ يعلم ربَّهُ فان افقرَ الرحمانُ لا يعدم العلما

فارجوكِ ان تجاهدي في سبيل اكرامهِ ولا تنظري اليهِ شذرا
حتى لا يخامرني ظنٌّ باني ساري منكِ ما رأَى هذا الشاب
اذا صحَّ لكِ من يقدر ان يثنيكِ عني باماطتهِ نقابي الذي لا اخالهُ
يشفُّ عن اغترارٍ ودعوى وهيهات ان يعلم الانسان حدَّ نفسهِ .
فقالت سعدى انني اشكرك على ما نصحتني بهِ فلم اصبْ بفعلي هذا
كما اشرتَ لي لكنهُ لم يكن مني الاَّ على سبيل البداهة اذ رأَيت ان
كل اقوالهِ كانت زورًا ولا صيورًا ولو تمعنتُ قليلاً لما جرى مني
ما جرى اما ظنك بانك ربما ترى مني نحوك ما رأَيتَ نحو غيرك
فهو سوءٌ محض وهيهات ان ارى احسن منك او نظيرك فيثنيني
عنك . فاجبتها لا تقولي هكذا لان كل الرجال هم احسن مني
خُلقًا وخَلقًا هذا واني قد تحققتُ انكِ مفطورة على طبيعة حرَّاء .
فهي تؤْخذ بالميل رغمًا وكرهًا . فقالت اراك تخالني ميلعة لا رسوخ
لها قلت وانا احاول ان تبض فظاظة عبارتي معاذَ الله انني لم
اقصد هكذا معنًى وجل قصدي انكِ ذات طبيعة تامَّة فهي حرَّاء
ولا تكون فاترة وباردة نظير طبائع المهزولين والسقيمين ولما اتيت
بهذا التعبير بشتْ وهشتْ وافترَّ ثغرها سرورًا . وقالت ان
حبَّك يخيّل لك انني هكذا واذا سلمتُ بهذا الامر فتكون النتيجة

عدم ميلي الاَّ اليك حيث لا يمكن ان اري اكمل واتمَّ منك وهذه يميني. فقلتُ لها وانا اقبض كفها مبتسماً لا تعاهدي لا تعاهدي لئلاَّ يتغير هذا الزنبق الابيض. وهنا انتهت المساجلة وانصرفتُ وقلبي في قبضتها

الفصل الثامن

الغريب

وبعد ثلاثين يوماً من فصل الاستاذ عرض عليَّ انحراف الزمني الفراش مدة اسبوعين. وما كان هذا الانحراف ليقتضي خمسة عشر يوماً. لانهُ لم يكن سوى التهاب دوني في الشعاب الرئوية تأتَى عن هواءٍ بارد فاجأَني وانا عرقان. الاَّ ان الطبيب اشار عليَّ بالفصد العام واذ لم اقبل بهِ أَخذ يلحُّ عليَّ ويستلحُّ من حولي حتى استسلمت الى اسر الغلط ونابذت الصواب عجزاً وضجراً وهكذا بضعوا وريدي وهدروا دمي حتى ضعفت وطالت مدة العياء. فما اضلَّ مذهب اخذ الدم الذي هو عنصر الحياة وما اغنى الحيوان عنهُ اذا كان ملح الطرطير او المغنيسيا يقوم مقامهُ ومتى يعلم اطباء بلادنا هذا التعليل ويكفُّون عن سفك الدماء اذا لم يكن داعٍ

ثم بعد ان تعافيت رجعت الى ترداذي على سعدى كل ليلة . الاَّ انني صرت الاحظ انها متغيرة عما كنت اعهدها واذ كنت اسألها عن ذلك كانت تقول لي ممازحةً ان تغيرك من نقصان دمك اوهمك بي تغيراً الانهُ حسب تعليلك ان الدم متى وقع فيهِ النقصان تهيج الدماغ على غير صحة فيتخيل اوهاماً لا حقيقة لها وقد يتصل ذلك الى الحواس فتسمع الاذن ما لم يسمع وتنظر العين ما لم يُنظر. وهذا هو الهذيان نفسهُ

واذ كانت تجاوبني هكذا كنت اميل الى الاقتناع واقول في نفسي عساي لم اصب بتغيرها ظناً ثم استتلي واقول فما بالي اراها هاجسة ومنشغلة البال من حيث لم اجد فيها هكذا خلةً قط . فهل هذا وهم مني ايضاً لا حول ولا قوة الاَّ بالله وجعلت انشد هذه الابيات

يا للهوى ما بال سعدى — حكمتْ بقتل الصبّ عمدا
قد مرمرت قلبي وكم — من ريقها اسقتهُ شهدا
ياليت شعري ما جرى — مني وايُّ الذنب جدَّا
ما بالها بعد البشا — شةِ وجهها يزورّ صدّا .
لا ذنبَ لي الاَّ هوىً — فيهِ الفؤادُ يكدُّ كدّا

فعلى محاسنها العتا ... بُ ولا على قلبٍ تصدَّى
ان كان ذا اثمًا فقد ... أثمت على المرآة جدًّا
أنَّى تغازل عينها ... بشرًا ولا يُصمى ويُردى
أُفدي عيونًا مارنت ... الاَّ فرت قلبًا وكبدا
ذي دمية فاقت علي ... كل الدمى قدًّا ونهدا
وغزالةٌ من نورها ... نورُ الغزالةِ قد تبدَّى
تبغي الدراري لو تكو ... نُ لجيدها طوقًا وعقدا
اضحى الصباحُ لفرقها ... رسمًا وكان الفرق حدًّا
ما مثلها لا والذي ... لجمالها ما صاغَ ندًّا
لا كان قطُّ تغيرٌ ... ينتابُ ذا الوجهَ المفدَّي

وفي احدى الليالي اتيت الزيارة حسب عادتي وقرعت الباب نظير كل مرة وبعد عاقةٍ لم اعهدها قط فتح الباب واذا انا بالخادم وفي يدهِ أرجيلة ولا بسعدى . ولم يتفق ذلك قبل هذه المرة فقلت في نفسي . ترى ايُّ شغلٍ عاقها عن عادتها . فسأَلت الخادم من عندكم فاجابني مابارف بلهجِ كل الاكراد الذين يستأْجرهم الحلبيون لخدمة بيوتهم . لان الحلبيين يفضّلون ذلَّ السؤَال على خدمة بعضهم البعض . . . واذ دخلت مخدع الجلوس رأَيت شابًّا غريبًا

وكانت سعدى جالسة عن يمينهِ وامها عن يسارهِ . وما كان سنهُ اكثر من ثلثين سنة . ولما تجاوزتُ عتبة المخدع نهضتْ سعدى وامها والشاب لاستقبالي فصافحت الاكف كالعادة . ولما جلسنا وكان جلوسي في الصف المقابل قالت امُ سعدى للزائر هذا خواجا فلان واشارت اليَّ ثم قالت لي هذا الخواجا يرغاكي من ازمير واشارت اليهِ . فتقابضنا السلام ثانيةً وشكرناها على هذا التعريف اما الخواجا يرغاكي فما كان يحسن العربية حتى انهُ يستتبُّ عن ان يترجم فكرًا واحدًا من افكارهِ بهذه اللغة لان لغتهُ الرومية ولهُ المامٌ بالتركية . فاخذ يحادثني بالتركية عن ازمير وتجارتها وفي خلل هذه المحادثة نهضت سعدى وخرجت ساعةً ثم رجعت فجلست جانبي منتحيةً الى الوحشية فالتفتُّ انسيةً وسألتها مهامسًا من هذا الشاب . فاجابت وصوتها ينهمس هذا تاجر حضر منذ سنة الى حلب ثم سافر الى عين تاب منذ ثلاثين يومًا بقصد التجارة فاستعرف هناك مع والدي وصاحبهُ ثم عاد الى حلب واخذ يزورنا تتميمًا لارادة والدي الذي وصانا بهِ في كتاب الصحبة معهُ فسألتها وكم مرة زاركم الى الآن قالت هذه الرابعة فقلت لها نعمَ الصاحب الجديد فشدرتني والتفتت اليهِ اما انا فرجعت الى الحديث معهُ وانا

ارقب سعدى بطرف عيني فكنت اراها تشخص فيهِ ايَّ شخوص. فطويتُ على ذلك كشحي لاظفر بالنتيجة . وهكذا مضى اسبوع ولم تنقطع زيارتهُ كل ليلة . ولم البث ان ايقنت بمحبة سعدى لهُ وذلك من كل الامَّارات التي تلوح عليها والتي اعهدها . واذ ثبت عندي ذلك تقلَّصتْ كل جوانحي وانحزرتْ جميع اشواقي حتى بتّيتُ حبل ترددي واخذ الحب والسلوان يتنازعان في قلبي . اما سعدى فكانت تبعث باخيها اليَّ كل يوم عن لسان امها رسولاً يدعوني الى زيارتهم ويعاتبني على الانقطاع وما كان عندي جواب سوى المحاولة . ولما لم تجد سبيلاً الى استجلابي عن لسان غيرها ارسلت لي دردبيساً درداء تدعوني عن لسانها . فما كان مني الاَّ ان اخذت قرطاساً وكتبتُ لها هكذا

ايتها السيدة سعدى

ان نكثكِ بالعهد وحنثكِ باليمين فرضا على قلبي سلوانكِ الى الابد . فاذا ذكرتِ ما عاهدتِني وما حالفتني وتأملتِ بما تفعلين الآن . وكيف انقلبتِ عني الى غيري . فلا يعود لكِ عتب عليَّ . وتجدين انقطاعي وسلواني فرضاً واجباً على كل

عزيز نفس . وهكذا فسرعة سلوي تعادل سرعة خيانتكِ فلا تلوميني

اشكرُ الله ما انا خنتُ ولكن　　انتِ قد خنتِ فاذهبي بسلامِ
قدهويتِ السوى فطيبي غرامًا　　وانا قد هويتُ تركَ الغرامِ
اين تلك اليمين اين ودادي　　اين عهدي واين حفظ الذمامِ
خنتِ ودي وقد نقضتِ عهودي　　وجعلتِ الولاء زور منامِ
وانا قد سلوتُ عنكِ واني　　لو جرى الصخرُ لا أُعيد اوامي
فاحفظي عهدَ من بهِ خنتِ عهدي　　واعشقيهِ وبالغي بالهيامِ
واسجعي يا حمامةً في هواهُ　　ذا غريبٌ يحبُّ سجعَ الحمامِ
وجميلٌ غض الشبابِ رشيقٌ　　يتثنَّى كالغصن لدن القوامِ
يسحر اللبَّ بالعيونِ ويسبي　　كيف لا وهو من بني الاروامِ
فاسكري فيهِ فهو خير مدامٍ　　وانا كالدرديِّ تحت المدامِ

ثم طويتُ القرطاس ودفعتهُ الى الدردبيس ولم افُهْ بقارصةٍ او واقصة . فحملتهُ وانصرفتْ . وفي الغد رجعتْ وفي يدها هذه الرسالة

سيدي فلان

قد اساْتَ بي ظنًّا . واخطأْتَ حكمًا . واتهمتني بما لم يكن من

شيمي . وشجبتني الى ما لم يخطر في بالي فلا تكن مصرًا على وهمك وبعادك. وإذا رأيتَ مني بعض تغير فلماذا تنسبهُ الى الانقلاب ولا الى شيءٍ آخر. فارجوك ان تزورنا في هذه الليلة ولو حصل لك ثقلة عسى انني بالمشافهة اقدر ان اجلو عن صفاء طويتك صدأ الاوهام (سعدى)

فلما تلوتُ رسالتها اعدتها الى طيّها برفق . ووضعتها في جيبي آنسًا مبتسمًا وقلت لحاملتها اقري السيدة سعدى السلام وقولي لها في هذه الليلة سيكون هو الجواب

ولما هبط الليل تناولتُ الطعام عجولاً وخرجتُ اعدو الى منزل سعدى . واذ قرعتُ الباب انفتح عنها . فابتسمت اذ رأتني وترنحتْ وقبضت يدي مليًّا قائلةً . أهكذا تنقطع بدون اثمٍ ولا حرج . وما هذا الحب الذي يقتلهُ الوهم . فقلت ان الحب يقتل الوهم والغدر يقتلهما . وها قد عدتُ والعود احمد . ثم ولجنا مخدع الجلوس واتى الخادم بالمصباح والامُّ تقفو اثرهُ . ولما جلسنا جميعًا شرعت امها تحيك قماش المعاتبة بمكوك التعنيف والتقريع . اذ اخذتْ تقول لي . ما عدنا على بالك . انشغلت عنا بسوانا . من لا يجي على القلب عنايتهُ صعبة . من صادف احبابهُ نسي اصحابهُ

حفظ الوداد من أكبر الحسنات . من احب من لا يحبهُ مات بالحسرات . كل شيء عند العطار يوجد ولكن احبني بالزور لا يوجد . اما انا فما كنت اجاوب الاَّ هكذا . اشكركِ لانكِ تتكلمين عن لساني الاَّ انكِ سهوتِ عن احسن العبارات وهي كل شيء يحتمل سوى الغدر . فاستمالتني سعدى عند هذه العبارة . وقالت لي اناشدك الله ماهذا الغدر الذي جرى . فاجبتها انتِ ادرى بذلك قالت لا علم لي ماذا تريد قلت اين الخواجا يرغاكي ولماذا لم يحضر هذه الليلة ليعلمكِ ماذا اريد قالت سواء عندي حضر ام غاب فحتى مَ تتوهم اني احبهُ . قلت قسماً بالحق انكِ تحبينهُ وليس ذلك وهماً . وفي هذه الاثناء ذهبتْ امها لتصلح ارجيلتها . قالت سعدى ومن اين علمت انني احبهُ وعلى ايّ سند تثبت هذه التهمة قلت حاشاي من الاتهام فهو من شنشنة اللئام وما حكمتُ بانكِ تحبينهُ وتميلين اليهِ الاَّ لما قامت جميع اطواركِ وامارتكِ لديَّ شهوداً محجاً فاعينكِ تغازلهُ وحواجبكِ ترقص وتتقوَّس اذ يخاطبكِ وفمكِ يتبسم لكل حركةٍ من حركاتهِ . ومعاطفكِ تترنح وتهتز كلما رنا اليكِ وابتسم وهازل وداعب . وعدا كل ذلك انكِ تسارقين النظر اليهِ ابداً وتحاولين محادثتهُ ومناقشتهُ

حتى لم يعد كلامكِ معي الاَّ اختصاراً وسلامكِ ازوراراً واضيفي على كل هذا ان زياراتهِ ما عادت تنقطع لا ليلاً ولا نهاراً واذا كنتِ لم تقتنعي من هذه الدلائل الادبية فماذا تقولين باصفرار وجهكِ عند قدومهِ او ذكرهِ. وبارتجاف شفتيكِ وضيقة تنفسكِ بين الشهيق والزفير وبرودة الاطراف. أَما تذكرين ما تأثرتِ بهِ ذات ليلة عند ما سمعتِ صوتهُ يدمدم فجأةً وهو يمشي في الدار اذ دخلها والباب مفتوح. فان يدكِ التي كانت في يدي استحالت الى جليد وغرقت في العرق البارد وبرقع محياكِ الاصفرار وكدتِ تغصين بالتنفس حتى قلتُ لكِ ما هذا الانفعال الغريب. وما كان قولي هذا لكِ في ذلك الوقت الاَّ لارسم في ذهنكِ تذكاراً اوهمني احتياجاً اليهِ في المستقبل. وقد تمَّ ذلك الآن. فهل تقتنعين من هذه الدلائل الطبيعية ام لا.

فاطرقتْ هنيهةً وهي تقرص جلد يدها باظافرها وتضرّس شفتها وترقص حاجبها المقرون. ثم رفعتْ عينيها اليَّ. وقالت ليس في ذلك ادنى صحة وكلهُ وهم وريبة ما خلا الدلائل الادبية فقد كنت اتعمد اظهارها لارى هل ماسمعتهُ عنك اكيد قلتُ وماذا سمعتِ عني قالت كثير الظن وشديد المخيلة. فتترك من تحب

لادنى ارتياب بهِ . وان مثلك مثل ريشةٍ تهب الرياح بها أيَّانَ شاءت او مثلُ ظلٍّ يمحي كل دقيقة ويخفيهِ كل خيال . فقلت لها ومن بلَّغكِ هذا المين والكذب عني وما اقبح هذا الهجر بمحبٍّ ارسخ من الرواسي واثبت من الصخور الململمة قالت لاتدَّعِ بالثبات والرسوخ فان المخبر حقّق الخبر قلتُ وهل يحسن لديكِ ان يفضي الثبات بي الى الذل والهوان . وهلَّا استحق ان أُدعى ثابتًا حتى اثبت على حب من لا يثبت على حبي وارسخ على من ينقلب عني . لا وابيكِ ان ذلك الاَّ من اخلاق الانذال . قالت ولكنَّ الصبر في تعقب الخطب هو من اخلاق الكرام . وكيف يُؤتى بالجواب قبل السؤَال . فقد جاوبتني بالسلوان قبل ان تسأَلني عن داعيهِ الموهوم منك . قلت ان شرح لسان الحال كان يغنيني عن السؤَال . قالت ولكن هذا اللسان لم يخبرك بما سمعت عنك . قلت ناشدتكِ الله قولي لي من هذا الواشي المفنِّد الذي اوجب عليكِ تصديق الكذب عني قالت كفاني انك تقول هذا كذب ولا حاجة لذكر اسمهِ ولا عدتُ عمري اسمع كلام مفنِّدٍ وانا سادمة نادمة عما اقترحتهُ في ابلائك وانا على ما انا وسيبرهن لك المستقبل . ولما قالت هكذا

مددتُ لها يد المصافحة والصفح ورجع قلبي الى جواهُ وانشدت هذه الابيات

سعى ما بيننا الواشي وحالا ... وافسدَ قلبَ سعدى فاستحالا
وبالغَ هجرهُ فقضت لهجري ... مصدّقةً وما سألت سؤالا
فقالَ لها محبكِ ذا خؤونٌ ... وها هوَ منكِ ملَّ وعنكِ مالا
لحاهُ الله من واشٍ خبيثٍ ... اقامَ عليَّ من قلبي قتالا
رويدكِ فتنةَ الدنيا رويدًا ... فلا اسلو انا هذا الجمالا
أأسلو ما سُليتُ بهِ غرامًا ... وأتركُ من تركتُ بها خيالا
وان أكُ في هواكِ غدوتُ ظلًّا ... فاني عنكِ لا اهوى انتقالا
وفي المرآةِ برهاني فقومي ... اليها تعلمي السلوى محالا
يمينُ الله لا اسلوكِ حتى ... يُراقَ دمي واقتلعُ الجبالا

وقلتُ ايضًا

لا كان جسمي للجفونِ عديلا ... ان كنتُ عنكِ ذكرتُ قطُّ بديلا
انّي اميل الى سواكِ وانني ... اصبحتُ ملقًى في هواكِ قتيلا
نقل الوشاةُ وافسدوا لكنّما ... عين الرقيب تكذّبُ المنقولا
حسنٌ وحبٌّ لازمان فذاكَ لا ... ينفكُّ موضوعًا وذا محمولا
أفدي هواكِ بمهجةٍ في قدحهِ ... سالت واحداقي غدونَ مسيلا
ما دامَ حسنكِ ما لهُ مثلٌ فلن ... تجدي لحبي والعظيمِ مثيلا

بابي ليالٍ طالما جعلت على منحى هوانا سترها المسبولا
كم بتُّ اسهرها وطرفي ناظرٌ بدراً يغادرُ بدرها متبولا
تجني ندى من روض خدّكِ اعيني لتردّهُ دمعاً عليهِ نزيلا
والجوُّ يجمعُ فيهِ اندية الثرى حتى يفرّقها عليهِ سيولا

ثم رجعت الى ترددي كل ليلة وكان الخواجا يرغاكي يشاركني بهذا التردد . اما الشكُّ بكونها تحبهُ فما كان يزايل ضميري لا بل كان يقارب اليقين يوماً فيوماً . لان سعدى ولئن كانت تحاول بكل عزائمها ان تخفي عني تترعها اليهِ . فما كان يطاوعها على اخفائهِ نمَّام التأثر لدى مقابلتهِ . واذا كان من امكانها ان تحجب تلك الدلائل الادبية تحت ستار المكر والانكار . فما كان من طوقها ان تستر ذلك الستر على ماتجيء بهِ الطبيعة من الادلَّة والشواهد اذ ان الاشياء الادبية هي في طاعةٍ لحكم الارادة بيدَ ان الاشياء الطبيعية هي في غاية العصيان ومع ذلك فقد كنت احاول الصبر والتجلد لارى العقبى والمصير وكلما كان الشك يدفعني عنها كانت تستردني اليها بانكارها المقرون بالغيظ مكذباً منها ومتهماً بالسلوان حتى تضطرني احياناً ان احسب ذلك الشك ذنباً عليَّ فامحصهُ باسترضائها عني والوم نفسي . وبقولي لها ان شك المحب بالحبيب هو صدا الحب وان

العشق قد يوسوس تارةً الى العاشق ان يسيء الظن بالمعشوق كما ويحكم عليهِ تارةً بسرعة الركون اليهِ

وهكذا فما زالت عوامل الشك واليقين تتنازع في صدري حتى زرتها ذات ليلة. وكان الصيف وهّاجاً فرأيتها مضطجعةً على تختٍ وماخوذةً بسنة الرقاد واذ ارادت امها ايقاظها منعتها وقلت لها دعيها تنهل قليلاً حلاوة غفوة العشية وستفيق من ذاتها الآن. ثم تناولت كرسياً وجلستُ حذاء رأسها وذهبت امها لتكملة خدمةٍ كانت مباشرتها. فاركبتُ رجلاً على الاخرى واثبتُّ عضدي على الفخذ واسندت رأسي على راحة كفي واخذت اشخص الى محيًّا سعدى ريثما كان يستقبل وجه القمر بجمال يفضح الاقمار والشموس وأتأمل بانبساط تلك الاجفان التي طبقها الغمض على سواد قلبي وكأني بحاجبيها باعٌ فُتح ليضمَّ اليهِ تلك العيون الراقدة ويحميها من غارات النسيم ويقيها من اعين العوائذ. وكم كان الوجد يهتزُّ صدري اذ كنت ارى صدرها يختلج تبعاً لتنفسها الذي كان يخال لي انهُ صاعد من اعماق فؤادها

ولم البث على هذا الشخوص والتأمل بذلك الحسن البديع ان رأيتها تنحنحت واخذت تجمجم. فاملت اليها سمعي للحين

ولبثت اصغى وانا اجسّ برفق اطراف اناملها كما يفعل المراقون او المنعّسون عساها تردّد ذاك فافهم . فما مضت برهة اذ لفظت شفتاها هاتين الكلمتين وهما " حبيبي يرغاكي " فلا تسأَل عما داهمني اذ ذاك من الالم والغيظ حتى خلت ان الدم جمد في مفاصلي وراح الزهاق بروحي وطار عقلي شعاعًا وقلت في نفسي يا للغدر والخيانة الاَّ انني عذتُ بالاسترجاع واسترجعت رشدي الشارد وقلت ما الانتفاع بهذا النزاع فهل استطيع احياء حب تقمصت روحهُ بغير محبوب . وهل اعجز عن سلوان من لم يعجز عن سلواني فصبرًا صبرًا يا نفسي . ثم خطر لي ان اكالمها وهي نائمة املاً ان تكون ممن يجاوب وهو نائم . فادنيت فمي من اذنها وسأَلتها هل تحبين يرغاكي . قالت كثيرًا كثيرًا . قلتُ وهل سلوتِ فلانًا مسميًّا نفسي قالت لا لا انني احب الاثنين قلت وايهما اكثر فتنهدت للحال وفتحت عينيها منتبهةً فاحجمتُ سريعًا وقلتُ لها نعيمًا . ولما رأَتني وشعرت بحركة الاحجام واثر صوتي في سمعها علمت انني كنت اخاطبها وهي في عالم الرقاد . فوثبت على اقدامها للحال مضطربةً وسأَلتني على الفور . بماذا كنت توسوس في اذني وماذا تقول لي فاجبتها لا شيء انني كنت ادمدم قالت لا بل كنت تتكلم

معي. اخبرني اخبرني عن هذه المكالمة. فان قلبي يحدثني بانك كنت تتكلم معي ولي من امارات وجهك دليلٌ على ذلك فقل لي الصدق وانا اعلم ان شرفك لا يأذن لك بالانكار وقول الخلاف. ولما قالت هكذا اطرقتُ بعيني وصرت افرك جبهتي. ثم نظرت اليها بشوشًا وقلت لها انني اقول لكِ الصدق ولا اكذب فهل انتِ تمحضيني الصدق ولا تكذبين. قالت نعم وحلفتْ يمينًا فحينئذٍ سردتُ لها قصة نومها ثم طلبت منها تفسير ذلك بلسان الصدق واليقظة فرفعت اليَّ ناظريها وشخصت وتخضَّب وجهها بالاحمرار وغاصت في حيرة عميقة وبعد برهةٍ من السكوت قالت وصوتها يتقطع في لهاتها ويرتجف بين شفتيها لا اكذب انني احببت هذا الفتى وملت اليهِ كل الميل ولا ادري ما السبب. وطالما عنفتُ قلبي وعيرتهُ وما كان يزداد الاَّ حبًا وميلاً قلت نعمَ الاقرار ولكن لماذا حاولتِ وصل الحبل بيننا بعد ان سبقتُ وصرمتهُ انا ريثما خالطني الظن بانقلابكِ عني اليهِ. واية غايةٍ كان لكِ بهذا العمل أَفلا تعلمين ان مواصلة ترداد هنا تمنعكِ مطلق الحرية في معاشرتهِ وتقوم حاجزًا بينكِ وبينهُ. قالت ما فعلت هذا الاَّ لانني احبك انت ايضًا كما قلت لك في

نومي . فاجبتها لا يستطيع القلب ان يحب شخصين معًا ولا اقبل انا شريكًا في الحب لان ايمان قلبي لا يميل الى الشرك وما انا من اولئك الذين لا مروءة لهم ولا نخوة . قالت نعم لا يحتمل القلب حبَّ شخصين معًا بشرط ان يكون الحب غير مختلف ولكن يا للغرابة لانني اشعر كأَن في صدري قلبين وكلٌّ منهما يحبُّ كلاًّ منكما حبًّا يغاير الآخر . قلت هذا غريب من الفهم فما تريدين ان تقولي قالت وانا لا افهم ذلك ايضًا ولكنني شاعرة بهِ حق الشعور فلو قيل لي بمن تفضلين الزواج لقلت بك فورًا واشعرت بنفار عن ذلك فماذا تقول والحالة هذه . قلت هذا غريب ولم يسمع بهِ قط فاستتليت في نفسي قائلاً ما هذا الشكل المنسوج على منوالٍ غريب كهذا وقلتُ لها لو لم يسبق كلام النوم كلام اليقظة لحسبتُ ذلك منكِ مكرًا تعجز عنهُ ادهى الدواهي وخرافةً يترفع عن تصديقها الصبيان . ولما كان اقراركِ هذا يقوم شفيعًا لكِ في ذنب الاشراك بحبي فلا افوه عليكِ بمنغّص ما دمت حيًّا الاَّ انني ارجوكِ ان تعفيني عن البقاء على العهد وعن المجيء الى هذا الحي وهذه آخر ليلة اقضيها معكِ فما استتممتُ كلامي هذا ان القت رأسها على صدري وقبضت على يدي بقوَّة واخذت تذرف

الدموع بحرقةٍ. وهي تقول لي لا تفعل هكذا والّا قتلتُ نفسي. كن حليماً. كن صبوراً أتمَّ على عهدك. وانا اعدك وعداً ثابتاً انني سأبذل كل جهدي لاقلص اميالي عن ذاك واتملَّص منهُ واذا شئت فلا اعود اكالمهُ ولا انظر اليهِ وما برحت تشرق بدمعها وتتنهَّد وتتصعَّد حتى اخذت الشفقة عليها بكل مجامع قلبي محرَّضة عن الحب الذي لم يقدر ان ينطفي صفقة واحدة. فوعدتها باللبوث على عادتي وعهدي. وأخذتُ الصبر الجميل عوناً لي ونصيراً في حرب هذا الخطب. وها انا منذ خمسة عشر يوماً الى الآن اهيم على وجهي واتوقع ما يسلّيني. وانعزل في الحدائق بكرةً ومساءً كما تراني الآن يا سميري البغذاذي

الفصل التاسع

سليم وامين

وعلى محرّر قصتي كان وجه رفيقي البغذاذي يتهيأُ حسب داعي الحال. فكان تارةً يتبسم وتارةً يجم وطوراً ينكمش رحمة وطوراً يسترخي ذهولاً. وربما كنت أرى عينيهِ تنديان بعبرة التوجع وتغوران اشفاقاً. كان يباغتها لهيب الغضب فتحظان سخطاً وزجراً

حتى اذا ما استتم حديث روايتي اطرق ساعة ثم غمغم . وقال عليك بالصبر الجميل ولا تضق ذرعًا لان لسان الطبيعة من اليفتك سعدى قد اقرّ بحبها اياك وولوعها بك فيما انها لم تكتم حبها الآخر لكنها تشعر بهِ في غير جوانح وجوارح . حتى انها تعرض عن مباعلتهِ وتنعطف بها اليك . فانا اخال سرًّا خفيًّا في هذه الحالة الغامضة فلا بأس من تتبعها وتعقبها عساها تشفُّ لك عن ذلك السرّ المكنون . وكم في الزوايا من خبايا ويغلط من يقطع صلة في غير موقع القطع او يصرم حبلاً في غير محل الانصرام . فاسمع مني رواية تعلمك ماتهتك الاقدار من الاستار . وما تكشف الادهار من الاسرار . عساها تبثك صبرًا وتفيدك سبرًا . فقلت لهُ هات ماعندك ايها اللوذعي . فانا اسمع واعي . قال انني اعرف رجلاً من اكابر بغداذ وانا يافع . فمات عن تركةٍ وافرة وذكرين وارثين يُسمَّى احدهما سليم والآخر امين . وكانا بالغين اشدَّهما فكان عمر سليم نحو عشرين سنة وعمر امين ثماني عشرة . فخلفا اباهما بالتجارة واخذا يتسعان في دولابها كثيرًا حتى ارهقتهما سنة عسراء فاخسرتهما ما كان لهما فافلسا والتزما ان يحترفا حرفة الكتابة عند التجار . فخدم سليم تاجرًا نمساويًّا والتزم امين تاجرًا عربيًّا فاحب . العربي امينًا

وجعلهُ قهرماناً على بيتهِ . ولحبهِ اياهُ احب اخاهُ سليم ايضاً واتخذه صديقاً . وكان يقربهِ ويضيفهُ ابداً ويعاملهُ بالاكرام والاحسان كعادة العرب . وكان لهذا التاجر العربي ابنةٌ حسناء لا يتجاوز سنها الثاني عشرة سنة تدعى زينب . قلت ان سليم كان محبوباً من ابي زينب وكثير الترداد على بيتهِ ضيفاً . وفي احدى العشايا اذ كان سليم يقرى على مائدة ابي زينب وكانت هذه الابنة جالسة قبالتهُ مع ابيها وامها واخوتها واخيهِ امين كان يرى نظراتها تحاول الوقوع عليهِ كفراش على لهيب . ولما كانت صبابة الصبا لم تخامر قلبها من قبل وكان وجهها يصفرُّ وجلاً ويحمرُّ خجلاً كلما سرقت عيناها نظرة من وجه سليم الذي كان يشاركها بهذه المشاعر المجهولة منهُ قبلاً

قلت ان مشاعر الحب كانت مجهولة من سليم وزينب حسبما يقتضي سنّ كلٍّ منهما وشانهُ ومرباهُ لان مربى الشخص وحالهُ في دنياهُ قد يؤخران عن قلبهِ وقائع الميل كتأخيرهما طبيعة البلوغ ولذلك فهذا الحب الذي اخذت نارهُ تشبُّ في قلبين بسيطين كان شديد التأثير عليهما حتى لم يَعُدْ لزينب شغل سوى الاختلاء في مخدعها حيث تغوص في لجج التفكر والتواجد . فكانت تكبُّ

مراراً على المرآة وتقول في نفسها اذ تعاين بدائع جمالها . يا ترى هل يحبني سليم كما انا احبهُ . وهل يشعر قلبهُ بما يشعر قلبي . وهل طُبعت صورتي في ذهنهِ كما طُبعت صورتهُ في ذهني . فما هذه الصورة التي لازمت قلبي وما عادت تغيب ولا تنمحي عنهُ . ويا للعجب لماذا يعلمني غيابهُ طرائق لقياهُ ويمنعني حضورهُ عنها . اذ أرى نفسي في عجزٍ حتى عن الدنو منهُ والتكلم معهُ . فكانني اذ أراهُ بدواير يدور براسي وغلق يغلق فمي ورعشة تباعدني عنهُ حتى اخال لهيباً يصعد من قلبي الى وجهي ويحول بيني وبينهُ

اما سليم فقد بلغ منهُ حب زينب كل مبلغ واوقعهُ في النحول وبلبال البال . وكلما اتفق لهُ ان يكاشف زينب سر ميلهِ اليها كان يعارضهُ تهيبهُ جمالها وخجلها منهُ . وقد مضى اكثر من سنتين ولم ينطق احدهما بكلمة للآخر الَّا ان لسان الحال كان افصح ترجمان بينهما . ولم يزالا هكذا حتى اتفق لسليم يوم عيد أن دخل على زينب وكان ابوها غائباً وامها تغنم رقاد النهار في سرداب تحت الارض اذ كان قيظ الصيف شديداً . فهم ان يخرج للحال فقالت لهُ زينب وصوتها يرتعش على مَ ترجع هلمَّ ننزل السرداب فانبه والدتي وقد يعود الآن والدي . فتوقف سليم هنيةً ثم رجع مع

زينب ونزلا قاعة السرداب فجلس متطرفاً عن الراقدة ·
وجلست الابنة جنبهُ منتحية عنهُ والعرق يكلل وجنتيها وبعد
صمتٍ ما قال لها سليم لماذا لا تتكلمين ياسيدتي لعلي غير اهل
لاستماع كلامكِ العذب فاطرقت قليلاً · وانبجس على محيّاها
قبس الحيا. ثم أَفلتَ من صدرها تنهد طالما امسكتهُ ولم تسمح بهِ
امام هذا الفتى ورمقتهُ قائلةً بماذا اتكلم امامك وانا في قصورٍ
فكن انت المتكلم · قال وهو يغصُّ برعشة الوجد انني عند ما
اراكِ يا سيدتي يحار فكري وينفلج لساني فاجابتهُ وهي تمُّ اليهِ
وتبتسم . عساك تشعر بما انا اشعر بهِ حباً او بغضاً قال انني
ابغضكِ اكثر من بغض الجبان نفسهُ حتى انني لشدة بغضي اياكِ
اخال ان هدّاماً يهدم راسي حالما اراكِ ورعدة تنبث في كل
فرائصي . قالت وانا ابغضك الى هذا الحد لان القلوب على
حسها . قال فهل توثرين يا سيدتي ان نتعاهد على هذا البغض
الذي ننوّه بهِ عن ضدهِ وما اسعدني لو سمعت من فمكِ المفترّ
عن الحبّ كلمة الحبّ اذا كان لها في قلبكِ معنىً . اما تعلمين
ان القلوب جنودٌ مجنّدة ما تعارف منها ائتلف . وما تناكر عنها
اختلف . فأَجابت وقد سال الياقوت على اللجين . وانشقّ

العقيق عن اللؤلؤ . ومن ايّ عهدٍ انت تحبني . قال منذ رأيتكِ المرّة الاولى . قالت نعمَ الاتفاق قال اذًا انتِ تحبين عبدك حقًّا يا سيدتي وهل انا سعيدٌ الى هذا الحدّ حتى استحق حبَّ قلبٍ هكذا شريف وعزيز نظير قلبكِ . فما انا عندكِ سوى خادمٍ نظير اخي . قالت وهل انا بهذا القدر بخيتٌ حتى استاهل ميل فتًى نظيرك كريم النسب وعريق الاصل وجامع احسن الصفات على احسن ذات وهل انت الَّا من اكابر القوم . وما فقد المال يضرُّ بأَصل الكريم ولا بدَّ للانسان من نوال وحرمان . وكل البشر يتخادمون . فأَجاب وهو مبهوت من انطلاق لسانها في هذا المعنى . ان الحبَّ يا سيدتي يتغاضى عن كل نقصٍ وقبح . ولا يرى الَّا جمالًا وكمالًا . ومع ذلك فانا اخال نفسي غير اهل لقلب عذراء غانية نظيرك ويا حبذا لو كنت لهُ اهلًا . ثم تناول يدها وقبلها قبلة النسيم للياسمين . فقبضت على يدهِ وهي ترتعد بين الاستحياء والانعطاف . وبعد برهةٍ عقدت هاتان اليدان عهد الحب بينهما وانفضَّ هذا المرسح

الفصل العاشر

يوسف النمساوي

وكان للتاجر النمساوي المستأجر سليم ابن يقارنهُ بالسنّ اسمهُ يوسف وبينهما الفة عظيمة. فقال يوسف يوماً ما لسليم ما لي اراك يا اليفي منشغل البال وكثير البلبال نظير العشاق او المرزوئين. فايُّ عشقٍ اصابك او ايُّ رزءٍ قل لي. اصابك عشق ام رُميتَ باسهمٍ : فما هذه الآسجية مغرم. فلعثم سليم وحاول عدم الافصاح. الآن لعثمتهُ استزاذت باستنطاقهِ. فلجَّ يوسف وقال اخبرني عن شأنك الحق. فاذا كنت تحبُّ فتاة وترغب في الزواج بها. فانا أُسرُّ بذلك واكون لك اذا شئتَ مساعداً. فاخرج سليم من جيبهِ رقعةً ودفعها لهُ * واذا مكتوب فيها هذه الابيات *

صبابة قلبٍ لا يخفُّ سعيرها وعبرة عينٍ لا يجفُّ غديرُها
وطاعة نفس في الهوى خضعت لدى مليكة حسنٍ في الفؤاد سريرُها
بنيتُ لها فيهِ قصوراً وانَّما خورنقها لا يمَّحي وسديرُها
مهاة على الاسد الكواسر قد سطت باسيافِ عينٍ لا يصح كسيرُها
اذا اسرت قلباً تابّد طرحهُ بسجن الهوى اذ ليس يفدى اسيرُها
على قدر زود الحسن منها وعجبها يزيد هوى نفسي وينمو غرورُها

ولمَّا علا طور الجنانِ جمالها　تجلَّى محا انوارَ عقليَ نورُهـا
فجاء غرامي والتياعي شريعةً　على لوح صدري منزلاتٌ سطورُها
وراح ضميري في الهوى بارزًا لدى　بروز نهودٍ غير خافٍ ضميرُها
بالحاظها قلبي جريحٌ وراقصٌ　فهنَّ سيوف او كؤوس تديرُها
فكن عاذري ياصاح لاتكُ عاذلي　فان الهوى حمَّى مذيب سعيرُها
وعش خاليًا عن اعين الغيد فهي لا　تبقّي على عقلٍ واني خبيرُها

ولما قرأ يوسف هذه الابيات قال لسليم ها انت عاشق متيَّم فهل بودك ان تزيح لي القناع عن هذه المليكة التي شيَّدت لها في قلبك قصور الهوى واجلستها سريرًا لا يتسنمهُ الاَّ ملوك الجمال . فاجاب سليم لا أُميط القناع حتى تقسم لي بحرمة الصدق انك تساعدني ولا تباعدني . فاقسم لهُ يوسف بما اراد . فاخبرهُ سليم امر عشقهِ لزينب منذ حدوثهِ . وقصَّ عليهِ كل حوادثهِ طبق مايقتضي قلبهُ المتمحّض بمعنى اسمهِ . فقال يوسف اودُّ ان اعرف هذه الغادة لاري هل تلايمك . فاجاب سليم انها تلايمني واي ملايمة . ولو كان بينك وبين ابيها تزاورٌ لكنت تعرفها وتقرُّها افضلية الجمال على كل رعابيب الزوراء وتكون لي في عشقها عذيرًا . واذ سمع يوسف ذلك انبرم على نفسهِ كدولاب الهواء وقال وهو يقلس من فمهِ

ساعرفها غدًا . ثم ادار قتبهُ وهرول . وعاد سليم الى مكتبهِ سارًّا بوعد يوسف وموطنًا عليهِ وطرهُ . وهو يقول في نفسهِ

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنتُ اظنّها لا تفرجُ

وما مضى بضعة ايام من هذه المكاشفة حتى صادف سليم ابا زينب ويوسف يتخطّرانِ معًا في الطريق المؤدي الى بيت مستاجرهِ النمساوي فقفا اثرهما من حيث لا ينظرانهِ حتى رآهما دخلا ذلك البيت فعلم للحال ان يوسف يهمّ في عقد صحبة مع ابي زينب فزاد غَشَمهُ بالعَسَم . وبعد يومين من هذه المصادفة قال امين لاخيهِ سليم وهما على مائدة العشية قد رأيت اليوم يا اخي ابن تاجرك يوسف في بيت تاجري ضيفًا على الغذاء . وقد عجبتُ من ذلك لانني لم اعهد بينهما صداقة الى الآن . فافترّ سليم عن ثغر الامل وقال يا اخي وما ادراك انهُ لم يكن بين هاتين العائلتين صداقة قديمة قبل معرفتنا اياهما ثم انقطعت والآن رجعت فاتصلت . فقال امين بلى كل شيء لا يناقض بعضهُ هو ممكن . فلا يستحيل الّا المتناقض . الّا ان قلبي يحدثني بعدم وجود اثر لصداقة قديمة بينهما لان الافرنج والعرب كالزيت والخمر يجتمعان . ولا يتمازجان . فاجاب سليم ليكن هكذا فاكرم بها صداقة جديدة . فقال امين أمَّا

تغار على زينب وهلّا تحسب العواقب · اجاب سليم بكل صفاء اغار عليها من ابيها وامها ولا من يوسف واحسب العواقب فاراها حميدة · لان هذا الفتى قد وعدني منذ بضعة ايام بمساعدة تمكنني من الاقتران بها . اجاب امين لا تركن الى المواعيد يا اخي . فما اكثر الواعدين واقلّ الوافين . وكم في الدنيا من عرقوب . وها انا سأتزوج قريبًا بمن احبها لئلّا يجدّ لي مساعدٌ عليها . ولو كانت من مقامٍ لا يقتضي لي فيهِ مساعدون . فضحك سليم ضحكة المتهكم وقابلها امين بضحكة المنذر

وفي الغد اذ كان سليم مشتغلاً على مكتبهِ . حضر اليهِ يوسف واخبرهُ بالمزاورة التي جرت بينهُ وبين ابي زينب . فسألهُ سليم وكيف رأيت من احبّ وما قولك بنظري وذوقي . فاقلس شفتهُ واجاب لا جدال على الذوق والنظر . فوثب سليم على رجليهِ وقال فاذًا لم تعجبك زينب وحسبت ذوقي فاسدًا . فاجابهُ يوسف ربما هكذا فحملق سليم وقال كيف لا تعجبك ابنة انافت على كل بنات الزوراء حسنًا وجمالاً . وقدًا واعتدالاً . وذاتًا وخصالاً . وتيهًا ودلالاً . وادبًا وكمالاً . فاجاب يوسف بخٍ بخٍ فكن فيها مفتونًا ومجنونًا وافٍ افٍ لذوقي وتفٍ تفٍ لنظري . وها انا يا سليم مقيم على

وعدي فاجابهُ اشكر فضلك لانك زدتني فيها ولوعاً وغراماً . وكلفاً وهياماً . وشغفاً واضطراماً . ونحولاً وسقاماً . فقال لهُ يوسف فكن على بلواك صبوراً لاكون لك نصيراً . وانفتل على نفسهِ متمتماً متفتفاً وسار مهرولاً . ثم اصبح لسليم رفيقاً في التردُّد على زينب وزاد عليهِ تردُّداً لانهُ صار يزورها نهاراً وليلاً . من حيث لا يستطيع سليم ان يزورها الّا ليلاً ولا كل ليلةٍ لداعي حرفتهِ . اذ ان الذي يؤجر نفسهُ لا يقدر ان يكون حرّاً . ولما رأى سليم شدة تهافت يوسف على هذا التردُّد تنفَّس في ذهنهِ سوءُ الظن وخيم عليهِ سحاب الشك . وعصفت بهِ ريح الغيرة الّا ان عظم ركونهِ الى رفيقهِ كان يطيب خاطرهُ احياناً ويخرس لفظ شكوكهِ واوهامهِ

الفصل الحادي عشر

الاغراء

وكان لسليم وامين صديق طاعن في السن ورثا صداقتهُ عن ابيهما وهو رجل خبير باحوال الدنيا وقد اوسع الدهر راسهُ حكمة ونباهة . وما كان يضنُّ على هذين الغلامين بارشادهِ وايعازهِ وايقاظهِ لهما فاتفق انهُ صادف سليماً في الشارع وجهاً لوجه ولم

ينتبه اليهِ هذا الفتى اذ كان ثملاً بخندريس الهدس . فصاح بهِ هذا الشيخ وجذبهُ قائلاً لهُ . ياسليم في اي العوالم انت . فصحا للحال وتوقف مجيبًا انا بين يديك يا عمَّاه . قال الشيخ على مَ هذا السهو وفي ايّ السموات يجول فكرك حتى مررت بي ولم ترني . فاجاب سليم حق ما قلت يا عمَّاه لان خطبًا خطب سريرتي وعلق بها . وماهذا الخطب اجابهُ الشيخ لعلهُ ما بلغني اخوك امين . وما بلغك اخي اجاب الفتى . فاستضحك الشيخ وقال أنك علقت بابنة مستأجرهِ العربي وراح عقلك منعقلاً باسرها . وان مزاحمًا يزاحمك في حبها ويروم ان يقترن بها أَفهذا صحيح ام لا . اخبرني الحق . فما لك نصوح غيري ودليل . فاخذ سليم يلعثم الجواب ويمضغهُ متردّدًا بين المعنى واللفظ . فصفح الشيخ خد الفتى برفق صفعة المواسي ثم قبض ذراعهُ وسار بهِ قائلاً لهُ قل قل يابُني هل ذلك اكيد والَّا . فاجاب سليم وهما يسيران الهوينا . نعم ان ما اخبرك اخي امين هو صدق ولكن لا صحة للمزاحم المزعوم وما يفعل المزاحم بين محبّين لا يثني احدهما عن الآخر فاجاب الشيخ وهو يهمهم كن حاكمًا على شانك لا على شان غيرك . فاذا كنت انت لا تنثني عن زينب فما ادراك انها لا تنثني عنك . فان قلب الانثى ميَّال نظير قوامها

وطائش نظير عقلها وحائرٌ مثل احداقها ورقيق مثل خصرها ٠ فهو يقبل كل مؤثر ولا يستقر على مركز ٠ ولا تهيم الانثى بالذكر حقّ الهيام ما لم يبرز لها بمزيةٍ من ثلث مزايا وهي ٠ البسالة . والغنى والجمال . ولاسيما اذا كانت الانثى من بنات الاكابر فما عوّدك مرباك ان تكون باسلاً . وما سمحت لك الاقدار ان تبقى غنياً واذا كنت جميلاً فقد يوجد اجمل منك ٠ فان كان المزاحم اكثر منك بسالةً او غنًى او جمالاً فابشر بانقلاب زينب اليهِ ٠ ولا عدت تريها وجهك حذرًا من استتباب نفارها عنك ٠ فاجاب سليم ان الذي يخالهُ اخي مزاحمًا ليس بابسل مني لان تربيتهُ المتراخية لم تعوّدهُ البسالة ولكنهُ اغنى واجمل ٠ الّا ان العهد الذي جرى بيني وبينها على حفظ الذمام وعظم ميلها اليّ يمنعانها عن ان تعتبر الغنى او تراهُ اجمل مني وخصوصًا هي من بنات الاغنياء فليس لها طمع بالمال ٠ فاجاب الشيخ انت مغرورٌ ياولدي والحداثة سنك لاتدري مزايا البشر بعد ٠ وما احلى ذكرك عهدًا للانثى أَما تعلم ان عهدها عليل كجفونها وحالك كفرعها ولا يقوم الّا في عينيها فمتى استجملت جملت ٠ وما اظرف قولك انها من بنات الاغنياء فلا طمع لها بالمال ٠ أَما تعلم ان الانسان كلما اكثر

واثرى زاد نترعهُ الى الغنى وعظمت فيهِ خلتا الشحّ والطمع حتى يعود من دأبهِ وديدنهِ الاعراض عن المقلّ واستهجانهُ كل ذي املاق فلا يكلمهُ ولا يحييهِ ولا ينظر اليهِ الّا نظر الجمل الى الحمل ٠ وما انفس قولك انهُ اغنى منك واجمل . فهاك صفتين سيكون بهما انقلابها عنك وعشقها اياهُ ضربة لازبٍ ٠ وان صفةً واحدة هي كافية كما تقرَّر

فتنغَّص سليم من عبائر الشيخ وانف مفادها مما فيها من التخييب والتأنيب واجاب ينتج من مقدماتك يا سيدي ان الثبات في الحبِّ مستحيل على كل ذات خدر ٠ فلا تستقر على احدٍ الّا وتنقلب الى آخر وهكذا فقد أَبطلتَ العهود بين الفريقين وقطعتَ علاقة الالفة بينهما فجعلتَ البشر كالبهائم ٠ لان الصفات التي ذكرتها يندر وجودها على حقائقها واذا وُجدتْ فلا تكون متساوية في الذوات بل تكثر في هذا وتقلُّ في ذاك . فتكون بها الافضلية والمفضولية بين الاشخاص غير متناهيتين ومن ثمَّ فتكون انقلابات قلوب الانثى سلسلة غير متناهية . فهل هذا صحيح وعليهِ المعوَّل ٠ وكيف يستطيع قلب المحبّ ان يسلو عمَّن يحبهُ منقلبًا حالما ترى عينهُ الاحسن او الافضل ٠

وهل يرى المحبُّ احسن وافضل من حبيبهِ اذا كان الحبُّ صادقًا لا لعمري · لان جميع شوائب المحبوب وعيوبهِ تبدو لمحبهِ محاسن وفضائل لا مزيد عليها . فانا اعلم يا عماه انهُ يوجد في بغداذ اجمل وافضل من زينب · الاَّ ان عيني لا ترى ذلك وقلبي ينفر كل النفار عمَّن يسومني الميل عنها الى سواها او يقول لي هاك الاحسن . فهل اذا كانت تحبني لا تنحو نحوي ولا تشعر بشعائري · ولما استتمَّ الشاب كلامهُ نظر اليهِ الشيخ نظرة المترف وغمغم بكلام بهم ثم قال ان صغر سنك يا ولدي لا يمكّنك الآن من فهم افكار شيخ كبير نظيري ولا يأذن لي بان اشق لك الحجاب عن ضميري لانك غير قادر ان تعلم الآن كلَّ ما علمني الزمان فانهُ مدرسة جامعة يُدرَس فيها اجل العلوم وانفسها · وادقّ الفنون واصعبها . ولا ينتهي درسها حتى ينتهي العمر . وكثيرون يموتون فيها وهم جاهلون . فكيف يمكنك ان تدري اسرارها وانت في عتبتها بعد · وعلى كل حال فقد استنتجت من مقدماتي نتيجة لم اقصدها البتة . لانني اعلم ان ربات الشرف والناموس لا ينكثنَ بالعهد اذا كان صحيحًا . ولكن اذا كان العهد فاسدًا اي غير مرتبط باصولهِ الشرعية . فيهون النكث بهِ على الحليفين

متى ظفر احدهما بالاحسن . وهذا يغلب في الانثى لكونها تتأثر قبل الذكر واكثر منهُ . فأخذ سليم يذرف الدموع ويشرق بها متنهدًا متصعدًا واخذ الشيخ يواسيهِ ويطيب خاطرهُ حتى اذا ما سكن روعهُ قال لهُ لا ينبغي يا ولدي ان تكون هكذا هلعًا لدى كل حادثة وانت في سن الشجاعة واقتحام المصاعب ولا سيما وانت في اول مرحلة من طريق الحيوة المفعمة غمومًا وهمومًا ومحنًا ونكبًا . وما نراهُ الآن مرًّا فهو احلى من الشهد بالنسبة الى غيرهِ من المرائر واعلم ان الانسان هو شقي في هذا العالم . ولم يولد الا على الاوصاب والاتعاب . واذا لمحت احدًا من بني آدم في نعيم فقل انهُ في شقاء مبين وبمقدار اعتبارك نعيمهُ اعتبر شقاءهُ . قال الشاعر

لو سوَّد الهمُّ الملابسَ لم تجد بيض الثياب على امرء في محفلِ

وكم من المتنعمين يتجرعون صاب المصاب من كؤوس تنعمهم ويودون لو كانوا تحت الحوادث حجرًا ملمومًا . ولا ريب في ذلك يابني لان طمع الانسان وحسدهُ لاينتهيان واوطارهُ لا تنقضي . فكلما بلغ وطرًا تترّع الى آخر واخذ يرتكب ما امكن من المنكرات والفظائع لنوالهِ فينقم عليهِ الدهر ويردهُ خائبًا ويبتزمنهُ

ما كان في يدهِ . فتاكلهُ حينئذٍ نار السدم والندم . ويخيم عليهِ سحاب الهموم ويحيط بهِ قتام الغموم . واذا بلغ الانسان سدرة منتهى الامال والاوطار . فلا تنضب بئر طمعهِ ولا تخبو لظى حسدهِ فتظل امياله عاصفةً بهِ وثائرةً عليهِ . واذ لايعود يرى ما يشفي غليل تلك الجوانح الظامية . ينعكف على التشفي من نفسهِ فيبغضها ويمتهنها ويكدُّ في اتلافها واعدامها اذ يرى الموت خيراً لها من حيوةٍ لاامل فيها . ولا حطب لنار الحسد والطمع . فاذا كان من يبلغ آخر درجة من سلم السعادة لايرى سعادةً فكيف تكون احوالهُ على الدرجات الادنى لابدع انها تكون اشدَّ مصاباً واعظم خطباً . الآن الامل بالاعلى يعزيهِ ويسليهِ . فلا يشعر بما يشعر وهو فريسة بين انياب اليأس . فهل تدري من يستطيع التخلُّص من هذا الشر العظيم . انما هو الراضي بما هو عليهِ والسالك في طريق حياتهِ حسبما ينهج لهُ جدُّهُ ومسعاهُ وتأذن بهِ الاقدار . ولا بد وان يكون الصبر الجميل حليفاً لهُ ورفيقاً . اذ ان الاستسلام الى حكم القضاء عون للمرء ونصير . فكم هو عارٌ على شاب نظيرك ان يسجم الدمع متحسراً لدى اقل عارض او طارق فماذا تفعل اذا هجمت عليك الايام بكل غاراتها . وانقض عليك

باشق الدهر بكل جوارحهِ لا سمح الله . فاحفظ دموعك في محاجرها ولا تنفقها على فتاةٍ خليق بها انفاق الدمع عليك

فتطيَّب خاطر الفتى قليلاً . وبعد برهة من السكوت التفت الى الشيخ وقال لهُ ناشدتك الله يا سيدي ان تقول لي هل انت مؤكد انقلاب زينب عني ومن اخبرك بذلك . لان لهجك اوقعني في الريب

فضحك الشيخ وقال لهُ يمين الله ولا اكذب لا علم لي بهذا الامر . الّا ان كثرة تردُّد الخواجا يوسف صديقك على زينب حبيبتك يوهمني ذلك ولا اشك ان ابويها يرغبان فيهِ خطّيباً لها ويفضلانهِ عليك كما لا تنكر انت ولا سيما اذا احبها واحبتهُ منقلبةً عنك . فأَجاب سليم كيف يمكن ذلك وهو داخل لمساعدتي على خطبتها بكل امكانهِ وهي قد عاهدتني بانها لا تتزوج بغيري سواءٌ كنت غنيًّا او فقيرًا . افما يتيسَّر لي ان اعيش معها في سدادٍ عن عوَز حتى يفتح الله لي باب الرزق ويجعلني اغنى من ابيها ويوسف . وهل على الله أَمرٌ عسير . فكما انني شكرتهُ على اخذهِ بعد عطائهِ أَفلا يودُّ ان اشكرهُ على عطائهِ بعد اخذهِ . وهل ترغب حبيبتي زينب في ان اصبح فريسةً لليأْس وانا في سنّ الامل

والرجاء . هذا وانني أرى التفاتاً عظيماً من ابيها نحوي وحبا لا مزيد عليهِ . فما ادراك ان ثمرة هذا الالتفات والحب لا تكون تزويجهُ اياي بابنتهِ مع صمدٍ ونقدٍ وغير ذلك وهو يعلم انني منعكف على شغلي وعملي . وليس لي خصلة قبيحة فلست سكيرًا ولا مقامرًا . ولا مسرفًا . ولا لاهيًا . ولا خليعًا . ولا خائنًا . ثم ويعلم ان خصلة من هذه الخصل تكفي ان تزج باعظم الاغنياء في وادي الفقر والاذلال . وتجعلهُ نقمة لابيهِ وحميهِ وكل قومهِ . كما يعلم ايضًا ان الذي يكون عائشًا في الكد والكدح هو افضل واحسن ممن يكون مولودًا في الاتراف والغنى وعائشًا بهما . لان الاتراف في الغنى يورث الانسان كل صفة ذميمة ولا سيما الكسل والجهل والخلاعة . وضدهُ الكد في العوز فانهُ يكسب الانسان كل مزية حميدة . وخصوصًا النشاط والادب والشهامة . وكم من الاغنياء يوحي اليهم الجهل ان يذخروا بناتهم لغنيٍّ من امثالهم فيصبحنَ قواعد وعوانس لعدم الظفر بالمقصود وكم غنيٍّ قد يحب ابنة فقير ويتزوج بها ولا يحفل بصناديق امثالهِ التي لا تقدر كل كنوزها ان تستر عارًا واحدًا . وخصوصًا اذا كانت مجموعة من الاغلال والاسلال . فعجب الشيخ من جراءة لسان

سليم في هذا المعنى وطرب كل الطرب . وقال لهُ انني اراك يا بُنيَّ ممن يشيد لهم الزمان ابذخ القصور . فكن مستبشرًا بفتحٍ قريب فانت حريٌّ بان تتزوج احدى بنات الملوك . لان ذكاء عقلك وحسن فطرتك وسلامة قلبك هي خصال تسمو بصحابها الى قمة الكرامة والمجد عاجلاً او آجلاً . وانا اطلب الى الله تعالى ان يبلغك مناك ويزيد بسناك . ثم ودَّع سليم صاحبهُ الشيخ الوقور وانفصل عنهُ

الفصل الثاني عشر

الدجلة

ولبث يوسف وسليم يترادَّان على بيت ابي زينب . الَّا ان سليماً لم يَعُدْ يرى من ابوي حبيبتهِ ما كان يراهُ قبلاً من البشاشة والاكرام . ولم يعد يشاهد منها ذلك الالتفات والابتسام . وقد نقص للغاية ما كان يتوسم في وجهها من لوائح الانشغاف بهِ . حتى انها صارت تتباعد عنهُ وتحاول الايجاز اذ يتكلم معها بينما كان يرى ما ينقص من نصيبهِ يزيد في نصيب يوسف نصيرهِ . فما تمالك ان يدع صاحبهُ هذا الامين بدون اعتراض ولا سؤَال . وأَخذ

ينتهز فرصةً لذلك . لانهُ منذ اختلاج الوهم في ضميرهِ عمد الاَّ ينشم بالكلام معهُ في شأن زينب حذراً من ان يباديهُ بجواب يجرح قلبهُ المنكسر وهو عندهُ ماهن

وفيما كانا يتنزهان ذات يوم على شاطئ الدجلة ولا حديث بينهما . اذا قوم مروا بهما وهم يغنون هذا القدّ على لحن عدّينا الشامات بالجوز الخ

حجاز اصولهُ صفيان

ذات جيد الخشف لمَّا . اقبلت لم تبقِ همَّا قدّها المياس اسمى . من قضيب الخيزران

يا ربي الامان من قوام مرَّان يا ربي . الامان

سلبت مني حشايا . ودعتني للبلايا ودنت تبغي سوايا . وهي فوق المهرجان

يا ربي الامان من قوام مرَّان يا ربي الامان

انا لا اهوى سواها . في وفاها وجفاها ان قلبي عن هواها . لم يحلْ طول الزمان

يا ربي الامان من قوام مرَّان يا ربي الامان

ماجلا ليلَ الذوائب . غير انوار الترائب وجهها يبدي العجائب . حار فيهِ القمران

يا ربي الامان من قوام مرَّان يا ربي الامان

ولما وقعت في سمع سليم هذه الكلمات وهي (ودنت تبغي سوايا وهي فوق المهرجان) سقط على الارض مغشياً عليهِ . واندفق بكاء اماقهِ حتى غرقت خدودهُ بالدموع . وهو يصرخ من صميم

فؤادهِ آلا واحر قلباهُ واذ رأى نصيرهُ يوسف هذا الحادث الفجائي وقف مبهوتاً وباغت قلبهُ خفوق الارتياع اذ انهُ خال ان صرعاً صرع راس صاحبهِ. ولما تبصر ملياً علم ان صعقة هيام وقعت على سليم ولا صرعاً. فدنا منهُ واوقفهُ بيد من حديد. وجعل ينبههُ ويسترجعهُ الى رشدهِ حتى اذا ما افاق وصحا جعل يردّد هذا الكلام بنغمتهِ (ودنت تبغي سوايا وهي فوق المهرجان) فاغاظ يوسف هذا الترديد حتى ازلقهُ بنظرهِ قائلا لهُ بلسان جري وصوت جهوري. ما اسخف عقلك يا سليم فانها اذا كانت فوق المهرجان فالأولى ان تكون لي ولا لك. لانني ارفع منك شاناً. واكبر قدراً. وما انت عندى سوى ماهن فلو كانت تحبني قبلك ثم اعرضت عني اليك لحق لي ان انشد هكذا كلاماً مشمخراً ولكنت بهِ جديراً. فدارت براس سليم نخوة الشهامة وقابل ليوسف اتظن انها تحبك وقد اعرضت عني فاجاب نعم وقد حبتني قلبها المنقلب عنك. ولعظم تغفلك وبلادتك لم تشعر انت بذلك الى الآن. فاجاب سليم وانت لفرط جهلك واغترارك تزعم ان عقيلة نظير زينب تحبُّ عتلاً خائناً نظيرك. لانني اخبرتها بمواعيدك لي ياعرقوب الزمان ومادر

الاوان . لكي اعرّفها سبب خطورك الى محلهم . ولا بد وان تكون يا قاشر الشؤم والملق الخداع قد اغريت ابويها فاغرياها عليك واضطراها ان تميل عني قسرًا وغصبًا كما يفعل كثيرون في هذه الامصار مع بناتهم الغير العالمات بما لهنَّ من حقوق الطبيعة وحرّية الاختيار فيقتلونهنَّ جورًا وظلمًا . فاجاب يوسف وهو ينفتل على نفسهِ نظير الرحى . احسب ياسليم كيفما شئت وقل ما تريد وتشتهي فان حبيبتك صارت حبيبتي وهي في قبضة يدي وعما قليل ستكون زوجتي . فرُح وليصلِك الله نارًا ذات لهب . فبعد عنهُ سليم وهو يقول لهُ ورُح انت يا ايها النذل الخائن فلعنة الله على الكاذبين وها انا ذاهب عنك ولن تراني فابعث اليَّ باجرتي والَّا فلتكن معك للهلاك . وهكذا انصرف سليم وقلبهُ يفيض نارًا وشرارًا . وبعد بضعة ايام اقبل اخوهُ امين وفي يدهِ كتاب مختوم باسم اخيهِ سليم . فناولهُ اياه قائلًا خذ هذا الكتاب من زينب واحفظهُ في سريرتك كما اوصتني فما صدق ان تناول سليم الكتاب بولهٍ ودخل البيت ليقراهُ فانعكف الى حجرة منفردًا وفضهُ من ختمهِ واذا مكتوب فيهِ هكذا

سيدي سليم

انني لم اخن عهدك. ولم انسَ ودك. ولا يخطر في بالي سواك حتى انني اهذُ بك ليلي ونهاري. الآن صاحبك الخواجه يوسف الذي قلت لي انهُ صديقك الوحيد. ونصيرك على ما تشتهي قد اشهر حبهُ اياي وطلبني من والديَّ خطيبةً لهُ فاجابا طلبهُ للحين بدون سؤال عن ارادتي. ولما سمعتُ ذلك انطرحتُ على اقدامهما وشرعتُ ابكي وانتحب واستجير واسترحم. وما كان يجديني كل ذلك سوى التعنيف منهما والتبكيت والكبح حتى قال لي والدي لا اعرفكِ ابنة لي اذا لم تقبلي الزواج بهذا الشاب. واحذري ان تذكري غيرهُ بفمكِ. وكيف ترفضين سعادة الزواج بشاب افرنجي وهو ابن تاجرٍ غنيٍّ اعلى منا مقامًا واوسع تجارةً. فهذه هي حالتي يا حبيبي سليم. وها ساصير ذبيحةً ومحرقةً رغمًا عني وكرهًا. وغدًا سيتم احتفال الخطبة ونزاع موتي فماذا اصنع وكيف اتدبر وبمَ اتعلل وليس لي نصير ولا مجير سوى التنهد والحسرات وفيض الدموع. واعلم يا عزيزي ان التغير الذي كنت تتوسمهُ في وجهي وتحسبهُ دليل سلوان او انقلاب لم يكن تعمدًا مني بل موعزًا بهِ من والدتي التي صارت تامرني

بالتباعد عنك والاقتصار حالما رأت التفاتاً اليَّ من صديقك الذي سيكون بعلاً دون ارادتي . فلناخذ الصبر الجميل على هذا الويل وان بين الليل والنهار عجائب . (زينب)

ولما استتم قراءة هذا الكتاب انطرح على المقعد . واخذ يسكب ماء العبرات . وينفخ شرار الزفرات . ويتأوه ويتحسر . حتى كادت روحهُ تبلغ التراقي . وتسيل سويداء قلبهِ من المآقي . وفيما هو يذرف الدموع ويئنُّ ويتوجع بتأوهٍ يذيب الجلمود ويحرق الاخدود . دخل عليهِ اخوهُ امين واذ فاجأهُ هذا المشهد المؤلم من اخيهِ سليم انقضَّ عليهِ وضمهُ الى صدرهِ . واخذ يقبلهُ ويباكيهِ بعيون اسجل واسجم . وهو يقول لهُ طب نفساً يا اخي طب نفساً ولا تزج هكذا بنفسك في وهدة الحزن والكرب . وما ادراك ان سواد الليالي لا يلد لك بياض الفوز والظفر . اما تعلم ان غِيَر الدهر تاتي بما لا يخطر على بالٍ ان شرًّا او خيرًا . فحسبك هذا الاضطراب والاكتئاب فقد فطرت قلبي واذبت روحي . وهكذا فما برح يطيبهُ ويعزيهِ حتى اصعد شهقة الارتياح واستوى على عجزهِ وجعل يكفكف دموعهُ ويمسحها حتى اذا ما رآهُ امين طاب نوعاً امسك بيدهِ وقال لهُ قم بنا نتسرب

ساعةً فاجابهُ سليم دعني يا اخي هنا برهةً . لانني لا اطيب ما لم اكتب جوابًا الى مليكة فؤادي ومحور مرادي . وما استتم كلامهُ حتى نهض حالاً واخذ دواةً وقرطاسًا وشرع يخط هكذا وانصرف عنهُ اخوهُ

شقيقة القمرين وقرة العين السيدة زينب

انني عند ما تلوت رسالتكِ المحررة بانامِلكِ البلورية دار براسي دُوَام الحزن والشجن ووقعتُ على الحضيض صريعًا واوشكتُ ان ألقى حتفي اسفًا وكمدًا واو لم يداركني اخي لبخعت بنفسي لا محالة وجعلت ذاتي ضحيةً لحبكِ وفداء يا مليكة قلبي فماذا اقول وماذا اصنع والى من اشكو واتظلم وبايّ سلوة وعزاء عادت الدنيا تاتيني وانتِ سلوة فؤادي وتعزية قلبي ولا سواكِ وقد حال بيني وبينكِ ذلك الغدار الخائن والكذوب المنافق والملاسن المداهن الذي اضحى حريًا بكل ماجاء في كتاب السهام الناريَّة في المواقع السعادية حيثما ينخر الخنزير القحة ويهذر ابو تمامة ويخون وينكث الحارث ابن ظالم ويداور المداهن ويحاول الملاسن على انهتاك المحرمات واقتراح الفواحش فكيف احتمل ان ارى هكذا عتلاً برمًا يطور غادة غيداء نظيرك ويطوها

ويرث النعيم قبل ان ينفس فيا ويلاهُ من غدر اللئيم وخيانتهِ وواعجبًا من التليد الذي يجعل الكلاب اسدًا والسنانير نمورًا والغربان عقبانًا والاقذار عقيانًا فيا سيدتي ومليكتي كيف اصطبر على خطب انخطافكِ مني وأَنَّى اتجلد واين اروح وايان اغدو وقد اطبقت عليَّ الدنيا واوقعت بي الايام واقلعت عني السعادة وهل بقي لي في حياتي سوى نصيب. قيس مجنون ليلى فما احلى الهيام بعد فراقكِ الى البوادي في الهوادي وما الذ الشتات في القفار والفدافد حيثما يقول لي كلُّ من يمرُّ بي لك الله يا مجنون زينب فلاحول ولا قوَّة الَّا بالله (سليم)

اخذوا الحبيبَ فيا حشايَ تقطعي ونوجَّعي يا مهجتي وتفجَّعي
اخذوا الحبيبَ فيا كرى زل واحترق ولأنتِ يا روحي من الجفنِ اهمعي
اخذوا الحبيبَ وخلفوا الحسراتِ في قلبي ونيران الجوى في اضلعي
اخذوا الحبيبَ والحقوا صبري بهِ ما ضرَّهم لو غادروا صبري معي
ابكي دموعًا كالسحاب جرت وها قد احبرت ارضُ الهوى من ادمعي
انعي فؤادي يا مطوَّقة الحمى واتلي على الافنانِ خطبةَ مصرعي
واستعطفي الاغصان ان تحنو على صبٍ قتيل فراقِ غصنٍ اينعِ
يبكي بكاء الثاكلاتِ فليتهُ من زينبٍ في الحيِّ كان بمسمعِ
أواهُ ما فعلت ايادي الغدر بي هدرت دمي فبقيتُ مثل البلقعِ
لا عيشَ لي يا زينبُ لا عيشَ لي بعد البعاد ولا أطيبُ بمضجعي

الفصل الثالث عشر

البراح

وبعد ثلاثة اشهر من هذه الحادثة كان زفاف امين على خطيبتهِ . اما سليم فلم يكن يوم عرس اخيهِ الَّا مستغرقاً في اكدار ابتعادهِ عن زينب وغائصاً في عباب الاشجان . حتى انهُ لما أَنشد العازفون هذه القطعة التالية (على لحن صبَّاغ الازرق ياعشيري وميَّالا) اخذهُ الوجد والهيام حتى غشي عليهِ . وانكشف امرهُ لكل الحاضرين . فحشدوا اليهِ وجعلوا ينبهونهُ ويتغامزون . ولما أَفاق كحَّل عيونهُ الوجل . وصبغ وجههُ الخجل . ولم يعد يمكنهُ اللبث بين الجمع . فنهض وانزوى في معزل . وعمد في نفسهِ ان يهاجر المدينة

وهذه القطعة حجاز صوفيان

لمَّا تجلَّت وانثنت دلالا رأَيتُ غصناً حاملاً هلالا

لازمة

جوريَّةٌ حارت بها افكاري ونجمةٌ فاقت على الاقمارِ
وظبيةٌ بالعطفِ والنفارِ تخجّل الاغصان والغزالا

دور

سَبَتْ فؤادي بسيوفِ اللحظِ وسَلَبَتْ لبّي بدرّ اللفظِ

يا ليتَ لي منها تمام الحظِّ بالوصلِ حتى أَبلغَ الآمالا

دور

يا للهوى قد أتلفتني بالهوى وقلّبتْ قلبي على نارِ الجوى

فها انا قدصرتُ مسلوبَ القوى صبٌّ بهِ قد ضربوا الامثالا

دور

قد بيَّضَتْ شعري بسودِ المقلِ وأَرخصَتْ سعري بغالي الميلِ

وضَيَّقتْ صدري بوسعِ النجلِ وقصَّرتْ صبري وشوقي طالا

فما كذَّب سليم ان أخذ يتأهَّب الى النزح عن بغداذ ريثما انقضت مدة عرس اخيهِ امين. الَّا ان اخاهُ هذا كان يمانعهُ ويباعدهُ من وقت الى آخر. ولم يزل يرتاح الى البراح. وامين يعارضهُ معارضة اخ لا يصبر على فراق اخيهِ. الى ان انتشب الوباء في الزوراء. والتزم كلٌّ بيتهُ. وانقطع طريق المسافرين. وانبرى الموت يفتك بالكبير والصغير. والقبر يبتلع العظيم والحقير. حتى دارت دوائر المنون على ابي يوسف التاجر النمساوي وابي زينب وامها واخواتها وكل اقربائها. فاصبحت مع زوجها

الغريب فريدة تحكي يتيمة في صدفة · وبعد اربعة اشهر من نهاية هذا الوباء الوبيل الذي استمرَّ اكثر من ثلاثة اشهر لم يعد لسليم صبر على البقاء في بغداذ . لان حزن انفصالهِ عن زينب قد تعاظم وتفاقم باحزانها . اذ ان كدر الحبيب هو كدر المحب . اما امين فكان يتوسل الى اخيهِ ان يجعل سفرهُ بعد ولادة امرأتهِ التي كانت حبلى على لياليها. فقبل سليم توسل اخيهِ. وما كان بضعة اسابيع حتى وُلد لامين ابن ودعا اسمهُ حبيبًا . فأَحب سليم هذا المولود ووشم ساعدهُ باسم زينب قائلًا لاخيهِ هذا هو الاسم المكتوب على لوح صدري. فليكن مكتوبًا على ساعد هذا الغلام عساهُ يحب زينبًا ما

ثم أَخذ سليم يتهيأُ للسفر الى ان دنت ساعتهُ . فودَّع اخاهُ وسافر الى بومباي على فتح الاقدار . وما زال هناك يتعثر في طرق الكدّ ويكدح في شوط المعيشة حتى اوصلهُ مسعاهُ الى رجل من اكابر اغنياء الهند يسمَّى الخواجا باي فقبلهُ في بيتهِ وحانوتهِ واحبهُ غاية وجعلهُ زعيمًا على كل اشغالهِ واعمالهِ وما زال أَنْ تبنَّاهُ حيث لم يكن لهُ ولد

واذ رأَى سليم نفسهُ سعيدًا وقهرمانًا على مالٍ وافر تزوج

بابنة هندية . ولم يعد لهُ مكدّر سوى ادّكار زينب وفراق اخيهِ. فاراد ان يشارك اخاهُ في هذه السعادة فكتب اليهِ ان يحضر الى بومباي مع امرأتهِ وابنهِ . ولم يعلم ما جرى بعد غياب مضى عليهِ نحو خمس سنين . وذلك ان يوسف بعل زينب اذهب كل تليدهِ خسائر في التجارة لعدم خبرتهِ بها حتى افلس وصار مفتقرًا الى القوت الضروري واركس الدهر كل وجاهتهِ وكرامتهِ . فشبّت في ضلوعهِ نار الغمّ والهمّ . واخذت تفنيهِ قبل حينهِ وما عتّم ان وقع في مرض عُضال افضى بهِ الى الحتف ولبثت زينب وحدها في شرّ الاحوال. فدعاها امين الى مغناهُ وجعلها كاختٍ لهُ . ولم يخبر اخاهُ سليمًا بذلك كيلا ينغّص عيشهُ

الفصل الرابع عشر

الصاعقة

وفي هذه الاثناء مرض الرجل الهندي ابو سليم ومات لانهُ كان طاعنًا في السنّ وترك لسليم اسمهُ وكل اموالهِ ومستعمراتهِ ارثًا شرعيًا. اما سليم فما عاد يصبر بعد هذه النعمة على نقمة فراق اخيهِ. ولذلك كتب اليهِ بالحاجة ان يحضر اليهِ مع عائلتهِ

وافاده بجميع السعادة التي فاز بها . فصمَّم امين على السفر وبعد مدة وجيزة ظعن الى البصرة مصحباً معهُ امرأتهُ وابنهُ وزينب وفي وصولهِ اليها كانت الباخرة المتجهة الى بومباي حاضرةً . فركبها هو ومن معهُ واخذت تشق عباب المحيط وفي اليوم الثالث من اقلاع الباخرة اخذ البحر يكفهرُّ ويزبد . وخيَّمت الغيوم على الافق . وهبَّت غارات الرياح والعواصف . فأخذت الرعود تلعلع في السحاب . والصواعق تنقضُّ على المياه . ونشأت انجاد الامواج من غور القفر السائل . وكان دوي الزعازع يزعزع القلوب ويرعد الفرائص حتى كادت صدمات الانواء تهدم دعائم الكون وترجُّ قبة السماء في وهاد الغمر . وهكذا صارت السفينة تهبُّ بركبانها الى اوج السماء وتكبُّ بهم الى حضيض البحر . وكانت صخور الخباب تلاطمها وتقلبها على الجانبين . اذ يخال لدى كل صدمة انها غارت في القعر . فيسمع لها صرير هائل يتخللهُ ضجيج الملاحين وصياح الركبان . ولما ادلهمَّ الليل وتكاثفت حجب الظلماء وتضعضعت الاكوان في بعضها تزايد انقضاض الصواعق واشتدَّ دوي الرياح واصبح العالم مشهداً يرعب قلب هرقل وبينما كان امين يعانق امرأتهُ وهي تبكي وتستبكيهِ وزينب تحضن ابنهُ

وهي تئنُّ وتتنهد اذا صاعقة انقضَّت على امين وامرأتهِ وجعلتهما
فحمًا اسود . واما زينب والغلام فما مسهما رزءٌ الَّا ان الاغماء
اخذها وذهب بها عن رشدها . وما كانت الصاعقة لتخطف هذا
المنكود وامرأته لو لم يكن حاملاً معهُ مقدارًا من المسكوك المعدني
لان هذه الآفة الذريعة لاتهوى الَّا المعادن فتهوي عليها اينما
صادفتها . ولما كان الربان مع الملاحين غير ملتفتين الَّا الى
تدبير السفينة والاهتمام بانقاذها قدر وسعهم فما شعروا بالهول
الذي حدث . ولاسيما والظلام كان يحجب البنان عن العيان
مع ان وميض البرق كان يجليهِ كل وهلة بيدَ انهُ كان يزيدهُ بفتراتهِ
اكفهرارًا وادلهمامًا حتى اذا ما انشقَّ ستار الدجى عن وجهِ الفجر
اخذ الخباب بالسكون والهدو وما اسفر الصباح الَّا عن بحر كأنهُ مرآة
الله فجمع الملاحون حواسهم وانتبه بعضهم الى بعض وجعلوا
يطوفون اوكار الركبان ليفتقدوهم . ولما بلغوا محل امين مع سربهِ
فاجاهم ذلك المنظر المخوف فوقفوا مبهوتين مذعورين فاخبروا
الربان بهذا الخطب الفظيع . ولما حضر وعاين قضاء الله جمد في
ذهول وحيرة واذرفت عيناهُ الدموع . ثم تقدم بحنو الى امين
وامرأتهِ وجسَّ نبضيهما فرآهما قد شبعا موتًا . وبعدهُ لفت الى

زينب وجسَّ نبضها فشعر بحركة الروح في حرارة معرقة . وعلم انها في حمَّى حرَّاء . ولما لمس الغلام افاق حالاً من غفلتهِ واخذ يبكي وينتحب ويصيح يا أُمَّاهُ يا أُماهُ . فاخذهُ الربان على صدرهِ وخرج بهِ واوعز الى من حولهُ ان يزجوا بالمصعوقَينِ في البحر . ففعلوا وهو اخذ الغلام الى حجرتهِ . وطلب الى طبيب المركز ان يعالج المحمومة

فايُّ قلبٍ لا يتفتَّت وايُّ كبدٍ لا تنفطر . وايُّ دمعٍ لا ينهمر عند ما صحت تلك المظلومة من حمَّاها . وانتبهت الى شدتها واوجاعها وحصولها وحيدة وغريبة منقطعة في مركب اصبح قصعة تعوم على وجه المحيط الهندي . اذ لا عاد لها رجاءٌ ولا امل ولا تعزية ولا عون ولا نصير سوى غلام لم يبلغ الست السنين . وبحريةٍ سيعافونها في الغد وهم لا يعرفون لغتها . فتأمَّل يا صاحبي ما يهجم على الانسان من المصائب والنوائب وانظر ما تتقلَّب بهِ الايام والليالي وتبصَّر واعتبر

ولما وصل المركب مرسى بومباي تقدَّم الربان الى التعيسة زينب واشار اليها ان تنزل واياهُ في فلكهِ . فسلَّمت امرها اليهِ ونزلت ومعها الغلام والامتعة . فانطلق القارب كالسهم حتى بلغ

اليابسة . فصعد وصعدت معهُ زينب والغلام وسار بهما الى محل وكالة المراكب حيث يوجد وكيل يتكلم بالعربية فاستدعاهُ الربان واخبرهُ بالحدثان . وطلب اليهِ ان يفهم امر هذه المرأة . وهل انها ترغب البقاء ام الرجوع الى بلادها . فأخذ الوكيل يرثي لحالها ويعزيها ثم سألها عن مرادها . فأخذت تتردَّد في الجواب قائلةً في نفسها خيرٌ لي ان اسلمهم هذا الغلام ليدفعوهُ الى عمهِ بدون ان اريهُ وجهي حذر ان يعتبرني شؤمًا عليهِ ثم اعود . وهل مقابلتي سليم الآن اذ يراني على هذه الحالة المشومة الّا خطبٌ اصعب من جميع الخطوب فالموت ولا اريهِ وجهي اذ الاولى ان اعود الى بلادي . فأجابت الوكيل انني اود ان تحسنوا عليَّ بارجاعي . وسألتْ متى يكون ذلك . فأجابها الوكيل بعد خمسة عشر يومًا ثم ترجم ارادتها للربان . فتبصَّر قليلاً ثم طلب الى المترجم ان يحويها في حماهُ لحلول الميعاد وهكذا فعل . الآن زينب ارادت ان تبقي معها الغلام لتوديعهِ منهُ ثم تصرفهُ الى عمهِ يوم سفرها او تصحبهُ معها لانها صارت شديدة الولع بهِ . وعلى كل حال ان جميع افكارها في امرها كانت هذيانًا وحيرة . فكانت تري اقامتها وحيدة في دار الغربة بليةً عليها وعذابًا اليمًا . وترى عودتها الى الوطن

بليةً اعظم بينَ انها كانت ترى نفسها غير قادرة على مفارقة الغلام الذي اصبحت تعتبرهُ ولدًا لها وتعزيةً وحيدة في احزانها ومصائبها . فماذا تفعل والحالة هذه

اما هذا الوكيل انما كان رجلاً شهمًا وكريم الاخلاق . وهكذا كانت كل عيالهِ. فاطلعتهُ زينب على جميع خطوبها من الاول الى الآخر وكيف انها تودّ ان تبقى غير معروفة من الخواجا سليم وغير مسموعٍ منهُ بقدومها صحبة اخيهِ الذي دُفن مع امراتهِ في البحر . وانها ترغب في بقاء هذا الغلام معها لمدةٍ ما . واوردت كل مخائلها في هذا الشأن . وكان هذا الوكيل يواسيها مدى الاوقات ويطيّب خاطرها حتى اشار اليها اخيرًا ان تبقى عندهُ مدةً عسى الزمان يأتيها بخير فاتبعت رأيهُ

اما سليم فلما بلغهُ ما حدث على اخيهِ وعيالهِ عراهُ حزن شديد وغمّ لا مزيد عليهِ . وصار شغلهُ البكاء والعويل . ولشدة افراط الحزن فيهِ وقع في صغر النفس وانعزل عن العالم في بيتهِ وكان لهُ ابنة وحيدة لم يتجاوز سنها الاربع السنين وقد سمَّاها زينب وكان يحبها حباً شديدًا ولا يرى حظًّا الاَّ بملاعبتها ومداعبتها وكلما كان يدعوها باسمها او يرد على سماعهِ هذا الاسم كانت لواعج

ذلك العشق القديم تحرك في كل جوارحهِ وتبقيهِ نظير الشارب الثمل اذ ان الحب الاول يلبث في قلب المحب وقد يرافقهُ الى القبر. ولما حال الحزن بينهُ وبين ابنتهِ اذ لم يعد يرى نفسهُ قادراً على كثرة التكلم معها بلغة الاطفال اراد ان يستحضر لها مؤدّبة عربية لتعلّمها العربية وتقوم مقامهُ في ملاعبتها ومواساتها فأشاع ذلك في المياومات باعلان امضاهُ الخواجا باي . وبعد يومين من هذه الاشاعة حضر رجل عليهِ سيمة الوقار عند الخواجا باي وافادهُ بوجود ارملة تحسن العربية ذات ادب وتهذيب طبق المرغوب · فاستدعى الخواجا باي امرأتهُ واخبرها بذلك. فالتفتت الى الرجل وقالت لهُ ارجوك احضارها لنراها. فذهب ملبّياً · وفي الغد حضر ومعهُ امرأة لا يبلغ سنها الثلاثين · ذات ثياب محتشمة ووجهٍ يمازج جمالهُ البديع لوائح الغمّ والهمّ. فانهُ كان يحكي وجه امير اصبح اسيراً · وغنيّ امسى فقيراً · وعزيز عاد ذليلاً فلما رأت امرأة الخواجا باي هذه الارملة حنَّتْ اليها كل الحنوّ واستحسنتها كلَّ الاستحسان · فقبضت على يدها واجلستها جانبها على المقعد واخذت تكلمها باللغة الانكليزية فما كانت تحسن الجواب في هذه اللغة الَّا قليلاً · فاستدعت بزوجها ليكلمها بلغتها

ولما حضر ورآها ازلقها بعينيهِ واسبل على وجههِ نقاب البهتة وصار قلبهُ يقرع جدران صدرهِ واخذ كرسياً وجلس امامها . اما هذه الارملة فلما وقعت عيناها عليهِ خفق فؤادها واهتزت كل سلاسلها واصبحت حمرة الخجل وصفرة الوجل تتنازعان على محيّاها ثم اطرقت بناظريها واخذت تهجس في نفسها متلوّية متلوّنة وهكذا فعل الخواجا باي . الاَّ انهُ بادرها بالسؤَال قائلاً من ايّ البلاد انتِ يا ست . فاجابت ولسانها يختلج انا من العراق . فأَجابها وهو يدنو منها وانا من العراق ايضاً وها نحن ابناءُ وطن واحد . الاَّ انكِ من ايّ البلاد العراقية وتنفَّس الصعداء فأَجابتهُ على الفور من الموصل وكلَّل العرق جبينها . ولما اجابتهُ بذلك شعر ان غيمة وهمٍ اخذت تتقشع عن بصرهِ وبصيرتهِ . ثم سأَلها عن اسمها فقالت لهُ مريم فما كذبت تلك الغيمة ان انقشعت جميعها

ثم استدعى الخواجا باي بابنتهِ زينب ودفعها الى مريم وقال لها ارجوكِ ان تحسني تأْديب هذه الطفلة وتواسيها ولا تكلّميها الاَّ بالعربية لانني اريد ان تكون لغتي لغة اولادي ايضاً ليحافظوا بها على جنسهم واصلهم . فضمَّت مريم هذه الطفلة الى صدرها وطفقت تقبّلها وتعانقها

ولما اخذت في الغد تجول هذا المنزل الكبير اندهشت مما رأت فيهِ من عظمات الغنى والثروة . فكان منزلاً عظيم السعة يحوي قصوراً وسرادق وقاعات رحبة . حتى لا يمكن الجولان في جميعهِ باقل من ساعة . وكلهُ مفروش بالارجوان والديباج والكشمير ومزين بالخزف الصيني والامتعة النفيسة

الفصل الخامس عشر

وليم

وصارت زينب الصغيرة تشبُّ بين يدي مريم مؤدبتها وتقتبس منها اللغة العربية حتى بلغ سنها العشرين . وفي كل هذه المدة كان ابوها يزداد انعزالاً عن الناس وضوضائهم . لكون حزنهِ كان يتزايد يوماً بعد يوم . وخصوصاً لما بلغهُ من بعض المكاتبين ما فعلت صروف الحدثان بزينب حبيبتهِ . وكيف انها كانت مقبلة اليهِ مع اخيهِ ثم فُقدت بفقدهِ حتى انهُ لا عاد يخرج من مخدعهِ الاَّ عند ما تمسهُ ضرورة قصوى ولا يتكلم الاَّ نادراً . وكلما كانت تقع عيناهُ على مريم كان يزيد توغلاً في الكرب واستغراقاً في الهجس والانفعال . ولهذا السبب شبَّت ابنتهُ على

التوحُّد وعدم المخالطة . فكانت محافظة على بساطة الفطرة الاصلية . وما كانت تعرف من الناس سوى مؤدبتها وامها وابيها الذي عقم عن غيرها الآن شابًا من اقرباء امها اسمهُ وليم أخذ يتردد على بيت الخواجا باي بحجة القرابة . وما كان الخواجا باي يعلم بذلك لانعزالهِ الدائم في مخدع بعيد عن مخدع امرأتهِ . فأحب الخواجا وليم زينب اذ وقعت في قلبهِ موقعًا حسنًا وصار كلما انفرد معها يغازلها و يطارحها امَّارات الحب . حتى ايقظ عيني طبيعتها من رقاد البساطة والسذاجة . واستمالها اليهِ كثيرًا واصبحت تقايضهُ جوانح الجوى . فأسرَّت بذلك امها وطربت الى تزويجهِ بابنتها طرب الكيماوي الى تركيب العناصر . وجعلت تنهج لهما محجة الاقتران

وفي احد الايام عرا زينب مرض ما تسبب عن انفعال نفساني . فحضر الطبيب وكتب لها علاجًا واشار بان يؤْخذ من عند الصيدلاني الاقرب . فأخذ الخادم صك العلاج وهرع الى الصيدلاني فما رآهُ متفرغًا للحين . فأراد الاستنظار . فقال لهُ الصيدلاني اذهب ثم ارجع بعد برهة . فذهب . ولما انتهى عملهُ ولم يرجع الخادم للحال ارسلهُ الصيدلاني مع خادمهِ الى المريضة .

ولما كان هذا الدواء يقتضي تدقيقًا في استعمالهِ لزم ان يدخل الخادم محل المريضة الذي فيهِ امها ليفهمها طريقة استعمالهِ · وبعد برهةٍ اذ فهمت ترك الدواء وانصرف وريثما غاب هذا الخادم انتبهت امُّ زينب الى سؤَال على العلاج فجعلت تقرع الجرس بعنفٍ لاستحضار الخادم وتقول سهونا نسألهُ عن امرٍ وقد مضى · فقالت زينب لامها كفاكِ تطنين الجرس وتقلقيني · فان محل الصيدلاني هنا قبالة الدار لانني رأيتُ خادمهُ من هذه النافذة خارجًا من تلك الدكان المقابلة ثم عاد اليها الآن · فمتى شئنا دعوناهُ حالاً وهكذا تمَّ الامر

وبعد قليل من الايام برئت زينب من مرضها ورجعت الى تمام الصحة الَّا انها صارت تختلي كثيرًا في مخدعها وتطلُّ من مشرفاتهِ على الشارع · حتى انها اصبحت في التمادي كانها منعزلة في مخدعها نظير انعزال ابيها · اما امها فقد صارت تتعجب من اختلاء ابنتها المتواتر · وشرعت تمنعها عنهُ وتبكتها ولا سيما وقد لحظت كونها امست تفضّل الاختلاء في مخدعها على مجالسة الخواجا وليم · الَّا انها لم تعلم لذلك سببًا ولما اخذ منها الحنق كل مأخذ شرعت تراقبها وترصد نتائج انفرادها

ولما رأى الخواجا وليم فتورًا في محبة زينب فترت محبتهُ ايضًا . وصار يقصر قدمهُ عن التردد عليها حتى انهُ رأى منها ما اوجب انقطاعهُ فشقَّ على ام زينب وعز صبرها وبعثت برقعة اليهِ تدعوهُ الى الزيارة . واذ حضر اخذت تعاتبهُ على انقطاعهِ كثيرًا . فارشق طرفهُ فيها مليًّا ثم قال لها . اعجب يا سيدتي كيف تجرين عليَّ عتبًا لا استحقهُ فانكِ تعلمين انني احبُّ زينب واريد الزواج بها وهي كانت تحبني وتريد الزواج بي . وقد تعاهدنا على الولاء وانتِ شاهدة على هذه المعاهدة التي لولا حادثة المرض لكان تمَّ غايتها . اما الآن فقد انقلبت عني الى احد المهنة . واظن انها حبتهُ كل جوارحها وجوانحها . فهل تعتبين عليَّ والحالة هذه . فلما سمعت ام زينب هذا الكلام استشاطت غضبًا وزمجرت وقالت كيف تقول يا وليم ان ابنتي انقلبت عنك الى احد الخادمين وهل هي مجنونة الى هذا الحد حتى تحب خادمًا وتنقلب عن شريف نظيرك وهي من بنات الاشراف فما هذه الدنية التي نسبتها الى ابنتي . فاجابها وليم لا تغضبي عبثًا ولا تسخطي سدًى لان عندي ادلةً اوضح من الشمس على انقلاب ابنتكِ عني وحبها احد الخادمين فلطمت على خدها وصفعت وقالت لهُ . ما هي ادلتك يا وليم

قل ما هذا الكلام · فاجابها سكّني نفسكِ حتى تفهمي ما اقول فاجابتهُ قل · قال وليم انتِ تعلمين ياسيدتي ان زينب كانت تبرز لديَّ وتقابلني بالتحية ريثما تسمع خطواتي اذ ادخل هذه الدار · وما كانت تفارقني ولا دقيقة واحدة حتى تقبض يدي بيدها سلام الوداع الى الغد اما الآن فقد اصبحت تحاول عدم رؤياي وتفضّل الانعزال في حجرتها على مجالستي وحسبكِ شاهدًا معاينتكِ واقعة الحال واما ميلها الى احد الخدام فقد تاكدتهُ بالاجتساس والمعاينة · وذلك بواسطة ثلاثة جواسيس وبنفسي ايضًا · فانني اعددت لكل صباحٍ وظهرٍ ومساءٍ جاسوسًا يترقبها فيهِ · وكلٌّ منهم كان يأتيني بنابغة عن هذه الابنة · وجميعهم كانوا يروون لي عنها ما ثبت بهِ عندي انها تحب خادم الصيدلاني المقابل نوافذ حجرتها . فهذا يقول لي ياسيدي انني رأَيتها تناجيهِ باشارات عينيها وحاجبيها وهو واقف على باب الدكان وعيناهُ شاخصتان فيها ومغازلتان وذلك يقول لي انني كنت اراها تبتسم في وجههِ وتناقشهُ بالايماء والاشارات . والآخر قال انني سمعتها عند منتصف الليل تتكلم معهُ بلغةٍ غريبة عني. اما انا ياسيدتي فما كنت اصدق كل ذلك . لان حبها كان غلطًا عظيمًا يحول بيني وبين الصواب .

حتى عمدت ان اختبر ذلك بذاتي فجئت يومًا نحو الصباح و وقفت
بعيدًا عن الطيقان ومحاولاً الاّ اكون بمشهد من الخادم . ولبثما
اوقفت حركة اقدامي لمحت هذا الخادم واقفًا على باب الحانوت
ومشخصًا الى الشبابيك ووجههُ يروي عن مكالمة سرّية يبلغها
باشارات الايدي . ثم ذهبت ورجعت الظهر فرأيت عين هذا
الامر . ثم انصرفت وانا في سأمٍ مفرط ولاستزيد يقيني تأكيدًا
جئت نصف الليل و وقفت في منعكف قريب من جهة الدكان
غير منظور الاّ من قاصدهِ . وما لبثت برهةً الاّ وصوت خطوات
انسان طرق اذني . ثم انقطع وتعوَّض بهامسة افواه فخرجت من
المنعكف ودنوت يسيرًا حتى يزكّي نظري شواهد سمعي فرأيت
نفس هذا الخادم يناجي زينب ابنتكِ بلغة مجهولة مني . وهكذا
ثبت عندي ميلها الى خادم وولوعها بهِ بدلا ئل اختباري فماذا
تقولين ايتها الست اجيبي . هل تودّين ان ابقى على عهدي واذلّ
عزة نفسي . وهل استحق العتب منكِ والملامة ياليت شعري

فلمَّا وعت ام زينب كلام وليم كاد عقلها يطير شعاعًا وحارت
وخارت وما عادت تعرف تجاوب وتدافع عن حرمة ابنتها
الاَّ انها رأَت تمليق هذا الشاب ومداهنتهُ اخلق بالمقام . ثم نظرت

اليهِ بكل رفق وقالت لهُ لا تفكر سوءًا يا وليم . ولا تخالطك شوائب الريب . فان ابنتي وان كانت بالغة اشدّها ورشدها لم تزل بسيطة الفطرة وساذجة الاخلاق . ولا تعرف بشراً سوى اهلها وانت . وما ثبت عندك من انقلابها عنك انما حريٌّ بان يُنسب الى تغفّلها لا الى خيانة منها . واذا كانت تتكلم مع ماهن فما ذاك الاَّ لجهلها مقامها ولا بدَّ من ان يكون هذا الخادمُ هو المستبدُّ بمكالمتها ولعدم خبرتها بمراتب الناس واعتبار كلٍّ منهم حسب وضعهِ ومقامهِ خالت انهُ من الواجب ان تباديهُ بما يباديها وتقابلهُ بما يقابلها فالأَولى ان نصف الخادم بالقحة والجسارة من ان نصف زينب بالانقلاب والدناءة وها انا في هذا الوقت سأفحصها وانبش بواطنها واخبرك حق ما اتحقق فلا تنقطع عنا والبث على ودك وعهدك. فركن الخواجا وليم الى برقشة أم زينب ووعدها بالعودة. ثم انصرف ولم يقابل حبيبتهُ

الفصل السادس عشر

الخطبة

ولما انصرف وليم هرعت امرأة باي الى حجرة زينب ابنتها

احرمتني اهلي وكل احبتي ونفيتني ويلاهُ عن اوطاني
خاب الذي بالدهر احسن ظنهُ فالغدر منهُ يجري كالغدرانِ
ان الفتى بين الملا من عندهُ ظلم الزمان وعدلهُ سيَّانِ

ولما رجعت ام زينب الى ابنتها فرأَتها تبكي وترتعد . فوقفت امامها وحرَّقت اسنانها وهمهمت وغمغمت وقالت لها قولي لي ايتها الخبيثة ما هذا السر الذي كانت تناجيكِ بهِ تلك الخائنة مريم ومن هذا الخادم الذي ولعتِ بهِ منذ استحضارهِ لكِ الدواء فما احتمل حبكِ اياهُ سوى نظرة واحدة حتى اصبحتِ ترصدينهُ نهاراً وليلاً وطاب لكِ الانعزال في هذه الحجرة التي جعلتِها مرقباً لرصدهِ وقد نظركِ البعض تغازلينهُ وتكالمينهُ بلغة ابيكِ المجنون قولي لي ما هذا العمل القبيح . فسكتت زينب ولم تفه بكلمة حتى استتلت والدتها قائلة اما عدتِ تحبين وليم . وهل تفضلين عليهِ وبشا فما كان جواب زينب الاَّ ارسال الدمع والارتعاد حتى اذا ما رأَتها على هذه الحالة الاليمة مشفقة ومشرقة اخذها الحنو الاموي وجعلت تلاطفها وتؤَانسها قائلة لها انتِ يا زينب من بنات الاشراف فهل يليق بابنة شريفة نظيركِ ان تنعطف الى دنيّ القوم وتعرض عن شريفهم اجيبيني ولا تستحي فانا أُمكِ

فنظرت زينب أُمها وعيناها مغرغرتان بالدموع . ثم امالت وجهها الى منكبها وقالت . طيبي نفسًا يا أُماه فانا لا احب الاَّ شريفًا . فاجابت امها وهي تتبسم اذًا لا صحة لاتهامكِ بحب هذا الخادم . فاجابتها زينب اعلمي حقًّا يا والدتي انني لا احب خادمًا. فقالت الام فهلا برحتِ تحبين وليم . قالت زينب لا ابغضهُ اصلاً فطاب خاطر والدتها وقالت لابنتها بكل حق قد طردت مريم عنكِ . ثم امسكت بيد ابنتها واخرجتها من هذه الحجرة قائلة لها يجب ان تتركي هذه الحجرة وتتخذي الحجرة الملاصقة لحجرتي . فذهبت وامرت الخدامين ان ينقلوا حوائج زينب الى تلك الحجرة التي اشارت عنها . ويقفلوا الاولى و يسلموها مفتاحها ففعلوا كما امرتهم السيدة

اما وليم فقد عاد الى عادة تردده ِ واستعاد ظواهر زينب الى الالتفات اليهِ عاجزًا عن استعادة بواطنها حتى اذا ما رجع فغرق في حبها اعلن انهُ يريد ان يخطبها ثم يتزوج بعد خمسة عشر يومًا . وكان هذا الاعلان حاصلاً بينهُ وبين والدتها فأَجابتهُ للحال بالايجاب . ولما حضرت زينب اخرج خاتمًا من الالماس الفاخر ودفعهُ اليها قائلاً خذي هذا الخاتم ايتها السيدة

المحبوبة عربون عهدٍ لوعدة خمسة عشر يومًا وكوني مغتنية عن شهود الحال بشرف المقال · فتوقفت زينب وبرقع الاصفرار وجهها ونظرت الى امها نظرةً اكثر نفاذًا من السهم . فقالت لها هذه الام على مَ لا تمدين يدكِ وتأخذين علامة الخطبة فلبثت متوقفة ومطرقة وما فاهت بكلمةٍ · فالتفتت امها الى وليم وتناولت الخاتم ضاحكةً وقائلةً انا انوب عنها بأخذهِ . لانني اراها تخجل من هذا الفعل نظير كل البنات فانهنَّ يخجلنَ من هذا الخاتم الذي لا يشتهينَ سواهُ . فلا يمددنَ يدًا لتناولهِ استحياء . فأجاب وليم الحق معكِ يا سيدة · الَّا انني اتوسَّم من وجهها لوائح عدم الرضى فيجب ان اعرف ارادتها الآن لانني لا عدت اراها الى يوم الزفاف حسبما تسن العادة في قصر مدة الخطبة . ثم التفت الى زينب وسألها قائلًا ماذا تقولين ايتها السيدة · فسكتت ولم تجاوب فأعاد عليها السؤَال فلم تجاوب ايضًا فقالت لهُ امها اما تعلم يا خواجا ان السكوت من الاقرار . فقال لها وقد يكون من الانكار . فأجابتهُ انما يختلف ذلك باختلاف الاشخاص والاحوال وانت تعلم قلب ابنتي نحوك فاستحسن جوابها وترك الخاتم مع الام غير معلق ولا مطلق . ثم انصرف وهو يقول لزينب سنتلاقي

بعد خمسة عشر يوماً . وريثما غاب وليم اخذت زينب تلطم على راسها وتنتف شعرها وتبكي وتعج قائلة لامها كيف تزوجيني رغماً عني وتدفعينني الى رجل لا احبهُ . ما هذا الظلم العجيب اشفقي عليَّ وارحميني يا أُماه فصاحت بها امها قائلةً اخسي يا خبيثة فهل ترغبين الزواج بخادم الصيدلاني وهل تودين ان اوافقكِ على هذا الامر الذى تخجل عنكِ منهُ الخنازير فأجابت زينب وهي تبكي بكاءً مرًّا لا لا لا كفاكِ ثلبي وظلمي وحسبكِ تقترحين ححجًا لتزوجيني بمن لا عادت تحبهُ نفسي لانني بعد الاختبار وجدتهُ غير لائق بي فهو لا ينقل ولا يخترع الاَّ الكذب ولا يروي عن نفسهِ الاَّ الفخفخة والعظائم اما تذكرين اذ قال بعض الايام ان اولياء الاحكام والامور لا تستطيع بدونهِ حراكًا وانهُ يد الوزير وعين القاضي وضمير الحاكم . ثم أَخذ رقعة وكتب بها هكذا . انا وليم ملك انكلترا امرت هكذا وانهيت هكذا واخذت هكذا . ولما راكِ تضحكين اذ قرأتِ كتابتهُ هذه غضب وقال لكِ هل تعلمين انتِ ما يأتي بهِ المستقبل وهلا تذكرين ما فعل عليَّ جوابهُ هذا حتى الزمني الفراش مدة اسبوع لانني اعتقدت للحين ان قلبي يحب مجنونًا واخذت انقلب عنهُ لكي لا اجلب على رأْسي عار الحب

لهكذا مجنون والحقَّ الحقَّ اقول لكِ ان زواجي بعبدٍ زنجي اشرف لي من زواجي بمعتوه مجنون نظيره فخلي سبيلي واقطعي املك من اقتراني بهِ فاستشاطت امها غضبًا وسخطًا وصارت تصيح بصوت مقلوب وتقول لا ادعكِ تتزوجين الَّا بهِ لا بغيرهِ فخرجت زينب الى الخارج وهي رافعة يديها وقائلة بصوت اعلى كلَّا كلَّا ايتها الام الظالمة وهرعت الى محل ابيها وانطرحت على قدميهِ ذارفة الدموع وجعلت تقبلهما وتقول خلصني يا أَبتِ انقذني انشلني من هذه الظالمة امي

اما ابوها فكان حسب عادتهِ مستغرقًا في كرب النفس · وهذا عجيب لمن لا يتامل الآن الذي ينظر بتأَمل فلا يرى هناك من عجب لان الغني التام يلقي النفس في حبائل الكرب كما يلقيها الفقر التام ويحول بينها وبين تسلية الامل فلا يدع للافكار مدارًا الَّا على الكدر او الخمول وقد يتفق ان الثروة الكبرى لا تنفي الاحزان التي تعرو الشخص قبل حصولهِ عليها بل تزيدها تمكنًا . وهكذا قد تم مع ابي زينب فان هذه الثروة الفجائية قد زادت حزنهُ على اخيهِ وعظمتهُ . كما انها نبهت عشقهُ القديم . وخلدتهُ في قلبهِ حتى لم يعد يرتاح الَّا الى الانعزال في

مخدعهِ حتى عن عيالهِ ليدخل مدى الاوقات معالم التصور والمجس . فماذا يتصوَّر انهُ يتصور اخاهُ حولهُ مع عيالهِ يشاركونهُ بنعيمهِ الذي كان مخبأً لهُ في اخفي زوايا الايام ويتصور ايضاً تلك الحبيبة القديمة التي كان فقرهُ القديم سبباً لتمكين خيانة البشر من اختطافها منهُ بمخالب الغنى الزائل. وانهُ يتصور ما فعل الزمان بهذه الحبيبة الراسخة في اعماق قلبهِ . وهكذا فلم يعد قادراً على الخروج من ذلك العالم برهة واحدة . ولهذا فقد دفع لامرأتهِ مطلق حقهِ في الامر والنهي وما عاد يسأل عن شيءٍ مهما كان مهمًا. حتى خيل لها ان بلهًا اعتراهُ واقنعت ابنتها بذلك

اما هذا المنعزل فى عالم التصور فلمَّا رأى ابنتهُ على قدميهِ تسفح الدموع وتتظلم بتوجع يفطر الجلمود وهو لم يعلم امرها قبلاً ولم ينظر وليم قط ولم يسمع بشيءٍ مما يجري بينهُ وبين عيالهِ افاق كمن سكرٍ ثقيل اذ وقعت عليهِ هذه الحادثة كالصاعقة وجعل يعانق ابنتهُ ويقبلها باكيًا لبكائها وقائلاً لها على مَ هذا البكاء والنحيب يا ابنتي وماذا تريد امكِ منكِ واي شرٍّ مسَّكِ منها فاجابت زينب وهي تزيد بكاءً وانتحابًا انها تريد تزوجني بانسان تكرههُ نفسي رغمًا عني وكرهًا . ولما سمع ذلك ابوها صرخ صرخة

تقاطر صداها من جميع اقطار الحي وقال عقاد زواج بدون
علي واندفع من باب حجرتهِ وانقضَّ على حجرة امرأتهِ بوثبةٍ واحدة
ودفع بابها برجلهِ دفعةً جاء بها على المصراعين فدخل واعينهُ
تدور في محاجها زائغةً عن المركز واذ لم يجد امرأتهُ هناك جعل
يصيح بالخدامين ويقرع الاجراس فتقاطرت الخدم وامرأتهُ تسعى
امامهم آئبةً من شغل كان لها . واذ رأتهُ على هذه الحالة توقفت
حيرى ووجلى قبل وصولها اليهِ فحالما لمحها قمص اليها كالمهر
وامسك بيديها وصاح قائلاً اتزوجين ابنتي بدون علي .
أتزوجينها بمن تكره . أتجعلين ارادتها الحرة اسيرةً لامركِ القاسي .
أتضحين هكذا خليقة لطيفة على هيكل لبانتكِ المجهولة . أتحرقين
على مذبح اغراضكِ المبهمة هكذا نعجة وديعة . أتغادرين كل
مستقبلها شؤماً عليها وعموداً اسود في وجهها . أتضيعين هذه
الغزالة الربيبة في سباسب الكمد والنكد مدى عمرها . فلماذا لا
تجرعينها الآن كاس الموت صفقة واحدة فهلا تطيبين حتى تجرعها
على ممر حياتها زقوماً وغسليناً . اما تشفقين على هذا الجمال الذي
ترغبين في ان تمحيهُ قبل اوانهِ . أما ترحمين هذا الشباب الذي
تودين قصفهُ قبل ايراقهِ . فاعلمي ايتها المرأة ان الابنة ابنتي ولا

ازوجها الا بمن تحب وتشتهي . فجذبتهُ امرأتهُ من يدهِ الى مخدعها وحدها واغلقت الباب . ثم اجلستهُ على مقعدٍ هناك وقالت لهُ روق نفسك حتى اقدر ان اكلمك . وسترى اين الحق . وريثما سكن هياجه . ولبد عجاجهُ قال ماذا عندكِ من القول فها انا اسمع واعي . فقالت ان ابنتك تحب ماهنا من سوقة القوم وتشتهيهِ زوجاً لها فهل يسرك ذلك . وهل انت تفضل لابنتك وبشاً دنياً على شريف من بني الاشراف . اجاب نعم افضل وبشاً تحبهُ على شريف تبغضهُ . وما ادراكِ ان هذا المزعوم منكِ وبشاً ليس آتياً من اصل شريف . وقد دارت عليهِ دوائر الحدثان فزوتهُ وجعلتهُ لدى الجهلاء والحمقاء المتكبرين وبشاً دنياً وسقطاً رزياً . وما ادراكِ انهُ لا يفرع ويورق بالشرف والفخر والعز اذا رجعت غوادي الزمان فخيمت عليهِ وسقتهُ غيث السعادة والاقبال . فلا تحتقري انساناً رث الثياب ولا تنظري الى ظاهرهِ فكم سيفٍ صقيل الفرند وقاطع الحد في غمد وهن مخلولق . وكم بازٍ يحلّق على السحاب يبيت في عشٍّ ضنك حقير . وكم درة يتيمة تضمها صدفة في قعر البحر . اياكِ والاغترار بالظاهر فانهُ لسان كذوب وخداع لا يعربُ عن حقائق الباطن ولا معرب عن

حقيقة الخبر سوى المخبَر فانا اعلم اناساً جمة لهم كل ملائح الظاهر واذا اختبرتهم وجدت فيهم كلَّ قبائح الباطن فهم رمم ملبسة وقبور مكلسة فماذا عسى يكون ذلك الشريف الذي تريدين تزويج زينب بهِ . لعلهُ من اولئك الذين ياتون بالهرير بعد الزئير فتفرست فيهِ قليلاً ثم قالت ان الخواجا وليم ابن عمي يود الزواج بها وقد خطبها فما قولك بهِ هل خادم من خدام الصيدلانية خير منهُ اخبرني واذا استحسنتهُ انت فهلا تكترث بعار الدناءة امام امثالك . أفلا يصبح ذلك عجبًا عجابًا لديهم أفلا ينفتح مضمار رحب لرهان الظنون والشبهات . أَوَلا ترجع الى سجنك الاختياري وتنعزل عن مساعدة ابنتك على ارتكاب هذا الغي الفظيع والشنار الشنيع فهلاَّ تعلم ان البنات متى تزوجنَ برجل اصبح لهنَّ ملكاً ولو كان شيطاناً فدعني اتدبر هذا الامر حسب معرفتي ولا عدت تقبل عليَّ دعوى والاَّ فابنة الخواجا باي تصبح امرأةً ماهن مبتزل وكم يخف عليَّ وثق العار لو لطمتني ذات سوار

فما استتمت المرأة كلامها ان ثارت الشجون في قلبهِ وعصفت بهِ رياح الاحزان المستكنة وضاع مجال افكارهِ بين التصور والحكم حتى رجع ذلك العمود الاسود فانتصب بينهُ و بين امرأتهِ

فما صدق ان رحل عنها قائلاً افعلي ما شئتِ ثم عاد الى معزلهِ يتجشم تبريح الهواجس

اما زينب فكانت واقفة بجانب الباب تصغى لمكالمة والديها. ولما سمعت تلك الجملة الاخيرة من ابيها وهي افعلي ما شئتِ. كاد الاسف يلقيها صرعًا . فاسرعت الى حجرتها والقت بنفسها على وسادتها واخذت تنوح وتبكي مرتعدة بين انياب اليأْس ومخالب الخيبة وليس لها من يدانيها

الفصل السابع عشر

الكشف

اما وليم فما صدق ان بزغ نهار الميعاد . فارتدى غلائل العرس وجلس مع اهلهِ يستقبل المدعوين ولما كمل عددهم وتهيأَت المركبات نهضوا فوجًا واحدًا . وخرجوا فتوزعوا عليها . ثم سار الرتل ومركبة العريس في المقدم . حتى اذا ما بلغوا منزل الخواجا باي وفُتح لهم جعلوا يدخلون زوجًا زوجًا الى قاعة الاستنظار ولم يكن من يقابلهم غير الخدم واما امرأَة الخواجا باي فكانت مع ابنتها زينب في مخدع نومها تنازعها تبديل الثياب تارةً

بالاناسة وآونةً بالشراسة . اما زينب التي لم يجفَّ مدمعها في هذين الاسبوعين ولم تخمد زفراتها وحسراتها . فكانت تأبى تبديل ثيابها وتبكي وتضج قائلةً لامها ولو ضُربَ عنقي لا اذهب الى الكنيسة معهم ولا اضع على راسي اكليل الموت . وكانت امها تجاوبها ان الامر قد تمَّ واتى العريس واهلهُ ولا عاد لكِ مناص ولا خلاص . فامسحي اعينكِ والبسي ثياب العرس ولا عدتِ تظهرين شيئاً من الامارات التي سوَّدت وجهي واكظمي هذه الظواهر الخبيثة لئلا يدري بامركِ العريس فتكون الضلالة الاخيرة اشرَّ من الاولى واذ رأت زينب نفسها مقطوعة الرجاء وفاقدة كل ظهير ونصير تنهدت طويلاً وتصعدت بحسرة تحرق قلب الجماد . وقالت لامها طيبي نفساً وانعمي بالاً . فها انا اتمم ارادتكِ واذهب الى جنازتي ثم قامت واخذت تبدل ثيابها وهي تقول وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم . ولما اطمأنَّ مضجع بال الام المنتصرة على وسادة الفوز والظفر خرجت من عند ابنتها وذهبت الى قاعة الاستنظار لتسترحب بالقادمين وفي هذه الساعة قرع باب المنزل فاسرع احد الخدامين لفتحهِ

اما الخواجا باسي فكان حسب عادتهِ منعزلاً في حجرتهِ

ومستغرقًا في هواجس كمدهِ ونكدهِ غير سائل عن شيءٍ واذا بنقرة خفيفة على باب مخدعه فأذن بالدخول بعد تردُّد فدخلت امرأَة وحيَّتهُ بالسلام فجاوبها براسهِ وشخص بها . فدنت منهُ وركعت امامهُ قائلةً لهُ . هل عرفتني من انا ياسيدي فتوسَّم ميسمها برهة ثم اجاب أَلستِ مريم مؤَدّبة زينب . فاخرجت من جيبها مكتوبًا قديمًا ودفعتهُ اليهِ قائلة . ارجوك ان تقرأَ هذا ياسيدي . فتناول المكتوب منها وجعل يقرأُ ويتفرَّسها . فما انتهى عند آخر عبارة يتلوها الامضا سليم حتى فاضت عيناهُ بالدموع وانطرح على المرأَة قائلاً . آه ياسيدتي زينب ها انتِ زينب آديازينب آه يازينب وجعل يعانقها ويسكب العبرات على وجهها وهو يقول يا للزمان يا للصدفة يا للعجب كيف قد رجعت روحي اليَّ بعد ان قُبِرت اكثر من عشرين سنة . آه كيف تمَّ هذا البعث . ثم ضمها الى صدرهِ وهو يلاثمها ويقول اهلاً بمليكة فؤَادي مرحبًا بسالبة لبي وساكنة قلبي . فها انا يا حبيبتي بين يديكِ ولكِ الامر والنهي وما سوى عبدكِ سليم . وهكذا غرَّق جميع ثيابها بدموع الفرح والسرور . ثم قبَّل يدها وقال لها اخبريني ناشدتكِ الله كيف لم تطلعيني على نفسكِ كل هذه

السنين. وكيف رضيتِ ان تكوني بمنزلة خادمة في هذا البيت الذي انتِ ربتهُ وسيدتهُ . وانا الخليق بان اكون لكِ خادمًا آه يا زينب ما هذا الفعل ما هذا الصبر وكيف تمَّ وكيف جرى ذلك اخبريني اخبريني يا حبيبتي يا مليكتي يا روحي يا شفائي وحياتي. اما زينب فكانت تساجمهُ الدموع وتغصُّ وتشرق بها حتى لم تقدر ان تجاوبهُ بكلمة. ولكن قالت لهُ غاية الامر تسكَّن يا حبيبي سليم وتشدَّد لترى النهاية. وريثما سكنا قليلاً نهضت الى باب الحجرة وفتحتهُ فدخل شاب لا يبلغ سنهُ اكثر من اثنين وعشرين سنة. فامسكت بيدهِ ومثَّلتهُ لدى سليم قائلة لهُ اتدري من هذا الشاب . قال لا. فكشفت عن ساعدهِ وقالت لسليم اقرا هذا الوسم ولما تاملهُ ورأى اسم زينب نهض على قدميهِ وقال هذا هو ابن اخي امين . واذ توسمهُ ساعة استتلى قائلاً وكأني بأخي واقفٌ امامي. فاجابت زينب نعم هذا حبيب ابن اخيك. وقد ربيتهُ في هذه المدينة عند المعلمين. ثم وضعتهُ في حانوت صيدلاني امام هذا المنزل ليتعلم الصيدلانية ويكون تحت نظري ليستخدمها ان فاتهُ الحظ. فعانق سليم ابن اخيهِ وسرَّ بهِ كانهُ رأى اخاهُ نفسهُ. ثم قال هذا ابن اخي وزوج زينب ابنتي.

فقالت زينب كيف يكون زوجاً لابنتك وها الآن احتفال عرسها قائم في بيتك . فاجاب سليم ماذا تقولين وكيف احتفال عرسها قائم في بيتي . قالت نعم والقوم مع العريس في قاعة الاستنظار وها مركباتهم تستنظرهم على الباب لياخذوها رغم انفها وقهراً. فاستحال النور في عيني سليم ظلاماً وجعل يقرع جرس الاستحضار فحضر خادم للحين وقال لبيك يا سيدي فامرهُ ان يدعو اليهِ امرأتهُ فذهب الخادم وتم الامر · ولما حضرت ام زينب ورأت زوجها جالساً على المقعد وعن يمينهِ مريم ويدها في يدهِ · وعن يسارهِ خادم الصيدلاني مضموماً الى خصرهِ جمدت اعينها بهتةً وطار منها شرر الغيظ ثم تقدمت وصاحت قائلة ماذا تريد وما هذا . فاجابها غضوباً اجلسي امامي لتعلمي ما هذا وتدري ماذا اريد · فتناولت كرسياً للحال وجلست امامهُ قائلةً لهُ قل. فقال لها اتعلمين من هذا الشاب اجابت لا · فحرَّك راسهُ مهماً وقال هذا حبيب ابن اخي امين · كان ميتاً فعاش وضالاً فوجد فانسدل على وجهها قناع البهتة والاندهاش. وجعلت تتفرسهُ من فرقهِ الى قدمهِ وفمها نصف مفتوح واذهمت ان تفوه عارضها قائلاً وهل تعلمين من هذه السيدة واشار بيدهِ الى زينب ملتفتاً اليها فاجابت

انت اعلم بها وانا لا عدت اعلم شيئًا . فقال وهو يرفع صوتهُ ويطهُ هذه هي السيدة زينب التي ابعدها عني الزمان واحزنني عليها حتى الآن كما كنت قد اخبرتكِ بذلك من آنٍ الى آن فاجابتهُ طب نفسًا وقرَّ عينًا . ثم همت للقيام . فقام وامسكها قائلاً كيف تذهبين ولم يتم حديثي بعد . وهل تظنين انني مجنون الى الآن لا وابيكِ . فان عقلي وقلبي قد رجعا اليَّ منذ اليوم . فاجابت قل ما تشا . قال من يوجد عندنا في قاعة الاستنظار . قالت وليم عريس زينب ابنتك واهلهُ حضروا لياخذوها الى الاكليل في الكنيسة . فقم والبس ثيابك الاحتفالية لنذهب معهم فاجاب وهو يسخط ويغضب من هو وليم عريس زينب ابنتي الوحيدة ومن هم اهلها ومتى خطبها وكيف يتمُّ ذلك بدون ارادتي وعلمي وهل يليق لزينب عريس سوى حبيبي هذا حبيب ابن اخي الفقيد . ثم حسر عن ساعدهِ قائلاً وها اسم زينب على هذا الساعد السعيد مرسوم قبل ان تخلق . فاجابتهُ وهي تتلوّى وتتلوَّن فكيف نصنع والحالة هذه وماذا نقول للذين قد حضروا باي وجه نقابلهم ونردُّهم بالخجالة اما هذا امرٌ عجيب وغريب . فاجابها ليس ذلك با عجب واغرب من تزويج ابنة بزوج لا تحبهُ . ومنعها عمَّن تحبهُ ويليق بها

ولا باس من حضور القوم لانهم اقرباؤُنا فليكونوا المدعوين الى زفاف زينب على ابن عمها . اذ لولا حضورهم الآن لكنا دعوناهم الى افراحنا لا محالة فقد اراحونا من ثقلة الاستدعاء الرسمي وعليَّ ان اقابلهم بالوجه الذي يصعب عليكِ مقابلتهم بهِ واخبرهم بواقع الحال . ثم نهض واسرع مهرولاً الى قاعة الاستنظار . ولما دخل نهض الجميع على الاقدام واستقبلوهُ بالعز والاكرام الَّا انهم بهتوا اذ لم يروهُ في ثياب الاحتفال . واذ جلس وجلسوا ادار على الجميع تحية السلام ووجههُ يفيض بشاشة وطلاقة حتى اذا ما انتهى حديث التلاقي والترحب قال للحاضرين . ارجوكم ايها السادة والسيدات ان ترعوني سمعًا فاقصُّ لكم نادرةً قلما يتفق نظيرها لاحد . فاجابَ الجميع سمعًا سمعًا وطربوا الى حديث من لم يسمعوا قط حديثهُ . فاخذ يتلو عليهم سيرة اخيهِ وابنهِ وزينب من اول الامر الى الساعة الحاضرة

ولما انتهى كلامهُ انذهل الجميع من هذه القصة الغريبة وطفقوا يحوقلون ويسترجعون . ثم استتلى كلامهُ وقال فما رايكم ايها السادة . هل ازوج ابنتي بابن اخي الذي وجدت فيهِ تسلية احزاني وغمومي وتنفيسًا عن كربةٍ لازمتني مدة كل هذه

السنين حتى كادت تخنقني وانا منفرد عن العالم في مخدع كنت مقبورا فيهِ وانا حي ام ازوجها بغيرهِ افيدوا ولكم فضل الافادة

ولما لم يجاوب احد بكلمة حذراً من اغاظة الخواجا وليم باراز الراي السديد نهض وليم نفسهُ الى وسط المحفل وقال لاشك ولا ريب ان الاولى ان تكون السيدة زينب زوجة لابن عمها وبودّي لو يقبلني عرَّابا . وهيا لنذهب حالاً الى الكنيسة لان الساعة قد جاءت. فنهض ابو زينب ودنا منهُ وقبلهُ قبلة يستحقها من يتكلم الحق ولو على نفسهِ وهكذا فعل كل الحاضرين. ثم عاد ابو زينب الى امرأتهِ واخبرها بما فعل . فاظهرت كل علائم السرور وذهبت فبشرت ابنتها وقالت لها حقًّا يا ابنتي انكِ قد احببتِ شريفًا ولا ماهنًا وقريبًا ولا بعيدًا . فكوني مستبشرةً بما سكب عليكِ سحاب الدهر من وابل السعادة والاقبال وكوني مثمرة بالفلاح والنجاح فهطلت مدامع السرور من عيني زينب. وانحنت على يدي والدتها وجعلت تقبّلهما مثنى وثلاث ورباع . ثم خرجت امها وهيأت لحبيب ابن العم بدلة فاخرة فلبسها وقابل ابنة عمهِ زينب بوجهٍ يطفح جمالاً وكمالاً وسرورًا اذ قابلتهُ بذلك الجلباب الابيض الذي كان يحاكي سحابًا يضمُّ بدرًا منيرًا

ومن اين للبدر حواجب زُيّنت بالزجج . وعيون كحلت بالدعج .
وخدود مُوّهت بالضرج . وثغر يبسم عن طَلْعٍ ودر واقاح .
وقامةٌ تزري الغصون والرماح . واعطافٌ تهتزُّ لطفاً ونحولاً .
وشمائلُ تُدير شمولاً

ولمّا تأهَّب الجمع . وتمَّ الصرف والجمع . خرجوا بكل
هدوّ ونظام . وتفرَّقوا على المركبات التي اتت بهم وساروا
وكانت مركبة حبيب وزينب وامها والعرَّاب سائرة امامهم .
حتى انتهوا الى الكنيسة حيثما تمَّ رسم الاكليل فكانت زينب
زوجة لحبيب ابن عمها . فلما رجعوا الى المنزل واقاموا بهِ
احتفال الفرح . قاموا يعودون الى بيوتهم ويدعون بالخير النفيس
الى العروس والعريس ولبثت زينب سليم اماً لحبيب وقهرمانةً
على البيت وعاد لسليم كل سروره وفرحهِ . وفارقهُ كلُّ حزنهِ
وترحهِ

قال البغدادي فهاك ياصاحبي هذه الرواية عبرةً ومثالاً
فتوقع نجحاً . وترقَّب صبحاً . فكم في زوايا الدهر من خبايا . وكم في
خباياهُ من عنايا . فلا تسأم ولا تضجر . وانتظر ما يقدَّر

ثم نهضنا وكان الضحى قد ارتفع . والنهار لمع وسطع .

وافترقنا بعد ان عقدنا مودَّة قلبية وصداقة وفية · اقول فعجبت لهذه الرواية كل العجب . وما كللت من سماعها · ولا مللت . واذ كان حجاب الليل اخذ يتمزق ونور الصبح يتدفق . نهضنا للرحيل عن سفح قويق وقد نفحت نسيم السحر با لطيوب . وانجلى عن قلبي صدا اخبار الحروب

الفصل الثامن عشر

الابن

وما مضى نحو ثلاثين يوماً من تمضية ليلة الرواية على السفح أن جاءني صاحبي محب سعدى وهو يرقص طرباً . وريثما سلم عليَّ قال فقرة عجيبة ونادرة غريبة قلت وما هذه العجائب والغرائب اخبرني فلا برحت عجيباً وغريباً قال اسمع يا صاحبي وهو يتبسم . ان ابا سعدى عاد من سفرهِ في عين تاب فذهبت البارحة لاسلم عليهِ وما كان عندهُ من المسلمين ساعتئذٍ سوى الخواجا يرغاكي الرومي واحد الانسباء . و بعد ان سلمنا وشربنا القهوة وتداولنا الاخبار المحلية شرع ابو سعدى يروي لنا عن احوال عين تاب وما اتفق له فيها من خير وشر . فتناول الخواجا يرغاكي الحديث واستطرد منهُ الى الكلام عن ازمير وتجارتها ومعيشتها . ولما لم يرق لابي سعدى ذلك جعل يجادلهُ و يبين لهُ عدم صحة تلك الافضلية نظرًا لما عندهُ من المعلومات على ازمير حينما كان ساكنًا فيها منذ ثلاثين سنة . وما زال الجدال قائمًا بينهما حتى قال الخواجا يرغاكي لابي سعدى هل تظن يا صاح انني ارغب في تحقير حلب وتعظيم ازمير معاذ الله لانني انا حلبيُّ الاصل ولكنني اقول الحق ولا اكذب

فحملق ابو سعدى وعارضهُ بالسوال قائلاً من اين اصلك وكيف انت حلبيٌّ وعلى مَ لم تخبرني بذلك اذ كنا في عين تاب . فاجابهُ الخواجا يرغاكي قائلاً لانهُ لم يتفق لي ان اخبرك عن اصلي هناك ولكن اذا شئت الآن اخبرتك جليًا فرجوناهُ جميعنا ان يكرم با لافادة فقال ان احد التجار الحلبيين حضر منذ ثلاثين سنة الى ازمير واخذ يتاجر بغلاتها فحصل من الربح ما حسن لهُ ان يقطن هذه المدينة فاحب عذراء من بنات التجار واحبتهُ حتى تزوَّج بها فولدت لهُ ذكرًا سماهُ يرغاكي وعلى اثر النفاس وقعت في حمى حراء افضت بها الى

الموت فحزن زوجها حزناً لا مزيد عليهِ مع جميع اهلها واذ اشغلهم الحزن عن المولود كاد يموت جوعاً فانتبهوا اليهِ واحضروا لهُ ظئراً ترضعهُ وتربيهِ ولما انفطم الغلام عمد ابوهُ ان يرحل بهِ الى حلب اذ لم يعد قادراً على البقاء في مدينة حزنهِ فما طاوعهُ على ذلك بيت حميهِ وتمسكوا بالغلام غاية التمسك ليتعزوا بهِ ووعدوا اباهُ بانهم يشيعونهُ اليهِ متى بلغ عمرهُ سبع سنين . فتركهُ ابوهُ وديعةً عندهم كما ارادوا وعاد الى حلب. وبعد سنتين من سفرهِ بلغهم انهُ تزوَّج ثانياً وكأنهُ نسي ابنتهم المائتة وجلا حزنهُ عليها بفرحهِ في غيرها فحنقوا عليهِ وغضبوا شديداً ثم بعث اليهِ حموهُ بكتاب يخبرهُ بان ابنهُ الوحيد قد مات فلا عاد يسأل عنهُ ولما بلغ الغلام سبع سنين من عمرهِ وضعوهُ في الكتاب وكنوهُ بكنيتهم حتى اذا ما تمَّ تعليمهُ القراءة والكتابة جعلوهُ في مدرسة اعلى ليتعلم الحساب وقواعد اللغتين الرومية والتركية . واذ اتقن ذلك وقد بلغ سن الخمس عشرة ادخلوهُ في سلك التجارة وعينوا لهُ نصيباً من الربح لقاء اتعابهِ في مهامها ولما صار عندهُ راس مال كافٍ انفرد في التجارة وحدهُ ثم خطر لهُ في هذه السنة ان يحضر الى حلب لمسواق الصوف وليرى وطن ابيهِ واذ حضر الى هذه المدينة اقام فيها خمسة اشهر ثم سافر الى عين تاب لغاية المسواق وقد صادف هناك جناب ابي سعدى فصاحبهُ وها هو الآن في بيتهِ بين ايديكم

فما استتمَّ الخواجا برغاكي روايتهُ عن نفسهِ حتى نهض ابو سعدى وهجم عليهِ وصار يقبلهُ ويعانقهُ ويبكي من فرحهِ قائلاً انت ابني انت ابني وانا ابوك ولكي يؤكد لهُ ذلك خرج هنيهةً ورجع وفي يدهِ ذلك المكتوب الذي بهِ يخبرهُ حموهُ بموت ابنهِ . ولما قرأ الخواجا برغاكي المكتوب تاكد ان ابا سعدى هو ابوهُ حتماً وسعدى واخاها هما اختهُ واخوهُ . فتعانقوا وتلاثموا وقامت بينهم ساعة فرح رنان وفي اثناء ذلك قالت لي سعدى وهي تهزُّ براسها هوذا قد ظهر لنا سرُّ ميلي الى اخي برغاكي يا حبيبي فما كان هذا الميل الاَّ محرّضاً عن حدث القلب وتنبيه طبيعة الاخوة ولذلك فقد كنتُ اشعر كما سبقت وقلت لك ان ميلي اليهِ يختلف عن ميلي اليك ولما لم يكن ممكناً ان ادرك هذا السر الخفي كنت اعجب من نفسي والومها الاَّ انني لم اعتبرها خائنة كما اعتبرتها انت . فاجبتها للهِ درككِ من نجمةٍ غراء ذات طبيعة انافت لطافتها على الارواح اذ شفت عن غوامض الاشباح

وبعد ان صغت لهم مصاغ التهاني مسبوكاً بالطف قوالب المعاني انصرفت وانا مبهوت من هذه الصدفة العجيبة والنادرة الغريبة ومتذكرٌ مقال صاحبي البغدادي اذ قال لي لابدَّ من

ان يكون هناك سرٌّ ما وها انا ساخطب سعدى بعد خمسة
عشر يومًا لان حبها قد تضاعف في قلبي وطفح كيلهُ. فما كذب
صاحبي هذا ان خطب سعدى وهو يتأهَّب الآن الى
عقد الزواج وفقهُ الله وايَّانا
بالنجاح والفلاح

م

وكان الفراغ من طبعها بمطبعة المقتطف في مصر في اواخر سنة ١٨٨٦